الحِلْيةُ الجَلِيَّةُ عَلَى القَصِيدَةِ الهَائِيَّةِ فِي نَقْضِ العَقِيدَةِ النَّصْرَانِيَّةِ

لِلإِمَامِ ابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ

بقلم الدّكتور:

إسماعيل بن التُّومي عريف

الحِلْيَةُ الجَلِيَّةُ عَلَى القَصِيدَةِ الهَائِيَّة

فِي نَقْضِ العَقِيدَةِ النَّصْرَانِيَّة للإِمَامِ

ابْنِ قيّم الجَوْزِيَّة

تأليف الدّكتور:
إسماعيل بن التُّومي عريف.

عنوان الكتاب

الحِلْيَةُ الجَلِيَّةُ عَلَى القَصِيدَةِ الهَائِيَّة فِي نَقْضِ العَقِيدَةِ النَّصْرَانِيَّة للإِمَامِ ابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّة

تأليف الدّكتور:

إسماعيل بن التُّومي عريف.

ردمك:

978-9931-798-27-9

الإيداع القانوني:

فيفـــري 2021

تصميم الغلاف:

كمال خزان

الطبعة الأولى

للطباعة والنشر والتوزيع

سَامِي

جميع الحقوق محفوظة ©

2021

ولاية الوادي - الجزائر

032 14 93 39

imprimerieriimel39@gmail.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ
وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ
إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ
قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ
شَهِيدٗا ١٥٩ ﴾.

(النّساء: 157-159).

صَدَقَ اللّٰهُ العَظِيمُ

الإِهْـــــــــــــــدَاءُ:

إِلَى رُوحِ المَسِيحِ عليه السلام فِي عَلْيَائِهَ وسمَاه،

وإِلَى رُوحِ ابْنِ القيّمِ فِي رَمْسِهِ ومَثْوَاه؛

أُهدِي هَذَا العَمَلَ.

المُحْتَوَيَاتُ

المَوضوع	الصَّفحة
الإهداء	04
المُحتويات	05
المقدِّمَة	09
* الباب الأوّل: مجَالِسُ اِستِفتاحيَّة *	42-17
تمهيد	18
الفصل الأوَّلُ: مجلسٌ في النَّقد الإسلامي للنصرانيَّة	19
أوَّلًا- عقيدة الإلوهيّة (التَّثليث)	20
ثانيًا- عقيدة الصَّلب	24
ثالثًا- عقيدة الخلاص والفِداء	24
رابعًا- عقيدة القيامة	24
الفصل الثَّاني: مجلسٌ في ترجمة ابن قيّم الجوزيّة	29
أوّلا- اِسمُه ونسبُه وكُنيتُه	29
ثانيًا- مولدُه ونشأتُه وعِلمُه	30
ثالثًا- مِحنتُهُ	32
رابعًا- وفاتُهُ ومؤلَّفاتُه وثَناءُ العُلماء عليْه	33
الفصل الثَّالثُ: مجلِسٌ في كُنْهِ القصيدة الهائيَّة	39
* الباب الثَّاني: شرْحُ القَصِيدة الهائيَّة *	248-43
تمهيد	44
الفصل الأوَّل: الرَّدُّ على عَبَدَةِ المَسِيحِ عليه السلام	45
البيت الأوَّل	48

مجمع نيقيّة وتقرير إلوهيّة المسيح ﷺ	49
البيت الثَّاني	58
قصَّة الصَّلب في الأناجيل الأربعة	59
أوَّلًا– إخبار يسوه (المسيح) بموته وقيامته	59
1– المرَّة الأولى	59
2– المرَّة الثَّانيّة	59
3– المرَّة الثَّالثة	59
ثانيًا– محاولة قتْلِ يسوع	60
ثالثًا– خِيانة يَهُوذا الإسخرْيُوطي ليسوع	61
رابعًا– العشاء الأخير مع التَّلاميذ	61
خامسًا– القبض على يسوع واعتقاله	62
سادسًا– محاكمة يسوع بين اليهود وبيلاطس	63
سابعًا– صلب يسوع وموته	65
البيت الثَّالث	76
البيت الرَّابع	81
البيت الخامِس	83
البيت السَّادِس	86
البيت السَّابِع	88
البيت الثَّامِن	93
البيت التَّاسِع	95
البيت العاشِر	97
البيت الحادي عشر	111
البيت الثَّاني عشر	114
البيت الثّالث عشر	122
المُخطَّط التَّوضيحي لبُستانِ قبر المسيح	124
البيت الرَّابع عشر	130
البيت الخامس عشر	130

البيت السَّادِس عشر	138
البيت السَّابع عشر	146
الفصل الثَّاني: الرَّدُّ على عَبَدَةِ الصَّليب	149
البيت الثَّامن عشر	150
البيت التَّاسع عشر	166
البيت العِشرُون	170
البيت الواحِدُ والعِشرون	175
البيت الثَّاني والعِشرُون	183
البيت الثَّالث والعِشرُون	186
البيت الرَّابِع والعِشرون	187
البيت الخامِس والعِشرُون	192
البيت السَّادِس والعِشرون	195
الفصل الثَّالث: بدايةُ المسيح عليه السلام ونهايَتُهُ في النَّصرانيَّة والإسلام	198
أوَّلًا- بداية المسيح عليه السلام ونهايته في النّصرانيّة (المسيحيّة)	198
المُقابلة الأولى: بين كِرِشْنَا والمسيح	198
المُقابلة الثّانية: بين بُوذَا والمسيح	202
ثانيًا- بداية المسيح عليه السلام ونهايته في الإسلام	205
1- كيف كانت البداية؟	205
2- ما المصيرُ في النِّهاية؟	216
ثالثًا- مُقابلة بين النّصوص الإنجيليّة والقرآنيّة بخصُوص بداية المسيح عليه السلام ونهايته	225
*** الباب الثَّالث: مُوافَقَات إسلاميَّة ورُدودٌ مسيحيَّة ***	280-249
تمهيد	250
الفصل الأوَّل: الموافقاتُ الإسلاميَّة	251
أوَّلًا- النَّموذج الشِّعري	251
ثانيًا- النَّموذج النَّثرِي	254

الفصل الثَّاني: الرُّدُود المسيحيَّة	259
أوَّلًا– النَّموذج الشِّعري	259
ثانيًا– النَّموذج النَّثرِي	261
الخاتمة	281
ملحق: إعراب القصيدة الهائيَّة	285
قائمةُ المصادر والمراجع	301
فهارِس النُّصوص الدِّينيَّة	311
أوَّلًا– فهرس فقرات الكتاب المقدَّس	311
ثانيًا– فهرس الآيات القرنيّة	316
ثالثًا– فهرس الأحاديث النَّبويَّة	322

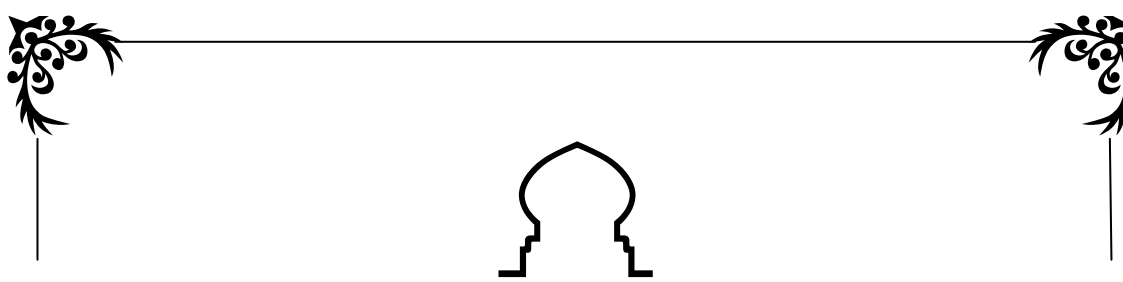

المُقَدِّمَـــــــةُ

الحَمْدُ للهِ الواحد الأحد، الفرْدِ الصَّمد، الذي جعَلَ عِبادتَه وحده لا شريك له حقَّهُ على العَبِيد، وأوحَى إليهم؛ أنَّ مَن أشرَكَ به فعبَد معه آلهة أُخرى، فإنَّ جزاءَهُ العَذَابُ المَدِيد، وحذَّرهم من مُخالَفَة المَنْهَجِ الرَّشِيد، مُخبرًا إيَّاهم أنَّ الإسلام هو الدِّين العَتِيد الجَدِيد ؛ فمَنْ حادَ عنه وابتغى غيره فقد ضلَّ الضَّلال البَعِيد، وبيَّن لهم في عيسى ابنِ مَرْيَمَ الرَّأي الأوْسَطَ السَّديد؛ فمَنْ بدَّلَه أو حرَّف القوْلَ فيه غُلوًّا أو إفرَاطًا فقد رَامَ الهَلاكَ الشَّديد، فإنَّما هو كلمةُ الله إلى والِدَتِه وروحٌ منه وعبدُهُ الرَّسولُ المَجِيد، والصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ الخاتم ابن آمِنةَ الصِّنديد، الدَّاعي إلى الله على البَصَيرَة بالجُهدِ الجَهِيد، محمَّدٍ ابن الذَّبيحِ الفقِيد، وعلى زوجاتِه النَّقِيَّات مِثل العِقْدِ الفَريد، وعلى آلِه المُقرَّبين وصحابتِه الكِرامِ الذين منهم في كلِّ هَيْجَاء مُجاهِدٌ وشهيد.

أمَّا بعد:

فمن غير اللّائق المُرور مرَّ الكِرامِ على تُراثِ السَّلَفِ ولاسيمَا إرْثُ العُلمَاء الرَّبَّانيين المُخلصين المُفنِيين أعمارهم في طلَبِ العِلم تعلُّمًا وتعليمًا، تمحِيصًا وتأليفًا، فإنَّ فيه من الدُّرَرِ الحِسَان والجَوَاهر ذاتِ اللّمَعان، وكنُوز العُلوم والمعارف ما لا يخفَى على ذوي الألبابِ والعِرفان، بل يجِب الوُقوف ببابِه، وعلى أطلالِه، واقتِحام كيانِه، ووُلُوج عالَمه، والجَولان به وحوْله وفيه جوْلَة متأمِّل مُستبْصِر، وسبْرَ أغوارِه، وكشْفَ أسرارِه؛ بالمُذاكَرة والدِّراسَة والتَّمحيصِ والتَّنقيبِ والتَّحقيق، خصُوصًا إنْ كانَ شِعْرًا منظُومًا من عالِم ألمَعِيٍّ كابن القيِّم صَاحِب التّآليف الفريدة والأسفَار النَّافِعة المُفيدة، الجامِع بين النَّثْر والنَّظم، النَّصُوح المُبيِّنِ تارةً، المَازِح الهَازِل حِينًا، والنَّاقِد الفاضِح مرَّةً أُخْرى، ذي الكلماتِ الباهرة

السَّـاحرة، والعبـارات اللّطيفـة الجاذِبـة، والمَعَـاني ذاتِ القُطـوف الدَّانيِّـة والظِّـلال الوارِفـة والينابيع الصَّافية.

كان هذا في البدْءِ؛ هو السَّببُ الذي نادَانِي لطرْقِ غِمَار شرْحِ قصِيدة من قصَائدِه، لكنّه ليس هو السَّببُ الوحيد، بل إنَّ هناك دواعِيَ غيره أملَتْ عليَّ ما أنا فيه من كتابة وتدوين، منها مِثالًا لا حَصْرًا؛ الاهتمام –إضافة إلى العقيدة الإسلاميّة– بالأديان والعَقَائِد الأُخرى، والعقيدة النَّصرانيَّة (المسيحيَّة) بالأساس، ثمَّ أسلُوبُ القصيدة الهائيَّة الشَّائق وموضوعها الرَّائِق ونقدُها الفائِق؛ جَمَالِياتٌ ثلاثٌ هي سببٌ ثالثٌ بعد الأوَّل والثَّاني جرَّني إلى هذا الشَّرْحِ، وأسبابٌ أُخرى غير وجيهة سأضرِبُ الذِّكر عنها صَفْحًا قصْد الاقتصاد والاختصار.

وحيث إنَّه قد نالَتْ مُتونٌ عديدة وقصائد كثيرة في العقيدة والفِقه والتَّفسير والحديث والسَّيرة والنَّحو والبلاغة وغير ذلك من الفُنون والفروع؛ حظَّها من الشَّرْح والبيان، والتَّفسير والإيضاح، فإنَّ قصيدة ابن القيّم هذه لم تَنِل –في حدُود علمي ومعرفتي وبحثي– حقَّها من جميع تلك الأصناف العلميَّة والطَّرائق المعرِفيَّة، ولا أخالُنِي مُبالِغًا أو مفتريًا القوْل؛ إنْ أفصَحْتُ بعدم وجُود أيِّ شرْحٍ علميٍّ مستقلٍّ لها في سِفْرٍ أو كِتابٍ أو حتَّى كُتيِّبٍ خصَّها بالدِّراسَة والنَّظر؛ الأمر الذي شجَّعني وقذفَ في رَوْعِي موحيًا إليَّ الإقدام على هذا العَمَل والإقبال عليه بعزْمٍ وإرادَةٍ، بغيةَ إلقَاء حُلَّة بهيَّة منسُوجة من مُتناثِر الأدلَّة والشَّواهِد والمعانِي على أبياتها تجليَّة للمُراد بها وتوضيحًا للمقصود منها على لسانِ ناظِمِها، فكانَ هذا الكِتاب المتواضع في أبوابه، المُبسَّطِ في بيانِه، الحاضِر بين يديك لَحْظَتَئِذٍ، الحَاوِي بين طيَّاتِه لهذا الشَّرح وذلك التَّفسير مُعنوَنًا بـ: "**الحِلْيَةُ الجَلِيَّةُ عَلَى القَصِيدَةِ الهَائِيَّة فِي نَقْضِ العَقِيدَةِ النَّصْرَانِيَّةِ للإِمَامِ اِبْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّة**".

إنَّ موضوع هذا الكِتاب ومنهجُه نابِعٌ من موضوع ومنهجِ القصيدة الشَّارح لها، وتابِعٌ لِما تضمَّنتْهُ أبياتُها من معلومَات وأفكار وطرائق منهجيَّة؛ فموضوعه عقديٌّ كلامِيٌّ بالدَّرجة الأولى (مناقشة مسألة إلوهيَّة المسيح وصلبه عند النَّصارى وإثباتُ بشريَّتِه)، حشدتُ فيه جُمْلة من المعارف والآراء العَقَائديّة الكلاميَّة؛ إسلاميَّة ومسيحيَّة، وتتخلَّلُهُ

بعضُ النُّكَتِ العِلميَّة (تفسيريّة، حديثيّة، فقهيَّة، تاريخيَّة...)، والمُلَحِ الأدبيَّة (بلاغيَّة، نحويَّة، شِعريَّة، قصصيَّة...)، أمَّا منهجُه فقائمٌ على حشْدِ الأدلَّة العقليَّة والنَّقليَّة، واستحضار البَرَاهِين المَنطِقيَّة، والحُجَجِ البُرهَانيَّة، بطريقة اِسْتقْصَائِيَّة اِسْتفْهامِيَّة، ومزجْتُ فيه –لإحاطتِه من جميع جوانبه– بين عدَّةِ أُطُرٍ منهجيَّة، فكنتُ في البداية مُسْتَقرِئًا واصِفًا، فمُحلِّلًا ناقِدًا، ثمَّ مُقارِنًا، وفي الخِتام مُثبِتًا أو نافيًا.

عطفًا على ما سبق، تراءى لي تقسيم هذا الكِتاب من النَّاحيَّة الشَّكليّة إلى ثلاثة أبواب محصُورة بين مقدّمة وخاتمة، حيث أوردتُ في **المقدّمة** الإجراءات المنهجيّة المتعلِّقة بالكتاب؛ كالتّعريف بموضوعِه، والإشارة إلى مُحتواه، والطَّريقة أو المنهج السَّائر عليه، وغير ذلك من هذه الأمور، واستفتحتُه في **بابه الأوَّل** بثلاثة مجالِسَ استفتاحيَّة؛ **أوَّلُها:** في النَّقد الإسلامي للنصرانيَّة، و**ثانيها:** في ترجمة ابن قيِّم الجوزيّة، و**ثالثُها:** في كُنهِ القصيدة الهائيَّة، ثمَّ شرحْتُ في **الباب الثّاني** القصيدة الهائيَّة في فصْليْنِ اِثنيْنِ تبعًا لجُزْأيْها؛ **فصلٌ:** في الرَّدِّ على عَبَدَة المسِيح، و**الآخرُ:** في الرَّدِّ على عَبَدَة الصَّليب، وأردَفْتُهُما **بفصلٍ ثالثٍ** مكمِّلٍ لهُمَا ويصبُّ في مَصَبِّهِمَا عالَجَ مسألة: بِدَايةُ المسيح عليه السلام ونهايَتُهُ في النَّصرانيَّة والإسلام، وبعد ذلك ثلَّثْتُ **ببابٍ ثالثٍ** رأيتُه خادِمًا لموضوع الكتاب وذَا علاقةٍ وطيدةٍ به، عرَّجتُ فيه على بعض **المُوافَقَاتِ الإسلاميَّة** لهذه القصيدة، وبعْض **الرُّدُود المسيحيَّة** عليها، ثمَّ ذيَّلت جميع ما تقدَّم **بخاتمة** لخَّصْتُ فيها كلَّ ما مرَّ ذِكرُه في الأبوابِ السَّابقة، مركِّزًا فيها على استنطاق أبيات ابن القيّم مرَّة أُخرى على لِسَانِه هو بشَكْلٍ مختَصَرٍ مُوجَزٍ مُفيد، وألحقتُ كلّ ذلك **بملحقٍ** أعرَبتُ فيه أبيات القصيدة إعرابًا مفصَّلًا، وطويتُ الكِتاب **بقائمة** للمصادر والمراجع وكذا **بفَهَارس** النّصوص الدِّينيّة.

أمَّا طريقة عملي في هذا الشَّرحِ؛ فإنِّي أورِدُ –بداية– البيتَ المُراد شرحه، ثمَّ أحلِّلُ معانيه العَقَائديّة ودَلالاتِه الجَدَليَّة، مُبتدِئًا بعرض وِجهة النَّظَر النَّصرانيِّة (المسيحيَّة) في المسألة المَطْرُوقَة في البيت، وذلك بإيرادِ أقوالهم وآرائهم وأدلَّتِهم بخصوصِها بشكلٍ مُسْتفِيضٍ، مُثنِّيًا بوجهة النَّظر الإسلاميَّة في المسألة ذاتها، وذلك بذكر الأدلَّة من القرآن والسُّنَّة وأقوالِ العُلماء؛ مُتَوخِّيًا إحداثِ مقارنةٍ ضِمْنيَّة في تلك المسألة بين الفِكْريْن الإسلامي والنّصراني؛ بغية إظهار وجْهِ الحَقِّ فيها، ثمَّ أُبطِلُ المُعتقَد النَّصْرَاني بإثباتِ

المُعتَقَد الإسلامي، مُتَّبعًا منهج النَّاظم في أُسلُوبِهِ السَّائِل المُقرِّ السَّاخِرَ، مُشْفِعًا إيَّاهُ بمناهج وأساليب أخرى تَتْبَعُ هي وهو من مِشْكَاةٍ واحِدَة، شارِحًا في الهامِش بالعودة إلى القواميس والمعاجم اللّغويَّة بعض الكلمات التي تصوَّرتُها غَامِضَة بعيدة المعنى عن القارئ وتحتاج إلى تفسير وبيان، مُقِرًّا بالرَّأي الوَاضحِ قوْلًا واحِدًا، مُرَجِّحًا في الآراءِ التي تشابَهَتْ عليَّ، فأحيانًا أميل إلى رأيً معيَّن، وأُسلِّم بالرّأيَيْن معًا أحيانًا أُخرى؛ حيث غُمَّ عليَّ مقْصُود النَّاظم ومُرادَه، مختصِرًا مُقتضِبًا، أو مُطْنِبًا مُسترسلًا حَسَبَ مُقتَضَى الحَال، مُجاوِرًا بين العُمق والبساطة، مرقِّمًا أبيات القصيدة الهائيَّة، كاتِبًا إيَّاها بخطٍّ ثخين تمييزًا لها عمَّا سواها من الكلام، مدوِّنًا النُّصوص المقدَّسة بخطٍّ مُنفرِدٍ غليظ مُشيرًا إلى إحالتها في المَتْنِ بعد نهاية نصِّها مباشرة، إلّا فيما يخصُّ الأحاديث النَّبويَّة فإنّي أُحيلُها في الهامش كبقيَّة الاقتباسات والاستشهادات الأخرى حيث يحتاج الأمر إلى توثيق الكثير من المعلومات، مُدرِجًا جُمْلَة من الصُّور والأشكَال والجداول الخادِمة لبعض القَضَايَا الواردة في بعض الأبيات.

وبالعودة إلى موضُوع الكِتَاب، فإنَّه لا يرتَابُ أحدٌ اطَّلع عليه في الأهميَّة الكائنة له، ويكفي في ذلك طبيعتُه العقديَّة الكلاميَّة الجدليَّة، وجميع هذه الاتِّجاهات ذاتُ أهميَّة بالغِة ومكانة مرموقة في الفِكر الإسلامي؛ فالعقيدة هي الجانب الأهمُّ في الإسلام وعلى مدارها تتحقَّق المقاصد وتتسابق الأعمال في القبُول صحَّةً أو بطلانًا، وأمَّا بالنِّسبة للكلام والجدل، فلا يخفَى على النَّاظر في التَّاريخ الإسلامي عبر عدَّة قُرون، والمُطَّلِع على تُراث المُسلمين؛ ما لهذيْن التَّخصُّصيْنِ من حضُور في المجالِس والمؤلَّفات والمدَارِس الإسلاميَّة، يضافُ إلى ذلك كونُه يُناقِشُ أَتْبَاع أمَّةٍ عَظِيمة في أهمِّ معتقداتها الأصليَّة (إلوهيَّة المسيح، صلب المسيح، منزلة الصَّليب)، بل قد لا أكون مُجَانبًا الصَّوابَ إنْ قلتُ بأنَّهُ يأخذُ أهمِّيتَه من القرآن الكريم نفسه؛ حيث أنَّ جزئياتَهُ مبثُوثة في هذا الكِتاب العظيم بين سُوَرِهِ وآياته، وذلك في عدَّة مواضع منه، فقد أَشَار القُرآن وهو يُجادِل غير المُسلمين إلى مسألة التّأليه والصَّلب في الفكر النَّصراني، لكنَّ الأهميَّة الكُبرى له تكمُن في ذاك الخَصامِ العَنِيف الذي دارَ بين المُسلمين والمسيحيين حولهُ، حيث قامت عدّة مناظرات بشأنِه، ذلك أنَّ صِدامًا حادًّا فيه موجودٌ بينهما، فهما على طرفيْ النَّقيضِ منه؛ إذ يسيران

في خطَّيْن متوازيين لا يلتقيان عند أيِّ موضعٍ منهما؛ الأمر الذي يحتِّم على الباحث في مجال الأديان خوض غِمار هذا الموضوع الذي تتجلَّى فيه المُقارنة في أسمَى معانيها وأرقَى أشكالِها.

إنَّ كلَّ ما سبق وصفُه من أهمّيَّة علاه؛ كان دافِعًا آخر، ومُحفِّزًا قويًّا لطرْقِ هذا الموضوع المُهمِّ، والإبحار في لُجَجِه، والغوص في أعماقِه؛ بحثًا عن خباياه وأسراره العميقة، ولا أخُفي القارئ الكريم وأنا بصدد تقرير بعض الحقائق والأسرار الشَّخصيّة؛ بأنَّه يحلُو لي المقَامُ وأنا أتحدَّثُ عن مسائِلَ مشتركة بين الإسلام والنَّصرانيَّة لاسِيَما في الجانب العقائِدي الذي فيه مجالٌ خِصْبٌ لإحداثِ مقارناتٍ جمَّة، بالإضافة إلى كونه يفتحُ بابًا كبيرًا ويكون فيه مجالًا فسيحًا للحوار الدِّيني بين الطَّرفيْن الإسلامي والمسيحي؛ المسألة التي تسمَّى بـ: الحوار الإسلامي–المسيحي، ولا شكَّ في أنَّ هذا المَيْل الذّاتي المَوضُوعي في الآن ذاته إذا ما اِنْضَاف إلى ما سبق سردُهُ من أسباب، يكُونُ هو وإيَّاها مبرِّراتٌ كافيَّة لِما أنا فيه من تأليف.

بقي أن أُشير في نهاية هذه المقدِّمَة إلى مسألة مهمَّة أصليَّة في هذا الكِتاب؛ وهي متعلِّقة بالجانب الاصطلاحي عند الإشارة إلى ديانة القوْم المُجادَلِين في القصيدة الهائيَّة، حيث تُسمَّى أحيانًا بالنَّصرانية وهم بالنَّصارى، وأحيانًا أُخرَى تسمَّى بالمسيحيَّة وهم بالمسيحيين، ممَّا يفتح استفهامًا كبيرًا لدى القارئ أو المطَّلِع أو حتَّى المتخصّص في شأنهم وديانتهم، حيث إنَّ الكُتُب والأبحاث المكتوبة بخصوصهم تشير إليهم بالاسميْن معًا (النَّصرانيّة/النَّصارى، المسيحيّة/المسيحيون)، فهل هم نصارى أم مسيحيون؟، وبالنّسبة لديانتهم؛ أهي النَّصرانيَّة أم المسيحيَّة؟.

وإزالة لهذا الإشكال أقول: إنَّ النَّصرانيّة والمسيحيَّة اِسْمان من الأسماء التي تكون شاملة لعدَّة مسمَّيات عند إفرادها وإطلاقها، فإذا قُرِنتْ بغيرها دلَّتْ على بعض تلك المسمَّيات، والاسم المقرون بها يدلُّ على البعض الآخر؛ كالإسلام والإيمان، والفقير والمسكين، فإن أُفرِدَ أحدُهما دخل فيه الآخر، ودلَّ بانفراده على ما يدلُّ عليه الآخر بانفراده، وإنْ قُرِن بينهما دلَّ أحدهما على بعض ما يدلُّ عليه بانفراده، ودلّ الآخر على

الباقي؛[1] أي أنَّهما من المُصطلحات التي إذا اجتمعَت في الكلام تفرَّقتْ في المعنى، وإذا تفرَّقتْ في الكلام اتَّحدَتْ في المعنى، وعليه فإنَّ لفظتيْ النَّصرانيّة والمسيحيَّة عند إطلاق إحداهما وإفرادها بالذّكر فإنَّها تدلُّ على معنى الأُخرى معها ولا فرْق بينهما حينئذ؛ إذ يكون المُراد بهما الدِّيانة المُنزَّلة على عيسى(عليه السلام)، أمَّا عندما يُذكَران في موضع واحد، فإنَّ كلَّ واحدة منهما تدلُّ على معنى معيّن، وتدلُّ الأخرى على معنى آخر، ممَّا يوحي بأنَّ ثمَّةَ فرقًا بينهما، وقد قيل الكثير في التَّفريق بين هذين المُصطلحيْن، لكنَّ أجوَد ما حُكيَ في ذلك هو: "أنَّ النّصرانيّة؛ هي الدّيانة الأصليّة التي جاء بها المسيح(عليه السلام)، والتي لم تحاول الانفصال عن الدّيانة اليهوديّة؛ لأنّها كانت حركة دينيّة إصلاحيّة ضمنها، ولم يخرُج نطاقها عن فلسطين، باعتبارها ديانة قوميّة محلّيّة، أمّا المسيحيّة؛ فهي النّصرانيّة في ثوبها المُحرّف، وهي تُنسَب إلى بولس الرّسول الذي قلَب نصرانيّة عيسى رأسًا على عقب، وغيّر في كثير من معالمها، وحوّلها من رسالة محلّيّة إلى رسالة عالميّة تبشيريّة خرجت عن النّطاق الفلسطيني إلى حُدود أوسع وأشمل، كما أنّها ناقضت مُعتقدات اليهوديّة بشكل سافر؛ فإنّ المؤسّسة الدّينيّة اليهوديّة لم تصم المسيحيّين بالهراطقة، لأنّها اعتبرت المسيحيّة ديانة جديدة لا علاقة لها باليهوديّة أصلا ولا هي متفرّعة عنها"[2]، لذلك تجد أنّ بعض المؤلَّفات يحمل في عنوانها مصطلح النَّصرانيّة، والبعض الآخر يحمل مصطلح المسيحيَّة، والقرآن الكريم لم يتحدَّث عن أتباع هذه الدِّيانة إلّا بكونهم نصارى، ولا شكَّ أنَّ ذلك يُقْصَد به أمرًا محدَّدًا، أو أنَّ من ورائه قصدًا مستهدَفًا، حيث إنَّ الكلمات في هذا الكتاب موضوعة وضعًا دقيقًا مُختارًا؛ فلا يجوز تقديم كلمة أو تأخيرها عن موضعها الموجودة فيه، ولا اِستبدالُها بأُخرى غيرها.

وقد آثرتُ في كتابي هذا عدم التَّفريق بين المُصطلحين حتَّى لا يتشتَّت ذِهْن القَارئ، فحيثُما أذكرُ النَّصرانيّة فإنِّي أقصد بها المسيحيّة كذلك، وحيثما أذكر المسيحيَّة فإنِّي أقصد بها النَّصرانيّة أيضًا، وهذا الأمر جعلني في كثير من الأحيان أقدِّم مصطلح

---

[1]– ابن رجب الحنبلي: **جامع العلوم والحِكم**، ص37.

[2]– محمّد فاروق الزّين: **المسيحيّة والإسلام والاستشراق**، ص107–111، وجمال الدّين شرقاوي: **قضايا مُثيرة في المسيحيّة والإسلام**، ص215–220.

النَّصرانيّة وأكتب أمامه بين قوسين مصطلح المسيحيَّة، مُسايرًا ابن القيّم الذي أطلق على القوم في قصيدته اِسم النَّصارى بدلَ اسم المسيحيين، وهذا هو دَيْدَنُ العلماء الأوائل الذين كانوا يفضِّلُون هذا الاسم (النَّصارى) حينما يبتغون دِراسة ديانتهم أو نقدها، مُقتدِين في ذلك بالقرآن الكريم وكذا بسُنَّة النّبيّm؛ المصدريْن اللّذيْن أشارَا إلى القومِ بهذه التَّسميَّة غالبًا، وأحيانًا يُسَمّيانِهم بأهل الكتاب، غير أنَّ هذا المصطلح عام، إذ يدخُل فيه اليهود أيضًا، إلَّا إذا وُجِدَتْ قرينة تخصِّصُه بالنَّصارى، فحينئذٍ يكون علَمًا عليهم خاصًّا بهم وحدهم.

وخِتامًا، لا يسعني في هذا المقام سوى أن أعترف –وأنا العبد الضَّعيف– بالعجز والتّقصير حِيال هذا العمَل المتواضع، ولك أخي القارئ واسِع النَّظر فيه؛ بغية تصويب أخْطَائِه، وتصحِيح مفَاسِدِه، وسَدِّ ثَغَراتِه، وتَقْويمِ مَثَالِبِه، بالنُّصح والإرشاد والإمداد، شاكرًا لك حُسن صنيعك هذا؛ فرحِم الله اِمْرِئًا أهدَى إليَّ عُيُوبي، والله يشهد أنِّي بذلتُ قُصارى جهدي في تقييد أبْوَابِه وفُصُولِه ومَدَاخِلِه ومَخَارِجه ولواحِقِه، وزخرفة القوْل في أفكَارِهِ ومَعْلومَاتِه، وحُسْنِ سبْكِهِ وتنظيمه وترتيبه، فإلى إحكامِ كلِّ ذلك قصدتُ، وتذليل المصاعِب رُمْتُ، وتقريب المعاني أردتُ، واختصار الأفكار ابتغيتُ، وترجيح الآراءِ هدفْتُ، وتبيين الحقِّ نويْتُ فأقدمْتُ، والله تعالى من وراء القصد وهو يهدي إلى سَوَاءِ السَّبيل.

وأخيرًا؛ أحمُد المولى عزَّ وجلَّ حمْدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سُلطانِه على أنْ يسَّر لي أمر إتمام هذا الكِتاب في أيسر الظُّروف وأحسنِها، وأشكُرُه على ذلك شكرًا لا انقطاع له ولا نهاية، كما لا يفوتنِي وأنا أُغَادِر تقديمي هذا أنْ أتقدَّم بالشُّكر الجزيل والامتنان العظيم لكلِّ مَن قدَّم لي يَدَا المُساعدة من قريب أو بعيد، ولو بنصيحة أو رأي أو كلِمة، وأخصُّ بالذِّكر الثُّلّة من الشّباب الذين ساعدوني بالمادّة والمعنى في نشر هذا الكتاب، وفي طليعتهم أستاذنا القدير وشيخنا الجليل؛ الأستاذ بمعهد العلوم الإسلامية بجامعة الوادي؛ الشّيخ الطّاهر بن اعمارة الأدغم جزاه الله عنّا كلّ خير عميم وثواب جزيل، كما أشكر الطّابع النَّاشر لهذا الكتاب؛ دار سامي بالوادي وخصوصًا الأخ رضا الذي كان حريصًا ولم يتوانَ لحظة واحدَة وأخصُّ بالذِّكر الطّابع النَّاشر لهذا الكتاب الذي كان

حريصًا ولم يتوانَى لحظة واحدَة في إخراجِه بهذه الحُلَّة الجليَّة البهيَّة، فجزاه الله عنِّي وعن جميع المسلمين كلَّ خير ونَعْمَاء، وجعل ذلك في ميزان حسناته وصحائف أعماله يوم لا ينفع مالٌ ولا بنُون إلَّا مَن أتى الله بقلبٍ سَلِيمٍ.

وكتَبَهُ الفَقِيرُ إلى رَحْمَةِ ربِّهِ، الرَّاجِي مَرْضَاتَهُ وغُفْرَانَهُ؛ **إِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد بن البشير التُّومي عَرِيف**، وتمَّ الفَرَاغُ مِن كِتابَتِهِ يوم الخميس ببلدَةِ ابِنْ نَاصِر الطَّيْبَاتِيَّة الوَرِقْلِيَّةِ الجَزائِرِيَّةِ غُرَّة المُحرَّم من العام الهجري الثَّانِي والأَرْبَعِينَ بَعْدَ المِائَةِ الرَّابِعَة والأَلْفِ، المُوَازِي لـ: العِشرين من شهر أغسطس من العَامِ المِيلَادِي العِشْرِين بعد الأَلْفِ الثَّانِيَّة.

البَابُ الأول: مَجَالِسُ اِسْتِفْتَاحِيَّةٌ.

الفَصْلُ الأوَّلُ: مَجْلِسٌ في النَّقْدِ الإِسْلامِي للنَّصْرَانِيَّةِ.

الفَصْلُ الثَّانِي: مَجْلِسٌ في تَرْجَمَةِ اِبْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ.

الفَصْلُ الثَّالِثُ: مَجْلِسٌ في كُنْهِ القَصِيدَةِ المَائِيَّةِ.

تمهيد:

فُصولٌ تمهيديّة ثلاثةٌ؛ نستفتِح بها هذا الكِتاب الشَّارِح النَّاقِد، ذلك أنَّ كلَّ موضوع –مهما كان نوعه أو فصلُه– يحتاج إلى مدْخَلٍ يُمهِّد الطَّريق له وللقارئ لفهمه وإدراكِ معانيه، وهي فصولٌ مُفسِّرةٌ كذلك زيادة على كونها مُمهِّدَةٌ؛ فنظرًا إلى طبيعة الكتاب النَّقديَّة؛ جاء الفصلُ الأوَّل منها ملقيًا الضَّوء على النَّقد الإسلامي للنّصرانيّة في شتَّى مراحِله التَّاريخيَّة، أمَّا الثَّاني فترجَم لصاحب القصيدة الهائيَّة؛ ابن قيّم الجوزيّة، وأمَّا الثَّالث فعرَّف بهذه القصيدة ذاتِها، وبهذه النّظرة الشَّاملة ذات الاتِّجاهات الثَّلاثة، نكون قد حصرْنَا مسائل موضوع كتاب الحِلية الجليَّة، وهيَّأنا لها ما يُمكِنُ أنْ يؤدِّي إليها من مسالك بيانيّة، ولأنَّها –هذه الفُصول– ليسَتْ في حجمها بالطُّويلة طُولًا مُمِلًّا ولا بالقصيرة قِصَرًا مُخِلًّا؛ فلمَّا كانتْ بين هذا وذاك، ولمَّا كانت بسيطة في أسلوبها، مُختصرةً في مَبَانِيها، مبسوطةً في مَعانِيها، مؤنِسة لقَارئها؛ أطلقْنَا عليها تسميَّة المجالس الاستفتاحيَّة.

الفَصْلُ الأَوَّلُ: مَجْلِسٌ في النَّقْدِ الإِسْلَامِيِّ لِلنَّصْرَانِيَّةِ

بين الإسلام والنّصرانيّة قصّة طويلة بدأت منذ ظهور الدّين الإسلامي وإلى اليوم، تتقاسمها علاقتان متوازيّتان لا تلتقيان كالمدّ والجزر، أمّا إحداهما فهي علاقة الصُّلح والمسالمة والمودّة، يُديرُها الحوار الفكري والرّشد المعرفي بتبادل الأفكار والمعارف والخبرات والزّيارات وغير ذلك بين الطّرفيْن، وأمّا الأخرى فإنّها بخلاف الأولى تمامًا؛ فهي علاقة حرب وسِجال، يُديرها حوار السّلاح الحقيقي والفكري بالقتال في ساحات المعارك وتبادل التُّهم والافتراءات والتَّراشق بالمناظرات والمُجادلات العقِيمة.

وانطلاقًا من هذه العلاقة الأخيرة يمكننا الحديث عن النّقد الإسلامي للنّصرانيّة والرّدّ عليها وعلى فلاسفتها ورجال دينِها من قِبل علماء الإسلام في شتّى العصور، إذ أنّ المتتبّع في هذا المجال سيلْقَى فكرًا خِصبًا كثيرًا بخصوصه، حيث أُلّفت الكتب والمناظرات والقصائد والنّصوص والرّسائل الكثيرة في سبيله، وما كان ذاك ليكون لولا النّشاط والرّغبة اللذان امتاز بهما العلماء المسلمون في جميع مراحل الزّمن الإنساني وخاصّة في القرون الهجريّة السّبعة الأولى، فقد قام هؤلاء العلماء بدحض النّصرانيّة في جميع أقسامها ولاسيما قسم العقائد الذي ناله النّصيب الأوفر من النّقد والرّد، فلم يتركوا صغيرة ولا كبيرة ولا شاردة ولا واردة في هذا الشِّقّ إلّا وردُّوا عليها أو دحضُوها من الأساس، كلّ ذلك تأسّيًا بالقرآن الكريم الذي سبقهم إلى هذا الأمر فكان رائدهم فيه وقائدهم إليه.

إنّ الأساس الذي ينطلق منه القرآن في هذا النقد هو التّصور لأحقيّة الدّين الإسلامي وصحّته، وأنّ كلّ ما خالفه من الأديان الأخرى باطلٌ، وأنّه هو الدّين الذي ارتضاه الله للبشرّية جمعاء فلا يُقبل التّدين بأيِّ دينٍ سواه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾. (آل عمران: 19)، وقال أيضا: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى

﴿ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾. (آل عمران: 85)، وصدع بهذه الحقيقة في كثير من الآيات، فقال مُبيّنًا تفرّد الطّريق الذي يجب أن يسلكه جميع الخلق والذي لا يجوز لهم الحياد عنه، بل جعل ذلك وصيّة خالدة لهم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾.(الأنعام: 153)، وقد اِنتقد القرآن العقائد النّصرانيّة؛ لأنّ أتباعها غيّرُوا وبدّلوا الرّسالة التي جاءهم بها نبيُّهم عيسى﵇ وحرّفوها تحريفًا كليًّا لتتوافق مع أهوائهم، فحادوا عنها، واستبدلوها بما هو أدنى منها من شتّى النّواحي، فقصّ الله عزّ وجلّ علينا أخبارهم مع هذه الحياة الجديدة التي أَلِفُوهَا، منتقدًا لعقائدهم وأفكارهم وشرائعهم المحرّفة والمائلة عن المنهج الرّبّاني المستقيم الذي أساسه الإيمان بالله واليوم الآخر، وكان هذا النّقد شاملًا لكلّ عقائد هذه الدّيانة المُستَحدَثة المُستجدَّة فمسِّ:

أوّلًا_عقيدة الإلوهيّة (التّثليث):

ناقش القرآن الكريم عقيدة التّثليث التي يُؤمن بها النّصارى (المسيحيون) إيمانا جازما من طريقيْن اِثْنيْن؛ طريقٌ مباشرٌ خاصٌّ بهم رأْسًا، وذلك بتوجيه الخِطاب لهم من دون النّاس للرّدّ عليهم بخصوص هذا المعتقد جملة وتفصيلا، وطريقٌ آخر غير مباشر جاء في معرض الحديث عن وحدانيّة الله بصفة عامّة، والغرض من جميع ذلك الإدحاض الكُلِّي لهذه العقيدة المُناقضة لعقيدة التَّوحيد تمامًا؛ فإبْطال الأولى وكسْرُها هو إثباتٌ للثَّانيّة وبناء لها.

فأمّا الطّريق المباشر ومن النّاحيّة الإجماليّة؛ فقد كفّر الله عزّ وجلّ القائلين بالتّثليث؛ ليُبيّن لهم خطأ معتقدهم وغلَطِهم الجسيم فيه، فقال جلَّ ثناؤه: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤﴾ (المائدة: 73-74)، قال ابن كثير (701-774هـ) مُفسِّرا لهذه الآية بعد أن ذكر أوجه الاختلاف حول الطّائفة المرادة منها: "والصّحيح أنّها أُنزلت في النّصارى خاصّة، قاله مجاهد وغير واحد، ثمّ اختلفوا في ذلك فقيل: المراد بذلك كفّارهم في قولهم بالأقانيم الثّلاثة، وهو أقنوم الأب، وأقنوم الابن،

وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن، تعالى الله عن قولهم عُلوّا كبيرا، قال ابن جرير (224-301هـ) وغيره:

والطّوائف الثّلاثة من الملكيّة* واليعقوبيّة** والنّسطوريّة*** تقول بهذه الأقانيم، وهم مختلفون فيها اختلافًا متباينًا ليس هذا موضع بسطه، وكلّ فرقة منهم تكفّر الأخرى، والحقّ أنّ الثلاثة واحدة، وقال السّدّي وغيره: نزلت في جعلهم المسيح وأمّه إلهين مع الله، فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار".[1]

وقال تعالى فيهم أيضا: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾. (النّساء: 171)؛ أي لا تجعلوا عيسى وأمّه مع الله شريكيْن، ذلك أنّ النّصارى من جهلهم ليس لهم في مسألة

* نسبة إلى الملك، حيث أنّهم أيّدوا القرار الذي اتّخذه مجمع خلكيدونية عام (451م)، فلُقّبوا بالملكيين ازدراءً بهم لوقوفهم في صفّ الملك مرقيانوس الذي كان يعاضد المجمع، ومنهم طائفة الكاثوليك، وقيل إنّهم سمّوا بالملكانيّة نسبة إلى شخص يُدعى: مَلْكَا، قالوا: إنّ الكلمة اتّحدت بجسد المسيح، وتدرّعت بناسوته، ويعنون بالكلمة: أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس: أقنوم الحياة، ولا يسمُّون العلم قبل تدرّعه ابنا، بل المسيح مع ما تدرّع به ابن، وقال بعضهم: إنّ الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر أو الماء اللبن، وقالوا بأنّ المسيح ناسوت كلّي لا جزئي، وهو قديم أزلي. (الشّهرستاني: **الملل والنّحل**، ص244).

** نسبة إلى يعقوب البراذعي، أسقف أنطاكية في القرن السّادس للميلاد، نُسبوا إليه لأنّه كان من أنشط الدّعاة إلى المذهب، لا أنّه مبتدعه ومنشئه، حيث إنّ بطريرك الإسكندريّة سبق يعقوب إلى ذلك المذهب في منتصف القرن الخامس للميلاد، ويسمّون أيضا السّريان لتحدّثهم باللغة السّريانيّة، قالوا: بالأقانيم الثّلاثة، إلا أنّهم قالوا: انقلبت الكلمة لحما ودما؛ فصار الإله هو المسيح، وهو الظّاهر بجسده، بل هو هو، ومنهم طائفة الأرثوذكس، ومنهم من قال: ظهر اللاهوت بالنّاسوت، فصار ناسوت المسيح مظهر الجوهر، لا على طريق حلول جزء فيه، ولا على سبيل اتّحاد الكلمة التي هي في حكم الصّفة، بل صار هو هو، وزعموا أنّ المسيح جوهر واحد ، أقنوم واحد، إلا أنه من جوهرين، وربما قالوا: طبيعة واحدة من طبيعتين، فجوهر الإله القديم ، وجوهر الإنسان المحدث تركّبا تركيبا كما تركّبت النفس والبدن، فصار جوهرا واحدا، أقنوما واحدا؛ وهو إنسان كلّه، و إله كلّه. (الشّهرستاني: **الملل والنّحل**، ص247_248).

*** نسبة إلى نسطور الذي كان بطريرك الإسكندريّة عام (431م)، ويقال له نسطور الحكيم، سكنوا الموصل وأرمينية، ونشروا النّصرانيّة (المسيحية) في إيران والهند والصّين، قالوا: إنّ الله تعالى واحدٌ، ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذّات، ولا هي هو، واتّحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لا عن طريق الامتزاج، ولا عن طريق الظّهور به، ولكن كإشراق الشّمس في كوّة على بلورة، وكظهور النّقش في الشّمع إذا طُبع بالخاتم. (الشّهرستاني: **الملل والنّحل**، ص246).

[1]- ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص158.

الإلوهيّة ضابط ولا لكفرهم حدٌّ، فمنهم من يعتقد عيسى﵇ إلها، ومنهم من يعتقده شريكا للإله، ومنهم من يعتقده ولدًا له، وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة، وأقوال غير مؤتلفة، ولقد أحسن بعض المتكلّمين حيث قال: لو اجتمع عشرة من النّصارى لافترقوا على أحد عشر قولا، لذلك أخبرهم الله عزّ وجلّ بأنّ الكفّ عن هذه المقالة هو خيرٌ لهم؛ لأنّه سبحانه إله واحدٌ تقدّس وتعالى عن اتّخاذ الولد، والجميع مُلكه وخَلقه، وجميع مَنْ في السّماوات والأرض عبيده، وهم تحت تدبيره وتصريفه، وهو عليهم وكيل، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولد.[1]

وتفصيلا؛ دحض الله عزّ وجلّ اعتقاد النّصارى (المسيحيين) في كلّ أقنوم من أقانيمهم:

فبالنّسبة لأقنوم الأب، بيّن جلّ ثناؤه أنّ الله عزّ وجلّ لا يمكن أبدًا أن يُوصَف بالأبوّة؛ لأنّه لم يتزوّج قطّ، وما كان له أبناء ولا أولاد، فقال عزّ من قائل: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ﴾. (الأنعام: 101)، وقال أيضا: ﴿ لَمۡ يَلِدۡ ﴾.(الإخلاص: 03)، وقال أيضًا: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ ﴾ (المؤمنون: 91)، وقال أيضا: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ٨١ ﴾ .(الزّخرف: 81).

وبالنّسبة لأقنوم الابن، فهذا ما سنتحدَّث عنه بالتَّفصيل في الباب الموالي من هذا الكتاب خاصّة عند شرحِنا للبيتيْن الأوّل والأخير من قصيدة: "**أَعبَّاد المَسِيح**" التي نحن بصدد شرحها.

وأمَّا بالنّسبة لأقنوم الرّوح القدس؛ وهو ملك الوحي جبريل﵇، فإنّ القرآن الكريم اعتبره ملكا من الملائكة الأبرار، وفوّضه حَمْل رسالة الوحي ليكون سفيرًا بين الله عز وجلّ وأنبيائه، ولم يُخبر عنه بأنّه كان إلها ولا أنّه ذو طبيعة إلهيّة، بل هو مَلَكٌ كسائر الملائكة وإنْ فُضِّل عليهم بالمهمّة التي كُلّف بها، فقال تعالى في حقّه: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢ ﴾. (النّحل: 102)،

[1]– ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص479.

وقـــال أيضـــا: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾.(البقرة: 97)، وبهذا يتهلهلُ زعم النّصارى (المسيحيين) في روح القُدُس باعتباره أحد الآلهة الثّلاثة، وبذلك ينتقض القوْل بعقيدة التّثليث من الأساس.

وأمّا الطّريق غير المباشر في نقد عقيدة التّثليث، فيتمثّل في الدّعوة إلى توحيد الله عزّ وجلّ المنافي للشّرك، وعبادته وحده سبحانه وطاعته، وأنّه لا إله غيره ولا ربّ سواه، وقد ورد ذلك في سبيل السّياق العام؛ أي أنّه لم يرد بشأن النّصارى (المسيحيين) فقط، فقال تعالى في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾. (الإخلاص: 01)، وقال أيضا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾.(الأنبياء: 25)، وقال كـذلك: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾. (الأنبياء: 21-22)، وقال أيضا: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾.(البقرة: 163)، وقد تكرّرت دعوة الأنبياء لأقوامهم إلى توحيد الله، وأنّه لا إله غيره،[1] وتأكيدا لهذا المعنى تكرّرت جملة "هُوَ اللهُ الّذِي لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ"[2] في آخر سورة الحشر؛ لتُبرهِن على أنّ الله هو الإله الذي لا إله غيره، سبحانه وتعالى، الواحد الأحد، الفرد الصّمد، وهذا الإقرار بالتّوحيد والثّناء عليه هو ما يُنافي تماما الثّالوث النّصراني (المسيحي).

وقد سجّل القرآن الكريم أنّ التّوحيد هو الأساس في الدّيانات السّماويّة كلّها؛ فإبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام قامت رسالته على التّوحيد، وقبله نوح وهود، وكذلك لوط وإسحاق يعقوب وشعيب ويوسف وموسى وعيسى عليهم السَّلام جميعًا، وكلّ هؤلاء دعوْا إلى التّوحيد وكان قِوَامُ رسالاتهم، فقال تعالى في بيان وحدة الرّسالة الإلهيّة القائمة على التّوحيد: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾.(الشّورى: 13)، والدّينُ الذي طلب الله تعالى إلى أنبيائه أن يُقيموه، ولا يتفرّقوا فيه وهو ما كبُر على المشركين أن يدعوهم إليه؛ هو التّوحيد لله سبحانه وتعالى، وهو الذي تفرّق فيه الذين

[1]- يُنظر سورة الأعراف الآيات: 59، 65، 73، 85.

[2]- يُنظر سورة الحشر الآيتان: 22 و23.

أورثوا الكتاب الذي جاءت به أنبياؤهم، وأثاروا الشّكّ حوله بأوهام سيطرت عليهم، وأفكار ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان.[1]

والوحدانيّة التي قرّرها القرآن الكريم لها أركان ثلاثة أو نواحٍ ثلاث، كلّ ناحيّة تُشير إلى حقيقة ثبتت من القرآن الكريم، فقد أثبت هذا الكتاب أنّ الله تعالى خالق كلّ شيء، وأنّه وحده هو المُنشئ، وأنّه وحده بديع السّماوات والأرض؛ وهذه هي وحدانيّة التّكوين والإنشاء،[2] وكلّها منافيّة لتثليث النّصارى (المسيحيين).

وأيًّا كان الأمر، فإنّ النّاظر في كتاب القرآن الكريم، لا يكاد يفتحه إلاّ وقد وقع بصره على "بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحيم"، فباسمه تعالى يحدث كل شيء في الحياة، لا بسم الأب والابن والرّوح القدس، فبالبسملة اِفتتح الله عزّ وجلّ كتابه العزيز، ليردّ على النّصارى (المسيحيين) الذين يفتتحون صلاتهم بما يخالف المعنى الذي اِشتملت عليه البسملة؛ فيقولون: [**أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسِ اِسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ، خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا اليَوْمَ، وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا، وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، وَلَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ، آمين**]. (متّى: 09/20-13)، فشتّان بين الصّيغتين؛ لأنّ بينهما اختلافا بيّنًا وبوْنا شاسعًا، فيما يخصّ توحيد الله عزّ وجلّ وتنزيهه،[3] وبناءً على هذا، فإنّ القرآن الكريم يدحض عقيدة التّثليث بل يهدم أساسها ويُفنّدها كلّيًا في أوّل آية من آيات المصحف الشّريف.

ثانياً_عقيدة الصّلب. **ثالثاً_ عقيدة الخلاص الفداء**. **رابعاً_ عقيدة القيامة**.

وهذه العقائد الثّلاث سنرجئُ الحديث عنها إلى الباب المُوالي، أين سنتطرَّق إليها بالتّفصيل.

استخلاصًا وبعد عرضنا للنّقد القرآني الموجّه للعقائد النّصرانيّة (المسيحيّة)، وجولة مختصرة في هذا الموضوع، نستخلص أنّ القرآن الكريم قد تنوّعت انتقاداته لتلك العقائد،

[1]- محمّد أبو زهرة: **العقيدة الإسلاميّة كما جاء بها القرآن الكريم**، ص18_19.

[2]- **المرجع نفسه**، ص20.

[3]- هاشم جودة: **العقائد المسيحيّة بين القرآن والعقل**، ص182_183.

فتراوحت بين الإفاضة والاختصار، والمباشرة والإشارة من بعيد، فعند حديثه عن عقيدة الإلوهيّة في الدّيانة النّصرانيّة (المسيحيّة) شدّد على النّصارى (المسيحيين) اعتقادهم فيها، وانتقدهم كثيرًا في حيثياتها؛ لأنّها مسألة محوريّة في جميع الأديان السّماويّة، وعلى أساسها تتحدّد معالم الدّين، وبها يُفرَّق بين الإيمان والكفر، ولأنّ هؤلاء غالوا فيها كثيرًا وبالغوا في الإيمان بها حتَّى غدَتْ السِّمة المُميّزة لهم عمَّا سواهم من الأقوام الآخرين نظرًا لاعتقادهم الكبير فيها.

ولو ولَّيْنا وجوها شَطْر السُّنَّة النّبويّة المُطهَّرة لألفيْنا فيها نقد النّصارى بصفة عامّة ومعتقداتهم بصفة خاصّة حاضرًا بشتَّى الأشكال والأُطُر النَّقديّة المختلفة، ويكْفي في ذلك أن نُشير إلى قوله عليه الصّلاة والسَّلام مُنـدِّدًا باعتقاد هؤلاء في المسيحg ومُحـذِّرًا المسلمين من الوُقوع في مَغبَّة المُغالاة في شخصه الكريم: "**لا تطْرُوني كما أَطْرَتْ النَّصارى ابن مريم، فإنَّما أنا عبده، فقولوا: عبدُ الله ورسوله**"،[1] وفي هذا الحديث نهْيٌ عن التَّشبُّه بالنَّصارى الذين غالوا في نبيِّهم؛ لأنَّ المُغالاة في أيّ شخصٍ كان تؤدِّي إلى تقديسه أو إلى تعظيمه وعبادته، وما أمْر قوم نوحg الذين أفرطُوا في تعظيم صالِحِيهم حتّى وسوس لهم الشّيطان فاتّخذوا لهم أصنامًا وعبدوها من دون الله تعالى بخافٍ على أَحَدٍ.

كما أنّ الحوار الذي دار بين الرَّسولm وبين نصارى نجران فيه نقْدٌ صريحٌ لإلوهيّة المسيح وتفنيدٌ لها، وحِكاية ذلك الحوار كما جاء في تفسير القرطبي (610/600-671هـ): أنكر وفْدُ نجران على النّبيّm قوله: "**إنَّ عيسى عبد الله وكلمته**"، فقالوا: "أرِنا عبْدًا خُلِق من غير أب"، فقال لهم النّبيُّ: "**آدم، مَن كان أبوه؟، أعجبتم من عيسى ليس له أبٌ؟، فآدمg ليس له أبٌ ولا أم**"، ورُوي أنّه عليه الصَّلاة والسَّلام لمَّا دعاهم إلى الإسلام، قالوا: "قد كنَّا مسلمين قبلك"، فقال: "**كذبتم، يمنعكم من الإسلام ثلاث: قولكم اتَّخذا الله ولدًا، وأكلكم الخنزير، وسُجودكم للصَّليب**"، فقالوا: "مَن أبو عيسى؟"...، ثمّ دعاهم النّبيّ إلى الالتعان، فقال بعضهم لبعض: "إنْ فعلتم اضطرم الوادي عليكم نـــارًا"،

[1]- البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾. (مريم:16)، حديث رقم (3445)، ص565.

فقالوا: "أَمَا تعرِضُ علينا سوى هذا؟"، فقال: "**الإسلام أو الجزية، أو الحرب**"، فأقرُّوا بالجزية.[1]

واقتداءً بالقرآن الكريم والسُّنّة النّبويّة هبَّ المُسلمون على النَّصارى يُحاورونهم ويُناظرونهم ويُجادلونهم وينتقدونهم في عقائدهم وأفكارهم؛ لذلك تنوَّعَت مناهجهم في دراسة النَّصرانيّة وغيرها من الأديان، فظهرَت مناهجٌ عدَّة عندهم كلٌّ فريق منهم يحتكم إلى منهج معيَّن منها، فكان منها **المنهج التّأريخي الوصفي** القائم على التّأريخ للأديان والحِكاية عنها ووصْفِها وصفًا موضوعيًّا بعيدًا عن الجِدال والنِّزال، و**المنهج التَّحليلي المقارن** الذي ينطلق من تحليل عنصر ما أو عدّة عناصر في ديانة واحدة أو في مجموعة من الدِّيانات ثمّ يقارن بينها في ذلك العنصر أو تلك العناصر بُغية الوقوف على أوجه الاتّفاق وأوجه الاختلاف، و**المنهج التّحليلي النّقدي** الهادف إلى دراسة نقديّة منهجيّة لديانة ما بعد تحليل جوانبها أو جانب واحدٍ منها تحليلًا نقديًّا، و**المنهج الحِواري الرَّدِّي الجِدالي** الذي كان يتمّ إمَّا من خلال المُناظرات الحيّة* التي كانت تُعقَد في مجالس عامّة أو خاصّة بين علماء مسلمين وغير مسلمين من أصحاب المِلل المختلفة، وامَّا عن طريق الحوار المكتُوبِ في الرَّسائل والكُتب والمُتبادل بين علماء الإسلام وغيرهم من أتباع الدّيانات الأخرى ولاسيما علماء النَّصارى، وهناك نوعٌ ثالث من هذه الرُّدود يتمثّل في تلك

---

[1]- القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن والمُبيّن لِمَا تضمَّنه من السُّنَّة وآي الفرقان**، ج05، ص157.

*من بين تلك المناظرات نشير إلى مناظرات أحمد ديدات (1918-2005م) المشهورة مع كبار القساوسة ورجال الدّين المسيحي؛ كمناظرته رحمه الله مع أنيس شروش، وفلويد كلارك، وجيمي سواغارت، وروبرت دوغلاس، وفان روي، وستانلي شوبرج، وإريك بوك، وواكفيلد...، وكذلك مناظرات ذاكر نايك (1965م-؟) مع باستور وغيره من القساوسة، ولا ننسى في هذا المقام الإشارة إلى تلك المُناظرة الكُبرى التي قامَت بين نخبة من علماء المسلمين بدعوة من بعض القساوسة والمُبشِّرين النّصارى والتي جرَت وقائعها في الفترة المُمتدَّة من 1401/01/23 إلى 1401/01/29هـ الموافق لـ: 1980/12/01 إلى 1980/12/07م بالخرطوم، وقد مثّل الجانب الإسلامي كلًّا من محمّد جميل غازي وإبراهيم خليل أحمد وأحمد عبد الوهّاب، ومن الجانب النّصراني جيمس بخيت وتيخا رمضان، وتناول الجانبان فيها مجموعة من الموضوعات المهمّة؛ كالتّثليث والصّلب والفِداء والأبوّة والبنوّة والكتب المقدّسة وغيره، وقد انتهت هذه المناظرة بإسلام الجانب النَّصراني، وأحداثها مدوّنة بالتّفصيل في كتاب بعنوان: "**مناظرة بين الإسلام والنّصرانيّة لمناقشة العقيدة الدّينيّة بين مجموعة من رجال الفكر من الدّيانتيْن الإسلاميّة والنَّصرانيّة**" مطبوع من طرف الرِّئاسة العامّة للإدارات والبحوث العلميّة والإفتاء والدّعوة والإرشاد بالرّياض/ المملكة العربيّة السَّعوديّة، وهي الطَّبعة الثّانيّة له والصّادرة عام 1413هـ/ 1992م، وهو كتاب جدير بالقراءة والمُطالعة.

الدِّراسات الجدليّة التي خصَّصَها كتَّابُها للرَّدِّ على قضيَّة أو مسألة بعيْنِها أو أكثر في ديانة ما.[1]

وإذا كان هذا هو ديْدَن علماء الإسلام في دراستهم لمختلف الدّيانات بصفة عامّة، فإنَّ حكايتهم مع الدِّيانة النَّصرانيّة شمَلتْ مرحلة زمنيّة طويلة من الجِدال والمُناظرات، حيث إنَّ نقدهم لها والرَّدَّ على أتباعها كان هو المنهج الغالب على معظم مؤلَّفاتهم قديمًا وحديثًا؛ فصُنِّفَت مصنَّفات عديدة بأكملها لهذا الغرض، وقد شَمِل ذلك النّقد كل ما يتعلَّق بهذه الدّيانة عقيدة وشريعة وسُلوكًا، لكنَ الجانب العَقائدي فيها مَسَّه النَّصيب الأوفر من الدَّحْض والإبطال؛ لأنّ المُعتقدات النَّصرانيّة (المسيحيّة) في صُورتها المحرّفة الحاليّة مناقضة تمامًا لما يعتقده المسلمون، وممّا ينبغي ذكرُه بخصوص هذا الموضوع أنَّ الرَّدّ لم يكُن مُمْتَهنًا من قِبل علماء الإسلام الأقحاح فحسب، بل إنَّ كتابات المُهتدين إلى الإسلام سواء أكانوا يهودًا أو نصارى كانت رافِدًا آخر مُشكِّلًا لهذا النَّوع من النَّقد، وهو من الأهميَّة بمكان حيث يُصدِّق ويؤيّد مقولة : "وشهِد عليها شاهد من أهلها"؛ وهذا من أقوى أنواع الإقرار والاعتراف. ومن بين الكتب التي أُلِّفَت من أجل هذا الغرض، نذكر:[2]

- رسالة أبي الوليد الباجي في الرّدّ على راهب فرنسا.
- المختار في الرّدّ على النّصارى للجاحظ.
- مقامع الصُّلبان لأحمد عبد الصّمد الخزرجي.
- الرّدّ الجميل لإلهيّة عيسى بصريح الإنجيل لأبي حامد الغزالي.
- الجواب الصّحيح لمَن بدّل دين المسيح لابن تيمية.
- رسالة الحسن بن أيّوب في بُطلان عقيدة النّصارى.

[1]- محمّد عبد الله الشَّرقاوي: **بحوث في مقارنة الأديان**، ص37-47.

[2] - بدر الدّين بن محمّد طراد المعقيل: **جهود علماء المسلمين في الرّدّ على النّصارى خلال القرون السّتّة الهجريّة الأولى**، ص41-63، وعبد المجيد الشّرفي: **الفكر الإسلامي في الرّدّ على النّصارى إلى نهاية القرن الرّابع هـ/ العاشر م**، ص197-406.

- النّصيحة الإيمانيّة في فضيحة الملّة النّصرانيّة لنصر بن يحي النّتطبب.
- الرّدّ على أصناف النّصارى لعلي بن ربن الطّبري.
- الرَّدُّ على فِرق النَّصارى الثَّلاث لأبي عيسى الورّاق.
- تُحفة الأريب في الرَّدِّ على أهل الصَّليب لعبد الله التُّرجمان.
- أدلَّة الوحدانيّة في الرَّدِّ على النَّصرانيّة للقرافي.
- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرَّدِّ على المِلَّة الكافرة للقرافي أيضًا.
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنَّصارى لابن القيّم.
- إظهار الحقّ لرحمت الله الهندي.
- العقائد الوثنيّة في الدِّيانة النَّصرانيّة لمحمّد بن طاهر التنير البيروتي.
- أصول النّصرانيّة في الميزان لمحمّد سيّد أحمد المسير.
- النّصرانيّة في الميزان لمحمّد عزت الطّهطاوي.
- المسيحيّة بين النّقل والعقل لعبد الفتّاح أحمد الفاوي.

إلى غير ذلك من هذه المُصنّفات التي تصبُّ في المجال نفسه، وهي كثيرة جدًّا، بحيث لا يسعنا المجال لإثباتها أو وصْفها، فليس غرضنا هنا التّعريج عنها كاملة بقدر ما نتوخَّاه من الإشارة إلى بعضها تمثيلًا لغيرها ممّا يخدم التّمهيد لهذا الكتاب، حيث إنّ قصيدة ابن القيّم التي سنتحدّث عنها في الفصل الثّالث من هذا الباب تدخل ضِمن باب الرّدود الإسلاميّة على الملَّة النّصرانيّة.

الفَصْلُ الثَّانِي: مَجْلِسٌ في تَرْجَمَةِ اِبْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ

ابن قيِّم الجوزيّة، عالم إسلاميٌّ كبيرٌ معروفٌ ومشهورٌ ومحبوبٌ، مفسِّرٌ ومحدِّثٌ وفقيه ورجل عقيدة وطبيب القلوب والأرواح، متميّزٌ بالوسطيَّة والاعتدال الفكري والعقائدي وغزارة التَّأليف والكِتابة شِعْرًا ونَثْرًا، وهو من عُلماء القرْن الثَّامن الهجري المَوسُوعيين الأفذاذ الذين دافعُوا ونافَحُوا عن الإسلام عقيدة وشريعة وسُلوكًا بكلِّ ما أُوتوا من وسائل بمختلف الأساليب والطَّرائق، وهو صاحِب القصيدة موضوع هذا الكتاب، وفيما يأتي من سطور إشارة إلى أهمِّ محطَّات سِيرته الحَافلة الزَّكيَّة وإنْ كان غنيًّا عن كلِّ تعريف أو تبيين، لولا المنهجيّة العلميّة والمعرفيّة الدّاعيّة لذلك.

أوَّلًا- اسْمُهُ ونَسَبُهُ وكُنْيَتُه:

هو محمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد بن حُرَيْز، الزُّرَعِي(نسبة إلى زُرَع)، ثمّ الدِّمشقي (نسبة إلى دِمشق)، وعليه فأصلُه دمشقي سوري، شمس الدِّين أبو عبد الله المعروف بـ: **ابن قيِّم الجوزيّة**؛[1] والجوزيّة التي أُضيفَ إليها والدُه أبو بكر الذي كان من أهل العلم (ت 723هـ)– لأنَّه كان قيِّمَهَا؛ هي إحدى مدارس الحنابلة بـ: "دمشق" بسوق القمح، وقد اختَلس جيرانُها معظمها، وبقي إلى الآن بقيّة، ثمّ صارتْ مَحْكَمَةً إلى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بعد الألف (1327هـ)، وهي الآن مغلقة، لا ندري ما يَصنع بها الزَّمان فيما بعد،[2] ولا شكّ أنَّ انتساب ابن القيّم إلى دِمشق المدينة العريقة المشهورة تاريخيًّا بآثارها وعِلمها وعلمائها ومدارِسها العلميّة خصوصًا في القرنيْن السّابع والثَّامن الهجريين؛ يزيد شخصيّتَه شُهرة فوق شُهرة، ويرفع من مكانته ومنزلته بين الأنام، حيث

---

[1]– ابن رجب الحنبلي: **الذّيل على طبقات الحنابلة**، ج05، ص170–171.

[2]– عبد الرّحمن بن سليمان العُثيمين: **تّحقيق الذّيل على طبقات الحنابلة**، ج05، ص170، وهذا التَّحقيق من الأهميَّة بمكان؛ إذْ أنَّ فيه شروحات وإضافات جمّة لكثير من الأماكن والأعلام وغيرها.

معايشته لعلماء بلدته الأفذاذ واحتكاكه بهم والاستفادة من عُلومهم دِراسة ومُدارسة وتتلمُذًا ومُناقشة، كلُّ ذلك يزيد في شرَفِه وسُؤْدَدِهِ.

ثانياً- مَوْلِدُهُ ونَشْأَتُهُ وعِلْمُهُ:

وُلِدَ ابن القيِّم بدمشق في سابع (07) صفر سنة إحدى وتِسعِين وسِتِّمَائة (691هـ/1292م)،[1] ونشأَ بمسقط رأسه في بيْت عزٍّ وشرَف وعلم ودين، وسمِع من الشّهاب النَّابلسي العَابر، والقاضِي تقي الدِّين سليمان، وفاطمة بنْتِ جوهر، وعيسى المُطعِّم، وأبي بكْرٍ بن عبْدِ الدَّائِم، وأبي نصر محمّد بن عماد الدِّين الشِّيرازي، وابن مكتوم، والبَهاء بن عساكر، وعلاء الدِّين الكندي الوداعي، ومحمّد بن أبي الفتح البعلبكي، وأيُّوب بن نعمة الكحال، والقاضي بدر الدّين بن جماعة، وجماعة سواهم،[2] وقرأ العربيَّة على أبي الفتح البَعلي؛ حيث قرأ عليه المُلخّص لأبي البقاء، ثمَّ قرأ الجُرجانيّة، ثمّ ألفيَّة ابن مالك، وأكثر الكافيّة الشَّافية، وبعْض التَّسهيل، ثمّ قرأ على الشَّيْخ مجد الدِّين التُّونسي قِطعة من المُقرّب، وأمَّا الفِقه فأخذه عن جماعة منهم الشَّيخ إسماعيل بن محمّد الحرَّاني؛ فقرأ عليه مختصر أبي القاسم الخِرَقي والمُقنِع لابن قُدامة، ومنهم ابن أبي الفتح البَعلي، ومنهم الشَّيخ الإمام العلّامة تقي الدِّين ابن تيميّة؛ إذْ قرأ عليه قِطعة من المحرَّرِ من تأليف جدِّه وأخوه الشَّيخ شرف الدِّين، وأخذ الفرَائض أوَّلًا عن والده وكان له فيها يدٌ، ثمّ على إسماعيل بن محمّد، ثمّ على الشَّيخ تقي الدِّين ابن تيميّة، وأمَّا الأصول فأخذها عن جماعة منهم الشَّيخ صفي الدِّين الهندي، وإسماعيل بن محمّد الذي قرأ عليه أكثر الرَّوضة لابن قُدامة، ومنهم الشَّيخ تقي الدّين ابن تيميّة الذي قرأ عليه قِطعَة من المحصُول ومن كتاب الأحكام للسّيف الآمدي، وقرأ في أصول الدّين على الشَّيخ صفي الدِّين الهندي أكثَر الأربعين والمُحصّل، وقرأ على الشَّيخ تقي الدّين ابن تيميّة قِطعة من الكِتابيْن وكثيرًا من تصانيفه،[3] وهكذا شأن العُلماء الكِبار في طلبهم للعلم ورغبتهم في الاستزادة منه؛ فتكثُر

---

[1]- محمّد الدَّاوودي: **طبقات المفسِّرين**، ج02، ص94.

[2]- ابن رجب الحنبلي: **الذّيل على طبقات الحنابلة**، ج05، ص171.

[3]- صلاح الدِّين خليل الصَّفَدي: **الوَافي بالوَفَيَات**، ج02، ص195-196، والمراغي: **الفتحُ المُبين في طبقات الأُصوليين**، ص161.

شيوخهم فيه، وتتنوَّع فروعهم لديه، وعلى الرَّغم من أنَّ ابن القيّم قد تلقَّى علمه في شتَّى أصنافه عن جملة من الشُّيوخ، إلّا أنَّ شيخه البارز في حياته التّحصيليّة هو الشَّيخ ابن تيميَّة؛ حيث قرأ عليه الكثير من العُلوم والكُتُب العلميّة، فأثَّر في شخصيته أيَّما تأثير، حتّى أصبح يُنسَب إليه عند الإشارة إلى التِّلميذ والأُستاذ، وكأنَّ ابن القيّم لم يتتلمذ على أحد من الشّيوخ سِوى ابن تيميّة.

عطْفًا على ما سبق بيانه من الحياة التَّحصيليّة والمدرسيّة؛ نشأ ابن قيّم الجوزيّة جَرِيء الجَنان، شُجاعًا في الحقِّ، واسِع المعرفة، عالمًا بالخِلاف ومذاهب السَّلف، وكان يميل بادئ الأمر إلى التّصوّف، ثمّ اشتغل بالعلوم الأُخرى؛[1] فتفقَّه في المذهَبِ، وبَرَعَ وأَفْتَى، ولازم الشَّيْخ تقي الدِّين، وأَخذَ عنه، وتفنَّنَ في علوم الإسلام، وكان عارِفًا بالتَّفسير لا يُجارَى فيه، وبأصُول الدِّين، وإليْه فيهما المُنتَهَى، والحديث ومعانيه وفقْهِه، ودَقَائِق الاستنباط منه لا يُلحَق في ذلك، وبالفِقْه وأُصوله، وبالعربيّةِ، وله فيها اليد الطَّوْلَى، وبِعِلم الكلام والنَّحو وغير ذلك، وكان عالمًا بعلم السُّلوك، وكلام أهل التَّصوَّف، وإشاراتهم، ودقائقهم، له في كلِّ فَنٍّ من هذه الفُنون اليد الطَّوْلَى،[2] لذلك يُعدُّ ابن القيّم من العلماء الموسوعيين الذين يبرعون في أكثر من علم؛ فيُتْقِنُون ألفاظها وقواعدها ومداخلها ومخارجها وأصولها وفروعها وأُمَّهات مسائلها.

وكما تتلمذ هو على مجموعة الشُّيوخ المذكُورين آنِفًا، فإنَّه قد نهَل من معين عِلمه الصَّافي المؤصَّل جماعة من التَّلاميذ الين صاروا فيما بعد أساتذة ودُعاة وعُلماء لا يُشقُّ لهم غُبار، حيث غشيتهم بركة مجالِسه، وآنستهم لذّة الاستماع إلى حديثه، وربَّتهم وصقلَت مَوَاهِبَهم عظمة سمتِه ووقاره وعُلُوِّ أخلاقِه، "وكانوا لا يُحصوْن عدَدًا كمصنَّفاتِه"،[3] وهذا نظرًا لموقِعه في قلوب الخَلْق وتمكُّنه من ناصيّة عدد هائل من العُلوم والمعارف في شتَّى الفنون، ومن بين تلامذته نذكر:[4]

---

[1]– المراغي: **الفتحُ المُبين في طبقات الأُصوليين**، ص161.

[2]– ابن رجب الحنبلي: **الذّيل على طبقات الحنابلة**، ج05، ص171–172.

[3]– المراغي: **الفتحُ المُبين في طبقات الأُصوليين**، ص162.

[4]– يُنظر: ترجمة ابن القيّم في بداية كتابه: **مفتاح دار السّعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة**، ص05–06.

1- ولدُه عبد الله شرف الدِّين؛ الذي تولَّى التَّدريس مكان أبيه في المدرسة الصَّدريّة.

2- ولدُه إبراهيم، وكان قد تفقَّه بأبيه، وشارك في علوم العربيّة.

3- الإمام الحافظ الرَّبَاني أبو الفرج عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي.

4- الإمام الحافظ عماد الدِّين ابن كثير صاحب التَّفسير المعروف.

5- عمدة المحدِّثين في عصره شمس الدِّين ابن عبد الهادي...، وغيرهم كثير.

ثَالِثًا- مِحْنَتُهُ:

كشَأْن أيِّ عالِمٍ كبيرٍ خبير مُتقِن مُخلِص ذي هيبة وصِيت ومودَّة وقبول بين النَّاس؛ تعرَّض ابن القيِّم للحَسَدِ والمُضايقَاتِ من قِبَلِ أعدائه وحاسِديه المُتربِّصين به، فـ"أُمتُحِن وأُوذيَ مرَّاتٍ، وحُبِسَ مع الشَّيْخ تقي الدِّين في المرَّة الأخيرة بالقَلعَة، مُنفرِدًا عنه، ولم يُفرَج عنه إلّا بعد موْتِ الشَّيخ، وكان في مدَّة حبْسِه مُشتغِلًا بتلاوة القرآن بالتَّدبُّر والتَّفكُّرِ؛ ففُتِح عليه من ذلك خيرٌ كثيرٌ، وحصَلَ له جانبٌ عظيمٌ من الأذواق والمَوَاجيد الصَّحيحةِ، وتسلَّطَ بسبب ذلك على الكلام في عُلُوم أهل المعارف، والدُّخول في غوامضِهم، وتصانيفه ممتلئة بذلك، وحجَّ مرَّاتٍ كثيرة، وجاوَرَ بمكَّة، وكان أهلُها يذكرون عنْهُ من شدَّة العِبادة، وكثْرة الطَّوافِ أمرًا يُتعجَّبُ منه...".[1]

ولمْ يُنَلْ منه بالحبْسِ فقط بل إنَّهُ وزِيادة في النِّكاية به "أُهِينَ وطِيفَ بِه على جَمَلٍ مضرُوبًا بالدُّرَّةِ...، وامتُحِنَ محنةً أُخرَى بسبب فتاوى ابن تيميّة، وكان ينَال من عُلماء عصْرِهِ وينالون منه"،[2] لكن، ورغم هذه الظُّروف الصَّعبة التي عصفَتْ به من كلِّ جانب، ورغم تعرُّضه للمُضايقات العديدة الكثيرة والتي آلتْ به إلى سجنِه وتعذيبه؛ إلَّا أنَّه لم يخضع لها ولم يرضخ لرغبة أصحابها في إخماد ثورة عِلمه ومعرفته، بل ظلَّ كالطَّوْد الشَّامخ ينشُر العِلم والمعرفة تدريسًا ومُدارسَة وكتابة وتدوينًا، ولم تزدْهُ تلك المِحَنُ والابتلاءاتُ إلَّا رسُوخًا وعزْمًا على تحقيق مَقَاصدِه وغاياته وأهدافه.

---

[1]- ابن رجب الحنبلي: **الذّيل على طبقات الحنابلة**، ج05، ص173.

[2]- الشَّوكاني: **البدْرُ الطَّالع بمحاسِن مَنْ بعْد القرْنِ السَّابع**، ج02، ص143.

رَابِعًا- وَفَاتُهُ ومؤلَّفَاتُه وثَنَاءُ العُلَمَاءِ عَلَيْهِ:

بعد حياةٍ شخصيّة زاخِرة بالعِلم والمَعرفة، مليئة بالأَخذ والعَطَاء، تُوَفِّي ابن القَيِّم في ليلة الخميس ثالث عشر (13) رجب وقت أذان العِشاء سنة إحدى وخمسين وسبعمائة (751هـ/1350م)، وصُلِّيَ عليْهِ بعد صلاة الظُّهر من الغَدِ بالجامع الأموي ثمَّ بجامع جرَّاح، ودُفِن عند والدته بمقابِر الباب الصّغير، وقد كانت جنازته حافِلة رحمه الله، شهدها القُضاةُ والأعيان والصَّالحون من الخاصَّةِ والعامَّة، وتزاحم النَّاس على حمْلِ نعْشِه، وكمُل له من العُمر ستُّون سنة رحمه الله،[1] وحُكِي عنه قبْل موته بمدَّةٍ أنَّه رأى شيخه ابن تيميّة في المنام وأنَّه سأله عن منزلته؛ أي منزِلة الشَّيخ، فقال: إنَّه أُنزِلَ فوق فُلان وسمَّى بعض الأكابر وقال له: وأنتَ كِدتَ تلحَق به ولكن أنتَ في طبقة ابن خزيمة (223-311هـ)،[2] لكِنَّه لم يغادر هذه الحياة إلَّا بعد أنْ ترك لنا عددًا مُعتبَرًا من المؤلَّفات والرَّسائل، وعندما نتحدَّثُ عن مؤلّفاته؛ فإنّما نتحدّث في حقيقة الأمر عن كَنْزٍ معرفيّ ثمين، وتُرَاث فكريّ متنّوع، وذلك لأنَّ الرّجل معروفٌ عنه غزارة وكثرة كُتُبِه؛ التي أُنتجَت بفعل قَلَمِه السّيّال، وفِكره الفيّاض، ونَفَسِه الطّويل، وإرادته الصّادقة والمخلِصة، ثمّ إنّ هناك ميزة أو خاصّيّة أخرى تميّز كتاباته، وهي التّنوّع والثّراء؛ إذ كتَبَ في العديد من المَجالات، وطَرَق الكثير من الموضوعات والقضايا الحسّاسة، فكتب في الفقه والعقيدة والأخلاق والسّياسة والأصول والرَّدِّ والجِدال والمباحث القرآنيّة وحتَّى الشِّعْر والنَّظم، وهذه هي العناوين التي خلَّفَها:[3]

1- أَحْكَامُ أَهْلِ الذِّمَّةِ.

2- أَخْبَارُ النِّسَاءِ.

3- أَسْرَارُ الصَّلَاةِ.

4- إِعْلَامُ المُوَقِّعِينَ عَنْ رَبِّ العَالَمِينَ.

5- إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ مِنْ مَصَائِدِ الشَّيْطَانِ.

---

[1]- ابن كثير: **البداية والنِّهاية**، مج07، ج14، ص260.

[2]- الشَّوكاني: **البدْرُ الطَّالع بمحاسِن مَنْ بعْد القرْنِ السَّابع**، ج02، ص145.

[3]- محمّد الدَّاوودي: **طبقات المفسِّرين**، ج02، ص95-97، ابن العِماد: **شذرات الذّهب في أخبار من ذهب**، ج08، ص289.

6- بَدَائِعُ الفَوَائِدَ.

7- بُطلان الكيمياء من أربعين وجْهًا.

8- التِّبْيَانُ فِي أَقْسَامِ القُرْآنِ.

9- بَيَانُ الدَّليل عَلَى اِسْتَغْنَاءِ المُسَابَقَةِ عَنِ التَّحْلِيلِ.

10- تُحْفَةُ المَوْدُودِ فِي أَحْكَامِ المَوْلُودِ.

11- تَفْضِيلُ مَكَّة عَلَى المَدِينَةِ.

12- التَّفْسِيرُ القَيِّمِ.

13- تَهذِيبُ مُخْتَصَرِ سُنَنِ أَبِي دَاود.

14- اِجتِمَاعُ الجُيُوشِ الإِسْلَامِيَّةِ عَلَى مُحَارَبَةِ المُعَطِّلَةِ والجَهْمِيَّةِ.

15- جَلَاءُ الأَفْهَامِ فِي الصَّلَاةِ والسَّلَامِ عَلَى خَيْرِ الأَنَامِ.

16- جوابات عابدي الصُّلبان وأنَّ ما هم عليه دين الشَّيطان.

17- الجَوَابُ الكَافِي لِمَنْ سَأَلَ عَنِ الدَّوَاءِ الشَّافِي أو (الدَّاءُ والدَّوَاءُ).

18- حَادِي الأَرْوَاحِ إِلَى بِلَادِ الأَفْرَاحِ.

19- حُكْمُ تَارِكِ الصَّلَاةِ.

20- رَوْضَةُ المُحِبِّينَ ونُزْهَةُ المُشْتَاقِينَ.

21- الرُّوحُ.

22- زَادُ المُسَافِرِينَ إِلَى مَنَازِلِ السُّعَدَاءِ فِي هَدْيِ خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ.

23- زَادُ المَعَادِ فِي هَدْيِ خَيْرِ العِبَادِ.

24- شرح الأسماء الحُسنى.

25- شرح أسماء الكِتاب العزيز.

26- شِفَاءُ العَلِيلِ فِي مَسَائِلِ القَضَاءِ والقَدَرِ والحِكْمَةِ والتَّعْلِيلِ.

27- الصِّراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم.

28- الصَّوَاعِقُ المُرْسَلَةُ فِي الرَّدِّ عَلَى الجَهْمِيَّةِ والمُعَطِّلَةِ.

29- الطّاعون.

30- الطِّبُّ النَّبَوِيُّ.

31- الطُّرُقُ الحكمِيَّةِ فِي السِّيَاسَةِ الشَّرْعِيَّةِ.

32- طَرِيقُ الهِجْرَتَيْنِ وبَابُ السَّعَادَتَيْنِ.

33- عِدَّةُ الصَّابِرِين.

34- فضلُ العلم.

35- الفَوائِد.

36- الفَوَائِدُ المُشوِّقُ إِلَى عُلُومِ القُرْآنِ.

37- الكَافِيَّةُ الشَّافِيَّةُ فِي الانْتِصَارِ لِلْفِرْقَةِ النَّاجِيَّةِ (وهي القَصِيدَةُ النُّونيَّةُ المنظُومَة في بَيَانِ مَذهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ).

38- الكبائر.

39- مَدَارِجُ السَّالِكِينَ بَيْنَ مَنَازِلِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ.

40- مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ ومَنْشُورِ وِلَايَةِ العِلْمِ والإِرَادَةِ.

41- المَسائل الطَّرابلسيّة.

42- المَنَارُ المَنيفُ فِي الصَّحِيحِ والضَّعِيف.

43- نَقْدُ المَنْقُولِ والمحَكُّ المُمَيِّزُ بيْن المَرْدُودِ والمَقْبُول.

44- هِدايَةُ الحَيَارَى فِي أَجْوِبَةِ اليَهُودِ والنَّصَارَى.

45- الوَابِلُ الصَّيِّبُ مِنَ الكَلِمِ الطَّيِّبِ.

إلى غير ذلك من الكُتُب الجليلة والرَّسائل اللّطيفة النَّافعة، والتي لازالت إلى يومنا هذا متداولة ومحبُوبة لدى جمٍّ غفير من النَّاس، وما مِن ريْبٍ في أنَّ هذا العدد الهائل من التَّآليف يُنبئُ عن مدى سِعة علم الرَّجل وثقافته واطِّلاعه، ومشاركته هموم الحياة مع بني

جنسه، وقوَّة مداركه، وتفتُّق ملَكَتِه، وليُونة قريحتِه، فجاد بما جاد به، وأنتَجَ هذا التُّراث الضَّخم الذي أسهَم بقسْطٍ كبيرٍ في بناء الثّقافة الإسلاميّة معرفيًّا ودينيًّا وفكريًّا، وتمتاز كتاباته بجودة مواضيعها، وسلاسة أفكارها، وبساطة أسلوبِها، وحسْنِ سبْكِها وترتيبها، لذلك فإنّ قارئها لا يملُّها بل يُطالعها في شوْقٍ ولَهْفَة.

واعتبارًا بما –مرَّ مَعَكَ– من حَيَاتِه الكريمة وسِيرَته العطِرة، أثْنَى عليه الكثير من العُلماءِ علميًّا ودينيًّا، ومُثابرة وسُلوكًا، وجدًّا واجتهادًا.

فقال في حقِّه صاحب "الذّيْل على طبقات الحنابلة":

"الفقيه، الأصولي، المُفسِّر، النَّحوي، العارف...، وكان رحمه الله ذَا عبادة وتهجُّدٍ، وطُول صلاة إلى الغاية القُصوَى، وتألُّهٍ، ولهْجٍ بالذِّكر، وشَغَفٌ بالمحبَّة، والإنابة والاستغفار، والافتقار إلى الله، والانكِسار له، والاطِّراح بيْن يديْه على عتبة عبوديّتِه، لم أُشاهد مثله في ذلك، ولا رأيتُ أَوْسعَ منه علمًا، ولا أعرَف بمعاني القرآن والسُّنَّة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصُوم، ولكن لم أَرَ في معناه مثله...".[1]

وقال عنه صاحب "النُّجوم الزَّاهرة":

"... وكان بارِعًا في عدَّة علوم، ما بين تفسير وفقْهٍ وعربيّةٍ ونحْوٍ وحديثٍ وأصُولٍ وفرُوعٍ...، حتّى صارَ أَحَدَ أَفْراد زمانه، وتصدَّى للإقراء والإفتاء سنين، وانتفع به النَّاسُ قاطبة، وصنَّفَ وألَّفَ وكتَبَ...".[2]

وتكلَّم عنه صاحب "البدر الطَّالع" شارِحًا منهِجَه العِلمي وطريقَتَه المعْرِفيّة، فقال:

"وله مِن حُسن التَّصرُّف مع العُذوبة الزَّائدة وحُسن السِّيَاق ما لا يقدِر عليه غالبُ المُصنِّفِين بحيث تعشِق الأفهام كلامه وتميل إليه الأذهان وتُحبُّه القُلوب، وليس له على غير الدَّليل مُعوِّل في الغالب، وقد يميل نادِرًا إلى مَذْهَبِ الذي نشأ عليه، ولكنَّه لا

[1]– ابن رجب الحنبلي: **الذّيل على طبقات الحنابلة**، ج05، ص171–173.

[2]– جمال الدِّين يوسف الأتابكي: **النُّجوم الزَّاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج10، ص249.

يتجاسَرُ على الدَّفْعِ في وجوه الأدلَّة بالمَحامِل الباردة كما يفعله غيره من المُتَهذِّبين، بل لابدّ له من مُستنَدٍ في ذلك، وغالب أبحاثه الإنْصاف والميْل مع الدَّليل حيثُ مَالَ وعدم التَّعويل على القِيل والقَال...".[1]

وقال عنه صاحب "الوافي بالوَفَيَات":

"... واشتغَلَ كثيرًا وناظَرَ واجتهَدَ وأكبَّ على الطَّلَبِ وصنَّفَ وصار من الأئمَّة الكبار في علم التَّفسير والحديث والأُصُول فقْهًا وكلامًا والفرُوع والعَربيَّة، ولم يخلِّف الشَّيْخ العلَّامة تقي الدِّين ابن تيميّة مثلَهُ".[2]

كما أثنَى عليه صاحبِ "البداية والنِّهاية" فقال فيه:

"... فصارَ فريدًا في بابه في فنونٍ كثيرةٍ، مع كثْرَةِ الطَّلَبِ ليلًا ونهارًا، وكثْرَةِ الصَّلَاةِ والابتِهَال، وكان حَسَنَ القِرَاءَةِ والخُلق، كثير التَّوَدُّدِ، لا يَحْسِدُ أحدًا ولا يُؤذِيه، ولا يستعِيبُه ولا يحقِدُ على أحدٍ، وكنتُ من أصْحَبِ النَّاسِ له وأحبّ النَّاس إليه، ولا أَعْرِفُ من أهْلِ العِلم في زمانِنَا أكثر عِبادة منه، وكانتْ له طريقة في الصَّلَاةِ يُطيلُها جدًّا ويمدُّ ركُوعها وسُجُودها، ويلومه كثيرٌ من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزَعُ عن ذلك، رحمه الله، وله من التَّصانيفِ الكِبارِ والصِّغار شيءٌ كثير، وكتَبَ بخطِّه الحَسَن شيئًا كثيرًا، واقتنَى من الكُتُب ما لا يتهيَّأُ لغيره تحْصيل عُشْرِهِ من كُتُب السَّلَف والخَلَف، وبالجُملة؛ كان قليل النَّظير، بل عديم النَّظير في مجموعه وأُمُوره وأحوالِه، والغالِبُ عليه الخير والأخلاق الصَّالحة...".[3]

ومدحَه –أيضًا– صاحب "شذرات الذَّهب" فقال واصِفًا إيَّاه:

"العلَّامة، الفقيه الحَنْبَلِي، بل المُجتهد المُطلِق، المُفسِّر النَّحوي الأُصولي، المُتكلِّم...، وصنَّفَ تصانيفَ كثيرةٍ جدًّا في أنواع العُلوم، وكان شديد المحبَّةِ للعِلم وكتابتِه ومُطالعتِه

---

[1]– الشَّوكاني: **البدْرُ الطَّالع بمحاسِن مَنْ بعْد القرْنِ السَّابع**، ج02، ص144–145.

[2]– صلاح الدِّين خليل الصَّفَدي: **الوَافي بالوَفَيَات**، ج02، ص196.

[3]– ابن كثير: **البداية والنِّهاية**، مج07، ج14، ص261.

وتصنِيفه واقتِناءِ كُتبه"،[1] وليس هذا كلُّه مُبالغة في حقِّ الرَّجُل، وإنَّما إقرارٌ بحقيقة ما كان عليه من عِلمٍ وخُلقٍ ومثابرة واجتهاد. ومن تواضعه رحمه الله أَنْشَدَ لنفسِه مُعاتِبًا إيَّاها:[2]

بُنـــيَّ أبـــي بكْـــر كثيـــر ذنُوبُـــه ... فلـيْس علـى مَـنْ نَـالَ مِـن عِرضِـه إثْـمُ
بُنـــيَّ أبـــي بكْـــر جَهُـــولٌ بنفسِـــه ... جهُـــولٌ بـــأمرِ الله أنَّـــى لـــه العِلـــم
بُنـــيَّ أبـــي بكْـــر غَـــدَا مُتصَـــدِّرًا ... يُعلِّـــمُ عِلْمًـــا وهـــو لـــيس لـــه عِلْـــمٌ
بُنـــيَّ أبـــي بكْـــر غَـــدَا مُتمَنِّيًـــا ... وِصَـــال المَعَـــالي والـــذُّنُوبُ لـــه هـــمٌّ
بُنـــيَّ أبـــي بكْـــر يـــرُومُ ترقِّيًـــا ... إلـــى جنَّـــة المـــأوَى ولـــيْس لـــه عـــزمُ
بُنـيَّ أبـي بكْـر يـرَى الغُـرْم فـي الـذي ... يـــزُولُ ويفْنَـــى والـــذي تَركـــهُ الغُـــنْمُ
بُنـــيَّ أبـــي بكْـــر لقـــدْ خـــابَ ســـعيُهُ ... إذا لـم يكُـن فـي الصَّـالِحاتِ لـه سـهْمُ
بُنـــيَّ أبـــي بكْـــر كمـــا قـــال ربُّـــه ... هَلُـوعٌ كنُـودٌ وصْـفُه الجَهْـل والظُّلْـمُ
بُنـــيَّ أبـــي بكْـــر وأمثالـــه غَـــدَوْا ... بفتْـــواهُم هـــذي الخلِيقـــة تَـــأتَمُّ
ولـيس لهـم فـي العِلـم بـاعٌ ولا التُّقَـى ... ولا الزُّهْـدُ، والـدُّنيا لـديهم هـي الهَـمُّ
فَـــوالله لـــو أنَّ الصَّـــحابة شـــاهدُوا ... أَفَاضِـــلَهم قـــالوا هـــمُ الصُّـــمُّ والـــبُكْمُ

وهذه الشَّـهادات، سواء كانـت من المُعاصـرين لـه أو المقرَّبين منـه أو العـارفين قدَرهُ؛ أجمعـت كلُّهـا علـى مَـدح الرَّجـل ووصـفِ حَالِـهِ ومَقَالِـهِ؛ فبيَّنَـتْ عزيمتـه الصَّـادقة وإرادتـه الكبيرة فـي العِلم والعِبـادة وخِدمـة الخَلْقِ، وعلوَّ كَعْبِـه فـي جميـع ذلك ابتغـاء مرضـات الله وإخلاصًـا لـه، وأقرَّتْ بدماثِـة أخلاقِـه وعِظـم خِصَـاله وشيمه، وزَكَـاءَ نفسـه وصَـفَاء رُوحـه وطِيبـة قلبِـه؛ فكُتِـب لـه بفضـل ذلك القبُول فـي الأرض بين النَّاس مُدَّة حَيَاتـه وبعد مَمَاتـه، فرحِمَه الله تعالى رحمةً واسعةً، وجزاهُ المَوْلى عنَّا وعن جميع المؤمنين خَيْر الجَزاء.

[1]– ابن العِماد: **شذرات الذّهب في أخبار من ذهب**، ج08، ص287–289.

[2]– صلاح الدِّين خليل الصَّفَدي: **الوَافي بالوَفَيَات**، ج02، ص196.

الفَصْلُ الثَّالِثُ: مَجْلِسٌ في كُنْهِ القَصِيدَةِ الهَائِيَّةِ

القصيدة الهائيّة هي قصيدةٌ للعالم الجليل والعلّامة الفذّ ابن قيّم الجوزيّة المعروف المشهور، من البحر الوافر (مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فعُولُنْ)، متكوّنةٌ من ستّةٍ وعِشرين بيْتًا، كلُّ بيْتٍ منها قافيّتُه مُنتَهيّةٌ بحرْفِ رويٍّ هو حرْفُ الهاء المضمُومة، السَّاكن ما قبْلهَا(الألف الممدودة)، العائِد على الغائب المُفرَد: (وعاهُ، إلَهُ، رِضاهُ، قواه، دَعَاهُ، علاهُ، يدَاهُ، بُكاهُ، قفَاهُ، أذاهُ، سُواهُ،...)، موضوعها دحْضُ العقيدة النّصرانيّة (المسيحيّة) في عدَّة مسأئل كإلوهيّة المسيح عليه السلام وصلْبِه وتقديس الصَّليب، وما يترتَّبُ عليها من قضايا فرعيّة؛ بمعنى أنّها تردُّ على النّصارى بخصوص هذه المسائل، كوْنُ هؤلاء يؤمنون بها، يقينًا بل ويعتقدون اِعتقادًا جازمًا فيها، وهي كلُّها أو في أغلبها عبارَةٌ عن أسئلةٍ استفهاميّة (ستّ عشرة (16) سُؤالًا) وعبارات تعجُّبيّة كثيرة بسيطة موجّهة بطريقة ساخِرةٍ هازِئة بأصحابِ هذا الاعتقاد؛ بغية بيان تهافُته وسذاجتِه وتناقُضه مع العقل البشري والواقع الكوْني، ويتخلّلُ ذلك بعض الحديث عن مسائل عقديّة أُخرى لدى النّصارى، كمسألة موْتِ المسيح وقيامته وغيرهما التي مسّها النّقدُ بشكلٍ عارِضٍ وبالطّريقة ذاتها التي تمّ فيها نقد عقيدتيْ الإلوهيَّة والصَّلب؛ أي أنَّ فيها تعريض بمعتقدات النَّصارى وقدحٌ فيها، كما أنَّها تحتوي على رسالة ضمنيَّة مفادها الإشارة إلى بشريَّة عيسى ابن مريم، وهي كلُّها مبنيَّة على الأدلَّة العقليّة والبراهين المنطقيّة والحُجج الدَّامغة المُبهتة للخصم انطلاقًا من التَّسليم له –فرضًا وجدَلًا– بمعتقداته وآرائه وأفكاره التي يؤمن بها.

والنّاظر فيها يرى أنّها محتويّةٌ على قِسميْن اِثنيْن متقاربيْن في المبنَى والمعنَى وإنْ كان كلٌّ منهما قد اشتمل على موضوع معيّن وخاطِب القوْم بصيغة منفرِدَة خاصّة؛ فالقسم الأوّل خاطب فيه ابن القيّم النّصارى وناداهم بعبارة: "**أعبّاد المسيح**"؛ أي أنّه نسبَهم للمسيح عليه السلام باعتبارهم عُبَّادًا له، وناقش فيه قضيّة الصَّلبِ وموت المسيح الإله وما يتعلّق

بذلك من أمور، وذلك في سبعة عشر (17) بيتًا، أمّا القسم الثّاني من القصيدة، فقد خاطب فيه النّاظِم النّصارى وناداهم بعبارة: "**أَعُبّاد الصّليب**"؛ أي أنّه نسبَهم للصّليب أو بالأحرى لخشبةِ الصّليب سائلًا إيّاهم عن سرّ تقديسهم لها –الخشبة– أو له –الصّليب–، ومتعجّبًا منهم من سرّ الاهتمام به والمكانة التي يحظى بها عندهم، وغير ذلك ممّا يتّصل بهذه المسألة من أمور، وقد جاء هذا القسم في تسعة (09) أبياتٍ فقط، وأيًّا يكن من أمر، فإنّ القسميْن يشكّلان معًا وحدة موضوعيّة متناسقة مفادُها الإفصاحُ عن تهلْهُل عقيدة الصّلب النّصرانيّة وبيان بُطلانها من الأساس؛ لأنّها –كما أسلفنا القول– منافيّة للعقل والواقع، وبعيدة كلّ البُعد عن الحقائق التّاريخيّة الخاصّة بنبيٍّ من أنبياء الله تعالى كرّمه ربُّه وبجّله؛ فأواه وأيّده بنصره ونجّاه من كيد أعدائه، وقد انطلقَت هذه القصيدة من العُمُوم إلى الخصُوص؛ إذ جاء بيتُها الأوّل مُشيرًا إلى سؤال مُبهم غير مُفصح عنه ولا معروف، ثمَّ شرعَتْ الأبيات التي تليه ببيان كُنْهِ هذا السُّؤال، وذلك في عِدّة استفهامات متتاليَّة مفصّلة إلى نهايّة القصيدة، ويغلُبُ عليها عدم التَّرتيب في الأفكار، وأيضًا بعضُ التّكرار في المباني والمعاني.

وليس هناك من خِلاف في نسبة هذه القصيدة لابن القيّم بين العلماء والمفكّرين، سواء منهم مَن كان مسلمًا أو كان نصرانيًّا مسيحيًّا أو غير ذلك من أيّ مِلّة أو نِحلَة كانت، فكلّ واحدٍ من هؤلاء حينما يأتي على ذكرِها فإنّما يذكرها منسوبة له قوْلًا واحدًا، سواء أكَان شارِحًا لها أو معلِّقًا عليها أو مُنتقِدًا لها، ضِفْ إلى ذلك أنّها وردت في كتابٍ من كُتُبِه وهو كتابهُ: "**إغاثة اللّهفان من مصائد الشّيطان**" في الفصل السّابع والعشرين بعد المائة المُعنون بـ: "دين النّصارى مبنيٌّ على مُعانَدة العُقول والشّرائع" من الباب الثّالث عشر المُعنون بـ: "في مكايِد الشّيطان التي يكيد بها ابنَ آدم" من الكتاب المذكور، وقد ذكرها دونما نسبَتُها لأيٍّ كان، ممّا يدلُّ دلالة قاطعة على أنّه هو نَاظمُها، وإلّا فإنّه لا يُتصوّرُ بأيّ حالٍ من الأحوال أن تكون هذه القصيدة لشاعر آخر ولم يُشِر إليه ابن القيّم؛ إذ هو من العُدول الثّقات، وذو مكانة رفيعة القدر لدى كثير من المسلمين؛ فهو من العلماء الأجلّاء الكِرامِ الرّبّانيين الذين يرُومُون قوْل الحقِّ دائمًا كائنًا ما كان ولو هو يتنَافى مع مصالحهم الشَّخصيَّة، وسيرته المارّة آنفًا خير شاهِدٍ على ذلك.

وتُدخُل هذه القصيدة ضمن الرُّدود الإسلاميّة على النّصرانيّة؛ فهي بمثابة نقدٍ موجّه للنّصارى حول عقيدتهم، أو مناظرة مكتوبة تدعو الطّرف الآخر إلى التّناظر والجِدال والمحاورة، لكن عن طريق البريد أو الرّسائل؛ التي غالبًا ما كان يتعامل بها العلماء قديمًا خصوصًا لمّا يتعذّر عليهم الالتقاء بمَن يُريدون مُناظرتهم أو مجادلتهم، وتعدُّ هذه الطّريقة في المناظرة والمجادلة أسهل وأيسر وأنجع من المقابلة المُباشرة التي يكثُر فيها اللّغط والسّبّ والشّتم وربّما الضرب كذلك كما تكثُر فيها اللّجاجة والتّبجّح ويسودها عدم التّقدير والاحترام، لأنّ سالِكها يردُّ على الخصم وينتقده كما يريد وبالصّورة التي يبتغي دونما مقاطعة أحد أو انتقاده له، فيقول ما يشاء كما يشاء، ثمّ يُطلِع خصمه على ما كَتَبَه أو قرّره بشأن معتقداته أو تصوّراته أو مبادئه.

قال ابن القيّم رحمه الله بين يدي قصيدته الهائيّة:

"الحمد لله، ثمّ الحمد لله تعالى، الذي هدانا للإسلام وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله. يا ذا الجلال والإكرام، كما هديتنا للإسلام أسألك أن لا تنزعه عنّا حتّى تتوفّانا على الإسلام"[1].

ثمّ شرع في نظمها، وهذا نصُّها كاملًا[2]:

الشَّكل01: (القصيدة الهائيَّة).

[1]– ابن قيّم الجوزيّة: **إغاثة اللّهفان من مصائد الشّيطان**، ص489.

[2]– **المصدر نفسه**، ص489–490.

01	أَعُبَّـــــادَ المَسِـــيحِ لَنَـــا سُـــــؤَالٌ؛		نُرِيـــــدُ جَوَابَـــــهُ مِمَّـــنْ وَعَـــــاهُ:
02	إِذَا مَـــــاتَ الإِلَـــهُ بِصُـــنْعِ قـــــوْمٍ		أَمَـــــاتُوهُ، فَمَـــا هَـــذَا الإِلَـــــهُ؟!
03	وهَـــلْ أَرْضَـــاهُ مَـــا نَالُـــــوهُ مِنْـــهُ؟!		فَبُشْـــــرَاهُمْ إِذَا نَـــالُوا رِضَـــــاهُ!
04	وإِنْ سَـــخِطَ الـــــذِي فَعَلُـــــوهُ فِيـــهِ؛		فَقُوَّتُهُـــــمْ إِذًا أَوْهَـــتْ قُـــــوَاهُ!
05	وهَـــلْ بَقِـــيَ الوُجُـــودُ بـــلَا إِلَـــ	ـــهٍ سَمِيـــعٍ يَسْـتَجِيبُ لِمَـنْ دَعَـــاهُ؟!	
06	وهَـــلْ خَلَـــتِ الطِّبَـــاقُ السَّبْـــعُ لَمَّـــا	ثَـــوَى تَحْـــتَ التُّـــرَابِ، وقَـــدْ عَـــلَاهُ؟!	
07	وهَـــلْ خَلَـــتِ العَوَالِـــمُ مِـــنْ إِلَـــهٍ	يُدَبِّـــرُهَـــا، وقَـــدْ سُمِـــرَتْ يَـــدَاهُ؟!	
08	وكَيْـــفَ تَخَلَّـــتِ الأَمْـــلَاكُ عَنْـــهُ	بِنَصْـــرِهِمْ، وقَـــدْ سَمِعـــوُا بُكَـــاهُ؟!	
09	وكَيْـفَ أَطَـاقَتِ الخَشَبَـاتُ حَمَـلَ الـ	إِلَـــهِ الحَـــقِّ شُـــدَّ عَلَـــى قَفَـــاهُ؟!	
10	وكَيْـــفَ دَنَـــا الحَدِيـــدُ إِلَيْـــهِ حَتَّـــى	يُخَـالِطَـــــهُ، ويَلْحَقَـــــهُ أَذَاهُ؟!	
11	وكَيْـــفَ تَمَكَّنَـــتْ أَيْـــدِي عِـــدَاهُ	وطَـــالَتْ، حيْـثُ قَـدْ صَـفَعُوا قَفَـاهُ؟!	
12	وهَـــلْ عَـــادَ المَسِـــيحُ إِلَـــى حَيَـــاةٍ	أَمِ المُحْيِـــي لَـــهُ رَبٌّ سِـــوَاهُ؟!	
13	ويَـــا عَجَبًـــا لِقَبْـــرٍ ضَـــمَّ رَبًّـــا	وأَعْجَـــبُ مِنْـــهُ بَطْـــنٌ قَـــدْ حَـــوَاهُ!	
14	أَقَـــامَ هُنَـــاكَ تِسْـــعًا مِـــنْ شُهُـــورٍ	لَـــدَى الظُّلُمَـــاتِ مِـــنْ حَـــيْضٍ غَـــذَاهُ!	
15	وشَـــقَّ الفَـــرْجَ مَوْلُـــودًا صَغِيـــرًا	ضَـــعِيفًا، فَـــاتِحًا لِلثَّـــدِي فَـــاهُ!	
16	ويَـــأْكُلُ، ثُـــمَّ يَشْـــرَبُ، ثُـــمَّ يَأْتِـــي	بِـــلَازِمِ ذَاكَ، هَـــلْ هَـــذَا إِلَـــهُ؟!	
17	تَعَـــالَى اللهُ عَـــنْ إِفْـــكِ النَّصَـــارَى	سَيُسْـــأَلُ كُلُّهُـــمْ عَمَّـــا اِفْتَـــرَاهُ	
**		***	**
18	أَعُبَّـــــادَ الصَّـــلِيبِ، لِأَيِّ مَعْنًـــى	يُعَظَّـــمُ أَوْ يُقَـــبَّحُ مَـــنْ رَمَـــاهُ؟!	
19	وهَـــلْ تَقْضِـــي العُقُـــولُ بِغَيْـــرِ كَسْـــرٍ	وإِحْـــرَاقٍ لَـــهُ، ولِمَـــنْ بَغَـــاهُ؟!	
20	إِذَا رَكِـــبَ الإِلَـــهُ عَلَيْـــهِ كُـــرْهًا	وقَـــدْ شُـــدَّتْ لِتَسْمِيـــرٍ يَـــدَاهُ!	
21	فَـــذَاكَ المَرْكَـــبُ المَلْعُـــونُ حَقًّـــا؛	فَدُسْـــهُ، لا تَبُسْـــهُ إِذْ تـــرَاهُ!	
22	يُهَـــانُ عَلَيْـــهِ رَبُّ الخَلْـــقِ طُـــرًّا	وتَعْبُـــدُهُ؟! فَإِنَّـــكَ مِـــنْ عِـــدَاهُ	
23	فَـــإِنْ عَظَّمْتَـــهُ مِـــنْ أَجْـــلِ أَنْ قَـــدْ	حَـــوَى رَبَّ العِبَـــادِ، وقَـــدْ عَـــلَاهُ	
24	وقَـــدْ فُقِـــدَ الصَّلِيـــبُ؛ فَـــإِنْ رَأَيْنَـــا	لَـــهُ شَـــكْلًا تَذَكَّـــرْنَا سَنَـــاهُ	
25	فَهَـــلَّا لِلْقُبُـــورِ سَـــجَدتَ طُـــرًّا؛	لِضَـــمِّ القَبْـــرِ رَبَّـــكَ فِـــي حَشَـــاهُ؟!	
26	فيَـــا عَبْـــدَ المَسِيـــحِ أَفِـــقْ؛ فَهَـــذَا	بِدَايَتُـــــه، وهَـــذَا مُنْتَهَـــاهُ	

البَابُ الثَّاني: شَرْحُ القَصِيدَةِ الهَائيَّةِ.

- الفَصْلُ الأوَّلُ: الرَّدُّ علـى عَبَـدَةِ المَسِيـحِ عليه السلام.
- الفَصْلُ الثَّانِي: الرَّدُّ عَلَـى عَبَـدَةِ الصَّلِيـبِ.
- الفَصْلُ الثَّالِثُ: بِدَايَةُ المَسِيحِ عليه السلام ونِهَايَتُهُ فِي النَّصْرَانِيَّةِ والإِسْلَامِ.

تمهيد:

يقدِّمُ هذا الباب شرحًا مستفيضًا للقصيدة الهائيَّة في جميع أبياتها، مفسِّرًا ومحلِّلًا ومشرِّحًا إيَّاها في ضوء النُّصوص الدِّينيَّة، والمعارف والعُلوم التّاريخيّة، والحياة الواقعيَّة؛ لذلك فهو يسلِّطُ الضَّوء على العقائد النَّصرانيِّة في المسيح(عليه السلام)، مُبيِّنًا لها، واصِفًا ماهيّتها، منتقِدًا إيَّاها، ومقارنًا ومقابِلًا مسائلها بما هو موجود في العقيدة الإسلاميّة، وقد جاء في فصليْن اِثنيْن: فصلٌ أوَّلٌ خاصٌّ بالرَّدِّ على عبَدَة المسيح، وفصلٌ ثاني خاصٌّ بالرَّدِّ على عبَدة الصَّليب، وذلك احتكامًا ومسايرة لِمَا جاء في هذه القصيدة.

الفَصْلُ الأَوَّلُ: الرَّدُّ على عَبَدَةِ المَسِيحِ عليه السلام

هذا هو الجزء الأوّل من قصيدة **(أعبّاد المسيح)**، وفيه يُنادي ابن القيّم رحمه الله النّصارى بكونهم عُبَّادًا للمسيح، مُجادلًا إيّاهم في دعوى صَلْبِه وإلوهيَّتِه، وقد استغرق النّصيب الأوفر من هذه القصيدة بـ: سبعة عشرة بَيْتًا؛ أي من البيت الأوّل (01) إلى غاية البيت السّابع عشر (17)، ونصُّه:

01. **أَعُبَّادَ المَسِيحِ لَنَا سُؤَالٌ ... نُرِيدُ جَوَابَهُ مِمَّنْ وَعَاهُ**
02. **إِذَا مَاتَ الإِلَهُ بِصُنْعِ قَوْمٍ ... أَمَاتُوهُ، فَمَا هَذَا الإِلَهُ؟**
03. **وهَلْ أَرْضَاهُ مَا نَالُوهُ مِنْهُ؟ ... فَبُشْرَاهُمْ إِذَا نَالُوا رِضَاهُ**
04. **وإِنْ سَخِطَ الذِي فَعَلُوهُ فِيهِ ... فَقُوَّتُهُمْ إِذًا أَوْهَتْ قُوَاهُ**
05. **وهَلْ بَقِيَ الوُجُودُ بِلَا إِلَهٍ ... سَمِيعٍ يَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ؟**
06. **وهَلْ خَلَتِ الطِّبَاقُ السَّبْعُ لَمَّا ... ثَوَى تَحْتَ التُّرَابِ، وقَدْ عَلَاهُ؟**
07. **وهَلْ خَلَتِ العَوَالِمُ مِنْ إِلَهٍ ... يُدَبِّرُهَا، وقَدْ سُمِرَتْ يَدَاهُ؟**
08. **وكَيْفَ تَخَلَّتِ الأَمْلَاكُ عَنْهُ ... بِنَصْرِهِمْ، وقَدْ سَمِعُوا بُكَاهُ؟**
09. **وكَيْفَ أَطَاقَتِ الخَشَبَاتُ حَمْلَ الـ ... إِلَهِ الحَقِّ شُدَّ عَلَى قَفَاهُ؟**
10. **وكَيْفَ دَنَا الحَدِيدُ إِلَيْهِ حَتَّى ... يُخَالِطَهُ، ويَلْحَقَهُ أَذَاهُ؟**
11. **وكَيْفَ تَمَكَّنَتْ أَيْدِي عِدَاهُ ... وطَالَتْ، حيْثُ قَدْ صَفَعُوا قَفَاهُ؟**
12. **وهَلْ عَادَ المَسِيحُ إِلَى حَيَاةٍ ... أَمِ المُحْيِي لَهُ رَبٌّ سِوَاهُ؟**
13. **ويَا عَجَبًا لِقَبْرٍ ضَمَّ رَبًّا ... وأَعْجَبُ مِنْهُ بَطْنٌ قَدْ حَوَاهُ!**
14. **أَقَامَ هُنَاكَ تِسْعًا مِنْ شُهُورٍ ... لَدَى الظُّلُمَاتِ مِنْ حَيْضٍ غَذَاهُ**
15. **وشَقَّ الفَرْجَ مَوْلُودًا صَغِيرًا ... ضَعِيفًا، فَاتِحًا لِلثَّدِي فَاهُ**
16. **ويَأْكُلُ، ثُمَّ يَشْرَبُ، ثُمَّ يَأْتِي ... بِلَازِمِ ذَاكَ، هَلْ هَذَا إِلَهُ؟**
17. **تَعَالَى اللهُ عَنْ إِفْكِ النَّصَارَى ... سَيُسْأَلُ كُلُّهُمْ عَمَّا افْتَرَاهُ**

"الحمد لله، ثمّ الحمد لله تعالى، الذي هدانا للإسلام وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله. يا ذا الجلال والإكرام، كما هديتنا للإسلام أسألك أن لا تنزعه عنّا حتّى تتوفّانا على الإسلام"[1].

قدَّمَ ابن القيّم رحمه الله بين يديْ هذه القصيدة، وعلى الابتداء بها قبل المقطع الأوّل منها؛ حَمْدَ الله تعالى مُكرَّرًا في جملتيْن مفصُولتيْن بحرف العطف "ثمّ"، وهذا ما يدلّ على عظم الأمر المُقدِمِ عليه؛ وهو مجادلة فريقٍ من أهل الكتاب بدّلوا وحرّفوا وغيّروا رسالة نبيّهم وتعاليمه السّماويّة الصّحيحة، ثمّ تأسِّيًا بكتاب الله تعالى المُفتتَح بالحمدلة بعد البسملة، وبسنّة النّبيّ ﷺ الذي كان يفتتح خُطبه بخُطبة الحاجة،* ومعنى الحمد لله؛ الشّكر له خالصًا دون سائر ما يُعبَد من دونه، ودون كلّ ما بَرَأَ من خلقِه، بما أنعم على عباده من النِّعَمِ التي لا يُحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلّفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دُنياهم من الرّزق، وغذّاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم ذلك عليه، ومع ما نبّههم عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المُؤدِّية إلى دوام الخُلُود في دار المقام في النّعيم المُقيم، فللّه الحمد على ذلك كلّه أوّلًا وآخرًا.[2]

وإنّما تكلّم النّاظم بهذا القَوْل، لأنّ الله عزّ وجلّ هو الذي هداه وهدى هذه الأُمّة للتّديُّن بدين الإسلام، فارتضاه لها دينًا، قال تعالى: ﴿**وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾. (المائدة: 03)؛ أي اخترتُه لكم من بين الأديان، وأذنتكم بأنّه هو الدّين المرضيُّ وحده: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾**﴾. (آل عمران: 85)، وهذا الموضع

---

[1]– ابن قيّم الجوزيّة: **إغاثة اللّهفان من مصائد الشّيطان**، ص489.

* خطبة الحاجة هي المقدّمة المشهورة التي كان يستهلّ بها الرّسول ﷺ خُطبه، ونصّها: "إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضلّ له، ومَن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾**﴾. (النّساء: 01)، ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾**﴾ (آل عمران: 102)، ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾**﴾ .(الأحزاب: 70–71) . (عبد المحسن عبد الله الخرافي: **لطائف الأدب في استهلال الخُطب**، ص08).

[2]– ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج01، ص128.

يُحتَمل أنْ يكون بمعنى الإرادة، ويُحتَمل أنْ يكون صفة فعل عبارة عن إظهار الله إيّاه، لأنّ الرّضا من الصّفات المُتردّدة بين صفات الذّات وصفات الأفعال، والله تعالى قد رضي الإسلام وأراده لنا، وثمّة أشياء يريد الله وقوعها ولا يرضاها، والإسلام هنا هو الدّين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ (آل عمران: 19)، وقيل: المعنى أعلمتكم برضائي به لكم دينًا، فإنّه تعالى لم يزل راضيًا لنا بالإسلام دينًا، وقيل: رضيتُ عنكم إذا تعبّدتم لي بالدّين الذي شرعته لكم، وقيل: رضيتُ إسلامكم الذي أنتم عليه اليوم دينًا كاملًا إلى آخر الأبد لا يُنسَخ منه شيءٌ،[1] ذلك أنّ الدّين الإسلاميّ يمتاز بعدّة خصائص ومميّزات تجعله منفردًا عن بقيّة الأديان السّماويّة الأخرى بله الوضعيّة؛ فهو دين الوسطيّة والاعتدال والتّوازن والانسجام والنّصّ والعقل والموضوعيّة والواقعيّة والمثاليّة والحرّيّة والمساواة...، وجميع هذه الخصائص وغيرها أهّلته لأَن يكون هو الدّين الخاتم الخالد، ولولا الله المُنعم المُتفضّل على عباده المؤمنين ما كانوا ليهتدوا إليه ولا أن يستنيروا بنوره أو يستظلُّوا بظلِّه أو يدخلوا تحت لوائه ورايته، ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ (الأعراف: 43)، وفي هذا دليل قاطع على أنّ الهداية للإسلام هي هداية ربّانيّة خالصة مصدرها الله ربّ العالمين؛ فهو الذي يهدي مَن يشاء إلى الصّراط المستقيم، ويضلّ مَن يشاء، وهذا حكمه ولا رادّ لقضائه، يفعل ما يشاء وفعّال لما يريد من غير إملاء ولا إكراه.

ثمّ دعا المولى عزّ وجلّ الجليل الكريم، وسأله أنْ لا ينزع عنه هذا الدّين، وأنْ لا يخرجه منه ومن زمرة المسلمين، حتّى يتوفّاه هو وجميع عباد الله المؤمنين الصّادقين عليه وعلى شريعته الغرّاء، استئناسًا بقوله نبيّ الله يوسف عليه السلام في القرآن: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾.(يوسف: 101)، وهذا من طلب الثّبات على الأمر المُستَحسَن والصّراط المستقيم وطريق الحقّ بعد التّوفيق إليه، فإنّ ذلك من أشدّ الأشياء عُتُوًّا على النّفس الإنسانيّة المائلة إلى الملذّات والشّهوات والمتعلّقة بالشّبُهات، وهذا هو طبعها الذي طبعها الله عليه، وتلك هي جِبلّتُها الأولى.

[1]- أبو حيّان الأندلسي: **تفسير البحر المحيط**، ج03، ص596-597.

بعد هذه الجُمَل المُثنيّة على الله تعالى، شَرَعَ رحمه الله في قصيدته، فابتدأها مُفتتِحًا بقوله:

01. أَعُبَّـــادَ المَسِيـــحِ لَنَـــا سُـــؤَالُ نُرِيـــدُ جَـــوَابَهُ مِمَّنْ وَعَـــاهُ*

لقد نادى ابن القيّم النّصارى (المسيحيين) وأطلق عليهم عبارة: **(عُبّاد المسيح)**، فقال: "**أَعُبَّادَ المَسِيحِ**"، واستعمل هنا حرف النّداء: "أ"؛ للدّلالة على قُرب المُنادى ودُنوّهِ من المُنادي،[1] استلطافًا واستعطافًا واستمالة لهم لقبول الدّعوة والاستجابة لها، وتهيئة لنفوسهم بحثًا عن جواب لسؤاله، و"**عُبّاد**" صيغة مبالغة من العبادة أو التّعبّد لذلك جاءت مضاعفة بالتّشديد، والمعبود هنا هو المسيح عليه السلام عيسى بن مريم، وتخريج ذلك؛ أي وجه مناداتهم بهذه الصّفة؛ أنّ النّصارى (المسيحيين) بالغوا في تقديس عيسى عليه السلام، فرفعوه منزلة فوق منزلة البشر، حتّى اِرتقوا به إلى مرتبة الإلوهيّة، فزعموا أنّه إله وابن إله، مُستدلّين على هذا الزّعم بفقرات من العهد الجديد،* منها ما جاء في إنجيل يوحنّا في مطلعه: **[في البَدْءِ كان الكَلِمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البَدْءِ عند الله، كلُّ شيءٍ به كان، وبغيره لم يكُن شيءٌ ممّا كان، فيه كانت الحياة، وحياته كانت نور النّاس]**. (يوحنّا:

---

* وَعَاهُ، يَعِيهِ؛ حَفِظه وجمَعه، وفقِهه... (الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ص1343).

[1]– مصطفى الغلاييني: **جامع الدّروس العربيّة**، ج03، ص502.

*العهد الجديد هو القسم الثّاني من الكتاب المقدّس لدى المسيحيين، يتكوّن من سبعة وعشرين (27) سِفرًا، وُضع أغلبها باللغة اليونانيّة، وأُطلِق عليه اسم العهد الجديد تمييزًا له عن العهد القديم، وهي تسميّة ظهرت متأخّرة على ظهور المسيحيّة، وهذا الكتاب مقدَّس بالنّسبة للمسيحيين باعتبار أنّ أسفاره موحَى بها من الرّبّ إلى أصحابها بمعانيها لا بألفاظها، وهذه الأسفار الموجودة الآن قبلتها الكنائس المختلفة بدرجات متفاوتة على مدى أزمنة وقرون عديدة من الجدل واللّعن والاختِلاف، وينقسم العهد الجديد إلى ثلاثة (03) أقسام، هي:

أ– الأسفار التّاريخيّة: وتضمّ: إنجيل متّى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا، إنجيل يوحنّا، سفر أعمال الرّسل.

ب– الأسفار التّعليميّة (الرّسائل): عددها إحدى وعشرون (21) رسالة، وتشمل رسائل بولس والرّسائل الجامعة؛ فأمّا رسائل بولس فعددها أربع عشرة رسالة (14) وهي: روما، كورنثوس الأولى ، كورنثوس الثّانيّة، غلاطية، أفسس، فيلبي، كولوسي، تسالونيكي الأولى، تسالونيكي الثّانية، تيموثاوس الأولى، تيموثاوس الثّانيّة، تيطس، فيلمون، العبرانيين. وأمّا الرّسائل الجامعة فعددها سبع (07) رسائل وهي: يعقوب، بطرس الأولى، بطرس الثّانيّة، يوحنّا الأولى، يوحنّا الثّانيّة، يوحنّا الثّالثة، يهوذا.

ج– كتاب النّبوءة: ويمثّله سِفر واحد (01) هو: رؤيا يوحنّا، ويُطلق عليه أيضًا: مشاهدات يوحنّا أو الأبوكاليبس.

(ينظر: محمّد عبد الله الشّرقاوي: **في مقارنة الأديان –بحوث ودراسات–**، ص24–30).

01/ 01-04)، والمقصود بالكلمة بها في هذا النّص: المسيح عليه السلام الذي جاء إلى هذه الدُّنيا متجسِّدًا كما يزعمون.

وقال بولس في رسالته الأولى إلى كنيسة تسالونيكي: **[نرجو أَن يُمَجَّدَ اللهُ أبونا وربُّنا يسوع طريق المجيء إليكم]**. (تسالونيكي01: 03/ 11)، ويسوع هو الاسم الذي يطلقه النّصارى (المسيحيون) على عيسى عليه السلام، و"العهد الجديد يحوي نصوصًا كثيرة بهذه المعاني، يستدلّ بها النّصارى على إلوهيّة السّيّد المسيح، ولكنّ النّصوص الصّريحة منها تجدها في الإنجيل الرّابع (إنجيل يوحنّا) والرّسائل وبخاصة رسائل بولس".[1]

وقد ورد أيضًا في العهد الجديد أنّ المسيح عليه السلام هو ابن الله: **[اللهُ الذي ما بخل بابنِه، بل أَسْلَمَهُ إلى الموت من أجلِنا جميعًا]**. (روما: 08/ 32، وكولوسي: 01/ 13، 15-17)، والمقصود بالابن في هذا النّصّ هو: عيسى عليه السلام.

وحتّى يؤكّد النّصارى (المسيحيون) ما جاء في هذه النّصوص بهذا الشّأن، عقدوا مجمعًا كنسيًّا قرّرُوا فيه إلوهيّة المسيح عيسى عليه السلام.

مجمع نيقيّة وتقرير إلوهيّة المسيح عليه السلام:[2]

عُقد هذا المجمع (المؤتمر) في 20 ماي 325م برئاسة قسطنطين، حضره ألفان وثمانيّة وأربعون (2048) أُسقفًا، وذلك لسببيْن؛ أحدهما عام والآخر خاصّ:

فأمّا السّبب العام؛ فقد تمثّل في الاختلاف الشّديد بين الطّوائف النّصرانيّة حول شخص المسيح عليه السلام؛ فمنهم مَن كان يقول: "إنّ المسيح وأمّه إلهان من دون الله" وهم المريمانيّة، ومنهم مَن كان يقول: "إنّ المسيح من الأب بمنزلة شُعلة نار تخلّقت من شُعلة أخرى، فلم تنقُص الأولى لإيقاد الثّانيّة منها" وهذه مقالة سابليوس وشيعته، ومنهم مَن كان يقول: "لم تحمل مريم بالمسيح تسعة أشهر، وإنّما مرّ نور في بطنها كما يمرُّ الماء في

---

[1]- محمّد أحمد الحاج: **النّصرانيّة من التّوحيد إلى التّثليث**، ص230.

[2]- عبد الفتاح حسن الزيات: **ماذا تعرف عن المسيحيّة؟**، ص112-113، ومحمّد أبو زهرة: **محاضرات في النّصرانيّة**، ص149-150.

الميزاب" وهي مقالة إليان وأتباعه، ومنهم مَن كان يقول: "إنّ المسيح خُلِق من اللّاهوت كواحدٍ منّا في جوهره، وإنّ اِبتداء الابن من مريم، وإنّه اُصطُفيَ ليكون مخلِّصًا للجوهر الإنسي، وصحِبته النّعمة الإلهيّة فحلّت فيه المحبّة والمشيئة" وهذه مقالة بولس الشّمشاطي وأشياعه وهم البوليقانيون، ومنهم مَن كان يقول: "بثلاثة آلهة صالح وطالح وعَدل بينهما" وهي مقالة مرقيون، ومنهم مَن كان يقول: "بإلوهيّة المسيح"، وهي مقالة بولس الرّسول والكنيسة الإسكندريّة.

وأمّا السّبب الخاص؛ فللنّظر في هرطقة آريوس المتمثّلة في قوله: "إنّ الأب وحده هو الله، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الأب إذ لم يكن الابن"، ولم يكن آريوس هو أوّل مَن ابتدع هذا القول، وإنّما كان مُنتشِرًا قبله عند بعض الطّوائف والشّخصيات النّصرانيّة (المسيحيّة).

وقد اشتدّ الخلاف في هذا المجمع حول شخص المسيح بين أثناسيوس أسقف الكنيسة الإسكندريّة الذي كان ينادي بإلوهيّة المسيح على مذهب بولس وبين آريوس الأسقف اللّيبي الذي أوردنا مقالته آنفًا، وبعد مناقشات حادّة بين الطّرفين قرّر المجتمعون القرارات الآتية:[1]

أوّلًا– لَعْنُ آريوس وكلّ مَن يقول بمقالته، وطرده وحرمانه، وحرق كتبه.

ثانيًا– تعاليم الدّين لا يمكن تلقّيها من الكُتب رأسًا، بل من أفواه رجال الدّين باعتبار أنّ أقوالهم حجّة.

ثالثًا– اعتماد الأناجيل الأربعة (متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا) وإلغاء ما عداها.

رابعًا– تقرير إلوهيّة السّيّد المسيح.

خامسًا– وضع ميثاق الأمانة (قانون الإيمان المسيحي)، وهذا نصّه:[2]

---

[1]– بسمة أحمد جستنية: **تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التّاريخ –أسبابه ونتائجه–**، ص321.

[2]– **سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان**، ص137.

"نؤمن بإله واحد، الله الأب، ضابط الكلّ، خالق السّماوات والأرض، ما يُرى وما لا يُرى، ونؤمن بربّ واحد، يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كلّ الدّهور، إله من إله، نور من نور، إله حقّ من إله حقّ، مولُود غير مخلُوق، مساوٍ للأب في الجوهر، به كان كلّ شيء ممّا كان، هذا الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السّماء، وتجسّد من الرّوح القدس ومريم العذراء، تألّم وقُبِر وقام في اليوم الثّالث كما في الكُتب، وصعد إلى السّماوات، وجلس عن يمين الله، وسوف يأتي في مجده".

لكنّ الغريب في الأمر أنّ الذين صاغوا هذه القرارات لا تتعدّى نسبتهم (15%) من مجموع الحاضرين، فقد كان تعدادهم ثلاثمائة وثمانيّة عشر (318) أسقفًا فقط، ممّا يوحي لنا بأنّها فُرضت فرضًا على البقيّة، ولم تكن محلّ اتّفاق من قبل الجميع، ولعلّ هذا الاعتقاد في المسيح ﷺ هو الذي جعل ابن القيّم يصفهم بـ: "**عبّاد المسيح**"؛ وكأنّه يقول لهم: يا مَن أنتم تعبدونه باعتقادكم الإلوهيّة فيه، ولكنّكم لستُم عِبَادَه؛ لأنّه غير مقرٍّ لكم بذلك، بل هو عبدٌ مثلكم، وهو وأنتم جميعكم عباد الله تعالى وحده؛ لأنّه هو الذي خلقكم والخالق أحقُّ بعبادتكم، فحقُّ الله على العبيد* أن يعبدوه ولا يُشركُوا به شيئًا.

والواقع المسيحيّ يثبت هذه الحقيقة –حقيقة عبادة المسيحيين للمسيح–، حيث تكثر لدى المسيحيين اليوم وقديما التّسميّة بـ: "**عبد المسيح**"؛ إذ أنّ هناك شخصيات مسيحيّة عديدة عُرفت بهذا الاسم، الأمر الذي يستنكره الإسلام بالكليّة، ففي الإسلام لا يجوز التّعبّد لله إلّا بأسمائه الحسنى سبحانه وتعالى، فالنّاس كلّهم عبيد له عزّ وجلّ؛ فهو ربّهم ومليكهم وخالقهم... .

وبخلاف قرارات هذا المجمع وما جاء في النّصوص الإنجيليّة السّابقة التي تؤكّد إلوهيّة السّيّد المسيح، فإنّنا نجد في العهد الجديد نصوصًا أخرى على النّقيض من ذلك تمامًا؛ إذ أنّها تتحدّث عن يسوع المسيح باعتباره إنسانًا عاديًّا مرسلًا من عند الله عزّ

*عن معاذ ﷺ قال: كنتُ رِدْفَ النّبيﷺ على حمارٍ يُقال له: عُفيْرٌ، فقال: "**يا معاذ، هل تدري حقَّ الله على عباده؟ وما حقُّ العباد على الله؟**"، قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: "**فإنَّ حقَّ الله على العباد أنْ يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا، وحقُّ العباد على الله أنْ لا يُعذِّب مَن لا يُشرك به شيئًا**"، فقلتُ: يا رسول الله، أَفَلا أُبشِّرُ به النَّاس، قال: "**لا تُبشِّرهم فيتَّكِلوا**". (البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسّير، باب اسم الفَرس والحِمار، حديث رقم (2856)، ص470–471).

وجلّ لبني إسرائيل الذين طغت عليهم المّادّة؛ تحقيقًا للتّوازن الرّوحي الذي فقدوه منذ زمن تليد.

فقد ورد في الإنجيل إطلاق لفظ (الإنسان) و(ابن الإنسان) على المسيح أكثر من سبعين (70) مرّة كما يُعلَم ذلك من النّظر في قاموس الكتاب المقدّس،[1] ففي إنجيل متّى يطلق المسيح على نفسه (ابن الإنسان) فيقول: **[وأمّا ابن الإنسان فليس له أَنْ يسنِد رأسه]** (متّى: 08/ 20)، ويقول: **[جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب]**. (متّى: 11/ 19)، إنّه بشرٌ كسائر البشر يأكل ويشرب وينام ومعرَّضٌ لحوادث الدّهر والنّائبات، يعتريه المرض والضّعف... .

أمّا بخصوص نبوّته ورسالته، فقد شهِد عليها نيقوديموس الفرّيسي اليهودي حينما قال للمسيح: **[يا معلّم، نحن نعرف أنّ الله أرسلك معلّمًا، فلا أحد يقدر أَنْ يصنع ما تصنعه من الآيات إلّا إذا كان الله معه]**. (يوحنّا: 03/ 03)، ويقول المسيح عليه السلام مُبيّنًا مهمّته على هذه الأرض: **[ما أرسلني الله إلّا إلى الخراف الضّالة من بني إسرائيل]**. (متّى: 15/ 24)، ويقول أيضًا: **[فما نزلت من السّماء لأعمل ما أريده أنا، بل ما يريده الذي أرسلني]**. (يوحنّا: 06/ 38)، ويقول كذلك: **[أنا لا أقدر أَن أعمل شيئا من عندي، فكما أسمع من الآب أحكم، وحكمي عادل، لأنّي لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني]**. (يوحنّا: 05/ 30)، ويقول مبيّنًا معنى الحياة الأبديّة: **[والحياة الأبديّة هي أن يعرفوك أنت الإله الحقّ وحدك ويعرفوا يسوع المسيح الذي أرسلْتَهُ]**. (يوحنّا: 17/ 03).

وكلّ هذه الفقرات تؤكّد أوّلًا نبوّة المسيح عليه السلام ورسالته؛ فهو رسولٌ من لدن ربّ العالمين كغيره من الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام، وتُدحِض ثانيًا اعتقاد النّصارى (المسيحيين) في إلوهيّته وبنوّته لله تعالى.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تنفي مزاعم النّصارى في المسيح عليه السلام في كونه إلها أو ابن إله أو غير ذلك من المزاعم غير المنطقيّة التي لا يقبلها منطق سليم ولا يستسيغها عقل قويم، وتُثبت في الآن نفسه أنّه بشر رسول اصطفاه الله تعالى لتبليغ الرّسالة لبني

[1]- محمّد أحمد الحاج: **النّصرانيّة من التّوحيد إلى التّثليث**، ص264.

إسرائيل بعد سلسلة من الأنبياء والمرسلين الذين سبقوه، فقد بيّن الله عزّ وجلّ ضلالهم وخطأهم في اعتقادهم بأنّ عيسى﵇ هو ابن الله، وأنّهم في ذلك تَبعٌ لغيرهم من الكفّار القائلين بمثل مقالتهم، فقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠﴾. (التّوبة: 30)، ولأنّ هذا القول اِنجرّ عنه قول آخر هو أخطر منه، يتمثّل في الاعتقاد بإلوهيّة المسيح﵇ باعتباره ابنًا لله، فإنّ الله عزّ وجَلّ كفّر القائلين بذلك، فقال: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾. (المائدة: 72)؛ "ففي هذه الآية كفّر الله جلّ ثناؤه فريقا من النّصارى قالوا بإلوهيّة المسيح، بشبهة أنّه خرج من أُمّ بلا أب وخالف المعهود من الخلقة الإلهيّة، والحال أنّه﵇ كذّبهم في هذه الدّعوى، فأثبتَ لنفسه العبوديّة التّامّة ولربّه الرّبوبيّة الشّاملة لكلّ مخلوق، مذكِّرا إيّاهم بأنّ أيّ أحد من المخلوقين يُشرِك بالله؛ فيسوّي الخَلْق بالخالق، أو يصرف ما خلقه الله لأحد خلقه؛ وهو العبادة الخالصة لغير مَن هي له، فمصيره النّار، التي سوف يخلد فيها، ولن يجد من ينقذه منها"؛[1] لأنّ مثل هذا القول يؤدّي إلى اختلال المفاهيم وقلْبِ الحقائق، وبه يَحِقّ الباطل ويَبْطُل الحقّ، وهو يدعو إلى الشّرك والفسوق، ويفتح الباب على مصراعيه لولوج الدّعوات الهدّامة إلى أوساط الشّعوب والأُمم، فتنتشر الوثنيّة وعبادة الأصنام والتّماثيل والأوثان؛ لذلك فنّد القرآن الكريم قول النّصارى (المسيحيين) الدّاعي إلى أنّ الله يشترِك معه في تدبير هذا الكون وتصريف الأمور إلهان آخران أو أكثر، والكلُّ يُدعَى ربًّا خالقا مُدبّرا حكيما، حتّى لا يكون هذا الأمر مَدْعَاةً إلى الانحلال العقائدي؛ الذي يُفضي بدوره إلى الإلحاد وإنكار الإلهيات والنّبوءات.

كما تتجلّى هذه الحقيقة المتمثّلة في كون عيسى المسيح ليس إلها من دون الله؛ في رَدِّهِ﵇ على الاستفهام الإلهي المستَفسِر عن حقيقته وأُمّه، وذلك في قوله تعالى في أواخر سورة المائدة: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ

[1]- السَّعدي: **تيسير الكريم الرّحمان في تفسير كلام المنّان**، ص240.

أَنتَ عَلَّمْتَ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾. (المائدة: 116-117).

ودحضًا للقول بإلوهيّة المسيح، أثبت الله عزّ وجلّ لعيسى﵇ العبوديّة والنّبوّة، وأخبر أنّه بشرٌ كسائر البشر، تجري عليه أحكامهم، ويتعرَّضُ لما يتعرّضون له، ويأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون، فقال في حقّه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾. (الزّخرف: 59)، وقال أيضا: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.(المائدة: 75)، وقال كذلك على لسان المسيح﵇: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾.(الصّف: 06)، وقال عنه كذلك: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (آل عمران: 49)، وقال مُعلِنًا عن موقف عيسى من العبوديّة لله تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾.(النّساء: 172) ، وقد كان أوّل ما نطق به المسيح عيسى﵇ – بحسب النّصّ القرآني–؛ هو الإقرار بالعبوديّة لله تعالى والتّكلّم بالنّبوّة، قال الله عزّ وجلّ على لسانه: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ . (مريم: 30)، وتدلُّنا هذه الآية على أنّ أوّل شيء تكلّم به هذا النّبِيُّ؛ تنزيه جنابِ ربّه تعالى وتبرئته من الولد وإثبات العبوديّة له، وقد قال هذا الكلام عندما سمع اليهود يتّهمون أمّه بالفاحشة، وكان حينها يرضع ثدي أمّه، فلمّا سمع ما قالوا، نزع الثّدي من فمه، واتّكأ على جنبه الأيسر وقال ما قال، وقيل: أنّه رفع إصبعه السّبّابة وهو يقول هذا القول[1] الدّاحض والمفنّد لمعتقد النّصارى (المسيحيين) في إلوهيّته وبنوّته لله تعالى، لذلك لم يرد ذِكرٌ البتّة لمعجزة تكلّم المسيح في المهد في الأناجيل الموجودة لدى النّصارى (المسيحيين) الآن؛ لأنّ ذلك يهدم عقائدهم من الأساس.

[1]– ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج05، ص228–229.

وهناك إضافة ضروريّة تستدعيها كون النّصارى (المسيحيون) من فلاسفة ومفكّرين لا يؤمنون سوى بالمنطق العقلي والبرهان القطعي، فلمّا كانوا كذلك، سلك القرآن معهم مسلك الأقيسة العقليّة التي تقطع قول كلّ مكابر بالحجّة والإقناع؛ لأنّها أقيسة يشترك في موافقتها والقوْل بها جميع البشر.

ومن بين تلك الأقيسة العقليّة التي استخدمها القرآن الكريم بهذا الصّدد؛ القياس الإضماري؛ وهو القياس الذي تُحذَف فيه إحدى المقدّمات مع وجود ما يُنْبِئُ عن المحذُوف، فيكون محذوفًا معلومًا مطويًّا في الكلام مثويًّا فيه، وذلك في قوله تعالى وهو يردّ على النّصارى الذين زعموا أنّ عيسى عليه السلام هو ابن الله لأنّه خُلِق من غير أب: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾. (آل عمران: 59)، وفي هذه الآية مقايسة بين خلق آدم عليه السلام وخلق عيسى عليه السلام، فإذا كان الخلْقُ من غير أب مبرِّرًا لاتّخاذ عيسى إلهًا، فأولى أن يكون الخلق من غير أب ولا أُمّ مبرِّرًا لاتّخاذ آدم إلهًا، بل إنّه عليه السلام أدعى للفوز بلقب (الإلوهيّة) من عيسى عليه السلام لأنّه خُلق من دون أب ولا أُمّ، وعيسى خُلق من دون أب فقط، وهذا قياس حُذفت فيه مقدّمة وبقيتْ أخرى، فكأنّ سياق الدّليل: إنّ آدم خُلق من غير أب ولا أُمّ، وعيسى خُلق من غير أب، فلو كان عيسى إلهًا بسبب ذلك لكان آدم أولى بالإلوهيّة، لكنّ آدم ليس ابنًا ولا إلهًا باعترافكم أيّها النّصارى، فعيسى أيضًا ليس ابنًا ولا إلهًا.[1]

وفي ذات السّياق يجادل ابن القيّم في كتابه "هداية الحيارى" النّصارى، فيقول لهم: "وإن قلتم: إنّما استدللنا على كونه إلهًا بأنّه لم يولد من البشر، ولو كان مخلوقًا لكان مولودًا من البشر، فإن كان هذا الاستدلال صحيحًا فآدم إله المسيح، وهو أحقّ بأن يكون إلهًا منه، لأنّه لا أُمّ له ولا أب، والمسيح له أُمّ، وحوّاء أيضًا اجعلوها إلهًا خامسًا لأنّها لا أُمّ لها، وهي أعجب من خلق المسيح؟!".[2] فلماذا خُصَّ عيسى المسيح من بينهم بالإلوهيّة دون سواه، وهم أعجبُ منه في الخلق؟، كما يقول القَرَافِي (626-684هـ) مؤكِّدًا هذه

[1]- محمّد أبو زهرة: **المعجزة الكبرى –القرآن- نزوله- كتابته- جمعه- إعجازه- جدله- علومه- تفسيره- حكم الغناء به**، ص397-398.

[2]- ابن قيّم الجوزيّة: **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى**، ص343.

الفكرة: "...ومن العجَب أنّهم يحتجُّون على ضلالهم بأنّ الذي ألجأهم إلى أنّه –أي المسيح– ابن الله، تعالى الله عمّا يقولون؛ كونه خُلق من غير أب من البشر، فيتعيَّن أنْ يكون أبوهُ هو الله تعالى، وآدم أولى منه بذلك؛ لكونه خُلِق من غير أب، ولم يُباشر الأرحام ولا سقم الأطفال ولا تطوَّر في أطوار البشر، وكم في العالم من الحيوانات خلقها الله تعالى من غير أب..."،[1] وفي هذا مُحاججة عقليّة للنّصارى تُبطِل اعتقادهم هذا.

ولقد ناقش ابن حَزَم الأندلسي (384–456هـ) النَّصارى عقليًّا في دعوى إلوهيّة المسيح، فقال بعد أنْ ذكر نصًّا من إنجيل لوقا:

"في هذا الفصل شِنعتان عظيمتان على النَّصارى كافيّتان في وساخة دينهم، وبيان فساد كلّ ما هم عليه جهارًا:

أولاهما: أن نسألهم فنقول لهم: المسيح إله عندكم أم لا؟، فمن قولهم: نعم، يُقال لهم: إلى مَن دعا ورفع طِلبته؟، فإنْ كان دعا غيره، فهو إلهٌ يدعو إلهًا آخر، وهذا شركٌ وتغاير بين الآلهة، وهم لا يقولون هذا، وإنْ كان دعا نفسه، فهذا هوس.

و**الثّانية:** أن يقال لهم: هل أُجيبت دعوته هذه أم لا؟، فإنّ قالوا: لم تُجب دعوته، قلنا: فليس في الخزي أكثر من إله يدعو فلا يُستجاب له، ولا في النّجس فوق هذا، وعلى هذا فما بيده من الرُّبوبيّة إلّا كذنب ثورٍ شارد في جدور كما بيد سائر المخلوقين يدعو فيُجابُ مرّة ولا يُجابُ مرّة..."،[2] وكفى بهذه المُحاججة العقليّة السّاخرة إبطالًا لدحض عقيدة إلوهيّة المسيح عيسى بن مريم، ومن ثمَّة إبطال عقيدة التّثليث وهدمها من الأساس.

(لَنَا سُؤَالٌ)؛ أي عندنا سؤال أو استفهام نحن معشر المسلمين محيّرٌ عجيبٌ غريبٌ في مبناه ومعناه، موجّه إليكم معشر النّصارى يا مَن ألّهتم المسيح عليه السلام وعبدتموه، واعتقدتم فيه اعتقادًا باطلًا، وهذا السّؤال إنّما تغلغل في ذهن ابن القيّم الذي يتكلّم بلسان المسلمين عامّة، لكونه وإيّاهم منحصريْن بين منظومتيْن عقائديتيْن كلًّا منهما تؤمن أو تنظر للسيّد

[1]– القرافي: **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرَّدِّ على المِلَّة الكافرة**، ص121.

[2]– ابن حزم: **الفصل في الملل والأهواء والنّحل**، ج01، ص270–271.

المسيح عليه السلام بصورة مغايرة للأخرى، فالمنظومة اليهوديّة التّلموديّة العنصريّة تُهينه* وتحتقره وتُصغّر من شأنه وتحاربه، والمنظومة المسيحيّة الإنجيليّة تؤلّهه وترفع مرتبته فوق مرتبة البشر، لتتوسّط المنظومة الإسلاميّة القرآنيّة في شأن المسيح عيسى عليه السلام المنظومتين السّابقتيْن من غير إفراط ولا تفريط، معتبرة إيّاه بشرًا عاديًّا لا يمتاز عن النّاس إلّا بالاصطفاء والرّسالة، وهذه المُغايرة تحتاج إلى بحث واستقصاء للوصول إلى حقيقة هذا النّبيّ الكريم الذي اختلفَت فيه الآراء، وكثُرت فيه الأقاويل والأحاديث والأباطيل والمزاعم والمُفتريات.

(نُرِيدُ جَوَابَهُ مِمَّنْ وَعَاهُ)، وهذا السّؤال الذي سنسأله لكم –أيُّها النّصارى–، إنّما نحن المسلمين نبحث له عن جواب وتفسير يشفي غليل البلابل، ويُريح الصّدور من عناء البحث والحيْرة؛ لأنّ جوابه سيخبرنا بنصّه مفصَّلًا الذي فهِمه فهمًا جيّدًا، ووعاه عقله وفكره، وحفظه وجمعه ذهنه، فهو مستعِدٌّ لإخبارنا بما نستفهم عنه، والمقصود هاهنا النّصراني (المسيحي) الذي يُفتَرَض فيه أن يكون على دراية وعلم بالأمر، وفي الحقيقة هو ليس سؤال واحد، وإنّما سلسلة طويلة من الأسئلة التي سترِد في إثر بعضها البعض، لكنّها مرتبطة فيما بينها برابط موضوعي هو استنطاقها قضيّة صلب المسيح وربوبيّته وإلوهيته، تفنيدًا لها ودحضًا لفِريتها.

*ورد في التّلمود الكتاب المقدّس اليهودي: أنّ المسيح النّاصري موجود في لُجج الجحيم بين الزّفت والنّار، وأنّ أُمّه مريم ولدته بمباشرة الزّنا مع عسكري اسمه باندارا، حيث كان الجنود الرّومان يَسبحون في بُحيرة، وقد نزلَتْ مريم تُسابح وتُعانق وتُراقص جُنديًّا رومانيًّا يُدعى "باندارا" ومنه حملتْ بالمسيح، وقد جاء في هذا الكتاب كثير من عبارات الطّعن والسّبّ للمسيح والمسيحيّة ما لا يستسيغه المستوى الأخلاقي الإنساني، ومن الطّبعات التّلموديّة التي كانت تسبّ وتشتم سيّدنا المسيح طبعة أمستردام لسنة 1645م، وقد نُعت فيها المسيح بالكلمات الآتية: "ذلك الرّجل، مثل ذلك الرّجل، أحمق، المجذوم، غشّاش بني إسرائيل، يدّعي أنّه ابن الجُندي يوسف باندارا حبلتْ به مريم قبل زواجها، المُعجزات التي قام بها المسيح كانت بقوّة السّحر، وأنّه قد تعلّم السّحر أثناء وجوده في مصر، إنّ المسيح رُمي بالأحجار ثمّ صُلب مساء عيد الفِصح، العهد الجديد (الإنجيل) يُسمَّى بكتاب مملوء بالإثم"، وكلّما يُشير التّلمود إلى هذه الموضوعات تمتلئ لهجته بالمقت الشّديد والبُغض والتَّعنُّتِ والكراهيّة. (عدنان عبد الرّزّاق الرّبيعي: **قراءات معاصرة في العقيدة اليهوديّة**، ص181–183).

02. إِذَا مَـــــاتَ الإِلَهُ بِصُنْـــعِ قَـــــوْمٍ أَمَاتُـــوهُ، فمَا هَـــــذَا الإِلَـــــــهُ؟

اِفتَتَح هذا البيت سِلسلة الأسئلة الموجّهة من ابن القيّم﵀ إلى النّصارى باحثًا لها عن جواب منهم، وقد ابتدأها بقوله:

(إِذَا مَـاتَ الإِلَـهُ)؛ إذا تقرّر لديكم أنّ المسيح عيسى ابن مريم﵇ إلـهٌ كما هو معروف عنكم بما أنتم مجمِعون عليه في هذا الاعتقاد...، وهذه عبارة ذكيّة مستفِزّة، إذ أنّ كلّ نصراني (مسيحي) سينقَدِح في ذهنه سؤال أساسي مفاده: هل الإله يموت؟!، الأمر الذي سيُوقعه في حيْرة غير متناهيّة؛ لأنّ السّؤال الموجّه إليه سؤال متجدِّد، والإجابة عليه موقعة في الحرج لا محالة سواء كانت بالنّفي أو بالإيجاب، فإن كانت بالنّفي فإنّها تهدم عقيدة أساسيّة في اعتقاده، وهي الاعتقاد بموت إلهه المسيح، وإن كانت بالإيجاب فإنّها ستناقض الكمال الإلهي حيث يجب تنزيه الله عن الموت والفناء، ويبدو أنّ فكرة موت الإله فكرة دخيلة على ديانة سماويّة قائمة على التّوحيد والعبوديّة لله تعالى، لكن كيف تسلّلت هذه العقيدة الخطيرة إلى الدّيانة المسيحيّة؟، فالمعروف تاريخيًّا أنّ رسالة عيسى﵇ الحقّة لا تختلف عن رسالة موسى أو محمّد أو غيرهما من الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، فجميع رسالاتهم تنبع من مِشكاة واحدة، وجميعها متّفقة في الجانب العقائدي، فإذن –والحال هذه– هناك سبب أو أسباب جعلت المسيحيّة تقول بهذه الفكرة الغريبة عن العقل والبعيدة عن المنطق الإنساني السّليم؛ سنُشير إليها فيما بعد.

لكنّ النّصارى (المسيحيين) وبالرّغم ممّا سبق، يعتقدون اعتقادًا جازمًا أنّ المسيح﵇ مات مصلوبًا بفعل فاعل، لذلك قال ابن القيّم:

(بِصُنْعِ قَـوْمٍ أَمَاتُوهُ)؛ ومعنى ذلك أنّ هذا النّبيّ أو بالأحرى الإله، ماتَ مقتولًا من طرف قومٍ من النّاس، وهؤلاء القوم الذين صلبوا عيسى هم اليهود قتلة الأنبياء أعداؤه وأعداء أتباعه؛ الذين تصدُّوا لدعوته منذ البداية وعارضوها بشتّى أصناف المعارضة، وقد وردت قصّة صَلْبِهِ وقَتْلِه﵇ كاملة مستفيضة في الأناجيل المعتمدة اليوم لدى المسيحيين، وذلك وِفْقَ جملة من الأحداث التي وقعت قُبيْل وأثناء حادثة الصّلب، وفيما يأتي من صفحات سرْدٌ لهذه الحادثة أو القصّة.

قصّة الصّلب في الأناجيل الأربعة:

قصّة الصّلب من أهمّ القصص التي وردت في الأناجيل الأربعة؛ إذ هي –في اعتقاد النّصارى بالإضافة إلى القيامة– خاتمة الحياة اليسوعيّة على هذه الأرض، وقد تمّت وفق الأحداث الآتية:

أوّلًا- إخبار يسوع (المسيح) بموته وقيامته: أخبر يسوع المسيح تلاميذه أنّه سوف يموت ثمّ يقوم من ذلك الموت، ثلاث مرّات؛ أي ثلاثة تنبّؤات:

1- **المرّة الأولى**: وهذه حكايتها: [**وبدأ يسوع من ذلك الوقت يصرّح لتلاميذه أنّه يجب عليه أن يذهب لأورشليم ويتألّم كثيرًا على أيدي شيوخ الشّعب ورؤساء الكهنة ومُعلّمي الشّريعة، ويموت قتلًا، وفي اليوم الثّالث يقوم، فانفرَد به بطرس وأخذ يعاتبه فيقول: "لا سمح الله يا سيّد! لن تلقَ هذا المصير!"، فالتفت وقال لبطرس: "ابتعد عنّي يا شيطان! أنت عقبة في طريقي؛ لأنّ أفكارك هذه أفكار البشر لا أفكار الله"، وقال يسوع لتلاميذه: "مَن أراد أن يتبعني، فليُنكِر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني، لأنّ الذي يريد أن يخلّص حياته يخسرها، ولكنّ الذي يخسر حياته في سبيلي يجدها، وماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه؟، وبماذا يفدي الإنسان نفسه؟، سيجيء ابن الإنسان في مجد أبيه مع ملائكته، فيجازي كلّ واحد حسب أعماله. الحقّ أقول لكم: في الحاضرين هنا مَن لا يذوقون الموت حتّى يشاهدوا مجيء ابن الإنسان في ملكوته**"]. (متّى: 16/ 21–28، مرقس: 08/ 31–38، لوقا: 09/ 22–27).

2- **المرّة الثّانية**: وهذا نصّها: [**وكان التّلاميذ مجتمعين في الجليل، فقال لهم يسوع: "سَيُسَلَّم ابن الإنسان إلى أيدي النّاس فيقتلونه، وفي اليوم الثّالث يقوم من بين الأموات"، فحزن التّلاميذ كثيرًا**]. (متّى: 17/ 22–23، مرقس: 09/ 30–32، لوقا: 09/ 43–45).

3- **المرّة الثّالثة**: هذه روايتها في إنجيل متّى: [**وكان يسوع صاعدًا إلى أورشليم، فأخذ التّلاميذ الاثني عشر على انفراد، وقال لهم في الطّريق: "ها نحن صاعدون إلى أورشليم، وسيُسَلَّم ابن الإنسان إلى رؤساء الكهنة ومعلّمي الشّريعة، فيحكُمُون عليه بالموت ويسلّمونه إلى أيدي الغرباء، فيستهزئون به ويجلدونه ويصلبونه، وفي اليوم الثّالث يقوم**"]. (متّى: 20/ 17–19، مرقس: 10/ 32–34، لوقا: 18/ 31–33).

وجميع هذه الفقرات والنّصوص تتّفق على أنّ يسوع المسيح كان عالمًا وخبيرًا بمصيره ونهايته المحتومة، فأخبر عنها وتنبَّأ بها ثلاث مرّات لتلاميذه المقرّبين منه؛ حتّى يضعهم في حقيقة الأمر كيْ لا يفَاجؤون فيما بعد.

ثانيًا- محاولة قتل يسوع: تُورِد لنا الأناجيل محاولة اليهود من رؤساء الكهنة وشيوخ الشّعب قتل يسوع المسيح؛ لأنّه كان يقف في طريقهم معترضًا لهم، ويخالفهم في كثير من أحكام الشّريعة، فالعلاقة بينه وبينهم هي علاقة عداء منذ البداية، فاليهود كانوا معارضين لدعوة المسيح عليه السلام أشدّ المعارضة، وكان هو روحيًّا لا يوافق على ما في قلوبهم ونفوسهم من أهواء؛ فقد كانوا قومًا مادّيين إلى أبعد الحدود، لذلك حاولوا التّخلّص منه مهما كلّفهم ذلك من وقتٍ وجهدٍ، حيث نقرأ فيها الآتي:

[فلمّا شاهد اليهود الذين جاؤوا إلى مريم مَا عمِل يسوع، آمن به كثيرٌ منهم، لكنّ جماعة منهم ذهبوا إلى الفرّيسيين وأخبروهم بما عمل، فعَقَد رؤساء الكهنة والفريسيون مجلِسًا وقالوا: "ماذا نعمل؟ وهذا الرّجل يصنع آياتٍ كثيرة، فإذا تركناه على هذه الحال آمَنَ به جميع النّاس، فيجيء الرّومانيون ويخرّبون هيكلنا وأُمّتنا"، فقال واحدٌ منهم وهو قيافا الذي كان رئيس الكهنة في تلك السّنة: "أنتم لا تعرفون شيئًا، ولا تفهمون أنّ موت رجلٍ واحدٍ فِدَى الشّعب خيرٌ لكم من أن تهلك الأُمّة كلّها؟"، وما قال قيافا هذا الكلام من عنده، بل قاله لأنّه رئيس الكهنة في تلك السّنة، فتنبّأ أنّ يسوع سيموت فِدَى الأُمّة، ولكن لا فِدَى الأُمّة فقط، بل يموت ليجمع شمْل أبناء الله. فعزموا من ذلك اليوم على قتْل يسوع، فما عاد يظهر بين اليهود، بل ذهب من هناك إلى ناحيّة قريبة من الصّحراء، إلى مدينة اِسمها أفرايم، فأقام فيها مع تلاميذه، واقترب الفِصح عند اليهود، فصعد كثيرٌ من أهالي القُرى إلى أورشليم ليقوموا بفريضة الإِطّهار قبل الفصح، وكانوا يبحثون عن يسوع ويسأل بعضهم بعضًا في الهيكل: "ما رأيكم؟، أيجيء إلى العيد أمْ لا يجيء؟"، وكان رؤساء الكهنة والفرّيسيون أمرُوا بأنّ على كلّ مَن يعرف أين هو أن يخبِر عنه ليقتلوه]. (يوحنّا: 11/ 45-56، متّى: 26/ 01-05، لوقا: 22/ 01-02)، وهذا يدلُّ على حسدهم له وبُغضهم لرسالته وتعاليمه الرَّبَّانيّة؛ لذلك واجهُوه وحاولوا جاهدين القضاء عليه وعلى دعوته الجديدة؛ لأنّه جاءهم بما يُخالف أهواءهم ورغباتهم الحسِّيَّة، وبما لا يروق لهم من مواعظ وتعاليم روحيّة.

ثالثًا- خِيانة يَهُوذا الإسخريُوطي ليسوع: يهوذا الإسخريوطي هو أحد التّلاميذ الاثنيْ عشر* الذين اصطفاهم المسيح ﷺ لنفسه، فأصبحوا مقرّبين منه، يصطحبهم في كلّ مرّة أين ما ذهب، وبذلك تبوَّؤوا مكانة خاصّة عنده، وهم الحواريون الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم، قال تعالى في حقّهم: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾. (آل عمران: 52-53)، وقال أيضًا: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١﴾ . (المائدة: 111)، وبالرّغم من هذه القُربى التي اختصّوا بها، فإنّ يهُوذا الإسخريوطي لم يُقدِّر تلك المنزلة، فباع مُعلِّمه بأبخس ثَمَنٍ، وبيان ذلك: **[وفي ذلك الوقت ذهب أحد التّلاميذ الاثنيْ عشر؛ وهو يهوذا المُلقّب بالإسخريوطي، إلى رؤساء الكهنة وقال لهم: "ماذا تعطوني لأُسلّمه إليكم يسوع؟"، فوعدوه بثلاثين من الفِضّة، وأخذ يهوذا من تلك السّاعة يترقّب الفرصة ليُسلّمه يسوع]**. (متّى: 26/ 14-16، مرقس: 14/ 10-11، لوقا: 22/ 03-06)، فأيّ تلميذٍ هذا الذي فعل بأُستاذه وشيخه مثل هذا الفعل الشّنيع الذي لا يُغتفَر لمَن هو في مثل مرتبتِه.

رابعًا- العشاء الأخير ** **مع التّلاميذ**: العشاء الأخير هو آخر عشاء تناوله يسوع في حياته مع تلاميذه، حيث حدث ذلك في أوّل يوم من أيّام عيد الفطير (عيد الفِصح)، قُبيل القبض عليه ببعض اللّحظات، وهذه قصّته: **[وفي أوّل يوم من الفطير، وفيه يُذبَح حَمَلُ الفصح، قال له تلاميذه: "إلى أين تريد أن نمضِي فنُعدّ لك لتأكل الفصح؟"، فأرسل اثنيْن من تلاميذه وقال لهما: "اذهبا إلى المدينة، فيلقاكما رجلٌ يحمل جرّة ماء فاتّبعاه، وحيثما دخل فقولا**

---

*أسماء التّلاميذ الاثنيْ عشر: سِمْعَان المدعو بطرس، أندراوس أخو سمعان، يعقوب ويوحنّا ابنا زبدي، فيلبس، برثولماوس، توما، متّى العشّار، يعقوب بن حلْفَى، لبّاوس المدعو تداوس، سِمعان القانوني، يهوذا الإسخريوطي. (متّى: 10/ 02-04)

** العشاء الأخير أو ما يسمّى بـ: الأفخارستيا؛ من اليونانيّة وتعني؛ الشّكر، ويدلّ هذا المفهوم على التّعبير عن عرفان الجميل عند من قبل عطيّة ثمينة، وفي المعنى الكنسي تعني الأفخارستيا "جسد المسيح" تحت الشّكل المنظور للخبز والخمر، وتتأصّل هذه الحقيقة في العشاء السّري أو العشاء الأخير (لوقا: 19/22، مرقس: 22/14) فمن كلماته بالذّات يعطي المسيح جسده مأكلًا ودمه مشربًا تحت أشكال الخبز والخمر الملموسين، وهذا الطّعام الذي قدّمه المسيح في العشاء الأخير هو جسده المصلوب، وعند أكله يُعْلَن عن موت المسيح مع فعاليته الخلاصية للاتّحاد معه وتأليف جماعة واحدة متآلفة، وتقوم به الكنيسة لأجل إحياء هذه الذّكرى الأليمة. (السّحمراني أسعد وآخرون: **موسوعة الأديان (الميسّرة)**، ص97).

لربّ البيت: يقول المعلّم: أين غرفتي التي آكل فيها الفصح مع تلاميذي؟، فيريكما عُلّيّة كبيرة مفروشة مُهيّأة، فأعدّاه لنا هناك"، فذهب التّلميذان وأتيا المدينة، فوجدا كما قال لهما وأعدّا الفصح، ولمّا كان المساء، جاء مع الاثنيْ عشر، وبينما هم جالسون إلى المائدة يأكلون، قال يسوع: "الحقّ أقول لكم: إنّ واحدًا منكم سيُسْلمُني، وهو يأكل معي"، فأخذوا يشعرون بالحزن ويسألونه الواحد بعد الآخر: "أَأَنا هو؟"، فقال لهم: "إنّه واحد من الاثنيْ عشر، وهو يغمِسُ يده في الصّحفة معي، فابن الإنسان ماضٍ كما كُتِب في شأنه، ولكن الويل لذلك الإنسان الذي يُسلَم ابنَ الإنسان عن يده، فلو لم يولَد ذلك الإنسان لكان خيرًا له". وبينما هم يأكلون، أخذ خبزًا وبارك، ثمّ كسره وناولهم وقال: "خذوا، هذا هو جسدي"، ثمّ أخذ كأسًا وشكر وناولهم، فشربوا منها كلّهم، وقال لهم: "هذا هو دمي، دم العهد يُرَاق من أجل جماعة النّاس، الحقّ قول لكم: لن أشرب بعد الآن من عصير الكرمة، حتّى ذلك اليوم الذي فيه أشربه جديدًا في ملكوت الله"، ثمّ سبّحوا وخرجوا إلى جبل الزّيتون]. (مرقس: 14/ 12-26، متّى: 26/ 17-30، لوقا: 22/ 07-23).

خامساً- القبض على يسوع واعتقاله: بعد أن تناول يسوع العشاء الأخير مع التّلاميذ، وصلّى في موضع يُقَال له: جتسماني، جاءته عصابة برفقة يهُوذا وقبَضَت عليه وقادته إلى دار رئيس الكهنة، حيث جاء في الأناجيل: **[وبينما يسوع يتكلّم وصل يهوذا، أحد التّلاميذ الاثنيْ عشر، على رأس عصابة كبيرة تحمل السّيوف والعِصيّ؛ أرسلَهَا رؤساء الكهنة وشيوخ الشّعب. وكان الذي أسلمه أعطاهم علامة، قال: "وهو الذي أُقبّلُه فأمسكُوه"، ودنا يهوذا في الحال إلى يسوع وقال له: "السّلام عليك، يا معلّم!" وقبّله، فقال له يسوع: "إفعل ما جئتَ له، يا صاحبي!"، فتقدّموا وألقوا عليه الأيدي وأمسكوه، ومدّ واحدٌ من رِفاق يسوع يده إلى سيفه واستلّه وضرب خادم رئيس الكهنة، فقطع أُذنه، فقال له يسوع: "رُدّ سيفك إلى مكانه، فمَنْ يأخذ بالسّيْف، بالسّيْف يهلك، أتظنّ أنّي لا أقدِر أن أطلُب إلى أبي، فيرسل لي في الحال أكثر من اثنيْ عشر جيشًا من الملائكة؟، ولكن كيف تتمّ الكُتُب المقدّسة التي تقول: إنّ هذا ما يجب أن يحدث؟". وقال يسوع للمُقبِلين عليه من رؤساء الكهنة وقادة حرَس الهيكل والشّيوخ: "أعَلَى لصّ خرجتم بسيوفٍ وعِصيّ؟، كنتُ كلّ يوم بينكم في الهيكل، فما مددتم أيديكم عليّ، والآن هذه ساعتكم، وهذا سُلطان الظّلام"، فقبضوا عليه وأخذوه وحملوا به إلى دار رئيس الكهنة، وكان بُطرس يتبعه عن بُعد]**. (متّى: 26/ 47-56، مرقس: 14/ 43-52، لوقا: 22/ 47-54، يوحنّا: 18/ 01-14).

سادساً- محاكمة يسوع بين اليهود وبيلاطس:

اقتربت نهاية يسوع فاقتيد إلى مجلس الحُكم اليهودي ليتمّ استجوابه، فكيف جرت أحداث مُحاكمته؟، تُجِيبُنا الأناجيل عن ذلك، فتقول:

[فالذين أمسكوا يسوع أخذوه إلى قيافا رئيس الكهنة،[1] وكان معلّمو الشّريعة والشّيوخ مجتمعين عنده، وتبعه بطرس عن بُعد إلى دار رئيس الكهنة، فدخل وقعد مع الحرس ليرى النّهاية. وكان رؤساء الكهنة وجميع أعضاء المجلس يطلبون شهادة زور على يسوع ليقتلوه، فما وجدوا، مع أنّ كثيرًا من شهود الزّور تقدّموا بشهاداتهم، ثمّ قام شاهدان وقالا: "هذا الرّجل قال: أقدِر أنْ أهدِم هيكل الله وأَبْنِيه في ثلاثة أيّام"، فقام رئيس الكهنة وقال ليسوع: "أَمَا تجيب بشيء؟، ما هذا الذي يشهدان به عليك؟"، فظلّ يسوع ساكتًا، فقال له رئيس الكهنة: "استحلفك بالله الحيّ أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟"، فأجابه يسوع: "أنت قلْتَ، وأنا أقول لكم: سترون بعد اليوم ابن الإنسان جالسًا عن يمين الله القدير وآتيًا على سحاب السّماء!"، فشقّ رئيس الكهنة ثيابه وقال: "تجْدِيفٌ، أنحتاجُ بعدُ إلى شهود؟، ها أنتم سمعتم تجديفه، فما رأيكم؟"، فأجابوه: "يستوجِب الموت!". فبصقوا في وجه يسوع ولطموه، ومنهم مَن لكمه وقالوا: "تنبّأ لنا، أيّها المسيح مَن ضربك!"... . ولمّا طلع الصّبح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشّعب على يسوع ليقتلوه، ثمّ قيّدوه وأخذوه وأسلموه إلى الحاكم بيلاطس. وقف يسوع أمام الحاكم، فسأله الحاكم: "أَأَنت ملك اليهود؟"، فأجابه يسوع: "أنت قلت"، وكان رؤساء الكهنة والشّيوخ يتّهمونه* فلا يجيب بشيء، فقال له بيلاطس: "أَمَا تسمع ما يشهدون به عليك؟"، فما أجابه يسوع

[1]- في إنجيل يوحنّا: أنّهم أخذوه أوّلًا إلى حنَّان حمو قيافا، وحنان أرسله موثّقًا إلى قيافا. (يوحنّا: 18/ 12)، ويقول الشّيخ أحمد ديدات معلِّقًا على وقائع المُحاكمة: "كان اليهود يتعجَّلون أقصى استعجال للتّخلُّص من يسوع، ولنتذكّر عقد المحكمة بعد منتصف اللّيل، وفي الصّباح الباكر يجرُّونه إلى بيلاطس، ومن بيلاطس إلى هيرود، ومن هيرود إلى بيلاطس مرّة ثانية، ووِفقًا لما ذكره المُبشّر الأمريكي المُغامر، كانت هنالك ستّ محاكمات خلال اثنتيْ عشرة ساعة، وفي غضون هذا الوقت المشحون في مدينة أورشليم أيّام عيد الفِصح لدى اليهود، نعرف من روّاة الإنجيل أنّ وجوه القوم كانت تتحرَّق شوقًا إلى مُلاقاة يسوع، بالضّبط كما يحدث خلال فيلم مثير تعلو خلاله صيحات: هيّا..أسرع..أسرع". (أحمد ديدات: **مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء**، ص68).

* من بين تلك التّهم التي وجّهها اليهود ليسوع: أنّه يثير الفتنة بين الشّعب، ويمنعه أن يدفع الجزية لقيصر، ويدّعي أنّه المسيح الملك. (لوقا: 23/ 02)، وأنّه زعم أنّه ابن الله. (يوحنّا: 19/ 07)، وهذه بعض التّهم التي تفسّر العلاقة بين عيسى عليه السلام وبين اليهود التي أشرنا إليها سابقًا.

عن شيء، حتّى تعجّب الحاكم كثيرًا.[1] وكان من عادة الحاكم في كلّ عيد أنْ يُطلق واحدًا من السُّجناء يختاره الشّعب، وكان عندهم في ذلك الحين سجينٌ شهير اسمه يشوع باراباس، فلمّا تجمهر النّاس سألهم بيلاطس: "مَن تريدون أن أُطلِق لكم: يشوع باراباس أم يسوع الذي يقال له المسيح؟"، وكان بيلاطس يعرف أنّهم من حسدهم أسلموا يسوع. وبينما بيلاطس على كرسيّ القضاء، أرسلت إليه امرأته تقول: "إيّاك وهذا الرّجل الصّالح، لأنّي تألّمت اللّيلة في الحُلم كثيرًا من أجله"، لكنّ رؤساء الكهنة والشّيوخ حرّضوا الجُمُوع على أنْ يطلبوا باراباس ويقتلوا يسوع، فلمّا سألهم الحاكم: "أيّهما تريدون أنْ أُطلق لكم؟"، أجابوا: "باراباس!"، فقال لهم بيلاطس: "وماذا أفعل بيسوع الذي يقَال له المسيح؟"، فأجابوا كلّهم: "اصلبه!"، قال لهم: "وأيّ شرّ فعل؟"، فارتفع صياحهم: "اصلبه". فلمّا رأى بيلاطس أنّه ما استفاد شيئًا، بل اشتدّ الاضطراب، أخذ ماءً وغسل يديه أمام الجُمُوع وقال: "أنا بريء من دم هذا الرّجل!، دبّروا أنتم أمره"، فأجاب الشّعب كلّه: "دمه علينا وعلى أولادنَا!"، فأطلق لهم باراباس، أمّا يسوع فجلده وأسلمه ليُصلب].* (متّى: 26/ 57-75، 27/ 01-26، مرقس: 14/ 53-72، 15/ 01-15، لوقا: 22/ 63-71، 23/ 01-25، يوحنّا: 18/ 12-40، 19/ 01-16)، وفي هذه القضيّة يجد بيلاطس أنّ يسوع ليس مُذنبًا، لكنّ أعداء يسوع الحاقدين يلجؤون إلى المساومة والابتزاز مع بيلاطس، ومع أنّ هذا الرَّجل كان يُحاذر أنْ يصدق على حكم الإعدام على أحد الرّعايا الأبرياء غير الضّارين، ورغم توسّل زوجته العزيزة، فإنّه لم يستطع أن يتغلَّب على ضغط اليهود، وأُجبر على أنْ يستسلم لصياح اليهود خارج القصر، والمُلاحظ أيضًا أنَّ صوت المتحمّسين للإنجيل يتغنّون ويصيحون بأنّ يسوع أُقتيد إلى الصّليب كشاة تُساق إلى الذّبح، وكنعجة صامتة أمام جازِزِيها، فلم يفتح فاه ولم ينطق مُدافعًا عن نفسه، ولكنّنا نحن المُسلمين نحاذرُ أنْ نصدِّق أنّه عليه السلام قد انغمس في لعبة

---

[1]- في لوقا: أنّ بيلاطس لمّا علم أنّ يسوع من ولاية هيرودس أرسله إليه ففرح به، ثمّ سأله أسئلة كثيرة فلم يجب عنها، فأهانه واستهزأ به وألبسه ثوبًا برّاقًا ثمّ ردّه إلى بيلاطس. (لوقا: 23/ 06-12)، وفي يوحنّا: أنّ يسوع لمّا سأله بيلاطس عن فعلته المتَّهم بها، قال له: "ما مملكتي من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم؛ لدافَعَ عنّي أتباعي حتّى لا أُسلَمَ إلى اليهود، لا ما مملكتي هنا". (يوحنّا: 18/ 36)، وفيه أيضًا: أنّ بيلاطس قال ليسوع: "أَلَا تجيبني؟، أَلَا تعرف أنّ لي سلطة أنْ أُخلّي سبيلك وسلطة أنْ أصلبك؟"، فأجابه يسوع: "ما كان لك سلطة عليّ، لولا أنّك نِلتها من الله، أمّا الذي أسلمني إليك، فخطيئته أعظم من خطيئتك". (يوحنّا: 19/ 10-11)، وفيه أيضًا: أنّ بيلاطس قال لليهود: "أَأَصلب ملككم؟"، فأجابه رؤساء الكهنة: "لا ملك علينا إلّا القيصر". (يوحنّا: 19/ 15).

* وكان هذا يوم الجمعة وقت الظّهيرة. (يوحنّا: 19/ 14).

"الكلام مع خفاء مصدر الصَّوت"، لقد فتَح عيسىﷺ فمه مرَة إثر مرَّة أثناء محاكمته وِفقًا "للوثائق المكتوبة".[1]

سابعًا- صلب يسوع وموته: تمّت المُحاكمة باتّفاق، وها هو يسوع يُقتَادُ ليُصلب: **[فأخذ جنود الحاكم يسوع إلى قصر الحاكم وجمعوا الكتيبة كلّها، فنزعوا عنه ثيابه وألبسوه ثوبًا قِرمِزيًّا، وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه، وجعلوا في يمينه قصبة، ثمّ ركعوا أمامه واستهزؤوا به، فقالوا: :السّلام عليك يا ملك اليهود!"، وأمسكُوا القصبة وأخذوا يضربونه بها على رأسه وهم يبصقون عليه، وبعدما استهزؤوا به نزعوا عنه الثّوب القِرمِزي، وألبسوه ثيابه وساقوه ليُصلب. وبينما هم خارجون من المدينة صادفوا رجلاً من قيرين اسمه سمعان، فسخّروه ليحمل صليب يسوع،[2] ولمّا وصلوا إلى المكان الذي يقَال له: الجُلجُثة؛ أي "موضع الجُمجُمة" أعطوه خمرًا ممزوجة بالمُرّ، فلمّا ذاقها رفض أن يشربها، فصلبوه[3] واقترعوا على ثيابه واقتسموها، وجلسوا هناك يحرسونه، ووضعوا[4] فوق رأسه لافتة مكتوبًا فيها سببُ الحُكم عليه: "هذا يسوع ملك اليهود"،[5] وصلبوا معه لصّين، واحدًا عن يمينه وواحدًا عن شماله، وكان**

---

[1]- أحمد ديدات: **مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء**، ص62، 64.

[2]- في يوحنّا: أنّ يسوع هو الذي حمل الصّليب بنفسه. (يوحنّا: 19/ 17)، وفي لوقا: تبعه جمهورٌ كبير من الشّعب، ومن نساء كُنّ يلطمن صدورهن وينُحْنَ عليه، فالتفت يسوع إليهنّ وقال: "لا تبكين عليّ يا بنات أورشليم، بل ابكين على أنفسكنّ وعلى أولادكنّ، ستجيء أيّام يقال فيها: هنيئا للّواتي ما حبلْن ولا ولدْن ولا أرضعْن، ويقَال للجبال: أسقُطي علينا، وللتّلال: غطّينا، فإذا كانوا هكذا يفعلون بالغُصن الأخضر، فكيف تكون حالة الغصن اليابس؟". (لوقا: 23/ 27-31).

[3]- في مرقس: تمّ صلبه في السّاعة التّاسعة صباحًا. (مرقس: 15/ 25)، يقول أحمد ديدات: "إنّ اليهود والرُّومان قد نجحوا في وضع يسوع على الصّليب السّاعة 6 وهي تعني 12 ظهرًا، وعند السّاعة 9 وهي تقابل السّاعة 3 كان قد أسلم الرُّوح؟". (أحمد ديدات: **مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء**، ص70).

[4]- في يوحنّا: أنّ بيلاطس هو الذي علّق على الصّليب لوحة مكتوبًا فيها: "يسوع النّاصري ملك اليهود"، فقال له رؤساء كهنة اليهود: "لا تكتب: ملك اليهود، بل أكتب: هذا الرّجل قال: "أنا ملك اليهود!""، فقال بيلاطس: "ما كتبته كتبته". (يوحنّا: 19/ 19-22).

[5]- يُلاحظ اختلاف بيّن في الأناجيل الأربعة بخصوص العنوان الذي كتبه بيلاطس ووضعه على الصّليب؛ في الأوّل (متّى): "هذا هو يسوع ملك اليهود"، وفي الثّاني (مرقس): "ملك اليهود"، وفي الثّالث (لوقا): "هذا هو ملك اليهود"، وفي الرّابع (يوحنّا): "يسوع النّاصري ملك اليهود". (رحمت الله الهندي: **إظهار الحقّ**، ج01، ص124)، ويرمز لهذه العبارة في الفكر المسيحي بـ: كلمة (INRI)؛ وهي كلمة مؤلّفة من الأحرف الأولى لأربع كلمات هي: (IESUS NAZARENUS REX IUDAEORUM)؛ وتعني: "يسوع النّاصري ملك اليهود"، وهذه اللّوحة موجودة اليوم في كنيسة Santa Croce بروما. **(لماذا لم يُسمّر اللّصّان وسُمِّر السّيّد المسيح على الصَّليب؟**، موقع صوت المسيحي الحرّ: https://www.light-dark.net/t1471212، تاريخ النّشر: 02 ماي 2019م، تاريخ التّصفّح: 21 جويلية 2020م).

المارّة يهزّون رؤوسهم ويشتمونه ويقولون: "يا هادم الهيكل وبانيه في ثلاثة أيّام، إنْ كنتَ ابن الله، فخلِّص نفسك وأنزل عن الصّليب". وكان رؤساء الكهنة ومعلّمو الشّريعة والشّيوخ يستهزئون به، فيقولون: "خلَّصَ غيره، ولا يقدِر أن يخلّص نفسه!، هو ملك إسرائيل، فلينزل الآن عن الصّليب لنؤمن به!"، توكّل على الله وقال: "أنا ابن الله، فلينقذه الله الآن إنْ كان راضيًا عنه"، وعيّره اللّصّان المصلوبان معه أيضًا، فقالا مثل هذا الكلام.[1] وعند الظّهر خيّمَ على الأرض كلّها ظلامٌ حتّى السّاعة الثّالثة، ونحو السّاعة الثّالثة صرخ يسوع بصوتٍ عظيم: "إيلي إيلي لما شبقتاني؟"؛ أي: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟"، فسمِعه بعض الحاضرين هناك، فقالوا: "ها هو ينادي إيليّا!"، وأسرع واحدٌ منهم إلى إسفنجة، فبلّلها بالخلّ ووضعها على طرف قصبة ورفعها إليه ليشرب، فقال له الآخرون: "انتظر لنرى هل يجيء إيليّا ليُخلّصه؟"، وصرخ يسوع مرّة ثانيّة صرخة قويّة وأسلم الرّوح. فانشقّ حجاب الهيكل شطْرين من أعلى إلى أسفل، وتزلزلت الأرض، وتشقّقت الصّخور، وانفتحت القبور، فقامت أجساد كثيرةٌ من القدّيسين الرّاقدين، وبعد قيامة يسوع، خرجوا من القبور ودخلوا إلى المدينة المقدّسة وظهروا لكثير من النّاس. فلمّا رأى القائد وجنوده الذين يحرسون يسوع الزّلزال وكلّ ما حدَث، فزعوا وقالوا: "بالحقيقة كان هذا الرّجل ابن الله!"، وكان هناك كثيرٌ من النّساء ينظُرْن من بُعد، وهُنّ اللّواتي تبعْن يسوع من الجليل ليخدمنه، فيهنّ مريم المجدليّة، ومريم أم يعقوب ويوسف، وأُمّ ابنيْ زَبَدي][2]. (متّى: 27/ 27-56، مرقس: 15/ 16-41، لوقا: 23/ 26-49، يوحنّا: 19/ 17-37).

---

[1]- في لوقا: أنّ أحد المجرميْن المعلّقيْن على الصّليب أخذ يشتم يسوع ويقول له: "أمَا أنت المسيح؟، فخلِّص نفسك وخلّصنا!"، فانتهره المجرم الآخر قائلًا: "أمَا تخاف الله وأنت تتحمّل العقاب نفسه؟، نحن عقابنا عدْلٌ، نلنا جزاء أعمالنا، أمّا هو فما عمل سُوءًا"، وقال: "أذكرني يا يسوع، متى جئتَ في ملكوتك"، فأجاب يسوع: "الحقّ أقول لك: ستكون اليوم معي في الفردوس". (لوقا: 23/ 39-43)، وفي يوحنّا: وهناك عند صليب يسوع وقفت أمّه، وأخت أمّه مريم زوجة كِلوبا، ومريم المجدلية، ورأى يسوع أمّه وإلى جانبها التّلميذ الحبيب إليه، فقال لأمّه: "يا امرأة، هذا ابنك"، وقال للتّلميذ: "هذه أمّك"، فأخذها التّلميذ إلى بيته من تلك السّاعة. (يوحنّا: 19/ 25-27).

[2]- في يوحنّا: كان ذلك يوم التّهيئة للسّبت، فطلب اليهود من بيلاطس أن يأمر بكسر سِيقان المصلوبين وإنزال جثثهم عن الصّليب لئلّا تبقى يوم السّبت، وخصوصًا أنّ ذلك السّبت يوم عظيم، فجاء الجنود وكسروا ساقيْ الأوّل والآخِر المصلوبيْن مع يسوع، ولمّا وصلوا إلى يسوع وجدوه ميّتًا، فما كسروا ساقيْه، ولكنّ أحد الجنود طعنه بحِربة في جنبه، فخرج منه دمٌ وماء، والذي رأى هذا يشهد به وشهادته صحيحة، ويعرف أنّه يقول الحقّ حتّى تؤمنوا مثله، وحدث هذا ليتمّ قول الكتاب: "لن ينكسر له عظم"، وجاء في آية أخرى: "سينظرون إلى الذي طعنوه". (يوحنّا: 19/ 31-37).

الشّكل02: (صورة للمسيح وهو حاملٌ صليبه في طريقه للصّلب)

الشّكل03: (صورة للنّسوة وهنّ حول المسيح وهو على الصّليب)

وقائع صلب المسيح عند النَّصارى

الشّكل04: (صورة للنّسوة وهُنّ يبكين المسيح المَصلُوب)

الشّكل05: (صورة للمسيح المصلُوب وهو يتوسّط اللّصّين المصلوبين معه)

الشّكل06: (صورة للمسيح المصلُوب وقد أسلم الرّوح)

الشّكل07: (صورة للجندي الرُّوماني وهو يطعن المسيح بالحربة بعد موته)

وهكذا –في اعتقاد النّصارى– انتهت حياة السّيّد المسيح عليه السلام الأولى على الأرض، مرورًا بالمراحل التي رويناها في الفقرات السّابقة من مصادرها؛ المتمثّلة في النّصوص الإنجيليّة المقدّسة؟!!!، التي أثبتت تترًا صلب عيسى عليه السلام وموته، وقد سردنا تفاصيل قصّة الصّلب كما جاءت في الأناجيل الأربعة متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا، حفاظًا على أصلها المتشابه في هذه الأناجيل على اعتبار أنّها مصدرٌ لقصّة صلب المسيح، وأيضًا حتّى نُعرِّف القارئ وخاصّة المسلم بهذه العقيدة المخالفة لما يؤمن به.

والنّصارى (المسيحيون) برُمّتهم يؤكّدون وقوع حادثة الصّلب، ويقدّمون لها تبريرًا مستقى من أدبياتهم وخاصّة من رسائل[1] بولس الرّسول، مفاده: أنّ المسيح عليه السلام صُلب فداءً للبشريّة من الخطيئة التي ارتكبها أبوهم آدم عليه السلام حينما أكل من شجرة الجنّة التي نهاه الله عزّ وجلّ عن الأكل منها، فانتقلت تلك الخطيئة إلى ذرّيته عن طريق الوراثة، وأغضبت الله عزّ وجلّ؛ الذي فكّر في حمْل الخطيئة على نفسه، ليُجدّد صِلة المحبّة التي قطعت الخطيئةُ حبْلها، فأوجبت رحمة الأب أن يرسل ابنه المسيح لتحمُّل العقوبة المستحقّة عن خطايا البشر، وبصلبه تكفيرًا عن خطاياهم تكتمل مهمّة الابن، وبموته على الصّليب عوّض الله عن الخطيئة التي أوقعها آدم، فالصّلب نصرة للإله؛ إذا أظهر الصّليب صفات العظمة والرّحمة والمحبّة، ونصرة للمسيح لقيامه بذلك العمل العظيم، ونصرة للبشر لخلاصهم من الخطيئة، وتمتّعهم بالفداء الكامل، والشّفاء من داء الخطيئة، ونصرة للأرض لتطهيرها من اللّعنة التي سقطت عليها، ونصرة على الشّيطان بطرده من السّماوات إلى الهاوية المتّقدة بالنّار، وبذلك تمّت المصالحة بين الله والبشر بالرّغم من كثرة خطاياهم، وافتداهم يسوع المسيح بدمه.[2]

فعقيدة الصّلب عقيدة مهمَّة في الفكر المسيحي، بل هي أساس العقائد لدى المسيحيين، فلا يكتمل إيمان أحد منهم إلّا بالإيمان بها واعتقادها، وذلك نظرًا لموقعها

---

[1]– من النّصوص التي تبيّن أنّ الصّلب كان تكفيرًا للخطيئة وللخلاص والفداء:
[الله الذي ما بخل بابنه، بل أسلمه إلى الموت من أجلنا جميعًا...]. (رومية: 08/ 32)، **[مات المسيح من أجل الخاطئين في الوقت الذي حدّده الله... ولكنّ الله برهن عن محبّته لنا بأنّ المسيح مات من أجلنا ونحن بعد خاطئون]**. (رومية: 05/ 06–08)، **[...أنّ المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب]**. (كورنثوس01: 01/ 03).

[2]– منسّى يوحنّا: **يسوع المصلوب**، ص185.

عندهم، ونظرًا لما حقَّقته من آمال في نظرهم، وهذا هو معتقد جميع الكنائس المسيحيّة في العالم، يقول جوردن مولتان:

"إنّ وفاة عيسى على الصّليب هي عصب كلّ العقيدة المسيحيّة، وإنّ كلّ النّظريات المسيحيّة عن الله، وعن الخليقة، وعن الخطيئة، وعن الموت؛ تستمدّ محورها من المسيح المصلوب"،[1] وهذا القول يدلّ على أهمّيّة هذه العقيدة في الفكر المسيحي الحديث، بل إنّ الدّيانة المسيحيّة كلّها تقوم على الفداء والخلاص*الذي ينبع من ذكرى صلب المسيح، وبها أصبح للصّليب مكانة مرموقة عند المسيحيين باتّخاذه شعارًا أو رمزًا لديانتهم.

بعد هذا العرض المفصّل لقصّة (عقيدة) الصّلب كما يعتقدها ويؤمن بها النّصارى (المسيحيون) وما يلحقها من اعتقادات أخرى مرتبطة بها، فلا مناص من تقديم نقد مختصرٍ لها.

فإذا كانت الدّيانة النّصرانيّة في أصلها ديانة سماويّة، فإنّ العقل السّليم يستبعد منذ الوهلة الأولى أنْ يكون المسيح عيسى عليه السلام قد جاء بمثل هذه العقيدة (الصّلب)، أو أنّ الله تعالى قد أوحى إليه بها لينقُلها للنّاس حتّى يؤمنوا بها، فمن أين تسلّلت هذه العقيدة وتوابعها لهذه الدّيانة؟.

إجابة على هذا السّؤال الوجيه، يعقِد صاحب كتاب (العقائد الوثنيّة في الدّيانة النّصرانيّة) فصلًا كاملا من كتابه بخصوص هذا الشّأن، يقارن فيه بين الصّلب عند الوثنيين والصّلب عند المسيحيين، فيستعرض أحداث الصّلب التي وقعت لإلهٍ أو لشخصٍ

---

[1]– منقذ بن محمود السقار: **هل افتدانا المسيح على الصّليب**، ص22.

* الخلاص من أهمّ العقائد المسيحيّة؛ ومعناه تحرير الإنسان الكامل من دَيْن الخطيئة ومرضها وسلطانها، واستعبادها نفسًا وروحًا وجسدًا، والأخذ بيده حتّى يقف أمام الله في كمال البرّ والقداسة والمجد والعزّة والبهاء إلى أبد الآبدين، وهو –أي الخلاص– يقوم أساسًا على الفداء؛ إذ هو الحقيقة العمليّة لرفع الخطيئة كدَيْن وكفساد عن الجنس البشري، وأيّة نظريّة لا تقوم على هذين الوضعيْن تعتبر نظريّة باطلة وغير سليمة، والطّريق الوحيد لنيْل الخلاص وإقامة علاقة صحيحة مع الله؛ هو الإيمان القلبي بما قدّمه يسوع المخلّص على الصّليب، ليخلّص شعبه من الموت والهلاك الأبدي نتيجة الخطيئة الأولى التي دخلت إلى العالم، وهذا الخلاص لم يكن أمرًا طارئًا، بل هو ترتيب إلهيّ أزلي، فمَن آمن واعتمد (أي عُمِّد) خُلِّص وكان من المباركين، ومَن لم يؤمن يُدَن. (إلياس مقار: **إيماني أو القضايا المسيحيّة الكبرى**، ص388، 396، ومكرم نجيب: **تأكيد الخلاص**، ص03).

ذي مكانة بالغة عند جملة من الأمم الوثنيّة كالرّومانيين واليونانيين والمصريين والهنود والفرس والمكسيين، ثمّ يستعرض تلك الأحداث والأحداث التي مرّ بها المسيح عند صلبه كما ترويها الأناجيل، مقارنًا بينهما؛ أي بين أحداث الصّلب عند الوثنيين، وأحداث الصّلب عند النّصارى، والذي كان من أجل فداء البشريّة من خطيئة لحقت بهم، وذلك تخليصًا لهم منها عند كليْهما، فيصل إلى نتيجة مفادها: نقل النّصرانيّة عن تلك الأمم والدّيانات عقيدة الصّلب، نظرًا للتّشابه الكبير الحاصل بينهما بخصوص هذه العقيدة أو المسألة،[1] الأمر الذي يوحي لنا دون أدنى ريب ولا شكّ، أنّ النّصارى (المسيحيين) قد تأثّروا تأثّرًا كبيرًا بالأمم التي عاشوا بينها أو جاوروها أو كان لهم اتّصال بها بأيّ شكل من الأشكال، فموت الإله تكفيرًا عن الخطايا إذن عقيدة وثنيّة قديمة قِدم التّاريخ، دخيلة عن النّصرانيّة، لم يأت بها المسيح عليه السلام ولم يقُل بها وهو بريء منها، بل إنّها تبلورت بعد نهاية مهمّته على الأرض، حيث أثبتتها الأناجيل التي كتبت بعد رفعه إلى السّماء، وأكّدها بولس في رسائله التي ظهرت بعد الأناجيل.

وقد سرَتْ عقيدة موت الإله إلى بعض الفلاسفة في العصر الحديث كالفيلسوف الألماني نيتشه (1844–1900م) الذي قال صراحة بقضيّة موت الإله ودافع عنها في بعض مؤلّفاته؛* فقد ورد في كتاب (العلم المرح) النّصّ الآتي:

"أمَا سمعتم بذلك الرّجل الأخرق الذي بعد أنْ أوقَدَ فانوسه في وضح النّهار، صار يجري في ساحة السُّوق ويصيح دون توقُّف: "أبحث عن الإله!، أنا أبحث عن الإله!"، ولمّا كان كثير ممَّن لا يؤمنون بالإله متواجدون هناك بالضّبط فقد أثار ضحكًا كثيرًا: "هل فقدناه؟"، قال أحدهم: "هل شرد مثل طفل؟"، قال آخر: "أم هل يختفي في مكان ما؟، هل هو خائف منّا؟، هل أبحر؟، هل هاجر؟"، هكذا كانوا يصيحون ويضحكون جميعًا في ذات الوقت، سارع الأخرق إلى وسطهم واخترقهم بنظراته، "أين الإله؟" صاح فيهم، أنا سأقوله لكم! لقد قتلناه–أنتم وأنا! نحن كلّنا هم قتلته! ولكن كيف فعلنا ذلك؟، كيف استطعنا أن

[1]– محمّد بن طاهر التّنير البيروتي: **العقائد الوثنيّة في الدّيانة النّصرانيّة**، ص74–83.

* من بين الكُتب التي تحدّث فيها نيتشه عن موت الإله إضافة إلى الكتاب المذكور: هكذا تكلّم زرادشت، غسق الأوثان، نقيض المسيح، ديوان نيتشه... وغيرها.

نفرِّغ البحر مَن أعطانا الإسفنجة لمحْوِ الأُفق كلّه؟، ماذا فعلنا بإبعادنا الأرض عن شمسها؟، إلى أين تسير الآن؟، إلى أيّ شيء تقودنا حركتها؟، أبعيدًا عن كلّ الشّموس؟، ألم نندفع في منحدر طويل؟، وذلك إلى الخلف، إلى الجانب، إلى الأمام، إلى كلّ الجوانب؟، أما يزال هناك أعلى وأسفل؟، ألسْنا نتيهُ كما لو عبْر عدم مطلق؟، ألا نحسُّ نفس الفراغ؟، أليس الجوّ أبرَدَ ممّا كان؟، أليس الوقتُ ليلًا باستمرار ويصير ليلًا أكثر فأكثر؟، ألا يجب أنْ نوقِد الفوانيس منذ الصّباح؟، ألا نسمع شيئًا بعدُ من ضوضاء الرَّمَّاسين الذين دفنوا الإله؟، ألا نشمُّ شيئًا أيضًا من التّدعّص الإلهي؟، فالآلهة أيضًا تتدعّص!، مات الإله ويظلّ الإله ميّتًا! ونحن هم الذين قتلناه! كيف سنُعزّي أنفسنا نحن أكبر القتلة؟، إنّ أقدس وأقوى ما ملك العالم إلى الآن قد نزَف دمه بطعنات مُدَانَا...ويُحكى أيضًا أنّ الرّجل الأخرق دخل في نفس اليوم مختلف الكنائس...، ولمّا طُرد خارجًا وأُرغم على تبرير سلوكه لم يكُف عن تكرار: "ما هي هذه الكنائس إذنْ إنْ لم تكُن مدافن وقبور الإله؟""،[1]وهذا نصٌّ صريح يؤكّد هذه القضيّة.

أمّا القرآن الكريم فإنّه نفى نفيًا مطلقًا، بل وفنّد قول اليهود المتفوّهِ بقتل المسيح عليه السلام، وأنكر حادثة الصّلب تفنيدا كلّيًا واعتبرها كُفْرًا في الاعتقاد وبِدْعًا من القول، فقال في سورة النّساء: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾.(النّساء: 157-159).

وتعزيزًا لنفي حادثة الصّلب عن المسيح عليه السلام، بشّر الله عزّ وجلّ نبيّه عيسى بالرّفع إليه وتطهيره من القوم الكافرين، نصرة وحماية له من كيدهم، وإكراما لشخصه الكريم، وتبجيلا ورفعة لقدره، وتثبيتا لقلبه على الصّراط المستقيم، فقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.(آل عمران: 55)، وهذا هو موقف القرآن الصّريح في هذه القضيّة.

[1]- نيتشه: **العلم المرح**، ص132-133.

وفي هذا تفنيد لزعم اليهود في قتل المسيح عليه السلام، ودحض لمعتقد النّصارى (المسيحيين) في صلبه، إذ إنّ الله عزّ وجلّ أزاح عن نبيّه النّهاية بالقتل والصّلب، وأثبت له التّوفّي والرّفع إلى السّماء، ليكون له نجاة من أعدائه ونصرة عليهم، وبالجملة فإنّ القرآن الكريم لا يقرّ بعقيدة الصّلب ولا يقول بها، بل إنّ موقفه منها الرّفض والدّحض والتّفنيد وعدم الاعتراف بها نهائيّا؛ لأنّها لا تتوافق مع نهاية المسيح عيسى عليه السلام المألوفة الواردة في آياته وسوره، وسنتحدّث بشكل مفصّل عن تفسير الآيتيْن السّابقتيْن وكذا عن نهاية المسيح في الفكر الإسلامي في ختام هذا الباب عند شرحنا لآخر بيت من هذه القصيدة.

أمّا بخصوص عقيدة الخلاص والفداء، فقد سلك القرآن الكريم في نقدها مسلكيْن اثنيْن؛ تمثّل الأوّل في بيانه لتوبة آدم عليه السلام من الخطيئة التي اِرتكبها، وتمثّل الثّاني في بيانه لفرديّة المسؤوليّة وتحمّل كلّ إنسان لعواقب أفعاله ونتائجها.

فأمّا **المسلك الأوّل**؛ فقد بيّن فيه الله عزّ وجلّ أنّ خطيئة آدم عليه السلام التي ارتكبها في الجنّة والمتمثّلة في الأكل من الشّجرة التي نهاه الله عن الأكل منها قاصرة عليه، وأنّه تاب منها توبة نصوحا، وذلك في عدّة آيات من القرآن الكريم. وفي هذا السّياق مَنَّ الله عزّ وجلّ على آدم عليه السلام بأن خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وأسكنه الجنّة، وحذّره من الأكل من الشّجرة، على سبيل الابتلاء والاختبار، قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .(البقرة: 35)، وبدأ الصّراع بين آدم عليه السلام والشّيطان، فتمكّن الشّيطان من الوسوسة لآدم بهدف إخراجه من الجنّة حسدًا، فزيّن له أن يأكل من ثمرة تلك الشّجرة التي نهاه الله عزّ وجلّ أن يأكل منها، وأقسم له ولحوّاء زوجته أنّه لهما من النّاصحين، حتّى أكلا منها، قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ (طه: 120-121)، ونتيجةً لهذه المعصيّة أُهبط آدم عليه السلام وزوجه إلى الأرض بأمر من الله، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ .(طه: 123)، ثمّ يحسم القرآن قضيّة الخطيئة في صراحة وأسلوبٍ قاطعٍ، لا يدع مجالا للاجتهادات

الفرديّة، أو التّخمينات العشوائيّة، وبدون صلْبٍ أو قتْلٍ أو إراقة دم، ولم يحكم عليه باللّعنة والخلود في الجحيم، فأعلن آدم عليه السلام وزوجه النّدم واعترفا بمعصيتهما، قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.(الأعراف: 23)، وبعد هذا النّدم والاعتراف بالخطيئة وإعلان التّوبة ألهم الله عزّ وجلّ آدم التّوبة التي تُزيل الذّنوب والآثام، وتُعيد العلاقة من جديد مع الله، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.(البقرة: 37)، فالأمر بسيط ويسير، ولا يحتاج إلى أن يتخلّى الله عزّ وجلّ عن ابنه – على حدّ قول النّصارى (المسيحيين)– ليُصلَب بسبب خطيئة لم يرتكبها وغفرها الله لمرتكبها؛ حتّى رفعه إلى مكانه في علّيين، واصطفاه بالمنزلة السّاميّة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ .(طه: 122)، فأهبطه الله عزّ وجلّ إلى الأرض مغفورًا له ولزوجته دون خطيئة تلاحقهما، ولا ذنب يؤرّقهما،[1] ومنذ ذلك الحين زالت هذه الخطيئة– إن جاز تسميتها بهذا– من الوجود ولم يبق لها أثرٌ يُذكر، فلم تلتصق بأحد من ذرّية آدم ولم يرثها عنه أيّ واحد منهم كما يدّعي النّصارى (المسيحيون).

وأمّا **المسلك الثّاني**؛ فقد أثبت فيه المولى عزّ وجلّ في القرآن الكريم أنّ المسؤوليّة فرديّة، وأنّه لا يمكن لأحد من النّاس أن يحمل عن أخيه الإنسان أوزاره وخطاياه مهما كانت صِلته به، فكلٌّ مُحاسبٌ على ما ارتكبه من الذّنوب والخطايا، أو مُجَازى على ما قدّمه من أعمال الخير والبرّ، وهذا كلّه إنّما يخضع لميزان الله العادل، والقانون الرّبّاني القائم على العدل والمساواة بين النّاس واحترام الواجبات والحقوق.

ولتقرير هذا المسلك نجد في القرآن الكريم عدّة آيات تُبيّن أنّ منطق الحساب والعقاب والمجازاة وتكفير الخطايا إنّما يستنِد على نوعيّة العمل المُقدّم من قبل الفرد، فمن غير المعقول أنّ تُعذّب نفسٌ بذنوب غيرها أو أن يحمل الأب خطيئة اِبنه، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ .(فاطر: 18)، وقد بيّنت هذه الآية أنّ كلّ نفسٍ ظلمت نفسها بكفرٍ أو شيء من الذّنوب فإنّما عليها وِزرُها

[1]– أشرف إبراهيم عليان سلامة: **العقائد النّصرانيّة في القرآن الكريم –دراسة تحليليّة–**، ص180–181، ومحمّد عبد الرّحمان عوض: **الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام**، ص77_78.

يوم القيامة، لا يحمله عنها أحدٌ ولو كان قريبا إليها، حتّى ولو كان أباها أو ابنها، ولا يجني جانٍ إلاّ على نفسه، فالجار يتعلّق بجاره يوم القيامة، فيقول: يا ربِّ سلْ هذا، لِم كان يُغلق بابه دوني؟، وإنّ الكافر ليتعلّق بالمؤمن يوم القيامة، فيقول له: يا مؤمن، إنّ لي عندك يدًا، قد عرفت كيف كنت لك في الدّنيا؟ وقد اِحتجت لك اليوم، فلا يزال المؤمن يشفع له إلى ربّه حتّى يردّه إلى منزل دون منزله، وهو في النّار، وإنّ الوالد ليتعلّق بولده يوم القيامة، فيقول: يا بنيّ، أيّ والدٍ كنت لك؟، فيُثنِي خيرا، فيقول له: يا بنيّ إنّي قد اِحتجت إلى مثقال ذرّة من حسناتك أنجو بها ممّا ترى، فيقول له ولده: يا أبتِ ما أيسر ما طلبتَ، ولكنّي أتخوّف مثل ما تتخوّف، فلا أستطيع أن أُعطيك شيئا، ثمّ يتعلّق بزوجته، فيقول: يا فلانة أو يا هذه، أيّ زوجٍ كنت لك؟، فتثني خيْرًا، فيقول لها: إنّي أطلب إليك حسنة واحدة تهبينها لي، لعلّي أنجو بها ممّا ترين، فتقول: ما أيسر ما طلبت، ولكنّي لا أُطيق أن أُعطيك شيئا، إنّي أتخوّف مثل الذي تتخوّف،[1] ويقول تعالى مؤكّدًا على هذا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾.(لقمان: 33)، ثمّ يقرّر الله مبدأ تحمّل النّتائج، فكلُّ نفس هي مسؤولة عمّا اِرتكبت، وهذا مُنتهى العدل، فيقول: ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾.(فصّلت: 46)، فالذي يقدّم عملا صالحًا فإنّما يكون له نفعه وثوابه في الدّنيا والآخرة، والذي قدّم عملا سيئا فإنّما يكون عليه ضرره وعقابه في الدّنيا والآخرة، وفي هذا حثٌّ على فعل الخير وترك الشّرّ، وانتفاع العاملين بأعمالهم الحسنة، وضررهم بأعمالهم السّيّئة، فلا تزر وازرةٌ وزر أخرى، ولا يُحمّل الله عزّ وجلّ أحدًا فوق سيّئاته؛[2] لأنّ في ذلك ظلم له وإجحافٌ في حقّه، وفي هذا دليل على فساد معتقد النّصارى (المسيحيين) في الخلاص والفداء؛ حيث يترتّب عليه نجاة أشخاص وفوزهم بدون تقديم أيّ عمل يستحقّ النّجاة والفوز، وتعذيب آخرين بدون ذنوبٍ اقترفوها، وحمْلِهم لأوزارٍ لم تتعلّق برقابهم، ومن هنا أبطل القرآن الكريم هذه العقيدة المُجحفة في حقّ الكثيرين من النّاس؛ لأنّها لا تقوم على أساس من العدل والمساواة، بل على أساسٍ من الحَيْفِ والجُور، وفي هذا السّياق يقول القرافي مُحاجِجًا النَّصارى:

---

[1]- ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج06، ص541-542.

[2]- السّعدي: **تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان**، ص751.

"أمّا الجواب عن الفصل الأوّل: فقولكم في آدم لمَّا أكل من الشّجرة التي نهاه الله عنها، عاقبه وذرّيته بورود جهنَّم. فهذا كلامُ مَن ليس له عقل سليم، وهو يحتاج إلى سامعٍ يسمعه فضلًا أنْ يلتزم ما يردُّه ويدفعه، وهو محضُ الإدِّعاء من غير دليل؛ فإنّ أمر العقاب في جهنّم غيبٌ عنَّا لا نتوصَّل إليه إلّا بإخبار مُخبِر عن الله تعالى، ولم يرد هذا القوْل الذي ذكرتموه في شريعة من الشَّرائع، بل ورد في شريعة موسى ضدَّ هذا، وذلك أنَّه قال: **[لا يُعاقَبُ أحدٌ بذنبِ غيره]** (تثنية: 16/34)، فلم قلتُم أنَّه عاقَبَ ذرّيّة آدم بالخلُود في النَّار لو لم يبعث ابنه في خلاصهم"،[1] وفي هذا هدمٌ عقليٌّ ونقليٌّ حيال عقيدة الفداء والخلاص التي يؤمن به هؤلاء.

ثمّ يقول لهم بعدما تحدَّث مطوَّلًا عن وَهَنِ هذا المعتقد وبُعده عن الواقعيّة والمنطقيّة السّليمة، ومخالفته للشّواهد النَّصِّيَّة والعقليّة، ومخالفته أيضًا لواقع الحياة الدُّنيا والمآل في الآخرة: "فنقول لكم: الآن يا معشر النَّصارى، إذا لم يحصُل بنزول المسيح خلاصكم من آلام الدُّنيا وعذابها، ولا من مطالبة الآخرة وعِقابها، ولا من مشقَّة التَّكاليف بإلزام العبادات واجتناب المُحرَّمات، فأيُّ خلاص لكم؟، وإنَّما هما دَارَانِ لا ثالث لهما: دُنيا وأُخرى، فإذا لم تتخلَّصوا فيهما، فأيْن ترجون الخلاص الذي نزل إلهكم لأجله، وفعل بنفسه ما فعل، ثمّ لم يتمّ له ما أراد من ذلك"،[2] وهذا أمرٌ يدعو للتَّعجُّب، ويترك المَرْء يتيه في حيْرة فكريّة وعقليّة مُختبِرًا عقول القوم ومداركهم الفهميّة، ويجعله يتساءَل عن طريقة تفكيرهم وتدبيرهم؟!!، وحينئذٍ لا يملكُ إلّا أن يُردِّد مع الشَّاعر* قوله:

لا بأس بالقوْمِ من طُولٍ ومِن عِظَم جِسمُ البِغال وأحلام العصافير

والمغزى المُراد؛ أنَّك قد تُعجب بشخصٍ ما في هيئته وتركيبته الجسميّة، لكنّك حينما تُحادثه أو تختبر فهمه تجده في أسفل السَّافلين.

---

[1]- القرافي: **أدلّة الوحدانيّة في الرَّدِّ على النّصرانيّة**، ص64-65.

[2]- **المرجع نفسه**، ص102.

* هو شاعر الرّسول ﷺ: حسّان بن ثابت ﷺ.

(فما هذا الإلـه؟)؛ أي: ما هذا الإله الذي يجري عليه ما يجري على البشر فيعتريه الموت؟!!، فيموت كما تموت الخلائق، فهل مَن يموت ويفنى يكون إلهًا أو يسمّى إلهًا؟، لا شكّ أنّ كلّ هذا من تخاريف النّصارى الذين تأثّروا بغيرهم من الأُمم الوثنيّة المؤمنة بهذه الفكرة، إنّ الإله الحقّ لا يموت، بل لا يتعب ولا ينام ولا يمكن أن يتّصف بأيّ صفة نقص، فالواجب تنزيهه عن كلّ نقيصة، ووصفه بكلّ كمال وجلال، قال تعالى مخاطبًا نبيّه محمّدًا ﷺ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾.(الفرقان: 58)، "فهذا المعنى يختصّ به سبحانه وتعالى دون كلّ حيّ كما قال: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾.(القصص: 88)"،[1] وهذا ردٌّ وجيه جاء على صيغة الاستفهام يدحض دحضًا معتبرًا قول النّصارى بموت الإله صلبًا. وهناك ملاحظة أخرى يُمكننا ملاحظتها في هذا الموضع؛ وهي أنّ ابن القيّم بدأ في هذا البيت بالقضيّة العامّة المتمثّلة في "الصّلب"، ثمّ سيشرع في الأبيات اللّاحقة في التّفصيل، حيث يبيّن موقف المسيح منهم، وكذا طريقة صلبه وكيفيّته، ثمّ بعد ذلك –وكملاحظة ختاميّة– نقول: إنّه من المؤكّد –أي النّاظم في هذا البيت– أنّه لا يعتقد بصَلْب المسيح ولا بموته بهذه الطَّريقة الفظيعة ولا يؤمنُ بكلّ ذلك، إنّما كلُّ ما في الأمر أنَّهُ يُجاري القوم عقليًّا حاكيًا اعتقادهم بغية إبطاله ودحضه وإثباتِ نقيضه، وهذا هو ديدنه في بقيّة أبيات هذه القصيدة.

03- وهَلْ أَرضَـــاهُ مَـــا نَالُـــــوهُ مِنْهُ؟ فَبُشْرَاهُـــمْ إِذَا نَالُـــوا رِضَـــاهُ

وإذا كان اليهود قد صلبوا المسيح ﷺ وقتلوه بالاشتراك مع الحكّام والجُنُود الرّومانيين، فهل سيرضى عنهم هذا النّبيّ بفعلهم القبيح الذي صنعوه به، والذي كان مقدّمة لإنهاء وجوده في الحياة الدّنيا، خاصّة وأنّهم أماتوه بطريقة مؤلمة حيث قتلوه صلبًا كما تقدّم، أَفَرَاضٍ هو أم ساخط على فعلتهم هذه؟، فإن رضيَ عنهم لقتلهم إيّاهُ، فيا بشراهم بهذا الرّضا!، ويا سعادتهم به!، مع أنّ هذا القرار ليس صائبًا البتّة، وما هو بوجيه، إذْ كيف يرضى المقتُول عن قاتله الذي قتله ظلمًا وعُدوانًا، ورماه بالإفك زورًا وبهتانًا.

[1]– أبو حيان الأندلسي: **تفسير البحر المحيط**، ج06، ص614.

عدوٌّ محظوظٌ، وقاتلٌ سعيدٌ؛ ذاك الذي يرضى عنه ويفتخر به مقتُولَه، بل ويُباركه مَن كان موته على يديْه!!، إنّه عدوٌّ وجبَتْ أنْ تُزَفّ إليه البُشرى، وتعدُّ له النُّزُل الفاخرة، وتُبسط له الفُرش النّاعمة.

إنّ في هذه الدّراما غرابة ما بعدها غرابة؛ إذ اُختُتِمت برضا المسيح ﷺ عن أولئك الذين صلبُوه، وجزائِه لهم بالحُسنى، فلطالما علِمنا أنّ المقتُول لا يُجامِل قاتِلَه بأيِّ حالٍ من الأحوال ولو كان أقرَب قريب إليه، ذلك أنّ سُنّة الحياة تقتضي أنْ يعامَل كلّ فردٍ من النّاس بالمِثل، فمَن قَتَل يُقتَل،* ومَنْ عَذَّب يُعذَّب،** ومَن سالم يَسلِم، إلّا في حالات نادرة ومواضع معدودة يكون فيها الصّفح أو العفو مطلوب، وهذا قانون قرآنيٌّ عام مُطبَّقٌ إلى يوم الدين.

أمّا الأناجيل، فلها نظرةٌ مخالفةٌ لهذا القانون، فها هي تحكي لنا عن المسيح﵇ وهو يحثُّ أتباعه على السّلم والصّفح والتّجاوز، بل على الذّلّ والمَهانة والاستسلام للمظالم وعدم المُطالبة بالحقّ، والنّهي عن ردِّ العُدوان بمثله، حيث نقرأ في إنجيل متّى قول المسيح وهو ينصح أتباعه:

[سمعتم أنّه قِيل: عينٌ بعينٍ وسِنٌّ بِسنٍّ، أمّا أنا فأقول لكم: لا تقاوموا مَن يسيءُ إليكم، مَن لطمَكَ على خدِّك الأيمن، فحوِّل له الآخر، ومَن أراد أن يُخاصمك ليأخذ ثوبك، فاترك له ردائك أيضًا، ومَن سخّرك أنْ تمشيَ معه مِيلًا واحدًا، فامشي معه ميلَيْن، مَن طلَب منك شيئًا فأعطه، ومَن أراد أن يستعير منك شيئًا فلا تردَّه خائبًا. سمعتم أنّه قِيل: أحبِبْ قريبك وأبغِض عدوّك، أمّا أنا فأقول لكم: أحبُّوا أعداءكم، وصلُّوا لأجل الذين يضطهدونكم، فتكونوا أبناء أبيكم الذي في السّماوات، فهو يُطلِع شمسَه على الأشرار والصّالحين، ويُمطِر على الأبرار والظّالمين، فإنْ كنتم تحبُّون الذين يحبّونكم، فأيُّ أجرٍ لكم؟، أَمَا يعمَلُ جُبَاة الضّرائب هذا؟، وإنْ كنتم لا تسلِّمون إلّا على إخوتكم، فماذا عملتُم أكثر من غيركم؟، أَمَا يعمَل الوثنيون هذا؟، فكونوا أنتم

---

* قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩ (البقـــرة: 178-179).

** قال تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ (النّحل: 126).

كَامِلِين، كما أنّ أباكم السّماوي كَاملٌ]. (متّى: 05/ 38-48)، إنّها مباركة للعدوّ ورفعٌ من شأنه...، ولعلّ هذا هو السّرّ في رِضَا المسيح عن قاتليه!!!.

كما رضي النَّصارى (المسيحيون) في الزّمن المعاصر عن اليهود قاتلي نبيّهم بل إلههم، حيث استطاع هؤلاء القوم (اليهود) استصدار وثيقة من الفاتيكان تبرّئهم من دم المسيح الذي أُريقَ -في اعتقاد النّصارى وبشهادة الأناجيل- على أيديهم منذ الثُّلث الأوّل من القرن الأوّل للميلاد، وذلك في المجمع الفاتيكاني الثّاني (1962-1965م)، ليهدموا بذلك آية صريحة في الإنجيل تقول على لسان اليهود: **[دمه علينا وعلى أولادنا]**. (متّى: 27/ 75)، ويُخالفُوا حقيقة تاريخيّة أثبتتها الأناجيل كذلك، بل ويُبطلُوا عقيدة الصّلب والفداء.[1]

وما يستوقفنا غرابة ويزيدنا عجبًا؛ تلك العلاقة الحميميّة الوطيدة الكائنة بين اليهود والنّصارى خاصّة في عصرنا الحالي بالرّغم من عداوة اليهود للنّصارى واضطهادهم لهم في كلّ مكان وزمان؛ إذ لا يخفى على أحد ما فعله بولس الرّسول قبل أن يتحوّل إلى المسيحيّة بالمسيحيين الأوائل أتباع عيسى عليه السلام، وموقفه منهم ومن رسالة نبيّهم، فقد كان يضطهدهم اضطهادًا شديدًا، ويذيقهم ألوانًا شتّى من العذاب؛ كالتّهديد والسّجن والقتل...،[2] فبماذا كُوفئ هذا الرّجل مُقابل هذه الجرائم المتعدّدة؟، بل وكيف كان مقامه بيْن الأوساط المسيحيّة؟.

لا شكّ أنّ جرائم كهذه يستحقّ مرتكبها سحقًا وقذفًا في لُجج الجحيم، غير أنّ النّصارى (المسيحيين) لم يدينُوا بولس بأيّ جريمة من جرائمه تجاههم، بل على العكس من ذلك تمامًا، رفعوه مكانًا عليًّا، وبوَّؤوه منزلة رفيعة لديهم أعلى من كلّ رُتبهم، حتّى أصبح نبيّهم الثّاني والمؤسّس الحقيقي للمسيحيّة الثّانية الحاليّة التي تنسَب إليه بعد نصرانيّة عيسى عليه السلام؛ لأنّه غيّر تعاليم السّيّد المسيح العقائديّة والتّشريعيّة والأخلاقيّة، وجاء بديانة جديدة تختلف في جوهرها عن معالم الدّيانة الأصليّة الصّحيحة،[3] وبذلك علا شأنه

---

[1]- سعيد عبد العظيم: **الجواب الصّحيح لمَن بدّل دين المسيح**، ص13.

[2]- ينظر للتّفصيل أكثر حول هذا الموضوع: الإصحاحان الثّامن والتّاسع من سفر أعمال الرّسل.

[3]- تُراجع تفاصيل هذا الموضوع بصفة موسّعة في كتاب: **بولس وتحريف المسيحيّة** لـ: هيم ماكبي، ص13 وما بعدها.

وارتفع فوق شأن المسيح﵇؛ حتَّى إنّ الدّيانة المسيحيّة القائمة اليوم تُنسَب له برمَّتِها وبكلِّ ما فيها.

وفي كلّ مرّة يصفع فيها اليهود النّصارى، نجد هؤلاء (النّصارى) يتودّدون إليهم ويتقرّبون منهم زُلَفًا كثيرة، فبالإضافة إلى تبرئتهم من دم السّيّد المسيح، فإنّ الواقع التّاريخي يُثبت لنا مواقف أُخرى مماثلة لهذا الموقف الجريء الذي لا يزال تتقاسمه الكثير من الشَّواهد والأحداث، من ذلك:

لُجُوء المسيحيين إلى كتاب اليهود المقدّس؛ العهد القديم،* وضمّهم إليه العهد الجديد، ليتكوّن من الجمع بين هذيْن العهديْن؛ الكتاب المقدّس الذي هو قرآنُ المسيحيين اليوم في شتّى العالم، كلّ ذلك مكافأة لليهود الذين اعتدى تلمودهم على السيّد المسيح، فوصفه وأمَّه بأبخس الأوصاف وأذممها، ووصفهما بما لا يليق حتّى بأراذل الخلق، وقد أشرنا إلى بعضٍ ذلك عند شرحنا للبيْت الأوّل من هذه القصيدة.

*العهد القديم: مُصطلحٌ يستخدمه النّصارى للإشارة إلى كتاب اليهود المقدّس، وترجع هذه التّسميّة إلى بولس الرّسول حين سمّى التّوراة بالعهد القديم، لتُصبح الأناجيل والرّسائل المُلحقة بها هي العهد الجديد، أمّا اليهود فيُعبِّرون عنه بـ: "كتوفيم"؛ أي "الكُتب"، أو "توراة" في بعض الأحيان، أو "المِقرا"؛ أي الكتب المقروءة، أو تناخ؛ وهو مختصر من الحروف الأولى لثلاث كلمات عبريّة هي: التّوراة (أسفار موسى الخمسة)، ونبيئيم (أسفار الأنبياء)، وكتوفيم (الأسفار الأدبيّة الشّعريّة)، وهو مقدّسٌ لدى اليهود والنّصارى؛ إذ أنّه سجلٌّ فيه شعر ونثر وحِكم وأمثال وقصص وأساطير وفلسفة وتشريع وغزل ورثاء، كما أنّه عبارة عن مجموعة من الكُتب المختلفة جدًّا يمتدّ زمن وضعها على أكثر من عشرة قرون، وتُنسَبُ إلى عشرات المؤلّفين المختلفين، وقد وُضع بعضها بالعبريّة، مع بعض المقاطع بالآرميّة، وبعضها الآخر باليونانيّة، ويتكوّن –في نظر بعض الباحثين– من أربعة أقسام، هي:

أ– **التّوراة أو أسفار موسى الخمسة:** وهي: التّكوين، الخروج، اللّاويين (الأحبار)، العدد، التّثنيّة.

ب– **الأسفار التّاريخيّة:** عددها اثنتا عشر (12) سِفرًا، وهي: يشوع، القضاة، راعوث، سفريْ صموئيل الأوّل والثّاني، سفريْ الملوك الأوّل والثّاني، وسفريْ أخبار الأيّام الأوّل والثّاني، عِزرا، نحميا، أستير.

ج– الأسفار الشّعريّة أو كُتب الحكمة: عددها خمسة (05) أسفار، وهي: أيّوب، المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الإنشاد.

د– أسفار الأنبياء: عددها سبعة عشر (17) سفرًا، وتقسّم إلى أنبياء كبار، خمسة (05) أسفار وهي: أشعياء، إرميا، مراثي إرميا، حزقيال، دانيال، وأنبياء صغار، اثنتا عشر (12) سفرًا، وهي: هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صُفنيا، حجّي، زكريا، ملاخي.

(الموسوعة المفصّلة في الفِرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، ج02، ص98–101).

وكصورة أخرى لهذه العلاقة الحميمة؛ تواطؤ الغرب الصّليبي اليوم مع اليهود على حساب المسلمين في فلسطين،[1] حيث تتحالف الدّول المسيحيّة العُظمى كبريطانيا والولايات المتّحدة الأمريكيّة مع الكيان الصّهيوني والشّعب الإسرائيلي، من أجل تمكينهم من ناصيّة الشّعب الفلسطيني، وذلك بالقضاء عليه أو على الأقل طرده من أرضه، وفي هذا الشّأن لا يخفَى على أحد سعي بريطانيا إلى تحقيق هذا الغرض، حيث يُعدُّ وعد بلفور من أخطر الوثائق الحكوميّة البريطانيّة التي تبنّت إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وقد صدر هذا الوعد في 02 نوفمبر 1917م، وينصُّ القسم الأول منه على سعي الحكومة وتعاطُفها مع اليهود لأجل إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، واستعدادها الجيّد بغية تسهيل تحقيق هذا الهدف، أمّا القسم الثّاني فينصُّ على أنّ الدّولة المنتدبة يجب أن تضع فلسطين في أوضاع سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي،[2] وهكذا مهّد هذا الوعد الطّريق أمام الاحتلال البريطاني لفلسطين، وأقام لها أعمدة راسخة لحكم البلاد بطريقة قانونية شرعية .

وعند صدور هذا الوعد أثناء الحرب العالمية الأولى، كانت القوات البريطانيّة تحارب للاستيلاء على فلسطين من الدّولة العثمانيّة، واعتقد البريطانيون أنّ وعد بلفور سيساعد على كسب التأييد لهذا الهدف من زعماء اليهود في بريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية، ودول أخرى، وفي عام 1922م صادقت عصبة الأمم على وعد بلفور، وأعطت بريطانيا حقّ الانتداب على فلسطين.[3]

وكان هذا الانتداب بمثابة المظلّة القانونيّة الدّوليّة لتهويد فلسطين وصهينتها، بحيث يصبح للصّهاينة الحقّ في استقدام المهاجرين اليهود، واستملاك الأراضي، وإقامة المستعمرات وتزويدها بالسّلاح، بل لقد أصّرت الحركة الصهيونية على اعتبار الانتداب التزام دولي بإقامة دولة صهيونية في فلسطين، حيث أنّه بموجب صك الانتداب المذكور

---

[1]– سعيد عبد العظيم: **الجواب الصّحيح لمَن بدّل دين المسيح**، ص14.

[2]– بهجت أبو غربية: **صفحات من تاريخ القضية الفلسطينية حتّى سنة 1949م– الرؤية التاريخية وملامح تجربة ذاتية–**، ص23.

[3]– **الموسوعة العربيّة العالميّة**، ج27، ص115.

أصبحت الدّولة المنتدبة –بريطانيا– مسؤولة عن إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين شريطة ألّا ينال ذلك من الحقوق المدنية والدّينية للطّوائف غير اليهوديّة في البلاد، وذلك وفقا لوعد بلفور الصّادر عن الحكومة البريطانية عام 1917م، والذي تبنّته فيما بعد الدّول الحليفة الرّئيسة.[1]

وهذه بعض النّماذج من العلاقات المسيحيّة اليهودّيّة، وهي كما ترى على أساس كبير من التّوافق والوِدَاد، وكان الأولى منابذة النّصارى لليهود قديما وحديثا ومستقبلا، نظرا لما فعله اليهود بالمسيح الذي هو إله النّصارى على حدّ زعم القوم.

04. وإنْ سَخِـــطَ الَّذِي فَعَلُـــوهُ فِيــهِ فَقُوَّتُهُـــمْ إِذًا أَوْهَـــــتْ* قُـــوَاهُ

وإن لـم يـرضَ المسـيح عليه السلام إلـه النّصـارى (المسـيحيين)!!! عـن اليهـود وعـن الجنـود والحكّام الرّومانيين إذ صلبُوه فقتلوه شرّ قِتلة، بل غضِب عليهم، واغتاظ ممّا فعلوه فيه، وسخِط عنهم لأجل ذلك كلّه، فإنّ هذا يُنبئ عن عجزه عن معاقبتهم، وعدم قدرته على الانتقام منهم؛ لردِّ الاعتبار لنفسه وشخصيّته النّبويّة، ولإثبات أنّه إله لا يستطيع أحد من البشر إيذاءَه أو مسّه بسُوء، ويُنبئُ أيضًا عن أنّ قوّة أعدائه الذين صلبوه فقتلوه أشدُّ من قوّته هو إذ تفوّقتْ عليها وأضعفتْها وأرهقتْها...؟!!، وحينئذٍ يغدُو إلهًا مهزومًا، مغلوبًا على أمره، ناكسًا على عقبيه، مولّيًّا الدُّبر، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا؟!!.فهل هذا الذي يترك خَلْقَهُ يفعلون بـه مثل هذا الفعل الشّنيع؛ إلـه؟، وهذا الذي قوّته تتهاوى وتضعف وتتقهقر أمام قوّة أعدائه –إنْ كان للإله أعداء!!– أَرَبٌّ هو؟!!.

إنّ الإله الحقّ يجب أن يتّصف بكلّ صفات الكمال، ويتنزّه عن كلّ صفات النّقص، ولا يشابهه أحدٌ من خلقه في صفاته المطلقة؛ فهو حتّى وإن كان يشترك معهم في بعض الصّفات، فإنّ الفرق بينه وبينهم يكمن في أنّ صفاته هو كماليّة تامّة مطلقة لا يعتريها نقصٌ ولا عجز، أمّا صفاتهم هم فهي على الخلاف من ذلك تتّصف بالنّسبيّة ويعتريها النّقص والعجز، فهذا الإله إذًا –قياسًا على هذه القاعدة– لا ينتسِبُ إلى الإلوهيّة بشيء،

[1]– عبد الوهاب الكيالي: **موسوعة السّياسة**، ج1، ص343.

* الوَهن هو الضُّعف، وأوهنه غيره ووهَّنه توهينًا، ووَهى الحائط؛ إذا ضعُف وهمَّ بالسّقوط. (**مختار الصّحاح**، ص307).

ولا يمتُّ إليها بصِلة؛ لأنّه لمّا بَدَرَ منه الغضب على أعدائه حين غلبوه على أمره، فإنّ هذا اِعتراف منه بالعجز والاستسلام لهم ولرغباتهم في الانتقام منه، فاكتفى بإظهار الغضب عليهم والتّذمُّر منهم ولم يعاقبهم، وفي هذا شبهٌ بينه وبين خلْقِه العاجزين عن الدّفاع عن أنفسهم، وردّ العدوان عن حِيَاضهم، وقَتْلِ العدوّ الذي استباح بيضتهم، كما شابههم في صفتيْ الغضب والسّخط السّلبيّتيْن دون تميّزٍ عنهم فيهما، ومَن كان هذا شأنه فلا تثبتُ له الإلوهيّة بأيّ وجه من الوجوه.

ولابن القيّم كلام نفيس حول هذا المعنى، حيث يقول ساخرًا، وواصفًا حادثة الصّلب التي عجز فيها المسيح عليه السلام عن إنقاذ نفسه من أعدائه: "ثمّ قرّبوه من مركبً خُصّ بالبلاء راكبه، فشدُّوه عليه وربطوه بالحبال، وسمّروا يديه ورجليْه، وهو يصيح ويبكي ويستغيث من حرّ الحديد وألم الصّلب، هذا وهو الذي خلق السّماوات والأرض، وقسّم الأرزاق والآجال، ولكن اقتضتْ حكمته ورحمته أن يمكّن أعداءه من نفسه لينالوا منه ما نالوا، فيستحقُّوا بذلك العذاب والسّجن في الجحيم، ويفديَ أنبياءه ورسله وأولياءه بنفسه؛ فيخرجهم من سجن إبليس، فإنّ روح آدم وإبراهيم ونوح وسائر النّبيّين عندهم كانت في سجن إبليس في النّار حتّى خلّصها من سجنه بتمكينه أعداءَه من صلبه".[1]

فيا معشر النّصارى أفيقُوا إنْ كان هذا هو حال نبيّكم/ إلهكم مع أعدائه؛ اليهود الذين فعلوا فيه ما فعلوا، وقضوا عليه بالتّعذيب والصّلب والقتل، ولا تتحالفوا معهم بأيّ شكل من الأشكال، وخاصّة ضدّ المسلمين الأبرياء، بل هؤلاء أحقّ أن تعاونوهم وتتّحدوا وتتّفقوا معهم ضدّ المجرمين القتلة المُغتصبين؛ لأنّه ليس مَن يُجِلُّ عيسى ويبجّله ويكرّمه ويفتخر به ويؤمن برسالته، كمَن يحتقره ويعاديه ويكيل له التّهم، وكان من قبلُ ساعيًا لقتله، بل ويزعم قتله والقضاء عليه صلبًا، وهذا البيتُ يشكِّلُ مع سابقه صورة بلاغيّة تتمثّل في الطِّباق؛ حيث يتحدَّثُ أحدهما عن حالة القبول والخُضوع، والآخر عن حالة الرَّفض والتّذمُّر؛ لذلك جاء التّعبير بلفظتيْ (الرِّضا، السّخط)، وهما لفظتان متضادَّتان؛ فوجود إحداهما يستلزم غياب الأخرى.

[1]– ابن قيّم الجوزيّة: **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى**، ص320.

05. وهَلْ بَقِـــيَ الوُجُـــودُ بِلَا إِلَـــهٍ سَمِيـــعٍ يَسْتَجِيبُ لِمَـــنْ دَعَـــاهُ؟

إنّنا نحن المُسلمون لا نؤمن مثلكم –أيّها النّصارى– بأن عيسى(عليه السلام) إلهٌ أو ربٌّ خالق مدبّرٌ متصرّفٌ في الكون مصرِّفٌ للأمور، بل هو بشر كبقيّة البشر لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا؛ هذا اعتقادنا فيه المنصوص عليه في القرآن الكريم، وإذا سلّمنا معكم جدلًا بأنّه إله كما تقولون، وأنتم تعتقدون جازمين أنّه صُلب ومات، ونحن وإيّاكم جميعًا نعلم أنّ الله هو ربُّ هذا الوجود ومليكه وخالقه وخالق كلّ ما فيه، وما هو عليه من هذا النّظام المُحكم الذي يسير عليه، والتّفاني والدّقّة المُتناهيّة في جميع أجزائه ومكوّناته؛ إلّا من بديع صنعه: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾. (النّمل: 88) وقدرته الفائقة في عمليّة الخلق وتسييره للمخلوقات وحده وِفق إرادته وحكمته: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾.(القصص: 71–73)، كما ورد في السّفر الأوّل من العهد القديم الذي يؤمن به المسيحيون: **[في البدءِ خلق الله السّماوات والأرض، وكانت الأرض خاويّة خالية، وعلى وجه الغمر ظلام، وروح الله يرفّ على وجه المياه، وقال الله: "ليكُن نور"، فكان نور، ورأى الله أنّ النّور حسَن، وفصل الله بين النّور والظّلام، وسمّى الله النّور نهارًا، والظّلام سمّاهُ ليلًا، وكان مساءٌ وكان صباح: يوم أوّل...]**. (التّكوين: 01/ 01–05).

وأضرُب هذه الآيات كثيرٌ في القرآن الكريم وفي العهد القديم والإنجيل، وكلُّها تدلُّ على أنّ لهذا الكون خالقًا مدبّرًا حكيمًا، "ورغم أنّه لا يوجد في القرآن مناقشة صريحة لمُنكري الخالق، إلّا أنّ الإيمان بوجود خالق لهذا الكون قضيّة ضروريّة لا مساغ للعقل في إنكارها، فهي ليست قضيّة نظريّة تحتاج إلى دليل وبرهان، ذلك لأنّ دلالة الأثر على المُؤثِّر يُدركها العقل بداهة، فالعقل لا يمكن أن يتصوّر أثرًا من غير مؤثِّر، أيّ أثر ولو كان أثرًا تافهًا، فكيف بهذا الكون العظيم؟"،[1] الشّاسع المُترامي الأطراف المُحكَم الصُّنع.

[1]– علي محمّد الصّلّابي: **الإيمان بالله جلّ جلاله**، ص34.

فإذا ما تقرّر هذا، واتّفقنا على أنّ للوجود خالقًا يسيّره، فهل يمكن له –أي الوجود– أن يُسيّر نفسه أو يَسِير بذاته بعدما مات خالقه؛ الإله يسوع؟!!، وهل يمكِن أنْ يبقى هذا الكون العظيم، المُترامي الأطراف، القاصِي الجهات، بلا مدبِّرٍ طرفة عيْن واحدة؟!!: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾.(فاطر: 41)، فالله تعالى يُخبِر في هذه الآية عن عظيم قدرته ولُطفه بعباده ورحمته بهم، وهي أنّه تعالى يمسك السّماوات السّبع والأرض أنْ تتحوّلا عن أماكنهما، إذ لو زَالَتَا لخرِب العالم في لحظات، ولو حدث وأنّهما زالَتَا أو تحرَّكتَا، فإنّه لا يقدر أحدٌ على إمساكهما من بعد الله تعالى؛ فهو وحده سبحانه القادر على ذلك.[1]

إلـهٌ موصوفٌ بالسّمع؛ فهو سميعٌ مجيبٌ للدّعاء، فما من داعٍ يرفع كفّيْه وبصره للسّماء، محقِّقًا لشروط الاستجابة،* مُجتنِبًا لموانعه،** إلّا استجاب الله دعاءه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾.(البقرة: 186)، وقال أيضًا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (النّمل: 62)، وقال كذلك: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ (غافر: 60)؛ ففي هذه الآية الأخيرة يخاطب الله تعالى عباده فيقول لهم: سلُوني أعطكم، وأطيعوني أثبكم، فانتم عبادي وأنا ربّكم، لأنّ الذين يستكبرون عن عبادتي ودعائي فلا يعبدونني ولا يدعونني سوف أذلّهم وأُهينهم وأُعذّبهم جزاء استكبارهم وكفرهم، فأُدخلهم جهنّم صاغرين ذليلين يعذّبون بها أبدًا،[2] وقال النبيّ ﷺ: "**ما من مُسلمٍ يدعو الله بدعوة**

---

[1]– أبو بكر جابر الجزائري: **أيسر التّفاسير لكلام العليّ الكبير**، مج04، 361.

* من شروط استجابة الدّعاء: الإخلاص لله تعالى، المُتابعة لشريعة النبيّ ﷺ، الثّقة بالله تعالى واليقين بالإجابة، حضور القلب والخشوع والرّغبة فيما عند الله من الثّواب والرّهبة ممّا عنده من العقاب، العزم والجزْم والجِدُّ والإلحاح في الدّعاء... .(سعيد بن علي بن وهف القحطاني: **شروط الدّعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسّنّة**، ص21–28).

** من موانع استجابة الدّعاء: التّوسُّع في الحرام أكلًا وشُربًا ولِبسًا وتغذيّة، الاستعجال وترك الدُّعاء، ارتكاب المعاصي والمُحرَّمات، ترك الواجبات المفروضة، الدُّعاء بإثم أو قطيعة رحم... .(سعيد بن علي بن وهف القحطاني: **شروط الدّعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسّنّة**، ص29–35).

[2]– أبو بكر جابر الجزائري: **أيسر التّفاسير لكلام العليّ الكبير**، مج04، ص546.

ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلّا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إمَّا أنْ تُعجَّل له دعوته، وإمّا أنْ يدَّخِرها له في الآخرة، وإمّا أنْ يصرف عنه من السُّوء مثلها"، قالوا: "إذًا نكثِر"، قال: "**الله أكثر**"،[1] وأنشد القائل:[2]

لا تسألنّ بني آدم حـــــــاجة وسلِ الذي أبوابــه لا تُحجَبُ
الله يغضبُ إنْ تركْتَ سؤالـــه وبُنيَّ آدم حين يُسأل يغضبُ

فإذا مات هذا الإله الذي يستجيب لعباده دعاءهم، ويحقّق لهم أمانيهم، ويُعطيهم سُؤلهم؛ فمَنْ غيره سيفعل ذلك بعد موته؟!!، ولمَن سيلجأ الخَلْق، فإنّه لا يُجيب الدّعاء إلّا هو، ولا يكشف الضّرّ إلّا هو، ولا نافع ولا ضارّ على الحقيقة سواه، وقد جمعنا هنا بين صِفة السَّمع واستجابة الدّعاء؛ لأنّ الاستجابة تقتضي السّمع، فلا يمكن أنْ يستجيبَ لك مَن لا يسمعُك؛ فالمُجيبُ سميعٌ عليمٌ خبير، والأصمّ لا يأبه لدعائِك إيّاه أو ندائِك له؛ لأنّه لا يسمع صوتك، بل قد لا يشعر بوجودك البتّة، واكتفى النّاظمﷺ بخصوص هذا الصّدد باستجابة الدّعاء للتّدليل على وجود الله تعالى، لأنّ استجابة الدّعاء من أقوى الدّلائل الحسّيّة الدّالة على وجود الله عزّ وجلّ؛ فإذا رفع العبد يديه إلى السّماء داعيًا الله وطالبًا منه عطيّة معيّنة وتحقّقت تلك العطيّة تمامًا كما أرادها ذاك العبد أن تكون، فإنّه سيُدرك قطعًا، بل ويتحقّق بيقين أنّ الذي أعطاه بُغيته، وحقّق له مراده؛ موجود، قادر؛ وهو الله سبحانه وتعالى، وحتّى المشركين أو غير المؤمنين يلجؤون إلى الله عزّ وجلّ لمّا تقترب منهم المصائب: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾. (يونس: 22–23)، فالآية الأولى من هاتين الآيتين تُري المشركين عجزهم وضعفهم وحاجتهم إلى الله تعالى، ومَن كان كذلك فكيف يستهزئ بربّه ويسخر من آياته ويكذّب رسوله، إنّ أمرهم لعَجَبٌ، فهؤلاء

---

[1]– أحمد بن حنبل: **مُسند الإمام أحمد بن حنبل**، مُسند المُكثِرين من الصَّحابة، مُسند أبي سعيد الخذري ﷺ، حديث رقم (11133)، ص743.

[2]-سعيد بن علي بن وهف القحطاني: **شروط الدّعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسّنّة**، ص16.

يخاطبهم الله تعالى قائلًا: هو؛ أي الله الذي تمكرون بآياته، هو الذي يسيّركم في البرّ بما خلق لكم من ظهر الإبل والخيل والحمير، وفي البحر بما سخّر لكم من الفُلك التي تجري في البحر بأمره. حتّى إذا كان هؤلاء المشركون في البحر وجرت بهم السّفن بفعل ريح طيّبة مناسبة لسير السّفن وفرحوا بها على عادة ركّاب البحر الذين يفرحون بالرّيح المناسبة لسلامتهم من القلق والانقلاب والاضطراب، جاءتها ريحٌ أخرى شديدة الهبوب تضطرب لها السّفن، ويخاف ركّابها الغرق، وجاءهم أي الكفّار الرّاكبين عليها الموج من كلّ مكان من جهات البحر، وأيقنوا أو كادوا أنّهم هلكوا سارعوا إلى دعاء الله تعالى: يا رب يا رب نجّنا، ولئن أنجيتنا لنكوننّ لك من المطيعين المعترفين بنعمتك علينا، الموحّدين لك بترك الآلهة لعبادتك وحدك لا شريك لك، فلمّا أنجاهم من تلك الشّدّة بغوا في الأرض بغير الحقّ شِركًا وكفرًا وظلمًا وفسادًا، فعادوا لِمَا كانوا وإنّهم لكاذبون... ،[1] وإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على أنّ وجود الله تعالى مغروس في النّفوس بالفطرة والجِبلّة الأولى، والتّوجّه إلى الله تعالى بالدّعاء دون سواه هو نوعٌ من أنواع العبادات التي لا يجب أنْ تُصرَف لغير البارئ سبحانه وتعالى، ومن تلك العبادات؛ التّوكّل والرّجاء والخوف والاستغاثة والاستعانة والذّبح والنّذر... .

06. وَهَـــلْ خَلَتِ الطِّبَــاقُ السَّبْــعُ لَمَّا ثَــوَى* تَحْتَ التُّــرَابِ، وقَـدْ عَــلَاهُ؟

من المُسَلَّم به أنّ كلّ مَن يُدفَن فيُوارَى التُّراب؛ يكون وحيدًا** في قبره، وهذا ما حصل للمسيح عليه السلام –على حسب معتقد النّصارى–، فإنّه بعدما صُلِب ماتَ، فجهّزوه ودفنوه في قبْرِه المُعدِّ له، وسنتحدّث عن هذا بالتّفصيل عند شرحنا للبيْت الثّالث عشر (13).

---

[1]– أبو بكر جابر الجزائري: **أيسر التّفاسير لكلام العليّ الكبير**، مج02، ص461–462.

* ثوَى بالمكان وفيه ثواءً وثُويًّا؛ أقام واستقرَّ، وأثوَى فُلانًا بالمكان؛ أنزَلَهُ به. (**المعجم الوسيط**، ص103).

** في المعتقد الإسلامي: الميّت يكون وحيدًا في قبره بلا أنيس ولا وليّ ولا حميم، بل كلّ ما في الأمر أنّ هناك بعض الأمور التي إنْ قدَّمها في الدُّنيا وهو حيّ يجد ثوابها وهو ميّتٌ في قبره، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**إنَّ ممَّا يلحقُ المؤمِن من عمله وحسناته بعد موته؛ علمًا علَّمه ونَشَرَه، وولَدًا صالِحًا تركه، ومُصْحَفًا ورَّثَه، أو مسجِدًا بنَاهُ، أو بيْتًا لابن السّبيل بناهُ، أو نهْرًا أَجْراهُ، أو صدقَةً أخرجَهَا من مالِهِ في صحَّتِهِ وحيَاتِهِ يلحقُه من بعْدِ موتِه**". (ابن ماجة: **سنن ابن ماجة**، كتاب المقدّمة، باب مَن كان مفتاحًا للخير، حديث رقم (242)، ص41)، فهذه أمورٌ سبعةٌ يستفيد منها الميِّتُ في قبره.

والمسيح بالنِّسبة لهم إلـهٌ كما يزعمون، فإذا كان مدفونًا في قبره، وقد أصبح التّراب عاليه وفوقه وهو أسفله، ففي هذه اللّحظة تمامًا، هل خَلَتِ السّماوات (الطّباق)* السّبع من الإلـه الواحد الأحد؟!!؛ لأنّ الإلـه الذي كان يُفتَرض أنّه موجود فيها أو عليها؛ هو الآن ميّتٌ ثاوٍ تحت التّراب،** فلا تراه إلّا راقدًا مستكينًا في قبره، إنّه لا يستطيع حراكًا لأنّ ترابًا كثيرًا كثيفًا يعلُوه، والحال هذه، فمَن يَكْلأُ حينئذ تلك السّماوات لئلّا تسقُط على الأرض، ولئلّا تتناثر شموسها وكواكبها، لأنّها كما نعلم مرفوعة بغير عَمَدٍ، إنّه بلا شكّ إلهٌ آخر غير المسيح عليه السلام: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾. (يونس: 02)، فرفْعُ السّماء وعلوّها فوق البشر وسائر المخلوقات الأرضيّة؛ هو دليلٌ على وجود الصّانع الحكيم، فإنّ ارتفاعها على سائر الأجسام المُساوية لها في حقيقة الجرميّة، واختصاصها بما يقتضي

* وردت في القرآن الكريم عدّة آيات تصف السّماوات بالطّباق؛ منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾. (الملك: 03)، وقوله أيضًا على لسان نوح عليه السلام وهو يخاطب قومه داعيًا إيّاهم إلى الإيمان بالله تعالى وبرسالته: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦﴾. (نوح: 15-16)، ومعنى (طباقًا)؛ أي واحدة فوق واحدة، وقد خلقها الله وما فيها من كواكب بإحكام ودقّة متناهيّة، وتفسير ذلك: أنّ الكواكب السّبعة السيّارة يكسف بعضها بعضًا، فأدناها القمر في السّماء الدّنيا وهو يكسف ما فوقه، وعطارد في الثّانية، والزّهرة في الثّالثة، والشّمس في الرّابعة، والمرّيخ في الخامسة، والمُشتري في السّادسة، وزُحل في السّابعة، وأمّا بقيّة الكواكب –وهي الثّوابت– ففي فلك ثامن يسمّونه فَلَكُ الثّوابت، والمتشرعون منهم يقولون: هو الكرسي، والفلك التّاسع، وهو الأطلس، والأثير عندهم الذي حركته على خلاف حركة سائر الكواكب، وذلك أنّ حركته مبدأ الحركات، وهي من المغرب إلى المشرق، وسائر الأفلاك عكسه من المشرق إلى المغرب، ومعها يدور سائر الكواكب تبعًا، ولكن للسّيّارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها، فإنّها تسير من المغرب إلى المشرق، وكلٌّ يقطع فلكه بحسبه، فالقمر يقطع فلكه في كلّ شهر مرّة، والشّمس في كلّ سنة مرّة، وزُحل في كلّ ثلاثين سنة مرّة، وذلك بحسب اتّساع أفلاكها، وإنْ كانت حركة الجمْع في السّرعة متناسبة، هذا ملخّص ما يقولونه في هذا المقام، على اختلاف بينهم في مواضع كثيرة، وقد فاوت الله تعالى بين الشّمس والقمر في الاستنارة، فجعل كلًّا منهما أنموذجًا على حده، ليُعرَف الليل والنّهار بمطلع الشّمس ومغيبها، وقدّر القمر منازل وبروجًا، وفاوَتَ نوره؛ فتارة يزداد حتّى يتناهى، ثمّ يشرع في النّقص حتّى يستتِر؛ ليدلّ على مضي الشّهور والأعوام. (ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج08، ص233)، فهل المُتصرّف في جميع هذه الأمور ومسيّرها على ما تقدّم ذكره؛ يمكن أن يعتريه الموت فيدفن تحت التّراب كما حصل مع عيسى عليه السلام على حدّ قول النّصارى؟!!، أم أنّه يجب أن يتنزّه عن كلّ ذلك؟!!.

** في الحقيقة أنّ يسوع (عيسى) لمّا وُضع في قبره لم يُحثَى عليه التّراب، وإنّما وُضِع فوق باب قبره حجرًا كبيرًا سُدَّ به لأنّ القبر كان محفورًا في الصّخر. (متّى: 27/ 60). ولأحمد ديدات في هذا الموضوع كتابٌ عنوانه: **(مَن دحرَج الحجر؟)**، بحث فيه عن المُدحرِج الحقيقي الذي أَزَاحَ الحجر عن قبر المسيح عليه السلام، حيث اختلفت الأناجيل فيه.

ذلك لا بدّ وأنْ يكون بمُخصّص ليس بجسم ولا جسماني يرجّح بعض المُمكنات على بعض بإرادته وعلى هذا المِنهاج سائر ما ذكر من الآيات،[1] لذلك فإنّ خالق السّماوات ورافعها ومدبّر أمورها وراعيها لا يمكن أن يغفل طرفة عيْن عنها، وإلّا اختلّ نظامها، ومن ثمّة النّظام الكوني كلِّه.

فها هو يسوع ميّتٌ مدفونٌ في قبره لا يشعر بشيء من حوله ولا يستطيع العودة إلى الحياة بإرادته، وهاهي السّماوات في مكانها مرتفعة عاليّة محروسة بعيْن الله التي لا تنام وبقوّته التي لا تُرام، إنّه إلهٌ لا تأخذه سِنة ولا نوم، ليس بساهٍ ولا غافلٍ عن مخلوقاته رمشة عيْن واحدة، وأمّا المسيح عليه السلام فإنّه عبد الله وكلمته ورسوله، لا يملك أنْ يقدّم أو يؤخّر في أمر الله شيئًا، فحتّى وإن كان هو تحت التّراب؟!!، فإنّ الله في السّماء حيٌّ لا يموت دائمًا وأبدًا.

وحول هذا الموضوع، يُدنْدِن القرافي ساخِرًا من النَّصارى القائلين بإلوهيّة المسيح وصلبه وموته، فيقول : "قالوا المسيح عليه السلام إله العالم، وخالقهم ورازقهم ومدبِّرهم إلى منتَهى أجلهم، ثمّ صُلب ودُفِن ثلاثة أيَّام، فنقول لهم: يا سُخفاء العقول والجاهلين بالمعقول والمنقول، مَن كان يقوم برِزق الأنام والأنعام في تلك الأيَّام؟، وكيف كان حال الوجود والإله في اللُّحود؟، ومَن المُدبِّر للسَّماوات والأرض بالبسْط والقبْض والرَّفع والخفْض؟؟"،[2] وهذه كلُّها أسئلة استنكاريّة تقريريّة تعجيزيّة لا جواب لها على الإطلاق غير الإقرار بتوحيد الله عزّ وجلّ وببشريّة عيسى عليه السلام، وما قاله القرافي هاهنا نثْرًا، عبَّر عنه ابن القيّم شِعرًا، فقال:

07. وهَــلْ خَلَتِ العَوَالِـــمُ مِنْ إِلَـــهٍ يُدَبِّرُهَا، وقَـــدْ سُمِـــرَتْ يَـــدَاهُ؟

في هذا الوجود عوالمٌ كثيرة؛ عالم الإنس، وعالم الجنّ، وعالم الحيوانات، وعالم النّباتات، وعالم الجمادات، والعوالم هي ما سوى الله تعالى من المخلوقات، والله سبحانه هو خالقها وبارئها، وهذه العوالم أو الموجودات كلّها تحتاج إلى إله قادر مدبّر حكيم يدبّر

[1]– البيضاوي: **أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل**، ج03، ص180.

[2]– القرافي: **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرَّدِّ على الملّة الكافرة**، ص126–127.

أمورها ويرعى شؤونها، ويسيّرها كيفما شاء على حسب ما تقتضيه حكمته، وهذا الإله هو "الله جلّ جلاله، ربّ كلّ شيء ومالكه وخالقه ومدبّر أمره ورازقه، وهو سبحانه المتصرّف بهذا الكون وما شاء كان وما شاء لم يكُن، وهو الذي خلق جميع المخلوقات، ومن عظيم إتقانه أنْ سنّ لها قوانين وسننًا ثابتة منها العامّ ومنها الخاصّ عليها مدار انضباطها، وهذه السّنن لا يمكِن إضافتها لغير الله سبحانه وتعالى؛ لأنّه هو المُتفرِّدُ بالرّبوبيّة وحده لا شريك له".[1]

فالسّنن العامّة تخضع لها جميع الكائنات في وجودها المادّي وما يمرُّ بها من حوادث مادّيّة؛ كنموّ الإنسان وحركته ومرضه وما شابه ذلك، وما يقع من حوادث كونيّة؛ كنزول المطر وتعاقب الليل والنّهار وغيرها من متعلّقات الوجود المادّي لمخلوقات الله عزّ وجلّ، وأمّا السُّنن الخاصّة فهي تتعلّق بخضوع البشر لها باعتبارهم أفرادًا وأُممًا وجماعات، خضوعًا يتعلّق بتصرّفاتهم وأفعالهم وسلوكاتهم في الحياة، وما يكونون عليه من أحوال، وما يترتّب عن ذلك من نتائج كالسّعادة والشّقاء، والعِزّ والذُّل، والقوّة والضّعف، والنّصر والهزيمة، ونحو ذلك من الأمور الاجتماعيّة في الدّنيا، وما يترتّب عليها من جزاء في الآخرة سواء كان عذابًا أم نعيمًا... .[2]

فالله عزّ وجلّ هو الذي يدبّر جميع تلك العوالم بخلقها وتقديرها وتسويتها وإلهامها أمورها وشؤونها، وهدايتها إلى وظيفتها في هذه الحياة، فإذا كان هذا الإله مسمَّرَةٌ يداه بالمسامير في خشبات الصّليب (آلة الصّلب)، لا يستطيع إنقاذ نفسه من هذه المُصيبة أو من هذا العذاب، فمَن سيخلُفُه في تدبير العوالم؟، هل ستدبّر أمورها بنفسها؟، أم أنّ هناك إلهًا آخر غير يسوع المسيح هو الذي يدبّرها؟.

إذن، نحن هنا أمام فرضيات ثلاث لا رابع لها:

الفرضيّة الأولى: أنّ يسوع المسيح هو خالق تلك العوالم ومدبّرها.

---

[1]– محمّد علي الصلابي: **الإيمان بالله جلّ جلاله**، ص50، 52.

[2]– **المرجع نفسه**، ص52.

الفرضيّة الثّانية: أنّها –أي العوالم– دبّرت أمورها بنفسها.

الفرضيّة الثّالثة: أنّ هناك إلهًا آخر غير يسوع هو خالقها ومدبّرها.

ولاستخلاص الفرضيّة الصّحيحة نقول:

– إنّ يسوع المسيح هو الآن على الصّليب يتألّم، قد دُقّت يداه بمسامير على خشباته، لا يستطيع تخليص نفسه من هذا الوضع الأليم الذي لا يُحسَد عليه، لكنّ العوالم جميعها بقيَت تسير وِفق النّظام الذي كانت تسير عليه قبل المآل الذي آل إليه يسوع المسيح إلى هذه الحالة، فلو كان هو الذي يدبّر أمورها لتوقّف سيْرُها وفقَدَت حياتها؛ لأنّه غفل عنها حينما اشتغل بنفسه عن تسييرها وتدبيرها، إلّا أنّها لم تتوقّف عن حركتها ولم تفقد حياتها؛ فإذًا –والحال هذه– يسوع ليس مدبّرها وليس هو المسؤول عن حركاتها، وبهذا كلّه تتهاوى الفرضيّة الأولى.

– إنّ هذه العوالم لا يمكنها أن تدبّر أمورها بنفسها؛ لأنّها عاجزة عن ذلك، ولا تملك من أمر التّدبير إلّا الخُضُوع للقوّة التي تسيّرها، فهي لم تخلُق نفسها بنفسها حتّى تدبّر أمورها، وهي عاجزة أيضًا عن أنْ تدبّر أمر غيرها؛ لأنّها لم تخلق شيئًا حتّى تدبّر أموره، كما لا تملك القوّة اللّازمة لذلك، ولا الحكمة الكافيّة أيضًا، قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الطّور: 35–37)، فإذا ثبت كلّ هذا، فإنّ الفرضيّة الثّانية لا تثبُت أيضًا.

– لم تبقَ إذا إلّا الفرضيّة الثّالثة؛ وهي أنّ إلهًا آخر غير يسوع المسيح إله النّصارى (المسيحيين) هو الذي يُدبّر أمور تلك العوالم، نعم إنّه الله عزّ وجلّ سبحانه وتعالى؛ المُدبّر القادر الحكيم، الذي خلق السّماوات والأرض وكلّ ما فيهنّ من موجودات، هو وحده الذي خلق العوالم كلّها فقدّرها ودبّر أمرها: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ (الفرقان: 02)، ومعنى الخلق والتّقدير في هذه الآية: أنّ الله تعالى أحدَث كلّ شيء إحداثًا مُراعَى فيه التّقدير والتّسويّة، فقدّره وهيّأهُ لِما يصلُح له، أو سُمّيَ إحداثُ الله خلقًا لأنّه لا يحدث شيئًا لحكمته إلّا على وجه التّقدير

من غير تفاوت، فإذا قيل: خلْقُ الله كذا فهو بمنزلة إحداث الله، وأوجَدَ من غير نظر إلى وجه الاشتقاق، فكأنّه قيل: وأوجد كلّ شيء فقدّره في إيجاده متفاوتًا، وقيل: فجعل له غاية ومنتهى، ومعناه: فقدّره للبقاء إلى أمد معلوم، وقيل: تقدير الأشياء هو حدُّها بالأمكنة والأزمان والمقادير والمصلحة والإتقان.[1]

فهذه العوالم البديعة الخلق، المُحكمة الصُّنع، لا يمكِن أنْ تصدُر إلّا عن بديع حكيم، "وقد تقرّر في العقول أنّ الموجود لابدّ من سبب لوجوده، وهذا يدركه راعي الإبل في الصّحراء، فيقول: <<البعرة تدلّ على البعير، والأثر يدلّ على المسير، فسماءٌ ذات أبراج، وأرضٌ ذات فِجَاج، ألَا تدلُّ على العليم الخبير>>".[2]

ومن هذا القبيل والتّمثيل، إذا نظرنَا إلى آلة دقيقة الصّنع، بديعة التّكوين، غاية في القوّة والمتانة، تقوم بعملها على غير وجه، فلابدّ أنْ ندرِك بلا طويل تفكير أنّ صانعها يتّصف بصفة الحياة والعلم ولديه قدرة وإرادة،[3] فكذلك خالق هذا الكون –ولله المَثَل الأعلى– على هذه الصّورة البديعة الحكيمة يتّصف بالحياة والعلم والإرادة والقوّة والخلق والإيجاد، وكلّ هذه الصّفات من خصائص الإلوهيّة.

وبهذا تثبتُ الفرضيّة الثّالثة القائلة بأنّ الله عزّ وجلّ الباقي الدّائم الذي لا يفنى هو الخالق والمُدبّر والمالك لجميع الموجودات، وليس يسوع المسيح المغلوب الفاني الهالك، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ

---

[1]– أبو حيّان الأندلسي: **البحر المحيط**، ج06، ص581–582.

[2]– عمر سليمان عبد الله الأشقر: **العقيدة في الله**، ص81.

[3]– **المرجع نفسه**، ص120.

ٱلسَّمَٰٓءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾. (النّمل: 59-64)، وقال أيضًا: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾. (يونس: 31-35)، فلو استقرأنا الآية الأولى من هذه الآيات المنقولة من سورة يونس الخاصّة بذكر الرّزق وغيره من النّعم، وهي قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم... ﴾، لألفيناها تتحدّث عن إظهار القدرة الباهرة في الموت والحياة، فبدأ تعالى بما فيه قوام حياة النّاس وغيرهم وهو الرّزق الذي لابدّ منه، فمِن السّماء بالمطر، ومن الأرض بالنّبات، وتهيئة الرّزق بالعالم العلوي والعالم السُّفلي من دون الاقتصار على أحدهما دون الآخر، توسعة منه تعالى وإحسانًا، ثمّ ذكر مُلكه لهاتيْن الحاسّتيْن الشّريفتيْن: السّمع الذي هو سبب مدارك الأشياء، والبصر الذي يرى ملكوت السّماوات والأرض، ومعنى ملكهما أنّه متصرّفٌ فيهما بما يشاء تعالى من إبقاء وحفظ وذهاب، وقدّ نبّه بالسّمع والبصر على الحواس لأنّهما أشرفها، ولمّا ذكر تعالى سبب إدامة الحياة وسبب انتفاع الحيّ بالحواس، ذكر إنشاءه واختراعه للحيّ من الميّت، والميّت من الحيّ، وذلك من باهر قدرته؛ وهو إخراج الضّدّ من ضدّه، ومَن يدبّر الأمر شاملٌ لِما تقدّم من الأمور الأربعة المذكورة وغيرها، والأمور التي يدبّرها الله تعالى لا نهاية لها، فلذلك جاء بالأمر الكلّي بعد تفصيل بعض الأمور الجزئيّة،[1] أفمَنْ هو فاعلٌ لكلّ ما تقدّم بالخلق والرّزق والإحياء والإماتة هو الإله الحقّ، أمَّن هو معلّق على خشبة الصّليب مثبتة يداه فيها بمسامير من حديد تسيل منهما الدّماء هو الإله الحقّ؟!!، وهذا السّؤال متروكٌ للنّصارى لكيْ يجيبوا عليه، وفي ذاتِ الفِكرة وكعادته يقول القرافي ساخِرًا منهم مستفهمًا إيّاهم:

"نقول لهم: الله تعالى يجوز أنْ يُصلَبَ ويُقهَر؟؟، فإن قالوا: لا، بطُل قولهم في المسيح؛ إذْ يقرؤون في صلاة السَّاعة السّادسة: <<يا مَنْ سُمِّرَتْ يداه على الصّليب، وبقيَ حتَّى

[1]- أبو حيّان الأندلسي: **البحر المحيط**، ج05، ص200-201.

لصق دمه عليه، قد أحببنا الموْت لموتِك يا الله، نسألك يا الله بالمسامير التي سُمِّرْتَ بها نجِّنَا>>، وإنْ جوَّزوا على الله ذلك كذَّبتهم التّوراة والإنجيل والمزامير"،[1] وفي هذا تبكيتٌ لهم فيما يدَّعونه من أباطيل، وفما يزعمونه من عقائد في المسيح عيسى ابن مريم.

08. وكيْفَ تَخَلَّـــتِ الأَمْـــلاكُ عَنْـــهُ بِنَصْرِهِـــمْ، وَقَدْ سَمِعُـــوا بُكَـــاهُ؟

وكيف تخلّت الملائكة*عن إلهها؛ خالقها ومصوّرها ومكرّمها، فتركته يعاني محنة ألم الصّلب، فلم تنصره، ولم تقدّم له يدَ العوْن كيْ تخلّصه من أعدائه الذين راموا قتله، وهم جنده المُخصّصون بالمكانة الرّفيعة، ذوو الكثرة في العدد: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾. (المدثّر: 31)؛ أي ما يعلم عدد الملائكة إلّا الله سبحانه وتعالى لكثرتهم لئلّا يتوهّم متوهّم أنّما عددهم تسعة عشر فقط، وقد وردت أحاديث نبويّة كثيرة تبيّن كثرة عددهم، منها:[2] قول النّبيّ ﷺ واصفًا البيت المعمور في السّماء السّابعة: "**فإذا هو يدخله في كلّ يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخر ما عليهم**"،[3] وقوله كذلك لأصحابه: "**إنّي أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أَطّت السّماء وحقّ لها أنْ تئِط، ما فيها موضع أربع أصابع إلّا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، ولا تلذّذتم بالنّساء على الفُرُشات، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله عزّ وجلّ**"،[4] وقوله

---

[1]– القرافي: **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرَّدِّ على الملّة الكافرة**، ص124.

*الملائكة: خلْقٌ من خلَقِ الله تعالى، مخلوقون من نور، أجسام لا أرواح، أصحاب أجنحة لهم القدرة على التّشكّل، لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون ولا ينامون، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، ولهم قُدرات خارقة متّعهم الله بها، وهم مخلوقون قبل أبينا آدم عليه السلام، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويخافونه خوفًا عظيمًا، وهم مقرّبون منه مكرّمون عنده، أعدادها لا يعلمها إلّا الله عزّ وجلّ، ولهم وظائف؛ كالوحي الخاصّ بجبريل عليه السلام، والنّفخ في الصّور الخاصّ بإسرافيل عليه السلام، والقطر والنّبات والرّياح الخاصّ بميكائيل عليه السلام، وقبض الأرواح الخاصّ بملك الموت وأعوانه، وهناك ملائكة موكّلون ببني آدم، وآخرون بالكون، وآخرون بالجنّة، وآخرون بالنّار، وآخرون بالبيت المعمور...، ونحن مُطالبون بالإيمان بهم جمعًا، حيث إنّ الإيمان بهم هو الرُّكن الثّاني من أركان الإيمان السّتّة (06). (مصطفى سعيد الخنّ ومحيي الدّين ديب مستو: **العقيدة الإسلاميّة –أركانها–حقائقها– مُفسداتها–**، ص227–243).

[2]– ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج08، ص270.

[3]– مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السّماوات وفرض الصّلوات، حديث رقم 259 (162)، ص65.

[4]– ابن حنبل: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مسند المُكثرين من الصّحابة، حديث أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه، حديث رقم (21516)، ص1544.

أيضًا: "**ما في السّموات السّبع موضع قدم ولا شِبر ولا كفّ إلّا وفيه ملك قائم، أو ملك ساجد، أو ملك راكع، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعًا: سبحانك! ما عبدناك حقّ عبادتك، إلّا أنَّا لم نشرك بك شيئًا**".[1]

كما أخبر الله تعالى عن عبوديتهم له غير مستنكفين عنها، ودأبهم في طاعته ليلًا ونهارًا، فلا يتعبون ولا يملّون من ذلك، وهم مُطيعون له قصدًا وعملًا،[2] فقال: ﴿**وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾**﴾. (الأنبياء: 19-20)، فكيف وهم بهذا الوصف الحَسَن والشّهادة الرّبّانيّة لهم بخالص الأعمال والأفعال والأقوال، تركوا نصرة ربهم، خاصّة وأنّهم قد سمِعُوا صُراخه وهو يبكي من شدّة ما كان يقاسيه من ألم ووجع بسبب ما تعرّض له من ضرْبٍ وذِلّة ومهانة وتعذيب، وقد شهِدَت الأناجيل على أنّ يسوع (عيسى) صرخ صُراخًا شديدًا وهو يسْلم الرّوح، فقد جاء فيها: **[ونحو السّاعة الثّالثة صرخ يسوع بصوت عظيم: "إيلي، إيلي، لما شبقتاني؟"، أي إلهي، إلهي، لماذا تركتني]**. (متّى: 27/ 46، مرقس: 15/ 34)، ثمّ تخبرنا هذه الأناجيل نفسها بالصّرخة الثّانية التي صرخها يسوع: **[وصرخ أيضًا يسوع صرخة شديدة]**. (متّى: 27/ 50، مرقس: 15/ 37).

الشّكل08: (صورة للمسيح المصلوب وهو يبكي ويتألّم من جرّاء الصّلب)

[1]– لم نعثر عليه في غير تفسير ابن كثير.

[2]– ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج05، ص336.

فها هو يسوع يبكي ويصرخ، ويلوم ربّه لأنّه تخلّى عنه فلم ينقذه من أعدائه!!،[1] وفي هذا دلالة على أنّه ليس إلهًا كما يدّعي المسيحيون؛ لأنّه أقرّ بضعفه وعجزه وعدم قدرته على تخليص نفسه.

ففي هذه اللحظات حينما كان يسوع معلّقًا على الصّليب يصرخ ويبكي، وهو إلهٌ وربٌّ، فأين كانت ملائكته؟، كيف ولماذا تركته وحيدًا على هذه الحالة ولم تتدخّل لتخليصه من الألم أو تستنقذه من أيدي أعدائه؛ فهو ربُّها ومليكها وخالقها، تأتمِر بأمره، وتنتهي بنهيه، ولا تعصيه أبدًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾. (التّحريم: 06).

إنّ الأملاك تخلّت عن يسوع ولم تنتصر له؛ لأنّه –في الاعتقاد الصّحيح– ليس ربّها وما هو بخالقها، وهي غير مقرّة بإلوهيته؛ إذ أنّها تعلم أنّ الإله الحقّ لا يبكي ولا يصرخ ولا يلحقه الأذى من عباده؛ لأنّه منزّهٌ عن كلّ صفات النّقص الدّنيئة، وقد بيّنّا قبلًا اعتراف يسوع بعجزه وضعفه، وبهذا كلّه تثبُتُ بشريّته وتنتفي الإلوهيّة عنه جملة وتفصيلًا.

09. وَكَيْفَ أَطَـــاقَتِ* الخَشَبَـاتُ حَمْلَ الَـ إِلَهِ الحَـــقِّ شُـــدَّ عَلَى قَفَـــاهُ؟**

وهذه الخشبات الضَّعيفة التي صُنِع منها الصّليب، كيف استطاعت أو كيف كان بمقدورها أنْ تحمل أو تتحمّل على وهنِها الإله الحقّ العظيم الذي هو أعظم من كلّ المخلوقات التي خلقها وأوجدها؛ فهو أعظم من السّماوات السّبع والأرضين، أعظم من الجبال الشّامخات، أعظم من البحار والأنهار والخُلجان والمحيطات، أعظم من كلّ الأكوان، أعظم من جميع الموجودات، وأكبر من هذه الأشياء جميعًا؛ فهو الكبير المُتعال،

---

[1]– في إنجيل لوقا، لم يلم يسوع ربّه، بل استودع روحه في يديْه: **[وصرخ يسوع صرخة قوية: "يا أبي، في يديك أستودع روحي"، قال هذا وأسلم الروح]**. (لوقا: 23/ 46).

* أطاق، يُطيق، أطِقْ، فهو مُطيقٌ، والمفعول مُطَاق، أطاق العمل الصّعب؛ قدَرَ عليه واحتمله بمشقَّة، وأمرٌ لا يُطَاق؛ لا يُحتمَل، ولم يُطق صبرًا؛ لم يستطع أنْ يصبر.

** القَفَى هو مؤخِّر العُنق، وقَفَا الشَّخْصَ؛ ضربه على مؤخِّر عنقه. (**معجم اللّغة العربيّة المعاصرة**، ص1846)، وقد روي: مشدودًا قفاه، وهو المعنى نفسه والاختلاف كامنٌ في صيغة التَّعبير فقط.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾. (البقرة: 255)، ومعنى العليّ العظيم؛ الرّفيع فوق خلقه في التّدبير والقوّة والقدرة لا بالمسافة والمكان والجهة، ولا شيء أعظم منه،[1] وقال أيضًا: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩﴾. (الرّعد: 09)؛ أي الكبير الذي دونه كلّ شيء، المستعلي على كلّ شيء بقدرته،[2] فأنَّى لخشبات ضعيفات عِجَاف هزيلاتٍ واهناتٍ صغيراتٍ حجمًا ومعنًى أن تحمل هذا الإله العظيم؟!!.

فإنْ حدث وحصل هذا في زمن معيّن أو مكان محدود، فرأينَا إله النّصارى مشدودَةً قفاه إلى خشباتِ الصّليب، وهذه الخشبات صامدة، ولا تزال قائمة مستويّة مغروزة في الأرض، فيمكننا –والحال هذه– أنّ نقرّ بأنَّ: الإله أو الشّخص الذي قُبِضَ قفاه إلى خشبات الصّليب فلا يستطيع استنقاذ نفسه منها أو فكّ قفاه المشدود إليها، أو الإله أو الشّخص الذي يحتويه زمان معيّن ويشمله مكان محدود، وتقوى خشبات هزال نحاف على حمله ساعات عدّة من الزّمن،* فهذا إله مزعوم أو هو بشرٌ ضعيف بله كونه إلهًا مخترعًا؛ لأنَّه والحال هذه يكونُ أضعَفَ من هذه الخشبات حيث استطاعَتْ حمله.

وإذا علمنا أنّ هذه الخشبات هي من صُنع الإنسان؛ ثبَتَ لنا من ناحيّة أخرى أنّ يسوع المسيح ليس إلهًا كما يزعم النّصارى، إذْ كيف يصنع الإنسان آلة موت الإله؟!!، أو كيف يتسبّب الإنسان في موت الإله؟!!، فهو لا يستطيع حتّى رؤيته أو مشاهدته أو حتّى خطابه بشكل مباشر ولا حتّى تصوّره في ذهنه، فإذن، لا ينبغي بأيّ حال من الأحوال لهذا المصلوب على هذه الخشبات أنْ يكون إلهًا؛ لأنّ الإله الحقّ أعظم من كلّ عظيم وأكبر من كلّ كبير، بله أن تحمله خشبات أو بالأحرى خشبتيْن متقاطعتيْن وهما غاية في الضّعف والوهن!!!.

---

[1]– الثّعلبي: **الكشف والبيان في تفسير القرآن**، ج01، ص421.

[2]– **المصدر نفسه**، ج03، ص426.

* بقي يسوع (عيسى) على الصّليب حوالي ثلاث (03) ساعات؛ أي من السّاعة السّادسة (06)، حتّى السّاعة التّاسعة (09). (أحمد ديدات: **مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء**، ص70)، وهناك مَن يقول: بقي حوالي ستّ (06)؛ أي من السّاعة التّاسعة (09) صباحًا إلى السّاعة الثّالثة (03) مساءً. (ينظر أيضًا: سعود عبد العزيز الخلف: **دراسات في الأديان اليهوديّة والنّصرانيّة**، ص227).

10. وَكَيْفَ دَنَـــا الحَدِيـــــدُ إِلَيْهِ حَتَّى يُخَـــــالِطَـهُ، وَيَلْحَقَـــــهُ أَذَاهُ*؟

إنّ الإله المعبود بحقّ، الفرد الصّمد، مُتمَايزٌ عن خلقه وعن جميع الموجودات وعن جميع الأكوان بقدرته وخالقيّته وعظمته...، وكلّ شيء خاضع لسلطانه، مقهورٌ بقوّته وجبروته، وابن القيّم رحمه الله هنا يتحدّث عن صِفة صَلْبِ المسيح عليه السلام في اِعتقاد النّصارى، فيقول: إنّ الحديد اقترب جدًّا من جسد المسيح الإله حتّى خالطه وامتزَج به، وذلك بفعل فاعلٍ؛ لأنّ الحديد من الجَمَادِ الأصمِّ السّاكن الذي لا يقوم بشيء من تلقاء نفسه، وفي الحقيقة إنّ الإله الحقّ لا يمكن أنْ يمتزج بشيء من خلقه ولا يتّحد به، كما لا يمكن لأحد مخلوقاته أن يمتزج أو يتّحد به، فإذا دُقّت المسامير في يديه وشُدّت يداه ورجلاه، وشُدّ قفاه بسلاسل من حديد، فهذا معناه أنّ الحديد خالطه وامتزج به فأصبح وإيّاه شيئًا واحدًا، وهذا مستحيل في حقّ الله عزّ وجلّ.

ولا شكّ أنّ هذا النّوع من العذاب مؤلم أشدّ الألم؛ لأنّ دقّ المسامير في الأيدي والأرجل وثقبها لها، والشّدّ بالسّلاسل مؤذٍ للإنسان إيذاءً شديدًا، وهو الأمر ذاته الذي حصل ليسوع المسيح لمّا كان معلّقًا على الصّليب، وهذا تفسير بكائه وصراخه بشدّة كما تكلّمنا عن ذلك سلفًا، والذي يتأذّى بهذه الآلات المصنوعة والمُشكَّلة من قِبل الإنسان، ما ينبغي له أن يتّصف بصفة من صفات الإلوهيّة؛ لأنّ التّأذّي من صفات النّقص الذّميمة التي يتّصف بها البشر، ولأنّ الإله الحقّ لا يلحقه أيّ أذى مهما كان مصدره؛ فهو منزَّهٌ عن ذلك وعن كلّ صفات النّقص.

وفي هذا البيت والبيت الذي قبله** وأيضا البيت السّابع***السّابق لهما، يصف ابن القيّم رحمه الله طريقة أو كيفيّة الصّلب****، ويخبرُنا كيف يتمّ هذا النّوع من العذاب والعقاب،

---

* أذِيَ الشّيء أذًى وأذاةً وأذيَّة؛ قذِر، وأذِيَ فلانٌ؛ أصابه أذًى، ويُقَال: أذِيَ بكذا؛ تضرَّر به وتألَّم منه فهو أَذٍ، وآذاه إيذاءً؛ أصابه بأذًى، وتأذَّى به؛ أذِيَ، والأذَى؛ الضَّرر غير الجسيم والعيْب. (**المعجم الوسيط**، ص12).

** وهو قوله: **وكيف أطاقت الخشباتُ حمْل الـ إلـــــه الحقّ شُدّ على قفــاه؟.**

*** وهو قوله: **وهل خلَتِ العوالـــم مِن إلـــــه يدبّرهــا وقد سمِرت يـــــداه؟.**

**** كان الصَّلْبُ وسيلة الإعدام التّقليديّة فيما بين القرنيْن السّادس قبل الميلاد والرّابع الميلادي. (ميشيل حنّا: **30 طريقة للموت –تاريخ وسائل الإعدام في العالم–**، ص31).

فيقول بما مفهومه: إنّ الشّخص المُراد صلبه؛ يوضَع معلّقًا على خشبتيْ الصّليب، وتسمّر يداه على طرفيْ الخشبة الأُفقيّة، كما يُثبّت قفاه ورجلاه على طرفيْ الخشبة العموديّة، وليس هذا فحسب، بل إنّه إضافة إلى هذا العذاب المادّي، هناك عقابٌ معنويّ يتعرّض له المصلوب وهو على تلك الحالة؛ حيث يُسَبُّ ويُشتَمُ ويُستهزَأ به من قِبلِ جمهور النّاس.

وحتّى نوضّح طريقة الصّلب أكثر تُلجِئُنَا الحقيقة العلميّة والمعرفيّة إلى إلقاء نظْرَة فاحصة عن كيفيّته وما يُصاحبُ ذلك من أمور ومسائل.

لكن قبل ذلك يبيّن لنا صاحب كتاب "تفسير العهد الجديد" نشْأة فكرة الصّلب، وانتقالها من حضارة لأُخرى، وكذا الإشارة إلى مستحقّيها، فيقول:

"تبعَتْ فكرة الصّلب في بلاد فارس، وأصل الفكرة عندهم؛ أنّ الأرض مقدّسة للإله "أرموزدا"، لذلك كان من الضّروري رفعُ المُذنب من على الأرض، لكيْ لا يُنجِّس الأرض التي هي ملك للإله، ومن بلاد فارس انتقلت الفكرة إلى قرطاجنّة في شمال إفريقيا، ومنها تعلَّمها الرُّومان، وقد جعل الرُّومان عقوبة الصَّلب مُقتصرة على الثُّوّار، والعبيد الهاربين، وأحطّ أنواع المجرمين، فلم يكُن قانونيًّا أن يُعاقَبَ بها مواطن روماني...".[1]

ثمّ ينقُل لنا بعض الشَّهادات المُدليّة بفظاعة التّعذيب بالصَّلب، فيقول:

"يقول أحد كتّاب اليهود: <<إنّ عمليّة الصّلب هي أقسى وأفظع أسلوب للموت يُمكن أن يتّخذه إنسان لينتقم من أخيه الإنسان>>، ويقول شيشرون: <<إنّه أقسى وأفظع عذاب>>، ويذكر ناسيتوس أنّه: <<عذاب يناسِب العبيد فقط>>".[2] إذن فالغرض من الصَّلب ليس الإعدام فقط، وإنّما تقديم وسيلة مُؤلمة للموت ومُخيفة،* ويُمكِنُ تنفيذها على مرأى أكبر

[1]– وليم باركلي: **تفسير العهد الجديد**، مج01، ص453.

[2]– **المرجع نفسه**، والمجلّد نفسه، والصّفحة نفسها.

*يوضِّح الشَّيخ أحمد ديدات سبب اتّخاذ الصَّلب طريقة للتّعذيب والموت فيقول: "كان الصَّلب طريقة مألوفة للتَّخلُّص من المُجرمين السّياسيين والقَتَلَة والمُتمرِّدين، ومنذ زمن طويل قبل مولد المسيح، كان الفينيقيون قد جرَّبوا طُرُقًا مختلفة للتَّخلُّص من الشَّخصيات المُعارضة في المجتمع، كانوا قد جرَّبوا الشَّنْق واستخدام الخازوق والرَّجم والإغراق..إلخ، لكن كلُّ هذه الطُّرق كانت سريعة في تأثيرها، وكان المُتَّهمُون يتخلَّصون من آلامِهم وِفق ما يشتهون؛ ولِذا ابتدعوا الصَّلبَ نظامًا يُفضي إلى موْتٍ بطيءٍ طويل المدَى". (أحمد ديدات: **مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء**، ص66).

عدد من الجمهور، ويكون ذلك بتثبيت قطعة خشبيّة أُفقيًّا بالقُرب من قِمَّة قطعة خشبيّة رأسيَّة لبناء الصَّليب، وعندها يُطلق عليه **الصّليب اللَّاتيني**؛ وهو الصَّليب المُرتبط بالمُخيّلة المسيحيَّة، وأحيانًا تُثبَّتُ القِطعة الأُفقيَّة على قمَّة القطعة الرَّأسيَّة لتكوين شكل شبيه بحرف: **(T)**؛ وفي هذه الحالة يُطلَقُ عليه **صليب تاو** أو **صليب القدِّيس أنطونيوس**، وفي أحيانٍ أُخرى يُصنع الصَّليب على شكل حرف: **(X)**، ويُطلَق عليه اسم **الصَّليب العشري**، ذلك أنَّ حرف**(X)** يُشير إلى الرّقم عشرة في اللّاتينيّة، ويُطلَقُ عليه أيضًا اسم **صليب القدّيس أندراوس**؛ وهو الصّليب المرسوم على عَلَم اسكتلندا، وقد يتمُّ الصَّلب أحيانًا على قطعة خشبيّة رأسيّة واحدة دون القِطعة الأُفقيَّة، لكن هذا الشَّكل من الصَّلب كان يتمُّ في العصور القديمة، وهذا هو الصّليب الذي تقول طائفة شهود يهوه أنّ السَّيّد المسيح قد صُلِب عليه بعكس ما هو معروف عند باقي الطّوائف المسيحيّة الأُخرى[1].

وقد كان من عادة الرُّومان جلد المُذنِب قبل صلبه؛ وهذا ما حصل للمسيح بالذَّات، وكانت هذه العمليّة غاية في الفظاعة؛ بحيث كان الشّخص المحكوم عليه يُعرَّى، ثمّ تُربط يداه خلفه، ثمّ يُربَط في عمود بكيفيّة تجعل ظهره مُعرَّضًا للمَجْلَدَة، وكانت المَجلدة نفسها تتكوّن من سير طويل من الجِلد، وقد تُثبَّتُ فيه على مسافات قِطع من العِظامِ المَسْنُونة، وقطعٌ صغيرة من الرّصاص، وعندما يُجلَد الجسَدُ العاري يُصبِح كشرائح من اللّحم المُمزَّق، مُمتلِئًا من الجُروح المُلتهبة الدَّامية من شدَّة ما يُقاسِيه أثناء هذه العمليّة الشّنيعة، بل كان كثيرون من المُذنِبين يفقِدون حياتهم عند ذلك، والبعض يفقِدون عقولهم، وقليلون هم الذين يظلُّون في وعيهم،[2] الأمر الذي يدلُّ على الألم الجسدي والنَّفسي الحادِثِ للمحكوم عليه بالصَّلب قبل تنفيذ هذا الحُكم فيه، "غير أنَّ هذا العمل الهمَجي؛ وهو الجَلَد، يختلِف من حضارة لأُخرى، حيث كان اليهود أَرَقَّ تنفيذًا له من الرُّومان؛ فقد كانوا يُعرُّون الجزء الأعلى من الجسد فقط، بينما الرُّومان يعرُّون الجسد كلّه، وكان عدد الجَلدات عندهم لا يزيد على تسعة وثلاثين (39) جلْدة، أمَّا الرُّومان فلم يكُن عندهم عدد محدَّد

[1]– ميشيل حنَّا: **30 طريقة للموت –تاريخ وسائل الإعدام في العالم–**، ص32.

[2]– وليم باركلي: **تفسير العهد الجديد**، مج01: إنجيل متّى ومرقس، ص452.

للجلدات"،[1] وعلى الرَّغم من ذلك فقد تأثّر اليهود بالرُّومان في كثير من العادات والتّقاليد ومنها أخذهم عنهم القتْل بالصَّلب.

وكانت العادة –أيضًا– أنَّه عند الحُكم على مُذنبٍ بالصَّلب؛ أنْ يُحاطَ بمُربَّعٍ من الجُنود الرُّومان ليقوده إلى مكان الصَّلب، وكان من المُعتَاد أنْ يحمل المُذنِبُ صليبَه (يحمل الجُزء الأُفقي من الصّليب، إذْ أنّ الجزء الرّأسي يكون مثبَّتًا في الأرض في مكان الصّلب –وهذا جزء من الإهانة والتّعذيب أيضًا–)، وكانت التُّهمة التي من أجلها يُحكَم على الشّخص بالموت؛ تُكتَبُ على لوحة وتُعلَّق حول رقبته، أو يحملها ضابطٌ يسير في مقدِّمة الموكب، ثمّ تُثبَّتُ فيما بعد على الصّليب نفسه، وكان الجنود –زيادة في إرهاق المُذنب وتعذيبًا له– يختارون أطول الطُّرق المُمكنة إلى مكان الصّلبِ؛ حتّى يُمكِن لأكبر عددٍ من النَّاس أنْ يُشاهدوا الموكب، ليأخذوا العبرة، ويأخذوا حِذرهم من هوْل ما يروْن.[2]

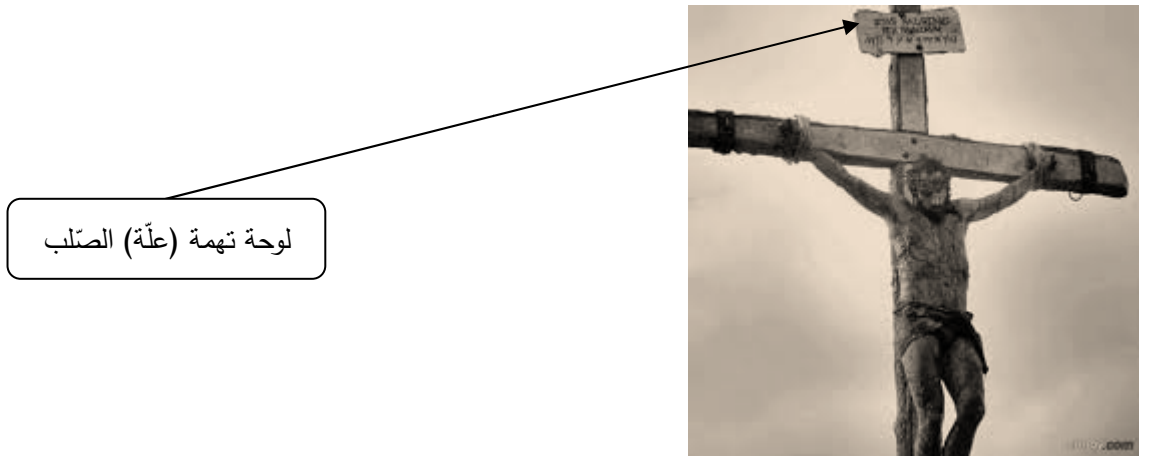

الشّكل09: (صورة توضّح اللّوحة المكتوب عليها تُهمة (علّة) الصّلب)

وعندما يُشرع في عمليّة الصَّلب؛ يتمُّ دَقُّ الضَّحيَّة في الصَّليب الخشبي بالمسامير، أو ربطه بالحِبال، وأحيانًا بالمسامير والحِبال معًا، فتُدقُّ المساميرُ في القدميْن وراحتيْ اليد، إلّا أنَّ راحتيْ اليد لا تحتملان وزْن الجسم؛ لذا يتمُّ في الغالِب ربْطُ الرّسغيْن بالحِبال في

[1]– منيس عبد النُّور: **صلب المسيح ودفنه وقيامته –ثلاث حقائق تاريخيّة–**، ص32.

[2]– وليم باركلي: **تفسير العهد الجديد**، مج01: إنجيل متّى ومرقس، ص453.

الصَّليب من أجل تثبيت الجسم عليه أكثر، ولا زال هُناك خِلافٌ بين الطّوائف المسيحيّة حول مكان دقِّ المسامير في يديْ المسيح، وهل كانت في راحتيْ اليد أم في الرّسغيْن، حيث أنّ دقّ المسامير في الرّسغيْن يسمح بتحمُّل وزن الجسم إذا تمّ إدخال المِسمار بين عظمتيْ السَّاعد المعروفتيْن باسم: radius and ulna، ويُرجِّح البعض أنّ المِسمار يتمُّ إدخاله في المسافة الصَّغيرة بين العُظيمات الرّسغيّة الصَّغيرة، وهناك نظريّة أخرى تقول: إنّ المسمار يُدقُّ في ذلك المُثلّث الصّغير الذي يقع عند قاعدة الإبهام، ويدخل بطريقة مائلة ليَعْبُر إلى الرَّسغ عبر النَّفق الرَّسْغِي.[1]

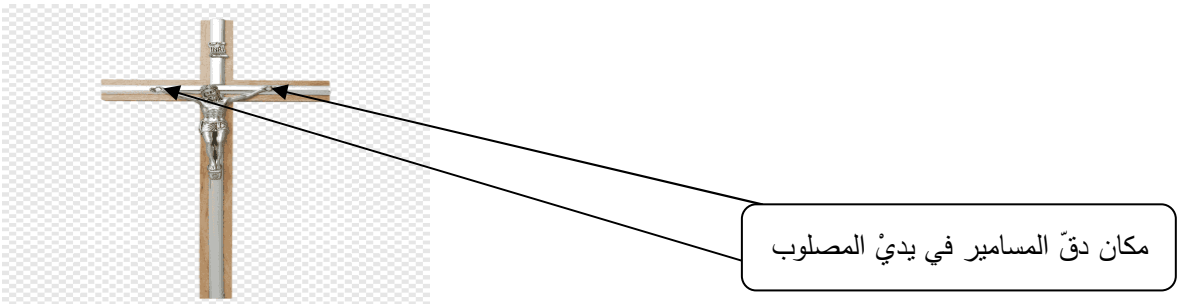

الشّكل10: (صورة توضّح مكان دقّ المسامير في كفِّ المصلُوب)

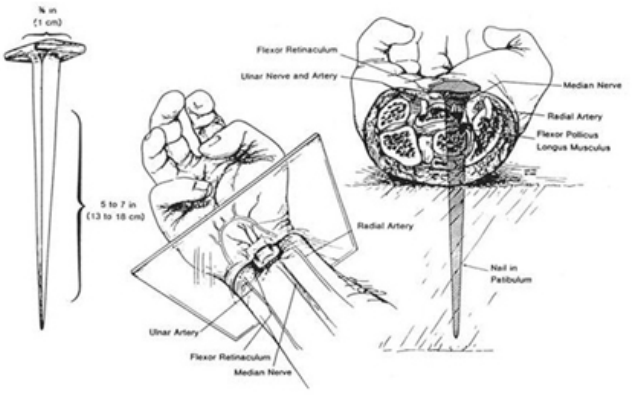

الشّكل11: (مخطّط يوضّح كيفيّة تثبيت يد المصلوب على الصّليب واختراق المسمار لها)

[1]– ميشيل حنَّا: **30 طريقة للموت –تاريخ وسائل الإعدام في العالم–**، ص33.

وأحيانًا توضع قطعة خشبيَّة أسفل السّاقيْن لتدعيم الجسم،[1] والنّتيجة الحتميّة لكلِّ ذلك هي الموتُ لا محالة.

الشّكل12: (صورة توضّح قطعة الخشبة الموضوعة أسفل رجليْ المصلوب)

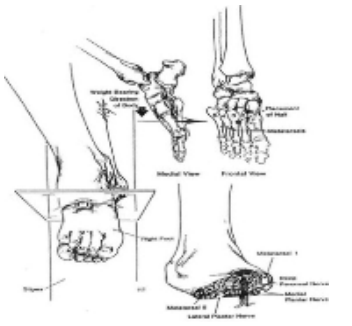

الشّكل13: (مخطّط يوضّح حالة رِجليْ المصلُوب عند الصّلب)

وقد تحدُث الوفاةُ في خلال ساعات أو أيّام من الصّلب،* نظرًا إلى طريقة الصّلب، أو الصّحّة العامّة للمصلوب، أو الظّروف المُناخيّة، وهناك عدّة نظريات لتفسير سبب حدوث الوفاة للمصلُوب؛ إحداها ترجِّح أنْ يكون الموت نتيجة للاختناق؛ لأنّه عندما يكون جسم الضَّحيّة مُرتكِزًا على الذِّراعيْن المشدودتيْن، فإنّ صاحبه يعاني من صعوبة شديدة في إخراج الزَّفير، وذلك ناتجٌ عن تمدُّد الرِّئتيْن، أو قد يكون سبب الوفاة لبعض العوامل

[1]- ميشيل حنَّا: **30 طريقة للموت –تاريخ وسائل الإعدام في العالم–**، ص33.

*اقتبَس الرُّومان عن الفينيقيين نظام الصَّلب وأضافوا إليه؛ فطوَّروا نِظامًا للصَّلْبِ يُحقِّق الموت السّريع، ونظامًا آخر يُحقِّق الموت البطيء للتَّخلُّص من المحكومين. (أحمد ديدات: **مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء**، ص66).

الأُخرى؛ كالصّدمة النّاتجة عن عمليّة الجلد التي تسبق الصَّلب، أو من أثر دقِّ المسامير، أو فقدان سوائل الجسم (الجفاف)، أو من الإرهاق الشّديد، إلّا أنّ هناك مَن عارض هذه النّظريّة ورأى بعد إجراء العديد من التّجارب على بعض المُتطوّعين؛ أنَّ الاختناق لا يحصل للمصلوب أو المُعلَّق، لكنّه يكون في حالة إرهاق وإيلام شديد، وهذا ما يفسِّر تفضيل الرُّومان لهذه الطّريقة في الإعدام؛ فهي طريقة تجعل الألم مستمرًّا لأطول فترة، كما أنّ فيها تحقيرًا وإذلالًا للضَّحيّة، فإذا طالت الفترة بالمصلُوب دون أن يموت؛ كان الرّومان يقومُون بكسْرِ ساقيْه بمطرقة؛ فيعجز عن رفْع نفسه فيموت بالاختناق في خِلال دقائق.[1]

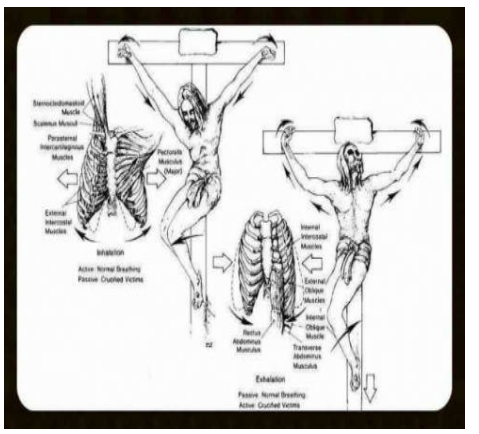

الشّكل14:

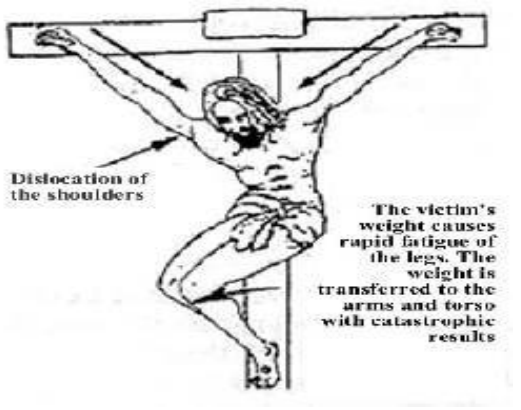

الشّكل15:

(مخطّطان يوضّحان ما يتعرّض له المصلوب من اختناق وإرهاق وألم بعد الصّلب)

ويُمكِن تلخيص مكوِّنات الصَّليب في:[2]

01- عارضة عموديّة طولها عادة متران، لكنّها تتعدى هذا الطول أحيانا، وتكون ثابتة في مكان الصّلب.

02- عارضة أُفقيّة يحملها المحكوم عليه، ويمشي بها من المحكمة إلى مكان تنفيذ الحُكم.

[1]- ميشيل حنَّا: **30 طريقة للموت -تاريخ وسائل الإعدام في العالم-**، ص33-35.

[2]- **لماذا لم يُسمّر اللّصّان وسُمِّر السّيّد المسيح على الصَّليب؟**، مقال سابق.

03- كرسي الجلوس؛ وهو عبارة عن نتُوءة أفقيَّة كانت تضاف أحيانا كي يجلس عليها المصلُوب رغبة في إطالة عذابه، وهذا نادرًا ما يكُون.

04- كرسي القدمين؛ وهو عبارة عن لوحة أفقيّة أو عرضيّة لوضع القدمين.

05- رقعة الحكم؛ حيث يُكتب عليها اسم المحكوم عليه وجريمته.

وفي الفِكر المسيحي نقطة هامّة متعلِّقة بصلب السّيّد المسيح؛ وهي أنّه فُرِّق بينه وبين اللّصّيْن اللّذيْن صُلِبَا معه في طريقة قبض الأيدي على الصّليب، حيث كانت طريقة الرّبط بالحبال هي الطّريقة التي عُومِل بها اللّصّان، وهو الأمر الذي كان يطبَّق على العامّه من اللُّصوص الخَطِرين، أمّا المسيح فقد سُمِّرَت يداه بالمسامير؛ وهي الطّريقة التي كان يعَامَل بها كل مَن يقوم بثورة ضدَّ المملكة أو الإمبراطوريّة الرُّومانيّة التي كانت حاكمة آنذاك.[1]

الشّكل16: (صورة توضّح الفرق في شدّ أيدي المصلوبين بين المسيح واللّصيْن)

[1] – **لماذا لم يُسمّر اللّصّان وسُمِّر السّيّد المسيح على الصَّليب؟**، مقال سابق.

وكنتيجة لكلّ ما سبق في قضيّة طريقة الصّلب، يلخّص لنا صاحب مقال "التّفاصيل التّشريحيّة والوظيفيّة للموْت بالصَّلب" هذه القضيّة بصفتيْها العامّة والخاصّة –تبريرًا لصلب المسيح، وتبيينًا لما عانَاه من آلام بيولوجيّة– في النّقاط الآتية:[1]

01– الموت بالصّلب هي أكثر الطُّرق تعذيبًا وألمًا التي اخترعها الإنسان على مدار التّاريخ ممّا جعل الأطبّاء يُطلقون على تلك الآلام الرهيبة مصطلح (excruciating)؛ أي آلام الصّلب في التّرجمة الحرفيّة للمصطلح.

02– طريقة الإعدام هذه كانت مُخصّصة في الأساس كعقاب لأبشع الجرائم التي يرتكبها الإنسان، والمسيح قد رفض النّبيذ ذو التّأثير المخدّر الذي قُدِّم له بواسطة أحد الجنود الرومان لينفّذ الوعد المكتُوب في إنجيل متّى البشير: **[وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مِنَ الآنَ لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هَذَا إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيداً فِي مَلَكُوتِ أَبِي]**. (متّى: 26/ 29).

03– المسيح جُرّد من ملابسه واقترع عليها الجنود لتتم النُّبوءة المكتوبة في المزامير **[يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ]**. (مزامير :22/ 18).

04– صلب المسيح تسبَّب في موت مرعب مؤلم بطيء؛ فبعد أن دقُّوا المسامير ليصلبُوه تسبَّب هذا في اتِّخاذ جسده وضعًا تشريحيًّا يستحيل معه اتِّزان الجسم.

05– رُكبتاه أصبحتا مثنيّتيْن بـ: 45 درجة، وأُجبر جسده على أن يحمل وزنه على عضلات الفخذيْن، وهذه العضلات ليست في وضعية صحيحة، كما أنَّها لا تستطيع تحمُّل وزْن الجسم إلا لمدّة دقائق ينتج عنها تقلُّص عضلي شديد جدًّا في عضلات الفخذ والقدم (عضلات السمانة).

[1]– تروما دافيس: **التّفاصيل التّشريحيّة والوظيفيّة للموْت بالصَّلب**، موقع الأقباط اليوم: https://www.coptstoday.com/l74737، تاريخ النّشر: 15 أفريل 2014م، تاريخ التّصفّح: 21 جويلية 2020م، السّاعة: 19:07.

06- بسبب وزن الجسم المُحمَّل على قدميه المخترقتان بالمسمار، وبسبب أنّ عضلات الطّرف السّفلي أصبحت منهكة جدًّا، فإنّ الجسم يصبح مضطرًّا لأن ينقل الوزن لعضلات الطَّرف العلوي فيرتكز الوزن على المِعصمين والذِّراعين والأكتاف.

07- وفي خلال دقائق معدودة من الصّلب حدث خلع في مفصل الكتف، وبعده بفترة وجيزة حدث خلع في مفصلي الكوع والمِعصم.

08- ونتيجة لخلع تلك المفاصل فإنّ طول الذراع بهذا أصبح أكثر بـ: 09 بوصات (14.5سم) عن الطُّول الطّبيعي للذِّراع، كما هو موضَّح على الكَفَن المقدَّس.

09- وبهذا فإنّه تتحقَّق النبوّة المذكورة في المزمور [**كَالْمَاءِ انْسَكَبْتُ. انْفَصَلَتْ كُلُّ عِظَامِي. صَارَ قَلْبِي كَالشَّمْعِ. قَدْ ذَابَ فِي وَسَطِ أَمْعَائِي**]. (مزامير: 22/ 14).

10- وبعد الخلع الذي حدث في مفاصل الأكتاف والكوع والمعصم فإنّ ارتكاز وزن الجسم قد انتقل إلى العضلة الأماميَّة المغلِّفة للقفص الصَّدري المسماة بالـ pectoralis major.

11- قوّة الشدِّ الواقعة على القفص الصَّدري تسبَّبت في انجذاب الضُّلوع للأعلى وللخارج في حالة غير طبيعيَّة بتاتًا؛ ممَّا جعل الرِّئتين ممتلئتيْن بالهواء أكثر من اللّازم، ولأقصى حدٍّ ممكن لأيِّ رئة بشرية أن تتحمَّله، وبالتَّالي فعند إخراج الهواء (الزَّفير) على المسيح أن يجبر جسده لفعل ذلك.

12- والزَّفير سيحدُثُ بالضَّغط على المسامير المغروزة في قدميه ليرفع جسمه، وليجعل القفص الصَّدري يتحرَّك للأسفل وللدَّاخل كي يخرج الهواء من رئتيْه.

13- وبسبب وضع الصَّلب غير الطَّبيعي؛ فإنَّ الرِّئتين أصبحتا في وضع ثابت يجعلهما ممتلئة بالهواء لأقصى درجة ممكنة دائمًا، وهذا يعني أنَّ الصَّلب تسبَّب في كارثة طبيَّة خطيرة.

14- والمشكلة تكمن في أنَّه لكي يُخرِج الهواء من رئتيه عليه بالضَّغط على قدميه المخترقة بالمسامير وأن يحرِّك عضلات الفخذين وركبتيه الموضوعتيْن في وضع الثَّني بـ: 45 درجة، كما أنَّ عضلات الأرجل كلُّها منهكة تمامًا وتعاني من آلام تقلُّص شديدة جدًّا، بالإضافة لذلك فإنَّ وضع انتصاب جسد المسيح على الصَّليب غير طبيعي من النَّاحية التَّشريحيَّة.

15- وبخلاف أفلام هوليوود فإنَّ الضَّحيَّة في تلك الأفلام يكون نشطًا جدًّا، أمَّا في الحقيقة فإنَّ المصلُوب عليه أن يتحرَّك للأعلى وللأسفل لمسافة 12 بوصة (18سم) لكي يتمكَّن من التَّنفُّس وعدم إبقاء أيِّ هواء بداخل الرِّئتين.

16- صعوبة التَّنفُّس تلك تتسبَّب في آلام صلب شديدة جدًّا بالإضافة إلى الخوف من الموت بالاختناق.

17- وبمرور الـ 06 ساعات على الصَّليب يفقد جسد المسيح شيئًا فشيئًا توازنه، ويُصبح غير قادر على تحميل الوزن على الأرجل؛ لأنَّ عضلات الأرجل أصبحت منهكة تمامًا. بالإضافة لهذا يزداد الخلع بمفاصل الرّسغ والكوع والكتف بالذِّراعين، ويزداد الشدُّ أكثر فأكثر على ضلوع القفص الصَّدري ممَّا يجعل التَّنفُّس أكثر صعوبة، وفي خلال دقائق يعاني المسيح ازدياد ضيق التَّنفُّس.

18- التحرُّك لأعلى ولأسفل على الصَّليب يتسبَّب في إحداث مزيد من الألم في الأقدام والمفاصل المخلوعة.

19- الحركة تصبح أقلَّ فأقلّ، ولكن الخوف من الموت الفوري خنقًا يُجبره على بذل قصارى جهده ليتنفَّس.

20- وفي الذِّراعين يعاني من ألم ناري شديد ناتج عن تمزُّق العصب الأوسط المُغذِّي لعضلات اليد.

21- في هذا الوقت فإنَّ المسيح قد أصبح مغطًّى بالدَّم والعرق.

22- الدَّم هو نتيجة الجلد الذي تسبَّب تقريبًا في قتله، أمَّا العرق فهو بسبب الحركات العنيفة غير إرادية التي يقوم بها جسمه لكي يُخرِج الهواء من الرِّئتين، وفي خلال كلِّ هذا فهو مجرَّد من ملابسه أمام قادة اليهود والجمُوع واللُّصوص على كلا الجانبين وكلُّهم يصرخون ويشتمون ويضحكون عليه وأمُّه تقف وتشاهد كلّ هذا.

23- فسيولوجيًا؛ يمرُّ جسد المسيح بحوادث كارثيَّة تُنهي على حياته.

24- ولأنَّ المسيح لا يستطيع أن يضبط تهويَّة الرِّئتين فإنَّه يعاني من نقص حادٍّ في التَّهويَّة.

25- ويعاني أيضًا من انخفاض نسبة الأكسجين في الدَّم، ممَّا يعني أنَّ الجسم بات يفتقر للأكسجين ومتعطِّشًا إليه، ويصاحب هذا ارتفاع نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون الضَّار بالجسم.

26- وارتفاع نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون بالدَّم تُجبِر القلب على أن يخفق أسرع؛ ظنًّا من الجسم أن هذا سيساعده في التَّخلُّص من غاز ثاني أكسيد الكربون وتوصيل الأكسجين للأماكن المفتقرة إليه.

27- مركز التَّنفُّس بالمخ يبدأ بإرسال إشارات طارئة للرِّئتين لتتنفَّس أسرع لإزالة غاز ثاني أكسيد الكربون، ممَّا يجعل المسيح يلهث أكثر.

28- أصبحت كل الأفعال المنعكسة الصَّادرة عن جسده تحتاج إلى أخذ نفس أعمق ممَّا سبق، وهو يتحرَّك لا إراديًّا لأعلى ولأسفل على الصَّليب بشكل أسرع ليتمكَّن من التَّنفُّس بالرَّغم من الآلام المُبرحة التي يعاني منها، وبالإضافة لكلِّ ما سبق أصبح جسده يقومُ -لا إراديًّا- بإحداث حركات تلقائيَّة مؤلمة نتيجة هُتَاف وصراخ الجماهير المحيطة به والجنود الرُّومان والسَّنهدرين (مجلس كهنة وشيوخ اليهود).

29- ومع الوقت، ونتيجة لتسمير المسيح على الصَّليب مع ازدياد إنهاكه؛ أصبح غير قادر على توفير حاجة جسمه من الأكسجين.

30- كـلا العـاملين (ازديـاد نسـبة غـاز CO2 فـي الـدّم Hypercapnia) و(انقـراض الأكسجين في الدّم hypoxia) تسبَّبا في ازدياد معدَّل ضربات القلب tachycardia.

31- مـع ازديـاد معدَّل ضـربات القلـب أصبح نبضـه يصـل إلـى 220 ضـربة فـي الدَّقيقـة الواحدة، وهو أكثر بكثير من المعّدل الطَّبيعي للإنسان؛ وهو 60 ضربة في الدَّقيقة.

32- لم يشرب المسيح شيئًا منذ 15 ساعة؛ أي منذ السَّاعة الـ 06 مساءً؛ أي منذ يوم الخميس بالإضافة إلى جَلْدِه البشع المبرح الذي تسبَّب تقريبًا في قتله.

33- كان ينزف من كلِّ جسمه نتيجة الجلد، بالإضافة إلى إكليل الشَّوك والمسامير في يديـه ورجليـه والتمزُّقـات التـي تعرَّض لهـا جسـده نتيجـة الضَّـربات وسـقوطه المتكـرِّر أثنـاء حمله للصَّليب وسيره به.

34- كـان جسـده يعـاني مـن جفـاف شـديد نتيجـة مـا فقـده مـن كميَّـات كبيـرة مـن الـدَّم والسَّوائل، وهذا بدوره أدَّى لانخفاض ضغط الدَّم بشكل مفزع وسريع.

35- وصـل ضـغط الـدَّم إلـى 80 علـى 50، وهـو أقلّ مـن المعـدّل الطَّبيعـي لإنسـان فـي نفس عمره؛ وهو 120 على 80.

36- بهذا كلِّه أصبح جسده يعاني من صدمة من الدَّرجة الأولى بالإضافة إلى انخفاض حجم الـدَّم hypovolemia والتَّنفُّس السَّريع tachypnea وتسـارع ازديـاد ضـربات القلـب tachycardia والتَّعرُّق الغزير hyperhidrosis.

37- بحلـول وقـت الظَّهيـرة بـدأ قلـب يسـوع بـالتَّوقُّف التَّـدريجي والفشـل فـي أداء وظيفتـه الطبيعيَّة.

38- رئتاه بدأتا بالامتلاء بالماء بدل الهواء فيما يعرف بـ: pulmonary edema.

39- هذا فقط أدَّى لازدياد معدَّل التَّنفُّس الذي أصبح مختلًّا تمامًا.

40- بهذا دخل السَّيّد المسيح في فشل تنفُّسي وقلبي.

41- حينما قال المسيح وهو على الصّليب "أنا عطشان"؛ كان ذلك تعبيرًا منه عمَّا يعانيه جسده من فقد كميَّة هائلة من السَّوائل وتعطشه الشَّديد لتعويضها.

42- أصبح جسده في حاجة ماسَّة إلى نقل الدَّم والبلازما بشكل فوري من خلال أحد أوردته.

43- أصبح غير قادر على التَّنفُّس، وبدأ يعاني من الاختناق البطيء المؤدِّي إلى الموت.

44. فشل التَّنفُّس، وفشل عضلة القلب عن أداء وظيفتها؛ أدَّيَا إلى نقص حادٍّ في الأكسجين الواصل إلى خلايا عضلة القلب عن طريق الدَّم المُحمَّل في الشّريان التَّاجي ممَّا يؤدِّي إلى حدوث ذبحة قلبيَّة (acute myocardial infarction) بسبب موت خلايا عضلة القلب، وهذا يترَّتب عليه ترشُّح الدَّم والسَّوائل في غشاء التَّامور pericardium (الغشاء المغلِّف لعضلة القلب) ويعرف ذلك الترشح بـ: pericardial effusion.

45- هذا التَّرشُّح للسَّوائل والدِّماء في ذلك الغشاء يحدث ضغطًا هائلًا على عضلة القلب عندما يصبح أكثر من 250 سم مكعّب ممَّا يحدث مزيدًا من الإعاقة لعضلة القلب عن أداء وظيفتها، وتعرف تلك الحالة بالاندحاس القلبي cardiac tamponade.

46- بسبب عجز القلب على توفير حاجة الخلايا وأنسجته للأكسجين والتَّغذية، بالإضافة للحالة المتقدِّمة لترشح وتجمع الدَّم حوله؛ فإنَّ القلب ينفجر مسبِّبًا الوفاة.

47- كان الرُّومان إذا أرادوا أن يقتلوا المعلَّق على الصَّليب فإنهم يقومون بكسر رجليه مما يؤدي إلى موت الضحية مختنقاً خلال دقائق.

48- بعد السَّاعة الثَّالثة ظهرًا نطق المسيح كلمته الأخيرة "قد أُكْمِل"، في تلك اللّحظة أسلم الرُّوح ومات.

49- وعندما جاء الجنود الرُّومان ليكسروا رجليْه وجدوه قد مات، فلم تكسر عظمة واحدة من عظامه محقِّقًا النُّبوة المذكورة سابقًا.

50- مات المسيح بعد 06 ساعات قاسى فيها كلّ ألوان التّعذيب والآلام.

وهكذا يتصوّر المسيحيون ما حصل للمسيح من آلام ومِحن ورزايا، ويُصوِّرون حالته بالباروناما المذكورة آنِفًا؛ وهي حالة معبِّرة عن النّهاية الأليمة التي حدثتْ في بضعة أيّام المسيح الأخيرة والمعبَّر عنها في الأدبيات الدّينيّة والفكريّة المسيحيّة بـ: (أسبوع الآلالم)، والغرض من هذه الآلام التي تعرّض لها المسيح؛ إثبات إلوهيّته عندما انتصر على الموت من جهة، وتخليصُ المؤمنين به من المسيحيين من آثامهم وخطاياهم من جهة أخرى.

11. وَكَيْفَ تَمَكَّنَتْ أَيْـــــدِي عِـــــدَاهُ وَطَالَتْ، حَيْثُ قَدْ صَفَعُـــوا قَفَـــاهُ؟

أي؛ كيف استطاع أعداء الإله يسوع المسيح؛ وهم اليهود، التّمكُّن منه والقبض عليه ليصلبُوه، والحال هذه؛ كيف لم يستطع هذا الإله أنْ يجد في أرضه التي خلقها مَخْبَأً أو ملْجَأً يأوي إليه كيْ لا تبصره أعيُن أعدائه؟، أم أنّه غير خبير بتضاريسها ومِهادِها؟، ولم يكن اليهود والجنود الرّومانيين -على حسب ما تحكيه الأناجيل- ليقبِضوا عليه لولا خيانة يهوذا الأسخريوطي له، فإنّه قد وَشَى به إليهم، كما بيّنّا ذلك في قصّة الصّلب، ثمّ إنّهم لم يكتفوا بذلك، بل تطاولُوا عليه فصفعوا قفَاه مستهزئين به مستصغرين من شأنه مكذّبين له ومُعَاقبين، حيث إنّهم لمّا قبضوا عليه وحكموا عليه بالصّلب، وفي طريقهم لتحقيق هذا الحُكم؛ أخذوا يبصقون في وجهه ويلطمونه ويلكمونه ويضربوه ويصفعونه.[1]

الشّكل17: (صورة للمسيح المُقيَّد المُهَان)

[1]- متّى: 26/ 67-68، مرقس: 15/ 19-20.

فأيُّ إله هذا الذي يُفعَل فيه مثل هذا الفعل، يُقبَض عليه، ولا يستطيع أن يَنجُو برأسه أو يُخلِّص نفسه، بل يُضرَبُ ويُهَان ولا يستطيع ردّ الاعتبار، فهل هذا إله؟!!.

قطعًا، إنّ مثل هذا الشّخص ليس بإله وما ينبغي له أنْ يكون كذلك، فالإله الحقّ لا يُدركه خلقه ولا يبصرونه حتّى يقبضوا عليه أو يُهِينوهُ، وحتّى وإنْ رأوْهُ –وما ذلك بكائن أبدًا– فما هم ببالغين إيّاه، بل هو الذي يُبصِر عباده: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ (الأنعام: 103)؛ أي لا تُحيط به الأبصار، وقيل: لا تحيط بحقيقته، والإدراك يتضمّن الإحاطة بالشّيء والوصول إلى أعماقه وحوْزِه من جميع جهاته، أو كنّى بالأبصار عن الأشخاص لأنّها بها تدرك الأشخاص الأشياء، وكان المعنى: لا يدركه الخلق وهو يدركهم، أو يكون المعنى: إبصار القلب، أي: لا تدركه علوم الخلق وهو يدرك علومهم وذواتهم، لأنّه غير مُحاطٍ به، وهو على هذا مستحيل على الله عند المسلمين، ولا تُنَافي الرّؤية انتفاء الإدراك، وقيل: الإدراك هنا الرّؤية، وهي مختلَفٌ فيها بين المسلمين؛ فالمعتزلة يُحيلونها، وأهل السُّنّة يجوّزونها عقلًا ويقولون: هي واقعة سمعًا، وهذه مسألة يُبحَث عنها في علم أصول الدّين، وفيه ذكر دلائل الفريقيْن مستوفاة، وعلى تسليم أنّ الإدراك هو الرّؤية فالأبصار مخصوصة؛ أي: أبصار الكفّار الذين سبَقَ ذكرهم أو لا تدركه في الدُّنيا، ومعنى هو يدرك الأبصار؛ دلالة على أنّ الإدراك لا يُرَادُ به هنا مجرّد الرّؤية، إذْ لو كان مجرّد الرّؤية لم يكُن له تعالى بذلك اختصاص ولا تمدّح، لأنّنا نحن نرى الأبصار، فدلّ على أنّ معنى الإدراك الإحاطة بحقيقة الشّيء، فهو تعالى لا تحيط بحقيقته الأبصار وهو مُحيطٌ بحقيقتها، وقيل: والمعنى أنّ الأبصار لا تتعلّق به ولا تُدركه، لأنّه مُتعال أنْ يكون مُبْصَرًا في ذاته لأنّ الأبصار إنّما تتعلّق بما كان في جهة أصلًا أو تابعًا كالأجسام والهيئات، وهو للُطف إدراكه للمُدركَات يُدرك تلك الجواهر اللّطيفة التي لا يدركها مُدرِك، يلطُف عن أنْ تُدرِكه الأبصار، الخبير بكلّ لطيف،[1] فلمّا كان خبيرًا بعباده، كان حرًّا بعاقبتهم إنْ شاء عذّبهم وإنْ شاء غفر لهم: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾. (آل عمران: 129)، يُميتهم ويُحييهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا

[1]– أبو حيّان الأندلسي: **تفسير البحر المحيط**، ج04، ص252.

﴿لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ (التّوبة: 116)، فهو سبحانه وتعالى ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ (الحج: 18)، و﴿يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ (المائدة: 01)؛ ذلك أنَّهُ ربُّ العِباد جميعًا، وربُّ الخَلائق كلِّها؛ المُتصرِّف فيها والمُدبِّر لشؤونها وحده لا شريك له من غير إملاء ولا قسْرٍ ولا إكراه.

وربَّما يكون ابن القيّم رحمه الله هنا يريد بالتّمكّن من المسيح صلبه، وأنّ الصّفع على القَفَا قد حصل بعد أنْ تمّتْ عمليّة الصّلب؛ أي أنّ اليهود بعدما صلبُوه وكان معلّقًا على خشبة الصّليب، صفعوه على قَفَاه، إلّا أنّنا نستبعد ذلك انطلاقًا من أنّ الأناجيل لم تذكره خاصّة وأنّها تقريبًا المصدر الوحيد الرّاوي لقصّة الصّلب، وكلّ ما ورد فيها أنّ ذلك الصّفع وما تبعه من ضرب ولكْم وإهانة واستهزاء إنّما كان وقع له بصورة واضحة في طريق صلبه، غير أنّ إنجيل يوحنّا انفرد عن باقي الأناجيل الأخرى؛ بذكر حادثة طعْن يسوع (عيسى) في جنبه بحِربة من قِبل أحد الجنود،[1] أمّا إنجيل لوقا فإنّه سكَتَ عن ذلك كلّه فلم يرِد فيه ذكرٌ للصّفع والضّرب، لا قبل الصّلب ولا بعده،[2] وإنّما اتّفقت الأناجيل الإزائيّة الثّلاثة (متّى ومرقس ولوقا) على أنّهم كانوا يشتمونه ويستهزئُون به وهو على الصّليب،[3] وقبل ذلك اتّفقت الأناجيل الأربعة على أنّهم بعد ما صلبوه اقترعُوا على ثيابه واقتسموها فيما بينهم.[4]

وأيًّا كان الأمر، فإنّ هذه الحادثة بيّنت لنا بوضُوح بشريّة عيسى عليه السلام؛ فهو إنسانٌ كبقيّة النّاس يتعرّضُ لِما يتعرّضون له، ويُصيبُهُ ما يُصيبهم، أو هو أقلّ منهم حيلة وأهوَنُ شأنًا عند الإله الأب، فقد تركه يُهَان ويُشتَمُ ويُصفَع ويُبصَق في وجهِه، ويُفْعَلُ فيه ما لا يُفعَلُ في غيره.

---

[1]- يوحنّا: 19/ 34.

[2]- متّى: 26/ 67-68، مرقس: 15/ 19-20.

[3]- متّى: 27/ 39-44، مرقس: 15/ 29-32، لوقا: 23/ 35-39.

[4]- متّى: 27/ 35، مرقس: 15/ 24، لوقا: 23/ 34، يوحنّا: 19/ 23-24.

12. وهَلْ عَـــــادَ المَسِيحُ إِلَى حَيَـــــاةٍ أَمِ المُحْيِي لَـــــهُ رَبٌّ سِـــــوَاهُ؟

(وَهَلْ عَادَ المَسِيحُ إِلَى حَيَاةٍ)؛ يعتقِدُ النّصارى (المسيحيون) أنّ يسوع المسيح قام من الموت بعد ما صُلِب ومات بثلاثة أيّام؛ أي أنّه عاد إلى الحياة مرّة أُخرى في هذه الدّنيا، وتروي لنا الأناجيل قصّة عودته إلى الحياة بصفة يقينيّة محقَّقة لا شكّ ولا ريب فيها، ذلك أنّ أصحابها يعتبرون هذا الأمر عقيدة يجب الإيمان بها، فتقول: **[ولمّا مضى السّبت وطلع فجر الأحد، جاءت مريم المجدليّة ومريم الأُخرى لزيارة القبر،وفجأة وقع زلزالٌ عظيمٌ، حين نزل ملاكُ الرّبِّ من السّماء ودحرَجَ الحجر عن باب القبر وجلس عليه، وكان منظره كالبرق وثوبه أبيض كالثّلج، فارْتَعَبَ الحَرس لمّا رأوهُ وصاروا مثل الأموات. فقال الملاك للمرأتين: "لا تخافا، أنا أعرف أنّكما تطلبان يسوع المصلُوب، ما هو هنا، لأنّه قام كما قال، تقدّما وانظُرَا المكان الذي كان موضوعًا فيه، واذهبَا في الحال إلى تلاميذه وقولا لهم: قام من بين الأموات، وها هو يسبقكم إلى الجليل، وهناك ترونه، ها أنا قلتُ لكم". فتركت المرأتان القبر مُسرعتين وهما في خوف وفرح عظيمين، وذهبتَا تحمِلان الخبر إلى التّلاميذ، فلاقاهما يسوع وقال: "السّلام عليكما"، فتقدّمتَا وأمسكتا بقدميه وسجَدتَا له، فقال لهما يسوع: "لا تخَافَا! اذهبَا وقولَا لإخوتي أنْ يمضُوا على الجليل، فهناك يرونني". وبينما هما ذاهبتَان رجع بعض الحَرس إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكلّ ما حدث، فاجتمع رؤساء الكهنة والشّيوخ، وبعدما تشاوروا رَشَوْا الجُنود بمالٍ كثير، وقالوا لهم: "أشيعُوا بين النّاس أنّ تلاميذ يسوع جاؤوا ليلًا وسرقوه ونحن نائمون، وإذا سمع الحاكم هذا الخبر، فنحن نُرضيه ونردُّ الأذى عنكم". فأخذ الحرس المال وعملوا كما قالوا لهم، فانتشرت هذه الرّواية بين اليهود إلى اليوم، وظهر يسوع بعد ذلك بهيئة أُخرى لاثنين من التّلاميذ وهما في الطّريق إلى البريّة، فرجعَا وأخبرَا الآخرين، فما صدّقوهما، وظهر آخر مرّة لتلاميذه الأحد عشر، وهو يتناولون الطّعام، فلامهم على قلّة إيمانهم وقساوة قلوبهم، لأنّهم ما صدّقوا الذين شاهدوه بعدما قام، وقال لهم: "اذهبوا إلى العالم كلّه، وأعلنوا البشارة إلى النّاس أجمعين، كلّ مَن يؤمن ويتعمّد يُخلَّص، ومَن لا يؤمن يهلك، والذين يؤمنون تساندهم هذه الآيات: يطرُدون الشّياطين باسمي، ويتكلّمون بلغات جديدة، ويُمسِكون بأيديهم الحياة، وإنْ شربوا السُّمّ لا يُصيبُهم أذى، ويضعُون أيديهم على المَرْضَى فيُشفونهم"،[1] وبعدما كلّم**

[1]– في أعمال الرّسل: [أنّ الرّسل (التّلاميذ) سألوا يسوع عندما كانوا مجتمعين معه: "يا رب، أفي هذا الزّمن تُعيد المُلك إلى إسرائيل؟"، فأجابهم: "ما لكم أن تعرفوا الأوقات والأزمنة التي حدّدها الآب بسلطانه، ولكنّ الرّوح القدس يحلّ عليكم ويهبكم القوّة، وتكونون لي شهودًا في أورشليم واليهوديّة كلّها والسّامرة، حتّى أقاصي الأرض"]. (أعمال الرّسل: 01/ 06-08).

الرّبّ يسوع تلاميذه، رُفع إلى السّماء[1] وجلس عن يمين الله، وأمّا التّلاميذ فذهبوا يُبشّرون في كلّ مكان، والرّبّ يُعينهم ويؤيّد كلامهم بمَا يسانده من الآيات]. (متّى: 28/ 01-20، مرقس: 16/ 01-20).[2]

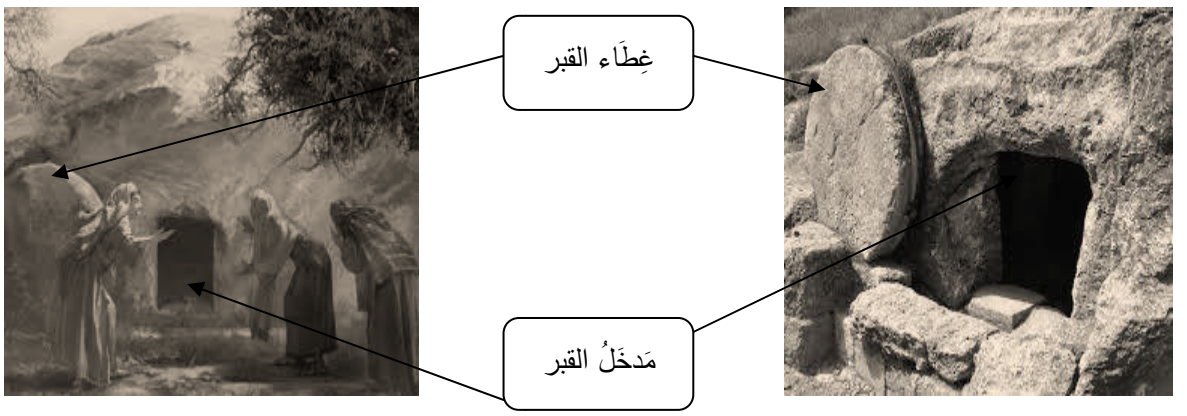

الشّكل18: (صورة لقبر المسيح وهو مفتوح)

الشّكل19: (صورة للنّسوة الزّائرات لقبر المسيح الفارغ)

وإذا ما نظرنَا في الأناجيل وهي تتحدّث عن قصّة قيامة يسوع، وجدْنا رواياتها تضطرِب من إنجيل لآخر –وهذا ما يُقلّلُ من مصداقيتها بخصوص هذا الموضوع–، وبهذا الصّدد يقول رومانو كواردِيني: "وقد أجمعَت الأناجيل الأربعة على موت المسيح

---

[1]– في أعمال الرّسل أنّ يسوع بعدما قام من الموت تراءى لتلاميذه ومكث معهم أربعين (40) يومًا. (01/ 03)، وأنّه لمّا ارتفع إلى السّماء حجبته سحابة عن أنظارهم، وبينما هم ينظرون إليه وهو يبتعد عنهم؛ ظهر لهم رجلان في ثيابٍ بيضاء، وقالا لهم: **[أيّها الجليليون، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السّماء؟، يسوع هذا الذي صعد عنكم إلى السّماء سيعود مثلما رأيتموه ذاهبًا إلى السّماء]**. (01/ 09-11).

الشّكل20: (صورة للمسيح وهو يغادر تلاميذه مرتفعًا إلى السَّماء)

[2]– ينظر أيضًا: لوقا: 24/ 01-53، يوحنّا: 20/ 01-29، 21/ 01-24.

وقيامته، فهي تُخبِر كلّها عمّا وقع في اليوم الثّالث لموْت المسيح من حدَث عجيب ترويه الرّوايات على شكْل خاصّ، فهي تدور ثمّ تنقطع فجأة، ثمّ يلقَى بعضها بعْضًا حاملة من المُضادّات والمُناقضات ما يتعذّر معه إيجاد حلّ لبعضها"،[1] ومن بيْن تلك التّناقُضات نذكر:

– الذين زارُوا القبر حسب إنجيل متّى هما مريم المجدليّة ومريم الأُخرى،[2] بينما مرقس يقول: إنّ الذين زاروا القبر مريم المجدليّة ومريم أم يعقوب وسالومة،[3] ولوقا يقول: نِساء وأُناس،[4] ويُثبِتُ يوحنّا أنّ التي زارتْ القبر هي مريم المجدليّة منفرِدة.[5]

– واختلفَت الأناجيل في الشّخص الذي رآه مَن زارُوا القبر؛ فمتّى يقول شاهدوا ملاكًا،[6] ومرقس يقول شاهدوا شابًّا،[7] ولوقا يقول شاهدوا رجُلَيْن،[8] ويوحنّا يقول شاهدوا مَلاكيْن.[9]

– والذي أخبَرَ التّلاميذ بظهور المسيح حسب متّى مريم المجدليّة ومريم الأُخرى،[10] وحسْب مرقس مريم المجدليّة ثمّ التّلميذان،[11] وحسْب لوقا التّلميذان،[12] وحسْب يوحنّا مريم المجدليّة.[13]

يقول كمال الصّليب معلّقًا على هذه الشّاهدة: "إنّ مريم المجدليّة كانت الوحيدة التي شهِدت بأنّها رأتْ يسُوع بعينيْها، وتكلّمت معه بعد قيامته من الموْت وهو بعْدُ عند قبره،

---

[1]– رومانوكوار ديني: **قيامة المسيح**، ص07.
[2]– متّى: 28/ 01.
[3]– مرقس: 16/ 01.
[4]– لوقا: 24/ 01.
[5]– يوحنّا: 20/ 01.
[6]– متّى: 28/ 02.
[7]– مرقس: 16/ 04.
[8]– لوقا: 24/ 04.
[9]– يوحنّا: 20/ 12.
[10]– متّى: 28/ 08.
[11]– مرقس: 16/ 09–13.
[12]– لوقا: 24/ 33–35.
[13]– يوحنّا: 20/ 18.

أمّا النّساء اللّواتي ذهبْن لزيارة القبر في اليوم الثّالث، وجدْن القبر فارغًا ثمّ اِلتقيْن هناك بمَن قال لهنّ بأنّ المسيح قد قام من قبره ولمْ يعُد موجودًا، ولعلّ الواقع هو أنّ مريم المجدليّة نفسها كانت تروي هذه القصّة عن مشاهدتها الحيّة ليسوع قائمًا من الموت، فكان على أساس ذلك أنْ بدأ التّلاميذ وأتباعهم يقتنعُون بقيامة يسوع، وكان بولس آخِر مَن تراءى له يسوع حيًّا، فاقتنَع بقيامته وصار يُبشِّر بها".[1]

- وقد ظهر المسيح للتّلاميذ حسب متّى ومرقس في الجليل،[2] وحسب لوقا في القدس،[3] القدس،[3] وحسب يوحنّا في القدس والجليل.[4]

إنّ كلّ هذا الاختلاف يعني أنْ لا نثِق بأيّ رواية من الرّوايات الإنجيليّة؛ حيث يسود جميعها الاضطراب والفوضى وعدم الجزم، ممّا يؤكّد أن كلّ العمليّة لا وجود لها على أرض الواقع،[5] "ومثل هذا الاختلاف –كما يقول ابن حزم– في قصّة واحدة عن مقامٍ واحد واحد كذبٌ لا شكَّ فيه، ولا يُمكنُ أن يقع من معصومين، فصحَّ أنَّهم كذَّابون لا يتحرّون الصِّدق فيما حدَّثوه وما كتبوه في هذه القصّة...، وقد صحَّ يقينًا أنَّ هؤلاء المخاذيل ليسوا على دين المسيح، ولا على ما مضى عليه تلاميذه، بل على دين آخر، فسحقًا لهم وبُعدًا"،[6] ومَن كان هذا ديدنه وهذه عادته في الكذب والتّزوير؛ فكيف ينتسب لدين المسيح عليه السلام، لذلك لا نجد لهذه الحادثة ذِكرًا البتّة في القرآن الكريم الذي أعرض عنها صفحًا، بل هي عنده محض العدم وحادثة نصرانيّة مُفتراة؛ فلم يعبأ حتّى بتفنيدها أو الإشارة إليها لأنّها تزييف للواقع وللتّاريخ وللحياة الإنسانيّة كلّها، خاصّة وأنَّها منسوبة لشخص أحد أنبياء الله تعالى الذي هو ليس نبيًّا فحسب، بل إنَّه من أولي العزم من الرُّسل الذين اصطفاهم الله عزّ وجلّ واختارهم على غيرهم من النَّاس.

---

[1]– كمال الصّليبي: **البحث عن يسوع –قراءة جديدة في الأناجيل–**، ص85–86.

[2]– متّى: 28/ 20، مرقس: 16/ 07.

[3]– لوقا: 24/ 36–49.

[4]– يوحنّا: 20/ 19–22.

[5]– حسن الباشا: **العقيدة النّصرانيّة بين القرآن والأناجيل**، ص171.

[6]– ابن حزم: **الفصل في المِلل والأهواء والنّحل**، ج01، ص264–265.

لكن هل قام يسوع من الموت فعلا بعد ثلاثة أيَّام؟.

لقد كفانا عَنَاء الإجابة عن هذا السّؤال الشّيخ أحمد ديدات رحمه الله الذي لخّص لنا أحداث دفن يسوع وقيامته في هذا الجدول:[1]

الشّكل21:

في القبر		أسبوع عيد الفِصح
اللّيالي	الأيّام	
ليلة واحدة	لا شيء	يوم الجمعة دُفن في القبر قبل غروب الشّمس بالضّبط
ليلة واحدة	يوم واحد	يوم السّبت يُفترض أنْ يكون في القبر
لا شيء	لا شيء	يوم الأحد مفقُود منذ قبل شروق الشّمس
ليلتان	يوم واحد	الإجمالي

إنّك ستلحظ بلا ريب بأنّ المجموع الكُلّي لمُكُوث يسوع في القبر هو يوم واحد وليلتان، وليس ثلاثة أيّام وثلاث ليالٍ كما أخبرت الأناجيل.

كما يؤكّد هذه الفكرة صاحب كتاب "تُحفة الأريب في الرَّدِّ على أهل الصَّليب"، حيث يقول: "ولا شكَّ في كذِب هؤلاء الأربعة الذين كتبوا الأناجيل في هذه المسألة؛ لأنّ عيسى عليه السلام لم يُخبر عن نفسه، ولا أخبر الله عنه في إنجيله بأنَّه يُقتَل ويُدفَن يومًا وليلتيْن، ولا ثلاثة أيَّام ولياليها...".[2]

وهكذا تروي لنا الأسفار التّاريخيّة من العهد الجديد قصّة قيامة يسوع (عيسى) من الموت؛ التي أضحَت من أهمّ العقائد في الفكر المسيحي وباتت تحتلّ منزلة رفيعة بين

[1]– أحمد ديدات: **مَن دحرج الحجر؟**، ص60.

[2]– أبو عبد الله التّرجمان (إنسلم تورميدا): **تحفة الأريب في الرَّدِّ على أهل الصَّليب**، ص59.

العقائد المسيحيّة الأُخرى، إذ بها انتصر يسوع المسيح الرّبّ النّصراني على الموت، فبقدر ما أخذت مسألة الصّلب في الدّيانة المسيحيّة من أهمّيّة، أخذت القيامة من الموت الأهمّيّة الأكبر فيها؛ حيث تأسّست عليها قضايا عقديّة غاية في الحساسيّة، وغاية في الخُطُورة، والسّبب في ذلك ربْط هذه الحادثة بإلوهيّة المسيح، وما يترتّب على ذلك من رؤى عقديّة وفلسفيّة مسيحيّة،[1] واتّخذ النّصارى (المسيحيون) من ذِكرى هذه الحادثة التي وقعَت في يوم الأحد عيدًا أُسبوعيًّا لاستذكار قيامة يسوع المسيح، تقديسًا وتخليدًا لها، بل إنّ هناك كنيسة موجودة اليوم بالقُدس تُدعى "كنيسة القيامة" مبنيّةٌ على مكان الصّخرة التي صُلِب عليها المسيح في اعتقاد النّصارى، وقد سُمِّيَتْ هذه الكنيسة بهذا الاسم لاعتقاد المسيحيين بأنّ القبر المقدّس؛ أي قبر المسيح موجودٌ فيها وأنّ المسيح قام منها بعد ثلاثة أيّام.

لكن ما يستوجب الذّكر –هاهُنا– أنّ هذه العقيدة؛ عقيدة دخيلة على النّصرانيّة (المسيحيّة)؛ أي أنّها ليست أصيلة الفكر المسيحي، وإنّما هي مستقاة من العقائد والدّيانات الوثنيّة القديمة التي تأثّر بها المسيحيون عبر حِقبات زمنيّة مختلفة، "حيث يُعدُّ موضوع الرّبّ القائم من الموت بعد قتْلِه ركنًا أساسيًّا في كثير من العقائد الوثنيّة، وقد وجد في جسد البِناء اللّاهوتي النّصراني مكانًا محمودًا، بل هو الأُسّ الذي أُقيم عليه بقيّة البِناء العقدي، ومن بيْن تلك الدّيانات الوثنيّة التي سرى فيها هذا المُعتَقَد":[2]

– ديانة مِثْرَا الفارسيّة؛ وفيها أنّ مِثرا مات ودُفِن ولكنّه عاد إلى الحياة وقام من قبره.

– ديانة بعل البابليّة؛ التي تُقَرّر أنّ الإله بعل قام من القبر بعْد موته ودفنِه، وصعَدَ إلى السّماء.

– وفي البوذيّة نجد أنّ بوذا لمّا مات ودُفِن انحلَّتِ الأكفان، وفُتِح غِطاء الهيكل بقوّة غير طبيعيّة (أي إلهيّة)، قام من قبره، ثمّ صعَدَ إلى السّماء بجسده لمَّا أكمل عمله على الأرض.

[1]– حسن الباشا: **العقيدة النّصرانيّة بين القرآن والأناجيل**، ص166.

[2]– سامي عامري: **قيامة المسيح بين القيامة والخُرافة**، ص330–339.

–وفي الهندوسيّة نجِد أنّ كِرشنا مات ودُفن، ثمّ قام من بيْن الأموات، وصعَد بجسده إلى السّماء.

– وهذا ما حصَل مع الإلهة أتيس فِرجِينيا الإلهة الآسيويّة التي جمعتْ كثيرًا من خصائص معبود النّصارى، ومنها: – قيامُها من الموت– وتمّت هذه القيامة في اليوم الثّالث من يوم الدّفن.

– والأمر كذلك بالنّسبة لإلهة مصر أزوريس، وإلهة اليونان ديونيسوس؛ حيث قُتِلَتْ كلٌّ منهما ثمّ عادت إلى الحياة في اليوم الثّالث بعد الموت.

لذلك نفى أحمد ديدات نفيًا قاطعًا أن يكون المسيح قد بُعِث بعد الموت، حيث عقد فصلًا كامِلًا من كتابه "مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء" بخصوص هذه المسألة عنونه بـ: "لم يُبعَث يسوع بعد موْت" حاول فيه إنكار حادثة القيامة بالأدلّة النّقلّيّة من الأناجيل وكذلك بالأدلّة العقلّيّة البرهانيّة،[1] ويقول في كتابه "من دحرج الحجر" ما مفاده أنّ: المسيح لم يُصلَبْ ولم يمُت، بل إنّه كان متخفِّيًا في شَبَهِ البُستاني؛ لأنّه كان خائفًا من اليهود بسبب أنّه لم يمُتْ وبالتّالي فلا قِيامة من الأموات؛ فلم يقُم لأنّه لم يمُتْ حتّى يقوم، فإذا كان قد مات وقام فعلًا فلا مُبرِّرَ لمخاوِفه، ذلك أنّ الأجساد التي قامتْ من الموت لن تموت ثانيّة، بل إنّ يسوع نفسه نفى أنْ يكُون قد مات في الإنجيل، وذلك حينما طلب من مريم المرأة اليهوديّة عدم مُلامستِه؛ لأنّه لم يصعد إلى أبيه بعد؛ بمعنى أنّه لم يمُتْ بعد.[2]

ولو أعرضنا عن هذا النّقد صفحًا، وسلَّمْنا معكم أيّها النّصارى بمثْل قوْلكم هذا، فهل عيسى عاد إلى الحياة من تِلقاء نفسه؟، أو بعبارة أُخرى: هل أحْيَا المسيح نفسه فرجع للحياة بعد الموْت بإرادته؟، أمْ **(المُحْيِي لَهُ رَبٌّ سُوَاهُ؟)**؛ أي: أم أنّ هناك ربًّا آخر غيره هو الذي أحياه وأعاده للحياة بعد أنْ ماتَ ودُفِن؟، يقول القرافي على طريقته في الحِجاج والمجادلة: "قالوا: المسيح عليه السلام ماتَ ثمَّ عاش، فنقول لهم: مَن أحياه؟؛ فإنْ قالوا: نفسه،

[1]– أحمد ديدات: **مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء**، ص122–125.

[2]– أحمد ديدات: **مَن دحرج الحجر**، ص27–37.

قلنا: وهو حيٌّ أو ميّتٌ؟، فإنْ قالوا: وهو حيٌّ؛ لزم تحصيل الحاصل، وإن قالوا: وهو ميّتٌ؛ لزمهم المُحال؛ لأنَّ الخالق للحياة لا يُمكن أنْ يكون ميِّتًا، بل أقلُّ أحواله أنْ يكون عالمًا بمَن يُحييه، وقِيام العِلم بغير الحيِّ مُحال، وإنْ قالوا: أحياه غيره وهو الذي أماته؛ لزمهم أنْ يكون المسيح عبدًا مربوبًا؛ وهو المطلُوب"،[1]المُفحِم لهم، القادح في معتقدهم بغية إبطاله.

وهذان سؤالان في غاية الأهميّة، الغاية منهما دحض إلوهيّة المسيح عيسى عليه السلام، حيث إنّ كلّ الاحتمالات أو بالأحرى الإجابات الواردة عليهما تؤدِّي بالضَّرورة إلى سقوط الإلاهيّة عنه، فإذا كان المسيح قد مات فعلًا، فمعنى ذلك أنّه ليس بإله؛ لأنّ الإله الحقّ لا ولن يموت أبدًا، فالموت سُنَّةٌ جاريَّةٌ على الخَلائق لا على الخالق، ولو كان –أي المسيح– راغِبًا في الحياة بعد الموت لَمَا مات أصْلًا مادام أنّ بيده عقد الموت والحياة!!!، أمَّا إذا أُعيد إلى الحياة بفعل فاعل وهو الرَّبُّ الآخر الذي أحياه بعد موته، فإنّ ذلك أيضًا يُسقطه من رتبة الإلاهيّة؛ حيث هو بشرٌ ضعيفٌ يُقْتَل فيموت ثمّ يُعاد للحياة مرّة أُخرى من غير إرادته، ولو تسامحنا مع النّصارى قليلًا فاعتبرنا المسيح إلهًا، لكنَّه مات فأحياه إلهٌ آخر، فإنّ هذا أيضا لا يستقيم، حيث من الأُمور المُمتنعة عقلًا وشرعًا وجود إلهيْن اثنيْن أو ثلاثة أو أكثر من ذلك: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ۝٢١ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢﴾ (الأنبياء:21–22)، وبالإضافة إلى ذلك كلِّه فإنّ سُنّة الحياة التي لا تبديل لها ولا تغيير فيها قضَتْ منذ الأزل أنّ الله الخالق هو وحده الذي يُحيي ويُميت، وأنّ البشر مع الخلائق الأُخرى هم الذين تجري عليهم سُنّة الإحياء والإماتة من غير اختيار لهم في كلِّ ذلك: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٨﴾ .(البقرة: 28)؛ فالله هو الفاعِلُ لفعليْ الإحياء والإماتة وهما غير متعلِّقَان به من حيث الوقوع عليه بأيِّ وجهٍ من الوجوه، والمخلُوقات هي المتعرِّضة لهذين الفِعليْن؛ كونهما متعلِّقيْن بها من هذه النَّاحيَّة، سواء أكانتْ بَشَرًا أو حيوانات أو نباتات أو غيرها... .

[1]– القرافي: **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرَّدِّ على المِلَّة الكافرة**، ص126.

13. وَيَا عَجَبًـــــا لِقَبْرٍ ضَـــــمَّ رَبًّـــا وَأَعْجَبُ مِنْـــهُ بَطْـــنٌ قَدْ حَـــــوَاهُ*!
14. أَقَـــامَ هُنَـــاكَ تِسْعًا مِنْ شُهُـــورٍ لَدَى الظُّلُمَـــاتِ مِنْ حَيْضٍ غَـــذَاهُ
15. وَشَـــقَّ الفَـــرْجَ مَوْلُودًا صَغِيرًا ضَعِيفًا فَـــاتِحًا لِلثَّدْيِ فَـــــاهُ

فـي هـذه الأبيـات الثّلاثـة يتعجّـب النّـاظم رحمه الله مـن اعتقـاد النّصـارى فـي ربوبيّـة المسيح عليه السلام، وذلك عن طريق التّهكّم السّاخر؛ فسَلَكَ معهم منهج التّسليم لمُسلّمات الطّرف الآخر بغية إبطالها وإدحاضها وهدمِها من الأساس، لأنّه وإيّاه كلاهما –في حقيقة الأمر– لا يُقرّان بهذا المعتَقد ولا يقولان به، وإنّما قال بها الطّرف الآخر (النّصارى) تعنُّتًا ومُبالغَةً وشُهرة ونُصرة للباطل المُفترَى، فقال في الشّطر الأوّل منها:

(**وَيَا عَجَبًا لِقَبْرٍ ضَمَّ رَبّا**)، ابتدأ التّعجّب من القبر الذي –على الرّغم من حجمه الصّغير– استطاع أن يحوي في ظلماته الرّبّ عيسى، وقد أجمع النّصارى كلُّهم وأقرُّوا بحقيقة أنّ المسيح عليه السلام بعد ما فقَد أنفاسه من جرّاء القتل بالصّلب، دُفِن في قبره، استنادًا إلى ما هو مدوّنٌ في الأناجيل الحاليّة، وقصّة ذلك كما يرويها متّى:

[وجاء عند المساء رجلٌ غنيّ من الرّامة اسمه يوسف،[1] وكان من تلاميذ يسوع، فدخل على بيلاطس وطلب جسد يسوع، فأمر بيلاطس أن يُسَلّموه إليه، فأخذ يوسف جسد يسوع ولفّه في كَفَنٍ نظيف، ووضعه في قبر جديد كان حفره لنفسه في الصّخر، ثمّ دحرج حجرًا كبيرًا على باب القبر ومضى، وكانت مريم المجدليّة ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر]. (متّى: 28/ 57–61)،[2] يقول أحمد ديدات معلِّقًا على دفْن يسوع ومُجرياته: "...فيا لغرابة أولئك

---

* حَوى على الشَّيء؛ استولى عليْه ومَلَكَه وأَحْرَزَهُ، يُقال: حَوَى الإنسانُ مالًا؛ أي: ضمَّه واشتمل عليه وجمعه. (أحمد مختار عمر وآخرون: **معجم اللّغة العربيّة المعاصرة**، ص591).

[1]– ذكر يوحنّا صاحب الإنجيل أنّه كان برفقة يوسف رجلٌ آخر اسمه: نيقوديموس، حينما طلب جثّة عيسى من بيلاطس من أجل دفنها في القبر، (يوحنّا: 19/ 38–42)، ومعنى ذلك أنّه ليس هذا الأخير فقط هو الذي تولّى هذه المهمّة وإنّما اشترك فيها مع نيقوديموس، يقول أحمد ديدات معلّقًا على هذا الأمر: "هذا الإنسان نيقوديموس وبكيفيّة ما عن قصْد وتعمّد مُحي ذكره من الأناجيل الثّلاثة التّوفيقيّة، فإنّ مدوّني هذه الأناجيل متّى ومرقس ولوقا يجهلونه على الإطلاق مع أنّه كان التّلميذ الخفي بحكم مركزه الدّيني المرموق...، كما كان تلميذًا غيورًا ليسوع المسيح منكرًا لذاته، ومع ذلك لم يذكر حتّى اسمه في الأناجيل الثّلاثة الأولى في أيّ متْن منها. (أحمد ديدات: **مَن دحرج الحجر**، ص22).

[2]– ينظر أيضًا: مرقس: 15/ 42–47، لوقا: 23/ 50–56، يوحنّا: 19/ 38–42.

اليهود كما أنَّهم كانوا متسرِّعين في تعليق يسوع على الصَّليب، ها هم أولاء متسرِّعون في إنزاله على الصَّليب، هل يمكن لك أنْ تتصوَّر السَّبب؟، إنَّها طقوسهم الدِّينيَّة المُتعلِّقة بيوم السَّبت...".[1]

ويؤكِّد هذا الخبر؛ أَمْرُ بيلاطس للحَرَس بحراسة القبر :[**وفي الغد، أي بعد التّهيئة للسّبت، ذهب رؤساء الكهنة والفرّيسيون إلى بيلاطس وقالوا له: "تذكّرنا يا سيّد أنّ ذلك الدّجّال قال وهو حي: سأقوم بعد ثلاثة أيّام، فأصدر أمرك بحراسة القبر إلى اليوم الثّالث؛ لئلّا يجيء تلاميذه ويسرقوه ويقولوا للشّعب: قام من بين الأموات، فتكون هذه الخُدعة شرًّا من الأولى". فقال لهم بيلاطس: "عندكم حرس، فاذهبوا واحتاطوا كما ترون". فذهبوا واحتاطوا على القبر، فختمُوا الحجر وأقاموا عليه حرسًا**]. (متّى: 28/ 62-66).

ولو سلّمنا جدلًا بهذه القصص السّابقة، فإنّ العقل الإنساني ستواجهه كثيرٌ من السُّؤالات، بل وسيقف حيرانًا عَجِبًا من هذا الأمر الغريب، أوّلا، كيف يموت الإله أو الرّب؟، والمعروف أنّ الإله أو الرّب لا يموت ولا يجري عليه ما يجري على كافّة الخلق، وإنّه غير خاضع لتلك الأحكام مهما كان نوعها أو جنسها، بل هو فوق الموت لا يموت ولا يفنَى، وإنّما هو الذي يُميتُ غيره بإرادته وقوّته وعدله وحكمته، ثمّ بعد ذلك لو سلّمنا فرضًا بموت الإله –إله النّصارى– فإنْ كان ربًّا كما يزعمون؛ فكيف وسِعَه القبر واحتواه وضمّه بين أطرافه المحدودة (لا شكّ في أنّه قبرٌ عجيبٌ في عظمته وسِعته!!!، ليس له مثيلٌ في قُبور العِباد، وكيف يكون له مثيلٌ وهو المُخصَّص للرِّبّ؟، فأيّ قبر هذا؟)، وهو مَن يتّصف بالعظمة غير المتناهيّة؟، أم أنّه إله من درجة أخرى صغير الحجم محدود الجُثّة لا حول له ولا قوّة؟، يُحكَمُ عليه بالموْت؛ فيُصلَبُ ويموت ثمّ يوضع في القبر كبقيّة النّاس، فإذًا أيُّ فرق بينه وبين بقيّة الخلق الذين تجري عليهم سُنَن المرض والموت والدّفن؟، ومن جميع هذه الاستفهامات والحوادث التّاريخيّة المُثبتة في الأناجيل يمكن استخلاص نتيجة مفادها: أنّ المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ليس إلهًا، وإنّما هو بشرٌ كبقيّة البشر، رسول الله وكلمته وروح منه.

[1]– أحمد ديدات: **مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء**، ص70.

وإذا كان المُسلمون يعتقدون اعتقادًا جازمًا بأنّ السّيّد المسيح لم يُصلَب ولم يمُت، بل رفعه الله إليه مُعزَّزًا مكرَّمًا،[1] وبالتّالي لا قبْر له في الأرض، حيث هو في السّماء الثّانيّة،[2] فإنّ النّصارى (المسيحيين) يعتقدون اعتقادًا جازمًا كذلك أنّه ماتَ ودُفِن في قبْرٍ في الأرض لبِضعة أيّام، ومن أجل ذلك تجدهم يُعظِّمون هذا القبر المُعتقدين فيه أنّه قبْرُ عيسى ويقدّسونه أيّما تقديس، ويحتلّ عندهم اليوْم مكانة مرموقة؛ فهم يُولونه أهميّة كبيرة حتّى أنّهم "يحجّون إليه، بل إنّهم اتّخذوا منه ذريعة لشنّ الحملات الصّليبيّة على الشّرق، حيث إنّهم يعتبرون هذه الحملات خاصّة على فلسطين حَجًّا مسلَّحًا، هدفه سياسي بحت وشعاره ديني مبطن؛ وهو –على حدّ تعبيرهم– تخليص القبر المقدّس (قبر المسح) من أيدي الوثنيين (أي المسلمين)!!!،* وذلك بُغية استعمار الشّرق وإيقاف المدّ الإسلامي".[3]

المُخطَّط التّوضيحي لبُستانِ قبر المسيح:

وزيادة في بيان اهتمامهم بهذا القبر وتعظيمهم له، سنورد فيما يأتي لوحة توجيهات إرشاديّة متكوّنة من رسومات وصور ومخطّطات وبعض الشّروحات التي وضعها المسيحيون إثباتًا لقبر المسيح على أنّه موجُودٌ كحقيقة تاريخيّة لا ينكرها أيّ أحد أوّلًا، وحرصهم على مكانة هذا القبر في حياتهم ثانيًا، وهذا كلّه تسهيلًا لزائره حتى لا يجد صعوبات في العُثور عليه أو يضيّع وقته في عمليّة البحث عن مداخله ومخارجه، وذلك كي يستغلّ جميع الوقت في تأمّله والتّوغّل في خباياه وأخذ العبرة منه.

---

[1]– تُنظر الآيات: (آل عمران: 55، النّساء: 157–158).

[2]– يُنظر حديث الإسراء في **صحيح البخاري**، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، حديث رقم (3887)، ص627–628.

*حرّضَ البابا أوربان (1035–1099م) الثّاني جموع المسيحيين، على الذّهاب إلى الأراضي المقدّسة لإنقاذ القبر المقدّس –قبر المسيح– من أيدي المسلمين، فقال: "فلتتته الحروب فيما بينكم، ولينهض الغرب إلى نجدة إخوانهم المسيحيين في الشّرق؛ لتنالوا مجدًا خالدًا في المملكة السّماويّة...؛ لهذا السّبب أتوجّه إليكم بالرّجاء والتّحريض، –وإنّه ليس أنا الذي يتوجّه إليكم ويحرّضكم، بل الرّبّ على لساني أنا نائب المسيح–، أتوجّه إلى الفقير منكم وإلى الغنيّ، وأدعوكم أن تتسارعوا نحو طرد أبناء الشّر هؤلاء من المناطق المقطونة من قِبل إخواننا..، أوقفوا أنفسكم وانتدبوها إلى الحرب المقدّسة دونما تأخير، وليقم المقاتلون منكم بتنظيم أعمالهم وجمع كلّ ما يحتاجونه للحملة...". (سهيل زكار: **الموسوعة الشّاملة في تاريخ الحروب الصّليبيّة**، ج3، ص244–246.).

[3]– عبد الرّزّاق رحيم صلال الموحى: **العبادات في الأديان السّماويّة**، ص197.

نحن لا نعلم ما إذا كان هذا هو الموقع الذي تمَّ فيه صلب، دفن وقيامة يسوع، إلَّا أنَّه من الجدير بالذِّكر أنَّ معالم البُستان تتطابقُ تطابُقًا ملحوظًا مع التّفاصيل المذكورة في الأناجيل، ممّا يُساعد الكثيرين على تخيُّل الأحداث العظيمة التي تمَّتْ في صباح أوَّل فِصح (عيد القيامة). "فأجاب المَلاك وقال للمرأتيْن: "لا تخافَا أنتما، فإنِّي أعلم أنَّكُما تطلُبان يسوع المصلُوب، ليس هو هاهنا، لأنّه قام كما قال...".(متّى:28/05-06).

من المُمكِن الجدل حول المكان الذي تمّ فيه الصَّلب والقيامة، إلّا أنّه ليس هناك أدنى شكٍّ حول ما يُخبِرنا به الكتاب المقدَّس عن يسوع أنّه "تعين ابن الله بقوّة من جهة روح القداسة، بالقيامة من الأموات: يسوع المسيح ربُّنا". (رومية: 04/01).

قال يسوع عن نفسه: "**أنا هو القيامة والحياة، مَن آمن بي ولو مات فسيحيا، وكلُّ مَن كان حيًّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد**".

البُستان مفتوح كلّ أيَّام الأسبوع من السّاعة 8:30-12:00صباحًا، ثمّ من 14:00-17:30بعد الظّهر.

يوم الأحد: عطلة رسميّة.

لا تُدفع رسوم عند دخول البُستان، إذْ يعتمد البُستان على التَّقدمات والتّبرُّعات المقدَّمة من قِبل الزُّوَّار.

جمعيّة بستان قبر المسيح (القدس) بريطانيا، تأسَّستْ عام1893م على هذا المكان القائم خارج أسوار القدس؛ وهو المكان الذي يعتقد كثيرون أنّه قبر المسيح وبُستان يوسف الذي من الرَّامة. ص.ب.19462 القدس 91193

mail@gardentomb.com

www.gardentomb.com

الشّكل22: (مخطّط بستان قبر المسيح)

أهلا وسهلا بكم في بُستان قبر المسيح.

الشّكل23: (صورة لبستان قبر المسيح)

يُعتبَر هذا البُستان أحد المواقع المُقدَّسة لدى المسيحيين، وذلك بسبب الاعتقاد السَّائد أنَّه قد يكون البُستان الذي كان يملكه يوسف الذي من الرَّامة، والذي دُفِن فيه يسوع بعد صلبه، وتقوم بصيانة البُستان والعناية به جمعيّة خيريّة بريطانيّة مستقلَّة تُعرف بجمعيّة بستان قبر المسيح.

والآن أنت مدعو عزيزي لزيارة البُستان واستكشاف أهمِّيته الرُّوحيّة.

إنّ أفراد طاقم البُستان الذين يرتدون أسماءهم على صدورهم لديهم الاستعداد الكامل للإجابة على أيِّ استفسارٍ لديك.

نرجو منك الآن التّوجُّه نحو اليمين والسَّير باتّجاه الشَّارة "تلّة الجمجمة".

الشّكل24: (الصّخرة على شكل الجمجمة)

بصعودك على المنصّة الموجودة أقصى جهة البُستان ستُلاحظ أنَّك تطلّ على محطّة باصات، وبنظرك إلى جهة اليسار سترى جرف صخري وعر، وأمَّا عن يمينك فستجد الأسوار الشّماليّة للبلدة القديمة، لقد كان هذا الموقع جزء من مقلع قديم للحجارة، وبحسب التّقليد فقد كان يُستخدم هذا المكان من قبل اليهود للرّجم بالحجارة.

لقد كانت هذه العقوبة تنفَّذ بالقُرب من طُرق مأهولة بالمارَّة لتكون عبرة للمتمرِّدين في المجتمع، ولهذا السَّبب يُعتقد أنّ هذا هو المكان الذي تمّ فيه تنفيذ عمليّة صلب يسوع، إذ كان يتفرّع من هذا المكان طُرق رئيسيّة نحو أريحا ودمشق، ويُخبرنا الكتاب المقدَّس بأنّهم أخذوا يسوع خارج المدينة حامِلًا صليبه إلى "تلّة الجمجمة" أو جلجثة بالآرميّة، وهناك صُلب مع لصَّيْن أمام حشد ساخر، وكان كلُّ مَن يمرُّ بالمكان يعيّره.

لقد كان الجنرال تشارلز جوردن من أشهر أنصار الرّأي الذي ينادي باحتماليّة كون بستان قبر المسيح هو الموقع الحقيقي الذي تمّت فيه عمليّة الصّلب، لأنّه وكما يذكر الكتاب المقدّس فقد كانت تتمّ عقوبة الصّلب خارج أسوار المدينة، ومع هذا فلا يُمكن الجزم في ذلك، إلَّا أنّه من المُثير حقًّا رؤية معالم الجُمجمة في الصّخرة المقابلة لك باتّجاه اليسار، أمّا الصُّورة المُعلَّقة على المنصّة فهي توضّح المظهر الذي كانت عليه الصّخرة قبل 150عامًا عندما كانت تُعرف التّلّة آنذاك بتلّة الجمجمة.

الشّكل25: (بئر مياه الأمطار)

يُخبرنا الكتاب المقدّس في إنجيل يوحنّا: 41/19: "وكان في الموضع الذي صُلب فيه يسوع بُستان وفي البُستان قبرٌ جديدٌ لم يوضع فيه أحدٌ قطٌّ"، وكان هذا البُستان ليوسف الذي من الرّامة، واحدٌ من تلاميذ يسوع في السِّرِّ. بعد موت يسوع حصل يوسف على إذن خاص لدفن جُثمان يسوع قبل حلول السَّبت في قبره الجديد الذي حفره لنفسه.

والآن نرجو منك عزيزي الزّائر توخّي الحذر عند نزولك إلى الباحة الصَّخريَّة المُقابلة للقبر.

بوجودك في منطقة القبر ستكون قد وصلتَ إلى أهمِّ مرحلة خلال زيارتك لهذا الموقع.

الشّكل26: (مكان الدّفن مقطوع من الصّخر)

لقد تمّ اكتشاف القبر في العام 1867م، ونتيجة هزَّة أرضيّة تمّ تدمير المدخل الرَّئيسي للقبر، ومن ثمّ أُعيد ترميمه. لا يوجد تأكيد قطعي بخصوص تاريخ القبر، ولكن من الجدير بالذّكر أنّ كلّ المعالم والأوصاف التي ذُكرت في الكتاب المقدّس بخصوص القبر موجودة في هذا المكان على النّحو التَّالي:

• "ووضعه في قبره الجديد الذي كان قد نحته في الصّخرة...". (متّى:60/27)، أي انّه لم يكُن كهفًا طبيعيًّا.

• كان القبر مغلقًا بصخرة كبيرة كما توضّحه الآية في متَّى: 60/27،

مـن الصَّـعب علينـا التَّأكُّـد والجـزم بخصـوص الموقـع الحقيقـي أو الأصـلي الذي تمّ فيـه صلب يسوع، ولكن المغزى الرُّوحي للحادثة نفسها أهمّ بكثير من مجرّد المكان أو الموقع، ويخبرنا الكتاب المقدّس أنّ يسـوع ذهـب للصّـليب بمحـض إرادتـه ليكون البديل عنّي وعنك! فالصّلب كان جزءًا من خطّة الله المليئة بالمحبّة ليُحرِّرنا من الخطيّة ويمنحنا الغُفران، ففي رسالة بطرس الأولى: 24/02 مكتوب: "الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة..."، والإصحاح: 18/03 "فإنّ المسيح أيضًا تألَّم مرّة واحدة من أجل الخطايا، البارُّ من أجل الأثمة؛ لكي يُقرِّبنا إلى الله...".

إنّ كنيسة القيامة تُعتبَر المكان التَّقليدي لتلك الحادثة المروّعة، إذْ يعود تاريخ تأسيسها إلى القرن الرّابع للميلاد؛ أي في عهد الإمبراطور قسطنطين.

إنّ حقيقة وجود الكنيسة داخل أسوار البلدة القديمة أثار الشُّكوك حول أصالة المكان على مدى قرنيْن من الزّمان.

لمواصلة جولتك عزيزي الزَّائر نرجو منك العودة إلى الوراء باتّجاه البُستان، ومن ثَمَّ التَّوجُّه على اليمين بمحاذاة صورة القبر الملوّنة الموجودة على الشَّجرة إلى يمينك.

في هذا الموقع تجد نفسك واقفًا فوق بئر كبير لجمع مياه الأمطار إذ يحتوي على ما يُقارب المليون لتر!.

يرجع تاريخ هذا البئر إلى العصور الصَّليبيّة، وقد يكون اُستخدم في القرن الأوّل مؤكِّدًا على حقيقة وجود بستان زيتون، عنب أو فاكهة في عهد يسوع.

نرجو منك الآن الانعطاف قليلًا باتّجاه المكتبة لكيْ تتمكَّن من رؤية مَعْصرَة العنب.

لقد تمّ اكتشاف هذه المعصرة عام1924م، وهذا الاكتشاف يُظهِر أنّ هذه المعصرة كانت كبيرة وواسعة يملكها على الأغلب رجل غنيّ الذي قد يكون هو نفسه يوسف الذي من الرّامة.

الشَكل27: (المِعْصرة القديمة)

بالإضافة إلى دلالات وجود القناة الأماميّة للسُّور الخارجي الموجود أمامك.

• كانت هناك مساحة كافيّة تتّسع لعدد من النَّائحين داخل حُجرة البُكاء كما توضّحه الآية في لوقا: 10/24.

إنّ التّفاصيل المتعلّقة بحجم بئر الماء الضَّخم ومعصرة العنب تُرجِّح وجود رجل غنيّ كيوسف الذي من الرَّامة، بالإضافة على أنّ مكان الدّفن كان موجودًا في الجانب الأيمن للقبر كما توضّحه الآية في مرقس: 05/16، وأنّ غرفة الدّفن كانت مرئيّة من الخارج كما هو مذكور في يوحنّا: 05/20.

وفي عهد البيزنطيين والصّليبيين قام المسيحيون باستخدام منطقة القبر كمكان للعبادة، ويدلّ على ذلك تلك الآثار التي تدلُّ على وجود كنيسة بالإضافة على صليبيْن أحدهما موجود داخل القبر.

الشَكل28: (الكنيسة المبنيّة فوق قبر المسيح)

ومن جهة أُخرى يحاول النّصارى إثبات موْتِ المسيح صلبًا ودفنه وقِيَامته، وذلك حينما يتحدَّثون عن الكَفَن الذي كُفِّن فيه المسيح عيسى لمَّا ماتَ، حيث يعتقدون –بعد العديد من الدِّراسَات التي أُجريتْ على هذا الكَفن؛ أنّه عبارة عن قِطعة واحدة من الكتَّان الأبيض، طوله حوالي: 04.25 مترًا، وعرضه حوالي: 01.25 مترًا، وفيه صور أماميّة وأُخرى خلفيّة لإنسان طوله: 181سم، وبناءً على هذا الطُّول يقول علماء الأجناس: إنّه لإنسان طويل القامة ومن شعوب البحر المتوسِّط، ولقد تعرَّض الكَفَن للحريق سنة 1532م نتيجة حرق الكنيسة كلِّها، وحرْق الصُّندوق الذي يحتوي على الكَفَن، لكنّه لم يتأثَّر بالحريق، وكلُّ ما هنالك أنّه حريقٌ بسيط لحق بأطرافِه، وانطلاقًا من صورة إنسان موجودة على هذا الكَفَن، قال علماء التَّشريح والطِّبِّ: إنّ هذه الصّورة تدلُّ على أنّ هذا الإنسان في الثَّلاثينيات، وهو إنسان عمِل أعمالًا شاقَّة، وعرفوا ذلك من الآثار التي في اليد، وقالوا: إنّ الكتف الأيمن مُرتخي عن الكتف الأيسر، وذلك نتيجة العمل باليد اليُمنَى...، وكانت الرِّجل الشّمال موضوعة على الرِّجل اليمين، والمِسمَارُ في المِشط بين السّلاميّة الثّانيّة والثَّالثة، والمِسمارُ الذي سُمِّر في اليدين ليس في الكَفِّ بل في عظام الرَّسغ...، وقال العلماء أيضًا: إنّ الكفن لإنسان مصلُوب، فقد شاهدُوا سيْر الدِّماءِ في الأيدي، وقاسُوا الزَّاويّة بين الرّأس وبقيَّة اليد فوجدوها 65 درجة، ووجدوا أنّ الكتف فيه سجَحَات نتيجة حمْل الصّليب، كما توجد كِدْمَات كثيرة جدًّا في الوجه، وأجزاء متورِّمة، كما توجد قِطع على شكل مثلّث في الخدِّ الأيمن؛ وهو من كثرة اللّطم في بيت رئيس الكهنة ودار الوِلاية، ووجدوا جِراحات بالظَّهر في شكل دائرتيْن غائرتيْن مُتّصلتيْن ببعضهما، وعدد هذه الدَّوائر يتراوح بين 100 و120، وبحثوا عن عمر قُماش الكَفَن بواسطة تجربة الكربون 14؛ فوجدوا أنّه يرجع لحوالي ألفيْ سنة،[1] كلّ ذلك تقريرًا لموت المسيح صلبًا كما مرَّ معنا في شرح البيتِ الثّاني (02)، ودفنه في القبر كما ذكرنا ذلك آنِفًا في شرحنا لهذا البيت الثّالث عشر (13)، ثمّ قيامته من الموت كما تكلّمنا عن ذلك عند شرحنا للبيت الثّاني عشر (12)، حيث تُعدُّ هذه الأحداث الثّلاثة حقائق تاريخيّة في الفكر المسيحي لا سبيل إلى إنكارها عندهم.

[1]– الأنبا يوأنس: **المسيحيّة والصَّليب**، ص29–32.

ثمّ بعد ذلك ثنّى بالتّعجّب بصيغة المُبالغة من البَطْن الذي حوى هذا الرّبّ الإله، فقال: **(وَأَعْجَبُ مِنْهُ بَطْنٌ قَدْ حَوَاهُ!)**، لأنّه كيف يكون عيسى إلهًا؟، وقد وُلد كما يولَد سائر البشر، أو كيف يكون ربًّا؟، وقد حملته أمّه في بطنها تسعة أشهرٍ كما هو شأن كلّ النّاس في هذا العالم، حيث يمكثُون في بطون أمّهاتهم مدّة من الزّمن يتغذّون منها ويَسْبَحُون في ظُلماتها، وقد أشار إلى هذه الحقيقة الله تعالى في كتابه العزيز فقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾. (المؤمنون: 12-14)؛ ففي هذه الآية يقول تعالى مُخبرًا عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين؛ أي من منيّ آدمعليه السلام الذي خُلق من طين لازب وهو الصّلصال من الحمأ المسنون، وذلك مخلوقٌ من التّراب، ثمّ بعد ذلك من نطفة في الرّحم المعدّ لها خلال مدّة معلومة وأجل معيّن حتّى استحكمت وتنقّلت من حال إلى حال ومن صفة إلى صفة، ثمّ صُيّرت هذه النّطفة؛ وهي الماء المتدفّق الذي يخرج من صُلب الرّجل -وهو ظهره- وترائب المرأة -وهي عظام صدرها ما بين التّرقوة على الثّندوة- علقة حمراء على شكل العلقة مستطيلة، وهي الدّم، ثمّ صُيّرت قطعة كالبضعة من اللحم لا شكل فيها ولا تخطيط، ثمّ شُكّلت فأصبحت ذات رأس ويديْن ورجليْن بعظامها وعصبها وعروقها، ثمّ جعل عليها ما يسترُها ويشدّها ويقوّيها من اللّحم، ثمّ نُفخ فيها الرّوح فتحرّكت وصارت ذات سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب،[1] كما أشار إليها الرّسولﷺ في قوله: "**إنّ أحدكم يُجمَع خلقُه في بطن أمّه أربعين يومًا نطفةً، ثمّ يكون علقة مثل ذلك، ثمّ يكون مضغة مثل ذلك، ثمّ يرسَل إليه الملك فينفخ فيه الرّوح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقيّ أو سعيد**".[2] ومعنى هذا الحديث كما قال ابن رجب الحنبلي (736-795هـ) نقلًا عن بعض الصّحابة والسّلف:

"إنّ النُّطفة إذا وقعتْ في الرّحم طارتْ في كلّ شعرة وظُفر، فتمكُثُ أربعين يومًا، ثمّ تنحدِر في الرّحم فتكونُ علقة أربعين يومًا أيضًا، فذلك جمعُها، والعلقة: قطعة من دم، ثمّ

[1]- ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج05، ص465-466.

[2]- البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب بدءِ الخلق، باب ذِكر الملائكة، حديث رقم (3208)، ص526.

يكون مضغة أربعين يومًا كذلك، والمُضغة: قطعة من لحم، ثمّ يُرسَل له الملك فينفُخ فيه الرّوح، ويُؤمر بأربع كلماتٍ؛ بكتْبِ رِزقِهِ وأجلِهِ وعملِهِ وشقيٌّ أم سعيد، فهذا الحديث يدلُّ على أنّه يتقلَّبُ في مائة وعشرين يومًا في ثلاثة أطوار في كلّ أربعين يومًا منها يكون في طور؛ فيكون في الأربعين الأولى نُطفة، ثمّ في الأربعين الثّانيّة علقة، ثمّ في الأربعين الثّالثة مُضغة، ثمّ بعد المائة وعشرين يومًا يَنفُخُ فيه الملك الرُّوح ويَكتُبُ له هذه الأربع كلمات..."."[1] وهكذا جميع البشر، يمرّون بجميع هذه المراحل في ظُلُماتِ بطون أمّهاتهم التي يمكثون فيها –في الحالة العاديّة– تسعة أشهر*، ثمّ يخرجون عن طريق الفَرَج إلى هذه الحياة صِغارًا ضعفاء وليس لهم غذاء إلّا ما يخرج من أثداء أمّهاتهم، جُهّالًا لا يعلمون شيئًا إلى أنْ يكبُروا فيستعملوا جوارحهم التي زوّدهم الله بها لِفقه ما يجري في هذه الحياة الدّنيا، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾. (النّحل: 78)، وهذا ما أشار إليه ابن القيّم رحمه الله بقوله:

أَقَـامَ هُنَـاكَ تِسْـعًا مِـنْ شُـهُورٍ لَـدَى الظُّلُمَـاتِ مِـنْ حَـيْضٍ غـذَاهُ
وَشَـقَّ الفَـرْجَ مَوْلُـودًا صَغِيـرًا ضَعِيفًـا، فَـاتِحًا للثّـدْي فَـاهُ

وقد أثبَتَ علم نفس النّمو أنَّ الجنين في بطن أُمّه تصله الأغذية عن طريق المشيمة، حيث تكون وظيفتها الخِدمة كممر يتمّ من خلاله مرور المقادير اللّازمة من التّغذيّة والأُكسجين إلى الطّفل، وطرد نواتج الفضلات، كما تعود أهمّيّة المشيمة إلى أنّ الطّفل لا يستطيع أنْ ينمو بدونها، وتطوّر المشيمة بشكل صحّي أمرٌ ضروريٌّ وذلك لحصول نمو الطّفل بشكلٍ مُلائم، حيث إنّ وظيفتها تُشكِّل قناة رئيسيّة وتنظيميّة بين الأُم والطّفل، وذلك لأنّ من خلالها يحصل الطّفل على غذائه المُناسب وأُكسجينه كذلك.[2]

---

[1]– ابن رجب الحنبلي: **جامع العلوم والحِكم**، ص56–57.

* اتّفق الفُقهاء والعلماء بإجماع على أنّ أقلّ مُدّةِ الحمل ستّة أشهُر، لكنّهم اختلفوا في تحديد أكثر مُدَّةٍ له على ثلاثة أقوال: الأوّل: أكثر مدّةِ الحمل سنتان، الثّاني: أربع سنين، الثّالث: خمسُ سنين، وأرجح الأقوال هو القول الثّاني: أربع سنين. (صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان: **الملخّص الفقهي**، ج02، ص291–292).

[2]– حسين بن سالم الزبيدي: **علم نفس النُّمو**، ص316.

وما جعل ابن القيّم رحمه الله يقرِّرُ تغذيّة الجنين من دم الحيض **(مِنْ حَيْضٍ غَذَاهُ)**؛ هو "تشكُّل المشيمة بين الجدار الدَّاخلي للرّحم والجدار الخارجي للطِّفل وهو على شكل مضغة، وعندما يتمُّ نموُّها بشكل طبيعي تكون مستديرة ومُنبسطة، ويكون قُطرها حوالي سبع بوصات، وسُمكها بوصة واحدة، ومن جانب المشيمة المواجه للطِّفل ينطلق الحبل السُّرِّي، وهو يحتوي على أوعية دمويّة كبيرة، ويتّصِلُ بجسم الإنسان، وأمّا جانب المشيمة المواجه للأُمّ، فهو مُغطًّى بزغبٍ دقيق يُشبه الجذور، وهي تحتوي على أوعيّة دمويّة دقيقة جدًّا، وتتعمّق الجذور في جدار رحم الأُم حيث يكون دم الأُمّ وافِرًا، وعدد هذا الزّغب أو الجذور هائل، حيث يُقدَّرُ عددها الذي ينبُتُ على مشيمة متوسِّطة الحجم بما يقرُب من سبعمائة وسبعين ألف (770000)، ويُقدَّر المجموع الكُلِّي لمساحة سطوحها التي تمرُّ من خلالها جزئيات الغذاء والأُكسجين بما يُعادل 140 قدمًا مربَّعًا".[1]

ثمّ بعد أن يخرج الطّفل من بطن أُمّه صغيرًا ضعيفًا، لا يكون له غذاء غير لبنِها: **(فَاتِحًا للثّدْي فَاهُ)**؛ حيث تُرضِعه والدته مُدَّة من الزّمن حتّى يشتدَّ عوده ويتعوّد على التّغذيّة مُعتمِدًا على نفسه، وأكثر مُدِّة الرّضاع المُعتبَرة في نظر الشّرع حولان؛ أربعة وعشرين شهرًا (24)، لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾ (البقرة: 233)،[2] وجميع ما مرّ من مراحل وأطوار هو ذاته ما حدث للمسيح تمامًا؛ الموصوف في هذه الأبيات الثّلاثة التي نحن بصدد شرحها، وفي هذا يقول القرافي ساخِرًا من النَّصارى: "...فما الذي أوجَب نزوله –أي إله النّصارى–عن مجدِه الرَّفيع وعزِّه المَنيع إلى حضيض الآفات، ومقرّ الملومات فوَلَج بطُون النِّساء، واغْتَذَى بالدِّماء، ولبِث في الأرحام مُنغمِسًا في المَشيمَة والأحوال الذَّميمة، إلى أنْ ولدته أُمُّه وأرضعتْهُ وفصَلَتْه وأدَّبتْهُ، وأمرته بحقوقها ونهتْه عن عقوقها، وتردَّدتْ به إلى المَواسِم وأرتْهُ الشَّعائر والمعالم، وتُلقِّنه وتُثقِّفُه حتّى شبَّ وترعرع، وتشوَّق إلى شَرَفِ الرُّجوليّة وتطلَّع..."،[3] وبعد هذا كلِّه؛ ما الذي يميِّز شخْصًا هذه سيرته وهكذا حاله عن بقيّة إخوانه من النَّاس؟؟؟.

---

[1]– حسين بن سالم الزبيدي: **علم نفس النُّمو**، ص315–316.

[2]– عبد الرحمن الجزيري: **الفقه على المذاهب الأربعة**، ج04، ص823–824.

[3]– القرافي: **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرَّدِّ على المِلَّة الكافرة**، ص121–122.

وإنّ نظرة في الأناجيل الحاليّة –من باب ضرب الخَصْم بسلاحِه– تُثبت لنا بوضوح مسيرة عيسى عليه السلام البشريّة، إذ تُظهر بجلاء لا غُبار عليه أنّ هذا الشّابّ مرّ بكلّ ما يمرّ به بنو آدم، حيث نقرأ قصّة حياته في أوّلها بداية بنسبِه في إنجيل متّى:

[هذا نسب يسوع المسيح* ابنِ داود ابن إبراهيم، إبراهيم ولَدَ إسحاق، وإسحاق ولَدَ يعقوب، ويعقوب ولَدَ يَهوذا وإخوته، ويهوذا ولَدَ فارص وزارح من ثامار، وفارص ولَدَ حصرون، وحصرون ولَدَ أرام، وأرام ولَدَ عمّيناداب، وعمّيناداب ولد نحشون، ونحشون ولَدَ سلَمُون، وسلمون ولَدَ بوعز من راحاب، وبوعز ولَدَ عوبيد من راعوث، وعوبيد ولَدَ يسّى، ويسّى ولَدَ داود الملك، وداود ولَدَ سليمان من امرأة أوريا، وسليمان ولَدَ رحبعام، ورحبعام ولَدَ أبيّا، وأبيّا ولَدَ آسا، وآسا ولَدَ يوشافاط، ويوشافاط ولَدَ يورام، ويورام ولَدَ عُزّيا، وعزّيا ولَدَ يوثام، ويوثام ولَدَ أحاز، وأحاز ولَدَ حزقيّا، وحزقيّا ولَدَ منسّى، ومنسّى ولَدَ آمون، وآمون ولَدَ يوشيَا، ويوشيّا ولَدَ يكنيّا وإخوته زمن السّبي إلى بابل، وبعد السّبي إلى بابل يكنيّا ولَدَ شألتيئيل، وشألتيئيل ولَدَ زَرُبابل، وزربابل ولَدَ أبيهود، وأبيهود ولَدَ ألياقيم، وألياقيم ولَدَ عازور، وعازور ولَدَ صادوق، وصادوق ولَدَ أخيم، وأخيم ولَدَ أليُود، وأليُود ولَدَ أليعازر، وأليعازر ولَدَ متّان،

---

*يقول موريس بوكاي مُنتقِدًا نسب المسيح بين إنجيليْ متّى ولوقا: "هنالك خطّان لنسَبِ المسيح يحتوي عليهما إنجيل متّى وإنجيل لوقا، ويُسبِّبان تناقُضًا وتعارُضًا مع مُعطيات العلم الحديثة، ويُسبِّبان من ثمّ بعض المشاكل التي تتعلّق بمصداقيّة الكلام الذي يُفتَرَضُ أنّه كلام الله. إنّ هذه المشاكل تُسبِّبُ كثيرًا من الحيْرة والارتباك لدى علماء الكتاب المقدّس الذين يرفُضون أنْ يُوافقوا على أنّ الكلام المُتضمِّن لهذا التّناقُض إنّما هو كلام بشر وليس كلام الله. لقد ألهَمَ الخيال البشري –وليس الله– بعض أولئك الذين صاغوا سِفر التّكوين من رجال الكهنوت اليهودي فيما يتعلّق بالنَّسْل الأوّل للبشر، وهو ذاتُ الخيال البشري –وليس الله– هو الذي جعل متّى ولوقا يصوغان ما لم يقتبِساه من التّوراة أو العهد القديم، ويُلاحَظ بادئ ذي بدء أنّ هاتيْن السِّلسلتيْن من النَّسب من جهة الرِّجال إنّما هو معدوم المعنى وغير معقول أصلًا فيما يتعلّق بشان المسيح على وجْه التّحديد، ولو كان من الضَّروري أنْ يحاول أحدٌ البحث عن نسبٍ للمسيح وهو وحيدُ أُمِّه مريم العذراء، ولدته دون أب، فمن الضّروري أنْ يكون هذا النّسب من جهة أُمِّه مريم فقط لا غير". ثمّ بعد ذلك يُورِدُ لنا تفاصيلًا حول هذه الأخطاء والفوارق بيْن هذين الإنجيليْن بخصوص هذه المسألة؛ فيُلاحِظ أنّ هناك تضارُبًا بين الوارد فيهما وبين ما هو موجود في الحقائق العلميّة والتّاريخيّة، ثم يقرِّر وجود تناقُض فيما بينهما؛ حيث تحتوي سلسلة نسب المسيح عند لوقا على (42) اسمًا بعد سيِّدِنا داود (رقم 35) حتّى المسيح (رقم77)، أمّا إنجيل متّى فهو يحتوي على (27) اسمًا بعد داود الذي نجدُه يحظى في هذا الإنجيل بـ (الرّقم 14) حتّى المسيح الذي يحظى بـ (الرّقم 41)، ويتّضح من ذلك دون أدنى جدال أنّ عدد أسلاف المسيح (الاعتباريين) بعد داود مختلف بين هذيْن الإنجيليْن، ويُضاف إلى ذلك أنّ أسماء الأسلاف أيضًا مختلفة بينهما...، إلى غير ذلك من هذه الاختلافات والتّناقُضات. (موريس بوكاي: **التّوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث**، ص126–133).

ومتان ولَدَ يعقوب، ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولدت يسوع الذي يُدعى المسيح، فمجموع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلًا، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلًا، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلًا]. (متّى: 01/ 01-17)، وقد ورد مثل هذا النّسب أيضًا في إنجيل لوقا (لوقا: 03/ 23-38).

وواضح من هذا النّصّ أنّ النّصارى أو بالأحرى كتّاب الأناجيل ينسبون عيسى عليه السلام إلى يوسف النّجار خطيب مريم على حدّ تعبيرهم، غير أنّ القرآن الكريم ينفي نفيًا قاطعًا أن يكون للمسيح عليه السلام أب، بل إنّ كلّ الآيات التي تحدّثت عن نسبه إنّما تنسبه لأمّه مريم العذراء، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾. (المؤمنون: 50)، وقوله أيضًا: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾. (النّساء: 157)، وقال أيضًا: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾.(المائدة: 17)، وقوله كذلك وهو يخاطب المسيح نفسه: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾. (المائدة: 110)، ونظير هذا كثير في القرآن.

ومهما يكن من أمر، فإنّ النّتيجة واحدة، وهي المُقرّرة بأنّ السّيّد المسيح عليه السلام إنّما هو بشرٌ مِثل بقيّة الجنس البشري، له نسبٌ ينتمي إليه ويفتخِر به، سواء من ناحيّة الأب كما ذكرت الأناجيل، أو من ناحية الأمّ كما ذكر القرآن الكريم، وليس الله كذلك، حيث إنّه تعالى لا والِد له ولا والدة، ولا جدٌّ ولا جدّةٌ، ولا غير ذلك من الأنساب البشريّة القريبة أو البعيدة، ثمّ تذكر الأناجيل -تأكيدًا لسيرة المسيح البشريّة- قصّة مولده باتّفاق بينها في الخطّ العام، وفي هذا السّياق نقرأ في إنجيل متّى: **[وهذه سيرة ميلاد يسوع: كانت أمّه مخطوبة ليوسف، فتبيّن قبل أنْ تسكُن معه أنّها حُبلَى من الرّوح القدس، وكان يوسف رجلًا صالحًا فما أراد أنْ يكشِف أمرها، فعزم على أن يتركها سرًّا، وبينما هو يفكّر في هذا الأمر، ظهر له ملاك الرّبّ في الحُلم وقال له: "يا يوسف ابن داود، لا تخف أنْ تأخذ مريم امرأة لك، فهي حُبلَى من الرّوح القدس، وستلِدُ ابنًا تُسمّيه يسوع، لأنّه يخلّص شعبه من خطاياهم"، حدث هذا كلّه ليتمّ ما قال الرّبّ بلسان النّبيّ: "ستحبِلُ العذراء، فتلِدُ ابنًا يدعَى <<عِمّانوئيل>>؛ أي الله معنا"، فلمّا قام يوسف من النّوم، عمِل بما أمره ملاك الرّبّ، فجاء بامرأته إلى بيته، ولكنّه ما عرفها حتّى ولدَت ابنها فسمّاهُ يسوع]**. (متّى: 01/ 18-25).

ويتحدّث القرآن الكريم كذلك عن قصّة مولد المسيح عليه السلام بشكلٍ معتبَر، غير أنّ اللافِت للانتباه؛ هو الاختفاء الكُلّي لذاك الرّجل الذي تتّفق الأناجيل على ذكره (يوسف) في هذه القصّة، بل وتُبرزُه كشخصيّة قويّة فاعِلة فيها، الأمر الذي أضرَب عنه القرآن صفحًا، مؤكّدًا على أنّ المسيح عيسى مولودٌ من مريم من غير أب ولا أيّ رجل، فلم يُشِر إلى اِشتراك أحد معها في إنجابه، إنّما كلّ ما في الأمر أنّ هناك حِوارًا شيّقًا دار بين جبريل عليه السلام ومريم العذراء؛ موضوعه غرسُ الطُّمأنينة في قلبِ هذه المرأة التي لم يمسَسْها بشرٌ قطّ، وأيضًا تجليّة الخوف عنها، ذاك الخوف الذي اعتراها عند بشارته لها بالولد، وكذلك إرشادها إلى ما يتوجّب عليها فعله عندَ وقتِ مخاضها، ثمّ ذكر حالة الوِلادة وما صاحبها من حالات ومعجزات وكرامات، ثمّ ذكر مواجهتها لقومها وتكذيبهم لها، وافتراؤهم عليها واتّهامهم إيّاها بالفاحشة والزّنا، إلى حين تكلُّم المسيح عليه السلام في المهد مثبتًا عبوديته لله تعالى وبشريّته، ومُبرِّئًا لأمّه ممّا اتّهموها به، ثمّ خُتمت القصّة بتنزيه الله عن الولد؛ لانّ النّصارى يزعمون أنّ المسيح هو ابن الله، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَىٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥﴾. (مريم: 16-35)، ولعلّ تعلُّق عيسى عليه السلام بأمّه وانتسابه إليها بشكلٍ كبير، هو ما جعَل النّصارى يؤلّهون مريم كونها والدته، وهو إله عندهم، فلا تلِدُ الإله إلّا مَن كانت متّصفة بالإلوهيّة

على حدّ قولهم؛ وهؤلاء هم الذين يطلَق عليهم اسم: المريميين؛ أتباع الفرقة النّصرانيّة الذين يُعظِّمون مريم ويُقدِّسونها كما يُعظّمون ابنها المسيح ويُقدِّسونه، "فقد احتلَّتْ مريم على مدى الألفيْ سنة الماضية موقعًا متميِّزًا في قلوبِ المؤمنين وعقولهم، وكانت مصدر وحي لعدد كبير من الرّوائع في الفنِّ والشِّعر والمُوسيقى الغربيّة. إنّ أجمل اللّوحات وأجمل المنحوتات الغربيّة تدور حول مريم المأخوذة بالإعجاز الإلهي الذي جعل منها أُمًّا طبيعيّة وهي في كامل طهارتها وعُذريتها، وأجمل الكنائس شُيِّدَتْ تخليدًا لها؛ مثل: كنيسة سانتا ماريّا ماجوري في روما، ونوتردام في باريس، وآيا صوفيا* في اسطنبول، وأجمل الأشعار وأعذبها نُظِمَتْ في محبّتِها؛ مثل: قصائد هوبكنز ودانتي وفييون، وأجمل الألحان عُزِفتْ باسمها؛ مثل: رائعة شوبرت: آفا ماريا، وفي الواقع لم تحتل امرأة في تاريخ الإنسانيّة كلّها الموقع الذي تحتلّه مريم، فالمزارات القائمة باسمها؛ مثل: مزار لوردز في فرنسا، ومزار فاطمة في البرتغال، تستقبل المؤمنين المسيحيين من كلّ أنحاء العالم، ويُقدَّرُ عدد هؤلاء الزّوَّار بحوالي العشرين مليون إنسان، وقد سجَّلتْ المراجع الكنسيّة أكثر من أربعمائة ظهور لمريم العذراء في مناطق متعدّدة من العالم...".[1] وفي هذا الشّأن انعقد مجمع بأفسس** كان من أهمّ قراراته: أنّ مريم العذراء والدة الله،[2] كما وصلَتْ موجة التَّعلُّق الكاثوليكي بمريم في أواسط القرن العشرين إلى حدِّ إقرار عقيدة عودتها إلى السَّماء؛ أي

---

* الآن؛ أي في شهر جويلية 2020م، حوِّلتْ آيا صوفيا إلى مسجد، كما كانت من قبل.

[1]– محمّد السَّمّاك: **مقدّمة إلى الحوار الإسلامي–المسيحي**، ص37–38.

مجمع أفسس الأوّل سنة 431م، الذي انعقد من أجل الرّدِّ على هرطقة نسطور القاضيّة بأنّ يسوع المسيح لم يكُن إلهًا في حدِّ ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة والنِّعمة، أو هو مُلهمٌ من الله، فلم يرتكِب خطيئة، وما أتى أمرًا إِدًّا، وبالتّالي فإنّ هذا الرّجُل لا يعتقد بإلوهيّة المسيح، وإن كان يعتقد أنّه فوق النّاس، ولقد جهر بهذا الرّأي ونادى به وهو رئيس لكنيسة القسطنطينيّة التي كانت لها مكانتها في العالم المسيحي آنذاك، ولكن خالفه غيره من الأساقفة، فكان أُسقف روما يُعلنه برأيه المُخالف له، مع ما عند نسطور فيما رآه من بيّنات وأدلّة...، فانعقد هذا المجمع بحضور مائتيْ (200) أُسقف، وقرّروا ما نصُّه كما جاء في تاريخ ابن البطريق: "إنّ مريم العذراء والدة الله، وأنّ المسيح إله حقّ وإنسانٌ معروفٌ بطبيعتيْن، متوحِّدٌ في الأُقنوم"، ولعنوا نسطور. (أبو زهرة: **محاضرات في النّصرانيّة، ص165–166).

[2]– محمّد أبو زهرة: **محاضرات في النّصرانيّة**، ص166، وقد جاء في مقدِّمة قانون الإيمان الذي وُضِع في مجمع أفسس: "نُعظِّمك يا أُمَّ النُّور الحقيقي، ونُمجِّدكِ أيَّتُها العذراء المقدّسة والدة الإله؛ لأنّكِ ولدتِ لنا مخلِّص العالم، أتى وخلَّص نفوسنا، المجدُ لك يا سيّدنا، وملكنا المسيح، فخر الرُّسل، أكليل الشُّهداء، تهليل الصِّدّيقين، ثبات الكنائس، غُفران الخطايا، نُبشِّر بالثَّالوث المُقدّس، لاهوت واحدٌ نسجد له، ونمجِّده، يا ربّ اِرحم، يا ربّ اِرحم، يا ربّ بارك.. امين". (سعيد عبد العظيم: **دعوة أهل الكتاب لدين ربِّ العباد**، ص62).

إلى الجنّة، بحيث بَدَا المسيح وكأنّه فخورٌ لكونه ابنها بعد أنْ كانتْ تُصوَّر هي بأنّها فخورة لكونها أمّه، وأصبحتْ المريميّة العمود الفقري للثّقافة الكاثوليكيّة، وعندما عُقِد المجمع الفاتيكاني الثّاني (1962-1965م) حاولت مجموعة من المطارنة إصدار إعلان جديد يؤكِّد دورها الاستثنائي في الخلاص، غير أنّ المُعارضة كانت أقوى وتمكّنت من منع إصدار الإعلان.[1]

وبهذا الصّدد يقول صاحب كتاب "دعوة أهل الكِتاب":

"وأمّا قولهم في مريم، فإنّهم يقولون: إنّها أُمُّ المسيح ابن الله في الحقيقة، وولدته في الحقيقة، لا أُمَّ لابن الله إلّا هي، ولا والدة له غيرها، ولا أب لابنها إلَّا الله، ولا ولد له سواه، وإنّ الله اختارها لنفسه ولولادة ولده وابنه من بين سائر النِّساء، ولو كانت كسائر النِّساء لما ولدتْ إلّا عن وَطْءِ الرِّجال لها، ولكن اختصَّتْ عن النِّساء بأنَّها حبلتْ بابن الله، وولدتْ ابنه الذي لا ابن له في الحقيقة غيره، ولا والد له سواه، وإنَّها على العرش جالسة عن يسار الرَّبِّ تبارك وتعالى والدُ ابنها، وابنها عن يمينه، والنّصارى يقولون في دعائهم: <<يا والدة الإله، اشفعي لنا>>، وهم يعظِّمونها ويرفعونها على الملائكة، وعلى جميع النَّبيين والمُرسلين، ويسألونها ما يُسأَل الإله: من العافيَّة، والرِّزق، والمغفرة، ويعتبرها الأرثوذكس والكاثوليك (إله)؛ لأنَّها في زعمهم (أُمُّ الإله)".[2]

وقد فنّد القرآن الكريم هذا الادّعاء تفنيدًا قاطعًا، مُبطِلًا أن تكون مريم وابنها إلهيْن من دون الله، وذلك في الآيات التي ترصد لنا ذاك الحوار الذي سيدور بين الله عزّ وجلّ والمسيح عليه السلام يوم القيامة: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟

[1]- محمّد السَّمّاك: **مقدّمة إلى الحوار الإسلامي-المسيحي**، ص40.

[2]- سعيد عبد العظيم: **دعوة أهل الكتاب لدين ربِّ العباد**، ص62.

﴿عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾. (المائدة: 116-119)، وفي هذا توبيخٌ للنّصارى الذين قالوا إنّ الله ثالثُ ثلاثة، وأنّ مريم هي والدة الله، فيقول الله هذا الكلام لعيسى، فيتبرَّأ عيسى عن هذا الكلام القبيح لأنّه غير لائق، ويقول: ما ينبغي لي ولا يليق أن أقول شيئًا ليس من أوصافي ولا من حقوقي، فإنَّه ليس أحد من المخلوقين؛ لا الملائكة المقرّبون، ولا الأنبياء المرسلون ولا غيرهم، له حقٌّ ولا استحقاق لمقام الإلهيّة، وإنّما الجميع عباد مدبَّرون، وخلقٌ مسخَّرون، وفُقراء عاجزون...، ثمّ يقول عيسى: ما أمرتهم إلّا بعبادة الله وحده، وإخلاص الدِّين له؛ المُتضمِّن للنّهي عن اتّخاذي وأُمِّي إلهين من دون الله، وبيان أنِّي عبدٌ مربوبٌ، فكما أنّه ربُّكم فهو ربّي.[1]

فهكذا وُلِد المسيح من مريم عليها السّلام، وهكذا كان مُستهلُّ سيرته، ولا شكّ أنّه قبل ولادته كان مستقرًّا في بطنِها تسعة أشهرٍ، مارًّا بكلّ ما يمرّ به الجنين في بطن أمّه، ثمّ لمّا وُلِدَ نشأ كما ينشأ جميع الأطفال الرُّضّع، أمّا الله تعالى فليستْ له سيرة كسيرة البشر، وهو أكبرُ من أنْ يحويه بطْن اِمرأة أو يَسعه فرجُها أو يُشبعُه ويرويه ثديُها، بل هو سبحانه غنيٌّ عن كلّ ذلك، فعباده في حاجة دائمة إليه، أمّا هو فليس في حاجة إلى أيّ واحد منهم؛ وهو تعالى ربّ الأرباب منزّه عن جميع النّقائص، مقدّسٌ عن مثل هذه الحوادث وترّهات النّصارى وأكاذيبهم، وقد جاء في القرآن الكريم ما يفنّدُها، ويُثبتُ أنّه تعالى متفرّدٌ عن خلقِه متميّزٌ عنهم؛ فلا ولَد له ولا والِد ولا شبيه، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ (الإخلاص: 01-04)، وقد ورد في تفسير ابن كثير أنّ سبب نزول هذه السّورة: أنّ المشركين جاؤوا إلى النّبيّ ﷺ وقالوا له: يا محمّد أُنسب لنا ربّك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ... ﴾،[2] وقال تعالى أيضًا: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾. (الأنعام: 101)، وقال كذلك: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾. (الشّورى: 11)؛ أي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه، والمُراد من مثله ذاته، على قصد المبالغة في نفيه عنه، فإنّه إذا نفى عمّن يناسبه ويسدّ مسدّه كان نفيه عنه أولى،

[1]- السّعدي: **تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنَّان**، ص227.

[2]- ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج08، ص518.

وقيل: مثله صفته؛ أي ليس كصفته صفة، وهو السّميع البصير لكلّ ما يُسمَع ويبصَر،[1] وفوق ذلك عليمٌ خبيرُ.

16. وَيَأْكُـــــلُ ثُمَّ يَشْــرَبُ ثُمَّ يَأْتِـــي بِـــلَازِمِ* ذَلِكَ، هَـــلْ هَـــذَا إِلَـــهُ؟

(وَيَأْكُلُ ثُمَّ يَشْــرَبُ ثُـمَّ يَأْتِـي بِـــلَازِمِ ذَلِكَ)؛ بعْدَ التّعجُّب والتّهكّم والسّخريّة من كَوْنِ إله النّصارى دُفِن في القَبْرِ، وعاش فترة من الزّمن في بطْن أُمّه، نعم فلَهُ أُمٌّ أيضًا!!!، يتغذّى من المشيمة ودم الحيض، ثمّ خرج من الفرْج مولودًا صغيرًا يلتقِمُ الثّدي طاعِمًا منه لئلّا يهلك بالجوع والعطش، بعد هذا كلّه ينتقِل النّاظمﷺ إلى السّخريّة متّبِعًا أُسلوب التّهكّم من مسألة هذا الإله الرّبّ الذي يأكل ويشرب ثمّ يتبوّل ويتغوّط كباقي سائر بشر المعمورة؛ لأنّ من يأكل ويشرب لازمَهُ؛ أي ثبَتَ له، وداوم على إخراجِ نِتَاج ذلك الأكل والشُّرب؛ وهو التّغوُّطُ والتَّبوُّل، وإلَّا فإنّه سيمرض ثمَّ يموت.

فالإنجيل والقرآن كلاهُمَا أثْبَتَا في غير ما موضع أنّ المسيح عيسىعليه السلام أكل وشرِب مثله مثل بقيّة النّاس، حيث جاء في إنجيل متّى: [**جاء يوحنّا لا يأكل ولا يشرب فقالوا: فيه شيطان، وجاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فقالوا: هذا رجلٌ أكول وسكّير وصدّيق لجُباة الضّرائب والخاطئين، لكنّ الحكمة تبرّرها أعمالها**]. (متّى: 11/ 18-19)، وجاء في إنجيل لوقا: [**ودعاه أحد الفرّيسيين إلى الطّعام عنده، فدخل بيت الفرّيسي وجلس إلى المائدة، وكان في المدينة امرأة خاطئة، فعلمت أنّ يسوع يأكل في بيت الفرّيسي...**]. (لوقا: 07/ 36-37)، كما أنّ قصّة العشاء الرّبّاني أو العشاء الأخير معروفة عند النصارى مثبتة في الأناجيل، وهي تُثبت لنا بوضوح لا غُبار عليه أنّ المسيحعليه السلام كان يأكل ويشرب مع تلاميذه قُبيْل القبض عليه بلحظات، ونصّ هذه القصّة كما يرويها مرقس: [**وبينما هم ياكلون أخَذَ خبزًا وبارك وكسَرَه وناولهم وقال: "خذوا هذا هو جسدي"، وأخذ كأسًا وشكَرَ وناولهم، فشربوا منها كلّهم وقال لهم: "هذا هو دمي، دمُ العهد الذي يُسفَك من أجل أُناسٍ كثيرين، الحقّ أقول**

---

[1]- البيضاوي: **أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل**، ج05، ص78.

*لَزِمَ الشّيءُ لزومًا؛ ثبتَ ودامَ، ولزم كذا من كذا؛ نشأ عنه وحصلَ منه، ولزِم الشّيءُ فُلانًا؛ وجبَ عليه، يُقال: لزمه الغُرم ولزمه الطّلاق، ولزم العمل؛ داوم عليه، ولزم المريض السّرير؛ لم يُفارقْه، ولازمه ملازمة ولِزامًا؛ داوَم عليه، يُقال: لازَمَ الغريم؛ تعلَّق به، وألزَمَ الشَّيء؛ أثبتَهُ وأدامه، وألزم فُلانًا الشَّيء؛ أوجبه عليه... . (**المعجم الوسيط**، ص823).

لكم: لا أشرب بعد الآن من عصير الكَرْمة حتّى يجيء يومٌ فيه أشربه جديدًا في ملكوت الله"]. (مرقس: 14/ 22-25).

بعد هذا كلّه، أإلهٌ يأكل ويشرب؟!!، وليته يشرب شرابًا حلالًا طيّبًا فحسب، إنّه يشرب الخمر ويسكر بها كما هو واضحٌ من النّصوص السّالفة الذِّكر، وإذا كان عيسى عليه السلام إنّما بُعث متمّمًا ومُكمّلًا لرسالة موسى عليه السلام، فها هو يُخاطِب قومه قائلًا: **[لا تظُنُّوا أنّي جئتُ لأُبطِل الشّريعة وتعاليم الأنبياء، ما جئتُ لأُبْطِل، بل لأُكمل، الحقّ أقول لكم: إلى أنْ تزول السّماء والأرض لا يزول حرفٌ واحدٌ أو نقطة واحدة من الشّريعة حتّى يتمّ كلّ شيء]**. (متّى: 05/ 17-18)، وقال لهم أيضًا: **[مَا أرسلني اللهُ إلّا إلى الخراف الضّالة من بني إسرائيل]**. (متّى: 15/ 24)، وجاء على لسانه في القرآن: ﴿**يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ**﴾ (الصّفّ: 06)، فكيف له أنْ يُخالف هذه الشّريعة النّاهيّة عن شرب الخمر، المحرّمة لها؟، حيث يقول سفر اللّاويين: **[وقال الرّبّ لهارون: "لا تشرَب خمرًا ومُسكِرًا، أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لئلّا تموتوا، هذه فريضة أبديّة مدى أجيالكم، لتُميّزُوا بين المُقدّس للرّبّ والمُحلّل للعموم، وبين النّجس والطّاهر، ولتُعلّموا بني إسرائيل جميع الفرائض التي أمر الرّبّ بها على لسان موسى]**. (اللاويين: 10/ 08-11)، وإذا كان إلهًا، فكيف ينهى عبيده عن تناول المُسكرات والخمور، ثمّ يتناولها هو غير آبهٍ بما حرّمه على خلقِه؟، ومعروفٌ لدى الجميع أنّ الخمر محرّمة في التّوراة والإنجيل والقرآن.

وقال الله تعالى مُبيّنًا حقيقة أنّ عيسى عليه السلام وأمّه كانا يأكلان الطّعام كبقيّة الخلْق؛ ليكون ذلك دليلًا على بشريته وإنسانيته، وأنّه ما هو إلّا رسولٌ كإخوانه من الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام لم يبلُغ مرتبة الرّبّ أو الإله: ﴿**مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥**﴾.(المائدة: 75)، فإذا ما أضحَتْ هذه الحقيقةُ حقيقةً مُشاهَدَة للعيان، ثابتة في الأذهان، مستقرّة في الأفهام، فإنّ الأمر المتأتّي منها؛ وهو إخراج البول والغائط، الذي هو نتيجة حتميّة لها، يتّصف به عيسى عليه السلام ولا يتنزّه عنه بأيّ حال من الأحوال، ما دام أنّه بشرٌ مثلُه مثل بقيّة البشر، وما دام أنّه يأكل ويشرب، فـ **(هل هذا إلـهُ؟)**؛ أي: هل مَنْ هو معرَّضٌ لكلّ هذه الأعراض من أكل وشُربٍ وتبوّل وتغوّط، وقبل ذلك حملُه واحتواؤه

في البطن وولادته وإرضاعه، ثمّ موته ودفنه في القبر؛ **إلـه؟!!!**، إنّ الملائكة الكرام البررة المخلُوقين لا يأكلون ولا يشربون* ولا يتغوّطون، فما بالك بالله الخالق العظيم الذي هو غنيٌّ عن كلّ ذلك، ومنزّهٌ عن كلّ نقيصة، ثمّ إنّه لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء، وهذا استفهام إنكاري تقريري من النّاظم في الآن نفسه؛ فهو ينكر على النّصارى قولهم بمثل هذه الأقاويل، ليُقرِّر نفيَها عن الإله الحقّ؛ وهو ذات الأمر القارِّ في عقولهم وأذهانهم ومداركهم، حيث يكون جوابهم طبعًا: ليس مَن تجري عليه مثل هذه الأعراض والأمور بإله وما ينبغي له أنْ يكون.

ولا يتوقّف الأمر عند مسألة الأكل والشُّرب فحسب، بل يتعدّاه إلى أفعال كثيرة ترويها الأناجيل وباقي أسفار العهد الجديد وهي تسرد لنا قصّة عيسى عليه السلام، تُنبئُ بما لا يحتمل الشّكّ ولا الرّيب ببشريّة هذا الرّسول الكريم، وقد لخّص الشّيخ أحمد ديدات صفاته (صفات عيسى) الدّالة على كونه إنسانًا وليس إلهًا مُستخلِصًا إيّاها من أسفار العهد الجديد، وذلك بأسلوبٍ ساخرٍ في العبارات الآتيّة:[1]

الرّقم	الحَدَث	النَّصّ	السِّفر	الإصحاح والعدد
01	ميلاد "الله" (The Birth of God).	لقد خُلِق "الله" من نسل داود	رومية	03 /01
		كان "الله" من ثمرة صُلب داود	أعمال الرّسل	30 /02
		سلسلة نسب "الله"	متَّى	01 /01
		جِنس "الله"	لوقا	12 /02
		كيف حملتْ مريم ووضعت "الله"؟	لوقا	06 /02
		"الله" رضَع من ثدي امرأة	لوقا	28-27 /11
		القُطر الذي نشأ فيه "الله"	متّى	01 /02
		وظيفة "الله"	متّى	55 /13

*قصّة الملائكة مع إبراهيم عليه السلام معروفة في هذا الشّأن، حيث إنّهم لمّا قدِموا عليه ضيوفًا، قدّم لهم القرَى فلم يقربوه وامتنعوا عنه: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ۝٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ۝٢٨﴾ . (الذّاريات: 24-28).

[1]- أحمد ديدات: **الله في العقيدة المسيحيّة**، ص229-237.

		وسائل تنقّل "الله" وتجواله	متّى	52 /21
			يوحنّا	14 /12
		"الله" يأكل، ويشرب الخمر	لوقا	34 /07
			متَّى	19 /11
		فَقْر "الله"	متَّى	20 /08
		الممتلكات التّافهة لـ "الله"	لوقا	16 /07
			يوحنَّا	23 /19
		كان "الله" يهوديًّا مؤلِّهًا ومُتعبّدًا	مرقس	35 /01
		كان يسوع "الله" مواطنًا صالحًا	متّى	21 /22
		لقد كان "الله" يدفع الضّريبة	متَّى	27-24 /17
02	**عائلة "الله" (The Family f God)**	كان "الله" ابن يوسف النّجّار	يوحنّا	45 /01
		إخوة وأصهار "الله"	متَّى	56-54 /13
03	**نشأة ونموّ "الله" (The Development of God)**	النّشأة الرّوحيّة لـ "الله"	لوقا	04 /02
		النّشأة الطّبيعيّة والذّهنيّة والخلقيّة لـ "الله"	لوقا	52 /02
		لقد كان عمر "الله" عندما أخذه أبواه إلى أورشليم اثنيْ عشر عامًا	لوقا	42-41 /02
		"الله" مسلوب القوّة "قال عيسى"	يوحنّا	30 /05
		لقد كان "الله" لا يعرف "يجهل" الوقت	مرقس	02 /13
		"الله" كان يجهل المواسِم "للمحاصيل"	لوقا	13-12 /11
			يوحنَّا	15-14 /07
		"الله" تعلَّم من خلال التّجربة	العبرانيين	07 /05

04	"اللهُ" مُجرِّب (The tempting God)	لقد جرّب الشيطانُ "اللهَ" لمدّة أربعين (40) يومًا	مرقس	13-12 /01
		الشّيطانُ جرَّب "اللهَ" مرارًا وتكرارًا	لوقا	13 /04
		"اللهُ" يُجرَّبُ في كلّ شيء	العبرانيين	15 /04
		الإله الحقّ لا يُجرَّب بالشّرّ	يعقوب	13 /01
05	رسالة "اللهِ" (The Mission of God)	"الله" يتوب ويندم ويعترف قبل بدء خدمته العامّة العلنيّة	متَّى	13/ 01، 03/ 06
		لم يأتِ "الله" ليُخلّص المُخطئين والآثمين	مرقس	12-10 /04
06	"اللهُ" العُنصري (The Racial God)	لقد كان "اللهُ" قَبَلِي	رؤيا يوحنّا اللّاهوتي	05 /05
		"الله" أتى وجاء لليهود فقط	متَّى	24 /15
		تفرِقة "الله" العُنصريّة	متّى	06-05 /01
		مملكة "الله"	لوقا	33 /01
07	ألقابُ "اللهِ" (The titles of God)	ملك إسرائيل	يوحنّا	13 /01 ،49 /12
		المولودُ ملك اليهود	متَّى	02 /02
08	"اللهُ" الذي لا يُشبه الإله (A God Unlike The God)	"الله" يجوع	متَّى	18 /21 ،02 /04
		"الله" يعطش	يوحنّا	28 /19
		"الله" ينام	متّى	24 /08
			لوقا	23 /08
			مرقس	38 /04
		"الله" يتعب	يوحنَّا	06 /04
		"الله" ينزعج	يوحنَّا	38 ،33 /11

		"الله" يبكي	يوحنَّا	35 /11
		"الله" يحزن ويكتئِب	متِّى	38-37 /26
		"الله" يندهش ويهرع	مرقس	34-33 /14
		"الله" ضعيف	لوقا	43 /22
09	"اللهُ" المُحارِب The Warring) (of God	"الله" وطريقة اليد القويّة؛ أي البطش والفتوّة	لوقا	02/ 45، 19/ 15-13
		إله الحرب:	متَّى	34 /10
		يقول عيسى	لوقا	26 /22
10	"الله" الهارب The God on) (The Run	"الله" مذهولٌ من الذّعر	يوحنّا	11 /07
		"الله" كان يمشي خائفًا من اليهود	يوحنّا	54-53 /11
		"الله" يفِرّ	يوحنّا	39 /10
		يخرج "الله" متخفّيًا منم اليهود	يوحنّا	59 /08
11	أسْرُ "الله" (The Capture of (God	قُبِض على "الله" وأوثِقت يديه ومُضيَ به	يوحنّا	18-13 /12
		لقد أُهِين "الله"	لوقا	64-22 /23
			متَّى	26 /27
12	"الله" كان عاجزًا عن الدّفاع عن نفسه (God Was	حكموا على "الله" بالموت	مرقس	15-01 /15
			متَّى	26 /24
		سهولة انقياد"الله"كالشّاة التي تُذبح	أعمال الرّسل	32 /08
13	النّهاية المُفترضة لـ "الله" The Supposed End) (of God	"الله" يموت	مرقس	37 /15
		"الله" الذي افترَض موته ووفاته	روميّة	05 /06
			يوحنَّا	33 /19
		جسد "الله" المُفتَرَض بعد موته	متَّى	59-58 /27
		نعيُ "الله" المرحوم الذي نُوِّح عليه	لوقا	47 /23

الشّكل29: (جدول يوضّح مسيرة المسيح في الإنجيل)

ومَن يقرأ هذه العناوين والفقرات القصيرة مُحلِّلًا هذا الجدول، سيقف حائرًا مستقصيًا عن كُنه إله النّصارى الذي لا فرْق بينه وبين بقيّة البشر؛ أي عيسى المسيح الذي يعتقدونه إلهًا مع الله، خصوصًا وأنّ أحمد ديدات قد صاغها صياغة ساخرة مستفِزّة على عادته في مناظرَاتِه للقوم، وذلك حتّى يستفيقوا من غفلتهم ويكفُّوا عن تعنّتهم وقولهم على الله بهتانًا عظيمًا، فكلّ مَن يلحظ ما سبق بيانه من صفات ونعوت سيُدرك لا محالة أنّها أوصاف إنسان عاديّ لا فرق بينه وبين بقيّة بني جِنسِه، حيث إنَّ جميع العِباد متساوون أمام الله عزّ وجلَّ من ناحيّة الخِلْقة البيولوجيّة.

والقرآن الكريم كما العهد الجديد، بيّنَتْ جُملةٌ من آياته أعمال وأقوال وسيرة عيسى عليه السلام، في إطار بشريّته ورسالته إلى بني إسرائيل، وِفق المحاور الآتية:[1]

الرَّقم	المَحَاور	السُّورة	الآية
01	التّبشير بميلاده	آل عمران	45
02	إيتاؤه البيّنات وتأييده بروح القدس	البقرة	87، 253
		المائدة	110
03	تعليمه الكتاب والحِكمة وإرساله إلى بني إسرائيل	آل عمران	48-49
		الحديد	27
04	أخذ الميثاق منه	الأحزاب	07
05	آياته في النّاس	آل عمران	49
		المائدة	110-111
06	عيسى عبد الله ورسوله وما هو بإله	آل عمران	49
		النِّساء	171-172
		المائدة	75
		الزّخرف	57-59

[1]- محمّد السّماك: **مقدّمة إلى الحوار الإسلامي-المسيحي**، ص27-32.

07	نفيُ مقولة إنّ المسيح ابن الله	التّوبة	30
		مريم	36-30،34-29
08	كفر القائلين بإلوهيّة المسيح أو بالتّثليث	المائدة	75-72
09	المسيح يتبرّأُ مِمَّن ألّـهُوه	الزّخرف	64-63
		المائدة	118-116
10	إرساله إلى بني إسرائيل مصدِّقًا لما بيْن يديْه من التّوراة	آل عمران	50-49
11	تبشيره برسالة محمّدﷺ	الصَّف	06
12	وجوب الإيمان به وبما أُنزِل عليه	البقرة	136
		آل عمران	84
		الشُّورى	13
13	مَثَلُه عند الله كمَثَل آدم	آل عمران	61-59
14	إيمان الحواريين به	المائدة	111 ،53-52
15	إنزال المائدة عليه	المائدة	115-112
16	**لعْن الكافرين من بني إسرائيل على لسانه**	المائدة	78
17	رفعُه ونفْيُ قتْله أو صلْبِه	آل عمران	55
		النِّساء	159-156
18	السّلام عليه في الميلاد والموت ويوم يُبعث	مريم	33

الشّكل30: (جدول يوضّح حقيقة المسيح في القرآن)

حقيقة، إنّ الإنسان الموصُوف بكلّ هذه الأوصاف، والمنسُوبة إليه جميع هذه النّعوت، بعيدٌ كلّ البُعْد عن صفات الإلوهيّة ونعوت الرّبوبيّة من كمالٍ وجلال وعظمة، فهيْهات ثمّ هيْهات أن يكون هذا الرّجل (عيسىعليه السلام) ولا أيُّ أحد آخر غيره من النّاس مهما علا شأنه وجلَّت مرتبتُه وتعالتْ مكانته؛ أنْ يبلُغ مرتبة الإله ولا حتّى مِعشارها أو

ذرّة منها، ولو كان ملكًا مقرّبًا أو نبيًّا مرسلًا أو وليًّا مُكرَمًا، ذلك أنّ الله عزّ وجلّ متّصِفٌ بجميع صفات الكمال، ومنزّهٌ عن جميع صفات النّقص، والبشر بخلاف ذلك تجري عليهم النّقائص والأعراض المُنقصة من الكَمَال، والمسيح عيسى عليه السلام واحدٌ من البشر، وهكذا تتضافر الأدلّة وتُحشَد بين دفّتيْ هذين الكتابيْن المقدّسيْن؛ العهد الجديد والقرآن الكريم، لتُثبِت هذه الحقيقة العقديّة الإيمانيّة الماثلة أمام الأعين واقعيًّا وتاريخيًّا ودينيًّا، ولتُبطِل ما يُناقضها أو يُخالفُها من الآراء والعقائد والأفكار الأخرى، الأمر الذي يُعَدُّ منطلقًا أساسيًّا وركيزة متينة للبَدْءِ في حوار جادٍّ بين المسلمين والمسيحيين.

17. تَعَالَى اللهُ عَنْ إِفْكِ* النَّصَارَى سَيُسْأَلُ كُلُّهُمْ عَمَّا اِفْتَرَاهُ

في خِتَام هذا القِسم الذي ردّ فيه ابن القيّم رحمه الله على عبَدَة المسيح عليه السلام في دعوى إلوهيته وصلبِه، وبعد أنْ نَظَمَ ستّة عشر (16) بيْتًا بخصوص هذا الشّأن، يصوغ بيْتًا ختاميًّا يذيّل به هذه المقطوعة الأولى من هذه القصيدة، وقد أبْدَع رحمه الله في ذلك، فجاء هذا البيتُ الذي ميّزه حُسْن النّظْم والسّبك مُصاغًا صياغة جميلة مختصرة معبّرة ملخّصة للأفكار التي سبقته في الأبيات التي قبله، فيقول:

(تَعَالَى اللهُ عَنْ إِفْكِ النَّصَارَى)؛ أي تقدّس الله عزّ وجلّ وتنزّه عن كذبِ وافتراءِ النّصارى فيما نَسبَوهُ إليه من نقائص وعيُوب وخطايا، وتشبيهٍ له بالبشر، وفيما نسبوه إليه من الزّوجة والولد: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾** ﴾ (الزّخرف: 81-82)، وقولهم فيه وفي عيسى عبده ونبيِّه ورسوله ومريم قولًا عظيمًا مُبينًا، وهو -أيضًا- بريء ممّا ارتكبوه من آثام عقائديّة وتشريعيّة وأخلاقيّة، سواء كان ذلك داخليًّا؛ أي ممّا أحدثوه واخترعوه في رسالة نبيِّهم حيث حرّفوها وبدّلوها كما حرّفوا وبدّلوا كلام الله المُنزّل في الإنجيل، أو كان خارجيًّا؛ أي ممّا أحدثوه وفعلوه في غيرهم والأُمم من دونهم، كعدم إيمانهم برسالة النّبيّ محمّد ﷺ بالرّغم من تبشير

*أَفَكَ فلانٌ أَفْكًا وإِفْكًا وأُفوكًا؛ كذِب وافترى، وأَفَكَ فلانًا أَفْكًا وإِفْكًا؛ كذبَ عليه وخدعه، وأَفَكَ فُلانًا عن الشّيء أَفْكًا؛ صرفه، وفي التّنزيل العزيز: ﴿ **قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا** ﴾ (الأحقاف: 22)، وأَفَكَ الأمر عن وجهه؛ قلبه وصرفه عنه، وآفكَه إيفاكًا؛ حمله على الإفك، وأَفَّكَ فلانًا؛ كذَّبه... . (**المعجم الوسيط**، ص21).

عيسى عليه السلام به، وأيضًا ظُلمُهم لمَن حولهم من الأُمم الأخرى كالمسلمين مثلًا؛ فقد لاقوا من النّصارى من الأذى الشّيء الكثير؛ إذ افتَروا عليهم وكذّبوهم وشوّهوا صورتهم وحاربُوهم بالسَّيف والسِّلاح واحتلّوا بلادهم بغير وجه حق... .

(سَيُسْـــأَلُ كُلُّهُـــمْ عَمَّـــا اِفْتَـــرَاهُ)؛ فلا شكّ –والحال هذه– أنّ هؤلاء القوم سوف يسألهم الله تعالى قاطبة عن جميع ما فعلوه –وهم في هذه الدّار– في دينهم وفي غيرهم–، وعن كلّ ما اِفتروه في حقّه وحقِّ كُتُبه وحقّ أنبيائه، ثمّ بعد ذلك يحاسبهم –يوم القيامة– كلٌّ بحسب ما فعل وقدّم؛ لأنّ هذه الدُّنيا دار عمل، والآخرة هي دار الجزاء: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨**﴾. (الزّلزلة: 07–08)، ففي هذه الآية يخاطب الله تعالى عباده على سبيل التّنبيه والتّحذير، فمَن يعمل الآن في الدّنيا مثقال ذرّة خيرًا يره في الآخرة؛ أي يُثاب عليه، ومَن يعمل الآن في الدّنيا مثقال ذرّة شرًّا يره في الآخرة؛ أي يُعاقَب عليه، ومثقال الذّرّة قيل: هي النّملة الصّغيرة، لقول الشّاعر:

مــن القاصِــرات الطّرف لو دَبَّ مُحْوِلٌ مــن الذّرّ فــوق الإتْب منها لأثــــرا*

وقيل: هي الهباء التي تُرى في أشعّة الشّمس، وكلاهما مروي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، ولعلّ ذكر الذّرّة هنا على سبيل المثال لمعرفتهم صغرها، وهنا تنبيهان؛ الأوّل من ناحيّة الأصول؛ وهو أنّ النّصّ على مثقال الذّرّة من باب التّنبيه بالأدنى على الأعلى، فلا يمنع رؤية مثاقيل الجبال، بل هي أولى وأحرى، والتّنبيه الثّاني فيه ردّ على بعض المتكلّمين في العصر الحاضر الذين قالوا: لقد اعتبر القرآن الذّرّة أصغر شيء وأنّها لا تقبل التّقسيم، كما يقول المناطقة: إنّها الجوهر الفرد الذي لا يقبل الانقسام، وجاء العلم الحديث ففتّت الذّرّة وجعل لها أجزاء، ووجه الرّدّ على تلك المقالة الجديدة، على آيات من كتاب الله هو النّصّ الصّريح من مثقال ذرّة ولا أصغر من ذلك إلّا في كتاب، فمعلومٌ ذلك عند الله ومُثبتٌ في كتاب ما هو أصغر من الذّرّة، ولا حدّ لهذا الأصغر بأيّ نسبة كانت، فهو شاملٌ لتفجير الذّرّة ولأجزائها مهما صغُرت تلك الأجزاء،[1] وإذا كان الأمر على هذا النّحو

---

* البيت لامرئ القيس من قصيدة مطلعها: سمَا لك شوقٌ بعدما كان أقصر.

[1]– محمّد الأمين المختار الشّنقيطي: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج09، ص434–436.

الموصوف أعلاه، فما بالك بكبائر النّصارى وآثامهم العظيمة التي تميد بها الجبال؟، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾. (آل عمران: 56-57)، وقال أيضًا: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾. (النّساء: 173)، ونظير هذا كثير في القرآن سواء كان خاصًّا بالنّصارى، أو بغيرهم، أو كان عامًّا لِكلّ مَن كَفَر أو آمَنَ.

الفَصْلُ الثَّانِي: الرَّدُّ عَلَى عَبَدَةِ الصَّلِيبِ

هذا هو الجزء الثّاني من هذه القصيدة التي نحن بصدد شرحها وتبيين معانيها، وقد نادى ابن القيّم رحمه الله النّصارى فيه مُخاطِبًا إيّاهم بكونهم عُبّادًا للصَّليب، ثمّ شرَع في الرّد عليهم وانتقادهم في مسائل عديدة لها علاقة مُباشرة بهذا الموضوع، وذلك في تسعة (09) أبياتٍ؛ أي من البيت الثّامن عشر (18) إلى البيت الأخير؛ وهو البيت السّادس والعشرون (26). ونصُّه:

18. **أَعُبَّـــادَ الصَّـــلِيبِ، لِأَيِّ مَعْنًـــى ... يُعَظَّـــمُ أَوْ يُقَـــبَّحُ مَـــنْ رَمَـــاهُ؟**
19. **وهَـلْ تَقْضِـي العُقُـولُ بِغَيْـرِ كَسْـرٍ ... وإِحْـــرَاقٍ لَـــهُ، ولِمَـــنْ بَغَـــاهُ*؟**
20. **إِذَا رَكِـــبَ الإِلَـــهُ عَلَيْـــهِ كُـــرْهًا ... وقَـــدْ شُـــدَّتْ لِتَسْمِيـــرٍ يَـــدَاهُ**
21. **فَـــذَاكَ المَرْكَـــبُ المَلْعُـــونُ حَقًّـــا ... فَدُسْـــــهُ، لا تَبُسْـــــهُ إِذْ تَـــــرَاهُ**
22. **يُهَـــانُ عَلَيْـــهِ رَبُّ الخَلْـــقِ طُـــرًّا ... وتَعْبُـــدُهُ؟ فَإِنَّـــكَ مِـــنْ عِـــدَاهُ**
23. **فَـإِنْ عَظَّمْتَـهُ مِـنْ أَجْـلِ أَنْ قَـدْ ... حَـــوَى رَبَّ العِبَـــادِ، وقَـــدْ عَـــلَاهُ**
24. **وقَـــدْ فُقِـدَ الصَّلِيـــبُ، فَـإِنْ رَأَيْنَـا ... لَـــــهُ شَـــكْلًا تَذَكَّـــرْنَا سَـــنَاهُ**
25. **فَهَـــلَّا لِلْقُبُـــورِ سَـــجَدتَ طُـــرًّا ... لِضَـــمِّ القَبْـــرِ رَبَّـــكَ فِـــي حَشَـــاهُ؟**
26. **فيَـــا عَبْـــدَ المَسِيـــحِ أَفِـــقْ، فَهَـــذَا ... بِدَايَتُـــــه، وهَـــــذَا مُنْتَهَـــــاهُ**

* وقد رويَ: ولمَنْ نعَاه؛ أي جاء بخبر نهايته وبكى عليه ورثاه.

18. أَعُبَّـــادَ الصَّلِيـــبِ* لِأَيِّ مَعْنَـــى يُعَظَّـــمُ أَوْ يُقَبَّـــحُ مَنْ رَمَـــاهُ؟

(أَعُبَّادَ الصَّلِيبِ) في هذا البيت ينادي النّاظمﷺ النّصارى هذه المرّة بصفة أُخرى يظنُّها أنّها تشملهم وهم جميعًا يتّصفون بها، وذلك بعد أنْ ناداهم في بداية هذه القصيدة بقوله: **(أَعُبَّادَ المَسِيحِ)**، فها هو هنا يناديهم بقوله: **(أَعُبَّادَ الصَّلِيبِ)**، وقد نعتهم بهذا النّعْت فنسَبَهم للصّليب على أنّهم عُبَّاده؛ أي يعبدونه ويقدّسونه ويُعظِّمونه، ثمّ يسألهم قائلًا: **(لِأَيِّ مَعْنَى يُعَظَّمُ؟)**؛ أي: ما سبب تعظيمكم –أيّها النّصارى– لهذا الصّليب؟، وما سرّ المكانة الكبيرة التي يحتّلها في عقيدتكم وفكركم وأدبياتكم؟، وكأنّ لسان حاله يقول لهم: لماذا تعظِّمون الصّليب، وكيف رضيتم أن تكونوا عُبَّادًا له؟، وما سرّ تعظيمكم إيّاه، والتجاؤكم إليه؟، واحتماؤكم به؟!!!، ولا شكّ أنّ هذه الأسئلة جميعها من باب السّخريّة والاستفزاز؛ لأنّ الصّليب جمادٌ لا يعقل ولا يسمع، فكيف يُعبَد؟، وكيف يُقدَّس ويُعظَّم ولا عظيم إلّا الله الخالق المُحيي المُميت؟، وإجابة على جميع هذه الأسئلة نقول على لسان بعض المسيحيين: معروفٌ أنّ الصّليب يحتلّ مكانة عظيمة جدًّا لدى النّصارى –وهي الحقيقة التي لم تغِب على ابن القيّم–؛ مكانة فاقت الحدّ المعهُود، بل وتجاوزت الحدود، وحتّى نستوضح هذه المكانة؛ سنورد بعض الشّهادات المسيحيّة من مسيحيين أنفسهم، وهم يتحدَّثون عن المكانة الفعليّة للصّليب في الفكر المسيحي. حيث يقول مؤلّف كتاب: "المسيحيّة والصّليب" في الكلمات الأولى التي استفتَح بها هذا الكتاب واصِفًا العلاقة بين المسيحيّة والصّليب: "المسيحيّة والصّليب أمران مُتلازمان، وصِنوان لا يتفارقان...، فأينما وحيثما يُرى الصّليب مرفوعًا أو معلَّقًا، يُدرك المرء أنّه أمام مؤسّسة مسيحيّة، أو مؤمنين مسيحيين...، ولا عجب فالصّليب هو شعار المسيحيّة بل هو قلبُها وعمقها...، لقد تأسّست المسيحيّة على أساس الصّليب وبالصّليب"؛[1] ومعنى هذا أنَّه لا مسيحيَّة بدون صليب.

---

* الصّليب مأخوذ من الفعل صلَب يصلُبُ ويصلِبُ صلبًا فهو صالِبٌ، والمفعول؛ مصلُوبٌ وصليب، صلب الجِسم أو صلَبَ فُلانًا؛ علَّقه ممدود اليديْن، مشدود الرِّجليْن قتلًا أو تعذيبًا، وصلَّب المسيحيُّ؛ اتَّخذ صليبًا، أو رسم بالإشارة صليبًا على وجهه وصدره، (أحمد مختار عمر وآخرون: **معجم اللّغة العربيّة المعاصرة**، مج02، ص1310).

[1]– الأنبا يوأنس: **المسيحيّة والصّليب**، ص06.

ويقول يوحنّا ذهبيّ الفمّ (347–407م) وهو يُعدّد وظائف الصّليب ومزاياه:

- "الصّليب هدم خصومة الله مع البشر، وصنع الصُّلح، وجعل الأرض سماءً، وجمع البشر بالملائكة، وأنقذ الأرض من الخِداع، وأعاد الحقيقة مرّة أخرى، طرد الشّياطين، وهدم معابد ونقض هياكل، وزرع الفضيلة، وأسّس الكنائس.
- الصّليب هو إرادة الله، مجدُ الابن، فرحُ الرّوح.
- الصّليب هو أكثر إشراقًا وبهاءً من الشّمس، أكثر ضياءً من أشعّة النّور، لأنّه عندما أظلمت الشّمس عندئذ أضاء الصّليب.
- الصّليب مزّقَ الصَّكَّ الذي كان علينا، وأبطل سجن الموت.
- الصّليب هو دليل محبّة الموت.
- الصّليب هو الحائط الثّابت، سِلاح مَن لا يُقهر، أمان الأغنياء، ثراء الفقراء، سَدٌّ يحمي الذين تُحاك ضدّهم الدّسائس، وسلاح الذين يحاربون ضدَّ الشّهوات، المُربِح للفضيلة، علامة الإعجاز والإعجاب".[1]

وإذا كانت هذه كلّها مزايا للصّليب، فلا شكّ أنّ لهذا الأخير أهميّة كبيرة ومنزلة مرموقة عند هؤلاء، بحيث لا يكون مسيحيًّا ولا مُنتميًا لزُمرة المسيحيين مَن لا يؤمن بالصّلب وأحداثه، ومَن لا يتّخذ من الصّليب شعارًا يرفعه في كلّ مجلس ويحتكم إليه عند أيّ خصومة.

ففي الأدب المسيحي تُروى تلك القصّة الغراميّة الغزليّة التي تمجّد الصّليب وتغرس حُبّه في نُفوس المسيحيين لكيْ يزدادوا تعظيمًا وتقديسًا له، وحتّى يقتربُوا منه إلى أقصى حدٍّ ممكن، وهذا هو نصّ القصّة المعنونة بـ: "الصّلب وقصّة الحبّ":

"بلغ بالعروس التي خطبها الأب من مصر (اليهود) الجنون حتّى صلَبَتْ ابنَه؛ عريسها، وأغضبَت بذلك أباه، فدفعها إلى السّخريّة من جميع شعُوب الأرض، ولأنّها ازدرَت بعهد الخِطبة؛ أراد ذلك الخطيب كشْف رأسها، ونزَع عن هامتها كلّ أنواع الزّينة، وأسلمها لتهزأ بها الأُمم، وبدّل هذه الابنة التي رفضت عهد صِباها، وانفصلتْ عن خطيبها بعد أنْ

[1]– أنطونيوس كمال حليم: **المحبَّة الغافرة (مع المسيح صُلبتُ فأحيا)**، ص12.

أوسعتْه مرائِر وشتائم وآلام وتعييرات، عَقَدَ المصلُوب خطبة جديدة مع غيرها، ومن فوق الصّليب سمِع نداء القائد الرّوماني واعترافه بلاهوته، وسُرَّ بندائه، وخطَب ابنة الشّعوب بواسطته، وحسنًا صنَع المصلُوب، ذلك لأنّ هذه الابنة التي تمثّلت بقائد المائة ذكرته وقْتَ إهانته، وأحبّته، عندما كانت الشّتائم تنهال على رأسه، فدخل معها في عهد الحُبّ، رَسَمَها علامة صليبه أحسَنَ زينة، ومهّد لها الطّريق إلى النّعيم الذي كان معلّقًا".[1] وعلى الرّغم من كون هذه القصّة قصّة رمزيّة حُكيَت بطريقة غراميّة غزليّة، إلّا أنّها أسْهَمَتْ بشكلٍ لافتٍ للانتباه في التّنصيص على مكانة الصّليب الحقيقيّة ومنزلته الرَّفيعة عند المسيحيين.

فالصّليب في الفكر المسيحي؛ عُمقٌ يتعلّق بمفاهيم ومعاني في خطّة الله لخلاص الإنسان، فبولس الرّسول يقول: **[إنّ كلمة الصّليب عند الهالكين جهالة، وأمّا عندنا نحن المخلّصين فهي قوّة الله]**. (كورنثوس01: 01/ 18)؛ لذلك لم يكن الصّليب مجرّد وسيلة للإعدام.[2] والنّصّ السّابق لبولس يشير إلى أنّه رغم الانتقادات المُوجَّهة للمسيحيين بسبب تقديسهم للصّليب والتي عادة ما تكون عن جهل وعدم معرفة بمكانة الصّليب في التّراث المسيحي، فإنّ الإيمان المسيحي بالصّليب نابعٌ من عقيدة ذاتيّة يقينيّة لا تتزعزع ولا تتقهقر لأنّها جزء من الإيمان بالله، بل إنّ هذا الإيمان يُعطِي صاحبه قوّة داخليّة كبيرة يواجِه بها كلّ الانتقادات والتّهكُّمات.

كما أنّ الصّليب –مسيحيًّا– يدخل في أعماق مشاعر الإنسان وفكره الرّوحي، وأبعاد عمل الرّوح القدس في داخله، فقد كان الصّليب بالنّسبة للقدّيسين هو موضوع عناق قويّ في علاقتهم بالله، وهو موضوع تأمّل وممارسة حياة يوميّة، وهو قوّة الله للخلاص، وله –الصّليب– معانٍ تدخلُ إلى أعماق النّفس بقوّة الرّوح القدس، حتّى ولو لم يدرك الإنسان تلك المعاني، وهو –أي الصّليب– قوّة وغلبة وانتصار وحياة بالنّسبة للمسيحيين.[3]

---

[1]– أنطونيوس كمال حليم: **المحبّة الغافرة (مع المسيح صُلبتُ فأحيا)**، ص21.

[2]– الأنبا بيشوى: **لماذا الصّليب بالذّات–لماذا اختار السّيّد المسيح أنْ يموت مصلوبًا؟**–، ص08.

[3]– **المرجع نفسه**، ص08–09.

وجاء في كتاب: "اِحمل صليبك واتّبعني"، تحت عنوان: (تأمُّلات في الصّليب):[1]

- الصّليب شعار المسيحيّة؛ لأنّ الصّليب معناه حياتنا الأبديّة، الصّليب هو خلاصنا ورجاؤنا وقوّتنا ونصرتنا وفرحنا، والإنسان المسيحي يعيش الصّليب كلّ يوم، ويتأمّل في الصّليب ومعانيه المختلفة المتعدّدة، والبركات الإلهيّة التي تفيض منه، حتّى إنّ الإنسان إذا غاب عن ذهنه في يوم من الأيّام معنى الصّليب يخطئُ ويسيءُ التّصرُّف.
- الصّليب بالنّسبة إلى المؤمن مثل البوصلة بالنّسبة لرُبّان السّفينة، فعندما يسير ولا يعرف أين هو، يخاف أنْ يخطئ الاتّجاه فينظر إلى البوصلة وهي التي تعدِّل مساره، وكذلك الصّليب بالنّسبة لنا.
- ففي أيّ موقف من مواقف الحياة، إذا نسيَ المؤمن معاني الصّليب يخطئ في التّصرُّف ويحتار كيف يتصرّف، أو كيف يميّز الفكر الذي يلحّ عليه.
- فإذا كان الصّليب أمام عينيه وفي ذهنه ومطبوعًا على قلبه؛ يتصرّف تصرُّفًا إنجيليًّا صحيحًا، فعندما نصلّي؛ الشّمّاش يقف خلْف الكاهن وهو ممسكٌ بالصّليب والبشارة، ويمسك شمعة إشارة إلى نور الإنجيل.
- فلماذا يمسِك الشّمّاس الصّليب مع الإنجيل؟؛ لأنّ محور الإنجيل هو الخَلاص الذي تمّ على الصّليب، ومركز الكتاب المقدّس كلّه من أوّل التّكوين إلى سفر الرّؤيا هو الصّليب.
- وكلّ ذبائح العهد القديم، وكلّ وعود الله في هذا العهد، وكلّ الوصايا الإلهيّة؛ كلّها تتلخّص وتتمركز في الصّليب.
- بمعنى لو فهِم إنسان معنى الصّليب، فهذا يعني أنّه أدركَ روح الكتاب المقدّس كلّه، وصايا المسيح كلّها عبارة عن صليب، الصّليب مركز كلّ وصيّة، جوهر كلّ وصيّة، كما قال الرّبّ يسوع: أنّه الكنز المخفي في حقل، وجَدَه إنسانٌ ومن فرحه أخفاه ومضى وباع كلّ مالِه واشترى ذلك الحقل، وسوف نتأمّل بنعمة الله في بعض معاني الصّليب؛ لأنّنا نحمل الصّليب في أيدينا عندما نصلّي ونختم به

[1]- الأنبا مكارى: **احمل صليبك واتّبعني**، ص09-10.

المِعصم الأيمن ونعلّقه على صُدُورنا، لهذا ينبغي أنْ نعي معاني الصّليب وبركاته لكي يوجِّه سلوكنا ويضبط تصرّفاتنا وكلّ سيرتنا!!.

فأيُّ تقديس بعد هذا التّقديس؟، وأيُّ افتخار بعد هذا الافتخار؟، بل وأيَّةُ مبالغة بعد هذه المُبالغة؟، فأَنْ يكون الصّليب هو شعار هذه الدِّيانة؛ الشِّعار المقدّس لدى أتباعها إلى درجة كبيرة جدًّا، ولئن كنّا في السّطور والفقرات السّابقة قد نقلنَا أقوال بعض رجال ومفكّري الدّين المسيحي التي ترفع من قيمة الصّليب وتذهب في ذلك شأوًا بعيدًا، والتي حاولنا نقلها حرفيًّا لإثبات المكانة المرموقة والمنزلة الرّفيعة للصّليب في حياة المسيحيين ليصدُق عليهم وصف ابن القيّم: **(عُبَّاد الصّليب)**، فإن الواقع المسيحي يُثبِت هذا الأمر رأي العين بل وعيْن اليقين.

وتفسير ذلك أنّ كلّ رجال الدّين المسيحي، بل ومعظم أتباع الدّيانة المسيحيّة في العالم يعلِّقون الصّليب –على اختلاف أشكاله وصوره– على رقابهم وصدورهم وفي أيديهم وأرجلهم ورؤوسهم، والكنائس المسيحيّة جميعها تحمل صور وهياكل الصّليب من الدّاخل والخارج، بل إنّ كنيسة القدّيس أوغسطين والموجودة حاليًّا في مدينة عنّابة بالجزائر مُصمّمة على شكل صليب ممتدٍّ على ظهره، فكلّ مَن زارها ودخلها يدرك ذلك من دون إعمال أدنى فكر، وأيضًا، فإنّ الكثير من المنتُوجات المسيحيّة الغربيّة سواء كانت ألبسة أو أطعمة أو أشربة أو كتب أو غير ذلك من متاع؛ تجد عليه علامة الصّليب بشكل ظاهر جليّ...، والأكثر من هذا كلّه تثبيتُه أو طبعُه على كثير من الأعلام الوطنيّة في الدّول الغربيّة؛ كـ: الدّنمارك وإنجلترا واليونان وآيسلندا والبرتغال والجبل الأسود وأستراليا... وغيرها،* فشكل الصّليب عندهم مرقوم على كلّ شيء، ومُرفق بكلّ شيء، وفوق كلّ شيء، وكيف لا يكون كذلك؟ وهو رمز ديانتهم

* وفي ذلك يقول القرافي حاكيًا عنهم: "وعظَّموا الصَّليب غاية التَّعظيم حتَّى صوّروه في كنائسهم، وطبعوه على أجسامهم وأثوابهم وقربانهم ولو أمكنهم أنْ لا يخلو شيئًا لفعلوه، ومنهم مَن يصلِّب على وجهه بأصبع واحدة وهم القبط، وبإصبعيْن وهم الرُّوم، وبالعشرة وهم الإفرنج، وهو شيء لم يجدوه في كتاب من الكتب ولا في الشَّرائع ، بل ابتدعوه بآرائهم الفاسدة وعقولهم السّقيمة...". (القرافي: **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرَّدِّ على المِلَّة الكافرة**، ص146).

وشعارها، ففيما مضى من التّاريخ الغابر، تسرد لنا الأيّام؛ قصّة قسطنطين الإمبراطور الرّوماني مع الصّليب، تلك القصّة التي تنصّر فيها هذا الرّجل، والتي يفتخر المسيحيون بها؛ لأنّ قسطنطين وَقَف إلى جانبهم وانتصر لهم؛ فحوّلهم من أمّة مُضْطَهَدَة إلى أُمّة مُضطَهِدَة، وكلّ ذلك بفعل تلك الحادثة المناميّة، يقول ول ديورانت في كتابه "قصّة الحضارة" ساردًا هذه القصّة:

"إنّ قسطنطين شاهد بعد ظهر اليوم الذي دارتْ فيه المعركة صليبًا مُلتَهِبًا في السّماء وعليه تلك العبارة اليونانيّة:"En Touti Mika"، ومعناها: "بهذه العلامة انتصر"، وفي صباح اليوم الثّاني –كما يقول يوسيبيوس ولكتنتيوس– رأى قسطنطين فيما يرى النّائم؛ أنّ صوتًا يأمره بأنْ يرسم جنوده حرف (×) على دروعهم وفي وسطه خطّ يقطعه وينثني حول أعلاه علامة الصّليب، فلمّا استيقظ من نومه صدَع بما أُمر وخاض المعركة خلْف لواء عُرِف من ذلك الوقت باسم (اللبارم Labarum) رُسم عليه الحرفان الأوّلان من لفظ المسيح يربطهما صليب".[1]

إضافة إلى ذلك، وتأكيدًا على أهمّيّة الصّليب في الحياة المسيحيّة، فقد خاض الملُوك والأُمراء والأباطرة الأوربيّون حروبًا طويلة ضدّ المُسلمين ذات توجّه ديني باسم الصّليب، تعرف بـ: الحروب الصّليبيّة؛ التي دارَت رحاها بيْن الفريقيّن عبر مراحل زمنيّة عديدة، وقد كان الجُنود والقادة فيها وفي غيرها من المعارك في التّاريخ المعاصر للاستعمار الأوربّي وخاصّة الفرنسي يرتدون لباسًا حربيًّا منقوشًا عليه علامة الصّليب، ولعلّ كلّ ما قدّمناه بخصوص هذا الشّأن، يقذف في الأذهان فجوة استفهاميّة وحيرة فكريّة كبيرة عن سبب هذا التّقديس الكبير والاهتمام العظيم من قِبل المسيحيين بالصّليب، ولا غرو أنّ ذلك له سببٌ وجيهٌ وقويٌّ وعميقٌ عمق ما أسلفناهُ من شهادات ونصوص.

وإزالة لهذا الإبهام وإزاحة لتلك الحيرة؛ تأتي الإجابات المسيحيّة الكثيرة والطّويلة لتُزيل ما علِق بالأفهام من حيرة مُبرّرة السّلوك المسيحي تجاه هذا الأمر، مُستعينة

[1]– ول ديورانت: **قصّة الحضارة**، ج11: **قيصر والمسيح أو الحضارة الرّومانيّة**، ص384.

بنصوص معتبرة من الكتاب المقدّس وبخاصّة ما هو مبثوثٌ في العهد الجديد من فقرَات وإشارات توحي بضرورة اتّخاذ الصّليب مِحورًا للدّيانة المسيحيّة على أنّه رمزها وشعارها الذي يشمُل المسيحيين تحْت سقفٍ واحدٍ ويدٍ واحدة وقوّة واحدة، وفيما يأتي من نقاطٍ وفقراتٍ ونصوصٍ، نستعرض أهمّ المُبرّرات أو بالأحرى الإجابات المسيحيّة التي تكشف اللّثام وتنفُض الغُبار عن أسئلة محوريّة تقول:

لماذا يحتلّ الصّليب تلك المكانة الرّفيعة والمنزلة الكبيرة في الفكر المسيحي القديم والمعاصر؟، وما المقصود بعلامة الصّليب وما دلالاتها الدّينيّة والتّاريخيّة؟، وما سرّ تقديسه –أي الصّليب– لدى المسيحيين؟، وهل كلّ هذا الإعجاب والتّقديس والافتخار حادِثٌ في التّاريخ المسيحي أم هو أصيل قديم؛ دلّت عليه النّصوص الدّينيّة في الكُتب المقدّسة للقوم؟

يقول بيشوي (1942–2018م):[1]

"الصّليب هو قوّة وغلبة وانتصار وحياة بالنّسبة لنا، فلماذا إذًا؟، ثمّ يجيب عن هذا السّؤال قائلًا:

- بالصّليب صار هو –أي المسيح– الكاهن والذّبيحة.
- بالصّليب كان هو الميّتُ القائم.
- بالصّليب صالَح الأرضيين مع السّمائيين.
- الصّليب والأنا المبذولة.
- بالصّليب تمّت النّبوات.
- بالصّليب ملَكَ على خشبة.
- الصّليب أعطى فرصة ثلاث ساعات لإتمام العمل.
- الصّليب شجرة الحياة.
- الصّليب فتَحَ باب الفردوس.
- الصّليب محا اللّعنة.

[1]– الأنبا بيشوي: **لماذا الصّليب بالذّات–لماذا اختار السّيّد المسيح أنْ يموت مصلوبًا؟**–، ص09–41.

- الصّليب والعرش الإلهي.

ويقول أنطونيوس كمال حليم (1953-؟)، مبيّنًا سبب صلب المسيح وتقديس الصّليب:[1]

- صُلِب من أجل محبّته للبشريّة خليقته.
- صُلِب لأجل الحبّ.
- من أجل إطاعة الأب.
- صُلِب ليحرّرنا من الخطيَّة.
- جاء من أجل تقديم ذاته ذبيحة.
- خلاصٌ من العبوديّة.
- صُلِب ليُصالحنا.
- بالصّليب محا السّيّد المسيح الصّكّ الذي كان علينا.
- الصّليب غفران الخطايا.

وإجابة على سؤال مفاده: لماذا يرسُم المسيحيون علامة الصّليب؟، يقول يوأنس(1960-؟):[2]

- ليُبرهِنُوا على تبعيتهم للمسيح المصلُوب.
- إعلانًا لإيمانهم المسيحي وافتخارًا بصليب يسوع المسيح.
- إيمانًا من المسيحيين بأنّ جميع بركات العهد الجديد الرّوحيّة إنّما كانت بفضل صليب المخلّص.
- وحين يرسم المؤمنون الصّليب على جباههم، أو حين يرسمه الكهنة على المؤمنين أو على أواني الكنيسة يذكرون كلّ المعاني التي تشتمل عليها الدّيانة المسيحيّة.
- برسْم علامة الصّليب يطرُد المسيحيون قوّات الشّرّ المُحيطة بهم.

---

[1]- أنطونيوس كمال حليم: **المحبّة الغافرة (مع المسيح صُلبتُ فأحيا)**، ص19-30.

[2]- الأنبا يوأنس: **المسيحيّة والصّليب**، ص97-101.

- وبرسمها يتشجّع المؤمنون في مواجهة الصّعاب والتّجارب ضدّ إيمانهم.
- والصّليب علاجٌ ضدّ التّجارب من جهة بعض الخطايا.
- ويُستخدَم الصّليب شافيًا من المرض أو السُّمّ، وعلامة قوّة على كلّ قوى الطّبيعة المعاديّة.

وإجابة على سؤال مفاده: ماذا فعل الصّليب لنا؟، يقول أنطونيوس كمال حليم:[1]

إنّ الله بصليبه لم يُدِن الخطيّة في جسده فقط، بل أبطلها نهائيًّا مُعطيًا إيّانا:

- التّبرير.
- المُصالحة.
- الغُفران والمُسامحة.
- الحُرّيّة.

كما يُبرِز صاحب كتاب "احمل صليبك واتّبعني" ضرورة اتّخاذ الصّليب كرمْز وشعار للدّيانة المسيحيّة، وذلك للأسباب التّاليّة:[2]

- أوّل معنى للصّليب محبّة الله.
- الصّليب يعني التّواضع.
- الصّليب رمز التّسليم.
- الصّليب يعني الطّاعة.
- الصّليب يعني الاحتمال.
- الصّليب يعني الظُّلم.
- الصّليب يعني التّجرُّد من العالم.
- الصّليب معناه الصّمت.
- الصّليب مظهَر الضُّعف.

---

[1]- أنطونيوس كمال حليم: **الصّليب برٌّ مجّاني**، ص10-11.

[2]- الأنبا مكارى: **احمل صليبك واتّبعني**، ص11-29.

- الصّليب يعني إكمال العمل.
- الصّليب يعني القيامة.
- الصّليب يعني الطّهارة والبتوليّة.
- الصّليب يعني الشّركة في الألم.
- الصّليب موضِع الافتخار.
- الصّليب يعني الصُّلح.

وتحت سؤال: لماذا تفتخر المسيحيّة بالصّليب إلى هذه الدّرجة؟، جاءت الإجابة قائلة:[1]

- الصّليب هو دعوة المصلوب للمقاومين.
- الصّليب هو شرط التّبعيّة للمسيح.
- الصّليب شركة مع المصلوب.
- الصّليب حياة يوميّة مُعاشة.
- الصّليب علامة ابن الإنسان التي تقاوم.
- الصّليب رمز وعلامة الطّاعة.
- الصّليب رمز وعلامة الاحتمال.
- الصّليب يطهّر الخطايا ويكفّر عنها.
- بالصّليب كان الفِداء.
- الصّليب رمز الحُبّ والبذل.
- الصّليب علامة الصّفح والمغفرة.
- بالصّليب اصطلح النّاس مع الله وصاروا مقرّبين منه.
- الصّليب علامة الغلبة والظّفر.
- الصّليب علامة القوّة.
- الصّليب علامة الفخر.

[1]- **الصّليب**، ص18-21.

- بالصّليب تُصلَب الأهواء الرّديئة والشّهوات الحارقة.
- بالصّليب يُنَال الشّفاء.
- الصّليب محور الكرازة (التّبشير).

إنّ هذه الإجابات كلُّها تُجمع على رأي واحد وتتّفق على حقيقة واحدة، يمكِن تلخيصها في الفِكرة الواصفة للصّليب بأنّه رمزٌ للتّضحيّة والفِداء والمغفرة والصّفح والقوّة والصّلابة والنّعمة والشِّركة مع المسيح، والمحبّة والوفاء والإخلاص والطّاعة، كما أنّه علامة للفخر والافتخار، وهو أيضًا علامة للتّبرير والمُصالحة والمُسالمة والشّفاء من الشّقاء والحياة الأبديّة...، إلى غير ذلك من هذه الرّموز والعلامات، فلا عجب –والحال هذه– أنْ يستمسك المسيحيون بهذا الرّمز أو هذا الشّعار الذي هو نفسه المسيحيّة؛ ففي اعتقادهم: أنّ المسيحيّة هي الصّليب والصّليب هو المسيحيّة.

يقول أحد المسيحيين مُجيبًا على سؤال فحواه: إلى أيّ مدى ارتبَطت المسيحيّة بالصّليب؟: "الصّليب هو علَم وعلامة المسيحيّة، وكما تنتصِب الرّؤوس بكلّ احترام وخشوع لعَلَم الدّولة، ننحني نحن أمام الصّليب ونسجُدُ له ونكرّمه ونفتخر به، نضعُه فوق منارات الكنائس وقِبابها، وأعلى حامل الأيقونات، ونجده في يد الإكليروس يُباركون به قطيع المسيح، ونحمله على صدورنا، ونوشّمه على أيدينا، ونرشمه على ذواتنا قبل كلّ عمل نقوم به؛ عندما ننام وعندما نستيقظ، قبل الصّلاة وبعدها، قبل الأكل وبعده، في وقت الفرح ووقت الشّدّة، في أسفارنا واستقرارنا".[1]

ويقول أيضًا: "لقد تغلغل الصّليب في صلواتنا الكنسيّة والفرديّة؛ ففي صلوات الأجبيّة نذكر رفع السيّد المسيح على الصّليب كلّ يوم في صلاة السّاعة السّادسة (12 ظهرًا)، ونذكر موت المسيح في صلاة السّاعة التّاسعة (03 بعد الظّهر)، ونذكر نزول المسيح من على الصّليب في صلاة الغروب، ودفنه في القبر في صلاة النّوم، وقيامته من بين الأموات في صلاة باكر. لقد تغلغل الصّليب في جميع المُمارسات الرّوحيّة بالكنيسة، فنجده لامعًا في كلّ الأسرار الكنسيّة؛ فالمعموديّة هي موتٌ وقيامةٌ مع المسيح، ففي سرّ

[1]– **الصّليب**، ص22.

المعموديّة يغمس الكاهن الصّليب في الماء، ويسكب من الزّيت السّاذج على شكل صليب، وأيضًا يسكب من الزّيت المقدّس ثلاث مرّات في الماء على رسم الصّليب، وبعد نفْخ الماء ثلاث مرّات، وبعْد صلاة التّقديس (أجيوس) يَرْشُم الماء بالصّليب ثلاث مرّات، ويَسكُب من الميرون المقدّس في الماء على شكل صليب، وسرّ الأفخارستيا هو امتداد لذبيحة الصّليب، ولذلك يستخدم الأب الكاهن الصّليب كثيرًا، ففي رشْم ملابس الخدمة يرشم الصّليب عليها، وعند اختيار الحمل تكون يدا الكاهن على شكل صليب كما بارك أبونا يعقوب ابنيْ يوسف قديمًا، وكثيرًا ما يرشم الكاهن ذاته ويُبارك الشّعب بالصّليب".[1]

ونظرًا لهذه المُبالغات الاعتقاديّة الخياليّة في الصّليب من قِبَل هؤلاء، نعتهم ابن القيّم كما أسلفنَا بـ: **(عُبّاد الصّليب)**، ولا ريب أنّه محقٌّ في ذلك إلى حدّ بعيد، وصائبٌ فيه تمام الصّواب، فلقد رأينا في النّصّ الأخير مكانة الصّليب الكبيرة لدى المسيحيين، حتّى إنّهم يستعينون به في كلّ عبادة وطقْسٍ ديني، بل وفي شتّى شؤون حياتهم؛ إنّهم يعظّمونه تعظيمًا كبيرًا جدًّا، وفي بعض الحالات يسجدون له ويركعون، فهل بعد هذا التّمجيد من تمجيد؟، لذلك كان السّؤال المُوجّه إليهم من طرف النّاظم يتمحور في سبب تعظيمهم له، بعد أنْ كان مُدرِكًا لكُنْه ذلك التّعظيم، وقد حاولنا –على لسان المسيحيين– إبراز السّبب الذي دفعهم لذلك، وقد تبدو هذه الأسباب واهيّة في نظر غير المسيحيين وخاصّة المسلمين، إلّا أنّ الموضوعيّة العلميّة والفكريّة حتّمتْ علينا النّظر إلى هذه المسألة من وِجهة نظر مسيحيّة؛ لأنّ –في علم الأديان المقارن– من بين شروط دراسة عقائد الآخر المُخالِف؛ الانطلاق من مسلّماته هو التي يؤمن بها، والتّأسيس لمعتقداته من خلال مصادره التي يستنِد عليها ويستقي منها أفكاره وعقائده وكلّ ما يتعلّق بديانته، كما أنّ النّظرة الموضوعيّة حتّمتْ علينا الاكتفاء في هذا الموضع بسرد ما عليه المسيحيون من اعتقادات من دون الرّدّ عليهم بخصوص هذا الشّأن، وذلك لسببيْن اثنيْن:

أوّلهما: أنّ النّاظم﵀ في هذا البيت الذي نحن بصدد شرحه، لم يردّ عليهم، بل كلّ ما في الأمر أنّه سألهم عن سبب تعظيمهم للصّليب، وكذا عن سبَبِ إهانة مَن أهانه.

[1]– **الصّليب**، ص23–24.

ثانيهما: أنّ الأبيات اللّاحقة التي سنُبيّن معناها ومضمونها بالشّرح –إن شاء الله تعالى– تتضمّن الرّدّ والمجادلة.

غير أنّه لا يفوتنا بهذا الصّدد التّذكير بأنّ العبادة –مهما كان نوعها– لا تُصرف لغير الله تعالى من المخلوقين، فالله تعالى وحده هو الواجب على خلْقه عبادته وطاعته في كلّ ما أمر، والكفّ عن جميع ما عنه نهى؛ أي الاستجابة له وحده في الأوامر والنّواهي، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدّث عن هذا الموضوع؛ منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾.(الذّاريات: 56)، وقوله أيضًا: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾. (الأنعام: 162–163)، والمُراد بهذه الآية؛ صرْف جميع العبادات من نحْر وصلاة وغيرها إلى الله تعالى وحده خالصة له، وبذلك أمر الله نبيّه عليه الصّلاة والسّلام،[1] وقوله كذلك: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾. (الأعراف: 191–198)، وما دام أنّ الصّليب مخلوقٌ مصنوع فلا يشذّ عن هذه القاعدة النّاهيّة عن عبادته والسّجود له، وكذلك لا ينبغي السّجود للبشر كالمسيح عيسى ولا عبادته؛ وهذا المُشار إليه في البيت الأوّل: **(أعبّاد المسيح)**، حيث إنّ العبادة لله وحده كما تحكُم بذلك عبارة أنْ "لا إله إلّا الله" التي معناها: "أنْ لا مألوه؛ أي لا معبود محبّة وتعظيمًا إلّا الله وحده لا شريك له"؛[2] فهي تشتمل على رُكنيْن أساسييْن:[3]

الأوّل: "**النّفي**"؛ أي نفيُ الإلهيّة عن كلّ ما سوى الله تعالى، ويدلُّ عليه كلمة: "لا إله"، فهي تنفي أن يكون غير الله تعالى مُستحقًّا للعبادة.

---

[1]– محمّد الأمين المختار الشّنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج02، ص254.

[2]– ابن عثيمين: **القول المفيد على كتاب التّوحيد**، ج01، ص36.

[3]– عبد الله الجبرين: **شرح تسهيل العقيدة الإسلاميّة**، ص130–131.

الثّاني: "**الإثبات**"؛ أي إثباتُ الإلهيّة لله تعالى، ويدلُّ عليه كلمة: "إلّا الله"، فهي تُثبِتُ أنّ الله تعالى هو المستحقُّ للعبادة وحده لا شريك له؛ لأنّه الخالق الرّازق المالك المُدبّر لجميع الأمور، فلا يُدعَى غيره، ولا يُنذر ولا يُذبح إلّا له، ولا يُستغاث ولا يُستعان إلّا به سبحانه وتعالى، "وعليه فهذه الكلمة هي حقًّا كلمة التّوحيد، والعروة الوثقى، وكلمة التّقوى، وفي شأنها تكون السّعادة والشّقاوة، في الدّنيا، وفي القبر، ويوم القيامة؛ فبالتزامها والقيام بحقوقها تثقُل الموازين، وبها تكون النّجاة من النّار بعد الورود؛ أي الدّخول فيها، والفوز بجنّات النّعيم، وبالتّفريط فيها وفي حقوقها تخفُّ الموازين، ويكون العذاب في القبر، وفي يوم القيامة، وفي نار الجحيم،[1] لذلك كانت هذه الكلمة ذاتها أحد شرطيْ قبُول العمل كلّه؛ **أوّلهما**: الإخلاص وتدلّ عليه شهادة "أن لا إله إلّا الله"، و**ثانيهما**: موافقة شرع الله تعالى وتدلّ عليه شهادة "أنّ محمّدًا رسول الله"".[2]

لكن لا يتحقّق بها جميع ذلك إلّا بتحقيق شروطها المصاحبة لها وهي: العلم بمعناها، واليقين المُنافي للشّكّ، والقبول لمقتضاها بالقلب واللّسان، والانقياد والاستسلام لما دلّت عليه، والصّدق المُنافي للكذب، والإخلاص، والمحبّة لها، والكفر بالطواغيت المعبودة من دون الله،[3] وقد نظمها بعضهم في قوله:[4]

ثمّ الشّـــــــروط سبعـــــة فعِيهـــا ... وذا بإجمـــــــاع صريـــــح فيهـــا
علـــــمٌ يقيـــــنٌ وقبُـــــولُ مـــــا أُمر ... به والانقيـــــاد والصِّـــــدق وَقَـــر
كذلك الإخـــــلاص مـــــع محبّـــــة ... فهـــــذه أخـــي تمـــــام السّبعـــــة

وليس المسيحيون بِدعًا من الاعتقاد في اتّخاذ شعارٍ لديانتهم، بل إنّ جميع أتباع الدّيانات الأُخرى سواء كانت سماويّة أو وضعيّة يتّخذون من شيء معيّن أو أكثر لها معه أو معها ذكريات تاريخيّة أو دينيّة؛ شعارًا لدياناتهم، فلئن كان شعار الدّيانة المسيحيّة هو:

---

[1]– عبد الله الجبرين: **شرح تسهيل العقيدة الإسلاميّة**، ص131.

[2]– **المرجع نفسه**، ص143–144، وهناك من يضيف لهذين الشّرطيْن شرطيْن آخريْن، أحدهما: الإيمان بالله وتوحيده، والآخر: عدم انتقاض العمل بكفر أو شِرك. (محمّد زينو: **العقيدة الإسلاميّة من الكتاب والسُّنّة**، ص19–22.).

[3]– محمّد زينو: **العقيدة الإسلاميّة من الكتاب والسُّنّة**، ص19–22.

[4]– يُنظر: **متن منظومة لؤلؤة التّوحيد لا إله إلّا الله** لـ: إبراهيم بن أحمد الشّريف.

"علامة الصّليب" أو "الصّليب" في حدّ ذاته (✝)؛ فإنّ شعار الدّيانة اليهوديّة هو: "النّجمة السُّداسيّة" (✡)، وشعارُ الإسلام هو: "النّجمة الخُماسيّة والهلال" (☪)، وشعار الهندوسيّة هو: "الاوم" (🕉)، وشعار البوذيّة هو: "عجلة الدّراما" (☸)، وشعار الجاينيّة هو: الصّلّيب المعقوف (卐)، وشعار السّيخيّة هو: "الخاندا" (☬)، وشعار الزّرادشتيّة أو المجوسيّة هو: "الفارافهار" ( )، وشعار الكونفوشيوسيّة هو: (☯)، وشعار التّاويّة هو: "اليين واليانغ أو تايي تشي" (☯)، وشعار اليزيديّة أو الإيزيديّة هو: "الطّاووس ملك" ( )، غير أنّه يمكِن اعتبار المسيحيين أكثر مبالغة في تقديس شعار ديانتهم، وقد شرحنا ذلك بما فيه الكفاية لكلّ مهتمّ بهذا الموضوع، وزيادة في التّوضيح بقيت نقطة نودُّ الإشارة إليها ها هنا وهي من صميم هذا الموضوع؛ كونها متعلّقة بشكل الصّليب عند النّصارى، حيث ورد في قاموس الكِتاب المقدّس أنّ للصّلبان ثلاثة نماذج رئيسيّة: أحدها المدعو صليب القدّيس أندراوس وهو على شكل في (×)، وثانيها المعروف بالصّليب اليوناني بشكل زائد (+)، وثالثها بشكل السّيْف وهو المعروف بالصّليب اللّاتيني (✝)، ولعلّ صليب المسيح كان من الشّكل الأخير كما يعتقد الفنّانون، الأمر الذي كان يُسهِّل وضع اسم الضّحيّة وعنوان علّتها على القسم الأعلى منه؛[1] لذلك يُعتبَر هو النَّوع الأكثر رواجًا وقُدسيّة لدى المسيحيين اليوم، وممَّا هو جدير بالذِّكر –أيضًا– هاهنا؛ أنّ المسيح عيسى﵇ لم يأمر النّصارى بتقديس الصّليب أو اتّخاذه رمزًا لديانتهم ولا أوحى لهم بذلك البتّة، بل إنّ مَن ابتدع هذا الأمر هو بولس الرَّسول في بعض مواعظه للقوم، وقد اتَّخذوه شعارًا رسميًّا للدَّولة سنة 680م بعد أنْ استغنوا عن شعار الحمل المخلّص الرَّامِز للمسيح، ومنذ ذلك الوقت صار الصَّليب شِعارًا للدَّولة الرُّومانيّة المسيحيّة، كما بقي أن نُشير إلى أنَّ تاريخ الصّليب ضاربٌ في القِدم عند أصحاب الأديان الوثنيَّة؛ فقد استخدمه المصريون القُدامَى شعارًا لهم واعتبروه علامة الحياة، كما عرفَه كذلك اليونانيون والهنديون والتِّبتيُون؛ إذْ كانوا يتَّخذونه كرمز للحُبِّ والتَّضحيَّة.[2]

[1]– بطرس عبد الملك وآخرون: **قاموس الكتاب المقدّس**، ص373–374.

[2]– محمّد عزّت الطّهطاوي: **في مقارنة الأديان النّصرانيّة والإسلام**، ص78–84.

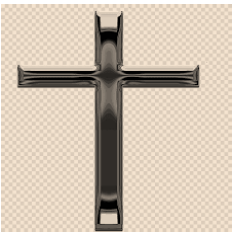

الشَكل31:

الشَكل32:

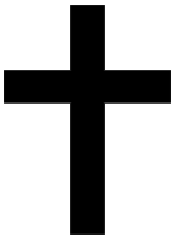

الشَكل33:

الشَكل34:

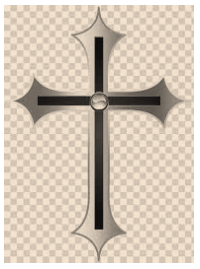

الشَكل35:

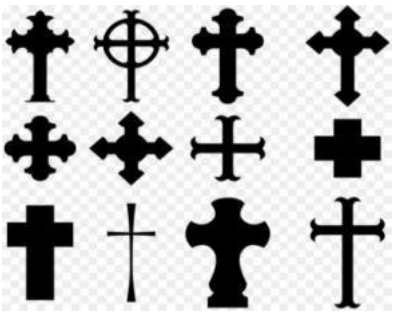

الشَكل36:

الشَكل37:

الشَكل38:

الشَكل39:

الشَكل40:

الشَكل41:

(مجموعة من الصّور لعدَّة صُلبان تُبيّن مكانة الصّليب لدى المسيحيين ومدى تقديسهم له)

وبعد أن سأل النّاظمﷺ النّصارى عن سبب تعظيمهم للصّليب، أردَف ذلك بالسّؤال عن سبب تقبيح مَن يُهينه ويحطّ من قدره ويسخَر منه ولا يقدّسه، فقال: **(أَوْ يُقَبَّحُ مَنْ رَمَاهُ)**؛ أي مَن لم يُقم وزنًا لهذا الصّليب، ولم يقدّره حقّ قدره، بل أهانه؛ فرماه، وتركه عُرضة للإهانة والسّخريّة والدّوس عليه من طرف المّارّة، فالذي يفعل هذا بصليبكم أيُّها النّصارى؛ لماذا يكون قبيحًا مذمومًا لديكم؟، هل فعل كبيرة؟، أم اقترف إثمًا عظيمًا؟، أم جاء بما لا تحتمله الجبال من خطايا؟، ولا عجب في ذلك، فالأمر لا يحتاج إلى كثير نظر، فلا ريْب أنّ المُبالغة في تقديس شيء أو تعظيمه فوق ما يستحقّ من التّعظيم؛ تكون مَدْعَاةً لذمٍّ أو تقبيحٍ أو التّشهير بكلّ مَن يتعرّض له بالسّخريّة والقذف والتّهكّم خصوصًا إذا كان الأمر متعلّقًا بعقيدة محوريّة في ديانة ما، فحينها قد يصل الأمر إلى النّفي أو التّعذيب أو القتل، وقد عبَّر ابن القيّم عن المَعْنى المُراد في هذا البيت باستخدام لفظيْن متضادّيْن هما: (التَّعظيم، التَّقبيح)، وهذان اللّفظان لا يجتمعان في الآن نفسه؛ حيث إذا وُجِد أحدهما انتَفَى الآخر، فإمَّا أن تكون معظِّمًا لشيء ما أو مقبِّحًا مُهينًا له.

19. وَهَلْ تَقْضِي العُقُولُ بِغَيْرِ كَسْرٍ وَإِحْرَاقٍ لَهُ، وَلِمَنْ بَغَاهُ*؟

هذا سؤال آخر يتلو السّؤال السّابق من المقطع الثّاني من هذه القصيدة، يوجّهه ابن القيّم لهؤلاء القوم ليُجادلهم به ردًّا عليهم، ويدحض معتقدهم، ويكسر تمسّكهم بشعارهم ورمز ديانتهم، وذلك زيادة في النّكاية والاستهزاء بهم، والسّخريّة منهم، فيقول لهم:

(وَهَلْ تَقْضِي العُقُولُ بِغَيْرِ كَسْرٍ وَإِحْرَاقٍ لَهُ)؛ أي: يا أيّها النّصارى، هذا الصّليب الذي تعظّمونه وتقدّسونه وترفعونه مكانًا عليًّا، إنّما تفعلون ذلك كلّه خبط عشواء، ومن غير منفعة ولا فائدة، فمِثْل هذا المُجسّم لا يجب أنْ يعظَّم أو يوقَّر أو يُحْتَفَى به، بل إنّ العقول البشريّة جميعها قاطبة مَن لها أدنى مُسكة من فهم أو تفكير لا ترى غير طريقة واحدة، كما ليس لها إلّا رأيٌ واحد أو نظرة واحدة في التّعامُل مع هذا الصّليب، وتلك الطّريقة الواحدة؛ هي كسْرُه وإحراقُه إذلالًا له واستهزاءً به، ولإخفائه من الوجود أيضًا، فلا يكون له بعد ذلك ذِكْرٌ في الأجيال اللّاحقة، وحتّى يختفي ذلك التّعظيم وذلك التّقديس الذي أحاطه

* بَغَى الأمر؛ طَلَبَه وأراده ورغب فيه. (أحمد مختار عمر وآخرون: **معجم اللّغة العربيّة المعاصرة**، مج01، ص229).

به الأجدادُ والأسلافُ، فهو لا يستحقّ كلّ ذلك التّمجيد المُبالغ فيه مبالغة كبيرة جدًّا. إنّ كلّ عبْدٍ يملك أدنى مُسكة من عقل يكسره أنّى وجده، بل ويقوم بإضرام النّار له ليحرقه بها؛ والنّصارى المقدّسون له أولى بفعل ذلك به؛ لأنّه هو الوسيلة التي أُهين بل وأُعدم بها ربّهم ومليكهم يسوع المسيح، وسيأتي بيان هذا الأمر في شرح الأبيات اللّاحقة، كما أنّ هذا الصّليب أُسّس على غير علم واعتُقِد فيه باطِلًا وزورًا وبُهتانًا، فالعقول البشريّة لا تحكُم بغير ذلك كلّه فيه.

وليس الكسر والحرْق هو جزاؤه ومصيره فحسب؛ لأنّه وإنْ كان غير معقول في تقديسه وتعظيمه، فإنّه أصمٌّ أبكم لا ينطق ولا يعقل؛ لكونه –غالب الأحيان– مصنوعًا من خشب، أو معدنٍ نفيس أو من حديد، بل إنّما يكون الكسر والحرْق كذلك **(لِمَنْ بَغَاهُ)**؛ أي لمَن أراده أن يكُون كذلك، ولمَن روّج لعبادته وتقديسه، وقبل ذلك لمَن أوجدَه أو صنعَه، فالإنسان العاقل لا يحكم بغير هذا ولا يقول به أبدًا، لذلك فإنّ الإجابة عن سؤال ابن القيّم في هذا البيت تكون بالنّفي؛ أي أنّ العقول لا تقضي بغير كسر وإحراق للصّليب وأهله، فهذا هو جزاؤه وجزاؤهم المحتُوم.

وفي الحقيقة، أنّ مَن فُعِل بهم ذلك هم المسيحيون، أو بالأحرى النّصارى الأوائل الذين ظهروا في القرون الأولى بعد رفع المسيح ﷺ، والتّاريخ البشري شاهد على ما وقَع لهم من اضطهادات وتشريدات عديدة عبر عدّة قرون، ذاقوا فيها من العذاب والنّكال والألم والحسرة ألوانًا وأطيافًا شتّى؛ فقصّة أصحاب الأخدود* خير شاهد على ذلك، كما

* وهي القصّة الواردة في قوله تعالى من سورة البُروج: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠﴾ . (البروج: 04–10)، وقد ورد في التّفسير أنّ الأخدود جمع أخاديد، وهي الحفير في الأرض، وهذا خبر عن قوم من الكفّار عمدوا إلى مَن عندهم من المؤمنين بالله عزّ وجلّ، فقهروهم وأرادوهم أنْ يرجعوا عن دينهم، فأبوْا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أُخدودًا وأجّجوا فيه النّار، وأعدُّوا لها وقودًا يسعّرونها به، ثمّ أرادوهم فلم يقبلوا منهم، فقذفوهم فيها، وما كان لهم عندهم ذنبٌ إلّا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يُضام مَن لاذ بجنابه، العزيز الحميد في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، وإنْ كان قد قدّر على عباده هؤلاء هذا الذي وقَع بهم بأيدي الكُفّار به...، وقد اختلف أهل التّفسير في هذه القصّة مَن هم؟، فعن عليّ رضي الله عنه أنّهم أهل فارس حين أراد ملكهم تزويج المحارم...، وعنه أنّهم كانوا قومًا باليمن اقتتل مؤمنوهم ومُشركوهم، وعنه أنّهم كانوا من أهل الحبشة، وقال العُوفي عن ابن عبّاس أنّهم ناسٌ من بني إسرائيل...، أمّا الرّواية الأقربُ إلى الصّواب فهي المرويّة في حديث=

يسرد لنا ول ديورانت في كتابه "قصّة الحضارة"؛ مسيرة العداوة بين المسيحيّة وأباطرة

النّبيّ ﷺ في قوله: "كان ملك فيمَن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلمّا كبر السّاحر قال للملك: إنّي قد كبُرتْ سنِّي وحضر أجلي، فادفع إليّ غلامًا أُعلّمه السّحر، فدفع إليه غُلامًا فكان يعلّمه السِّحر، وكان بين السّاحر وبين الملك راهب، فأتى الغُلام على الرّاهب فسمع من كلامه، فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى السّاحر ضربه وقال: ما حبسك؟، وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا: ما حبسك؟، فشكا ذلك إلى الرّاهب، فقال: إذا أراد السّاحر أنْ يضربك فقل: حبسن أهلي، وإذا أراد أهلك أنْ يضربوك فقُل: حبسني السّاحر، قال: فبنما هو ذات يوم إذْ أتَى على دابّة فظيعة عظيمة، قد حبستْ النّاس فلا يستطيعون أنْ يجوزوا، فقال: اليوم أعلم أمر الرّاهب أحبّ إلى الله أم أمر السّاحر، قال: فأخذ حجرًا فقال: اللهمّ إنْ كان أمر الرّاهب أحبُّ إليك وأرضَى من أمر السّاحر، فاقتُل هذه الدّابة حتّى يجوز النّاس، ورماها فقتلها، ومضى النّاس، فأخبر الرّاهب بذلك فقال: أي بُني، أنت أفضل منّي، وإنّك ستُبتَلى، فإنْ أُبتليْت فلا تدلّ عليّ، فكان الغُلام يُبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان جليسٌ للملك فعمي، فسمع به، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: اشفني ولك ما هاهنا أجمع، فقال: ما أنا أشفي أحدًا، إنّما يشفي الله عزّ وجلّ، فإن آمنتَ به دعوتُ الله فشفاكَ، فآمنَ فدعا الله فشفاهُ، ثمّ أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال له الملك: يا فلان، مَن ردّ علك بصرك؟، فقال: ربّي، فقال: أنا؟، قال: لا، ربّي وربُّك الله، قال: ولك ربٌّ غيري؟، قال: نعم، ربّي وربُّك الله، فلم يزل يعذِّبه حتّى دلَّ على الغُلام، فبعث إليه فقال: أي بني، بلغ من سحرك أنْ تُبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء؟، قال: ما أشفي أنا أحدًا، إنّما يشفي الله عزّ وجلّ، قال: أنا؟، قال: لا، قال: أوَ لك ربٌّ غيري؟، قال: ربّي وربُّك الله، فأخذه أيضًا بالعذاب، فلم يزل به حتّى دلّ على الرّاهب، فأُتيَ بالرّاهب فقال: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مِفرق رأسه حتّى وقع شقَّاه إلى الأرض، وقال للأعمى: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مِفرق رأسه حتّى وقع شقَّاه إلى الأرض، وقال للغلام: ارجع عن دينك، فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا وقال: إذا بلغتُم ذروته، فإن رجع عن دينه وإلّا فدهدوه من فوقه، فذهبوا به، فلمّا علوا به الجبل قال: اللهمّ أكفينهم بما شئتَ، فرجف بهم الجبل فدُهدهوا أجمعون، وجاء الغلام يتلمّس حتّى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟، فقال: كافنيهم الله، فبعث به مع نفر في قُرقور فقال: إذا لججتم به البحر، فإنْ رجع عن دينه وإلّا فغرّقوه في البحر، فلججوا به البحر فقال الغلام: اللهمّ أكفنيهم بما شئتَ، فغرقوا أجمعون، وجاء الغُلام حتّى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟، فقال: كفانيهم الله، ثمّ قال للملك: إنّك لستَ بقاتلي حتّى تفعل ما آمُرك به، فإنْ أنتَ فعلتَ ما آمُرك به قتلتني، وإلّا فإنّك لا تستطيع قتلي، قال: وما هو؟، قال: تجمع النّاس في صعيد واحد ثمّ تصلبني على جذع، وتأخذ سهمًا من كنانتي، ثمّ قل: "بسم الله ربّ الغُلام"، فإنّك إذا فعلتَ ذلك قتلتني، ففعل، ووضع السّهم في كبد قوسه ثمّ رماه، وقال: "باسم الله ربّ الغُلام"، فوقع السّهم في صدغه، فوضع الغلام يده على موضع السّهم ومات، فقال النّاس: آمنّا بربّ الغُلام، فقيل للملك: أرأيتَ ما كنتَ تحذر؟، فقد – والله– نزل بك، قد آمَن النّاس كلّهم، فأمر بأفواه السّكك فخُدّتْ فيها الأخاديد، وأُضرِمتْ فيها النّيران، وقال: مَن رجع عن دينه فدعوه وإلّا فأقحموه فيها، قال: فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءَتْ امرأة بابن لها تُرضعه، فكأنّها تقاعست أنْ تقع في النّار، فقال الصّبي: اصبر يا أمّاه، فإنّك على الحقّ". وقيل إنّ هذه القصّة حدثت لأهل نجران، وأنّ اسم الغُلام عبد الله بن الثّامر، وأنّ أهل نجران استجمعوا على دينه وكان على ما جاء به عيسى بن مريم ﷺ من الإنجيل وحُكمه، ثمّ أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل دين النّصرانيّة بنجران. فسار إليهم ذو نوّاس بجنده، فدعاهم إلى اليهوديّة، وخّيرهم بين ذلك والقتل، فاختاروا القتل، فخدّ الأخدود، فحرّق بالنّار وقتلَ بالسّيف ومثَّل بهم، حتّى قتل منهم قريبًا من عشرين ألفًا. (ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج08، ص366–369).

الرّومـان الـذين لـم يتوَانـوا لحظـة واحـدة فـي اسـتخدام العُنـف بشـتّى أنـواع التّعـذيب ضـدّ المسيحيين الذين كانت عقيدتهم تُخالِف العقيدة الوثنيّة؛ العقيدة الرّسميّة للدّولة الرّومانيّة آنذاك، وقد كان هذا الصّراع بين الكنيسة والدّولة عقائديًّا بدرجة أولى؛ لأنّ عقائد الكنيسة تختلف تمامًا عن عقائد الدّولة الرّومانيّة، وهذا ما لم يستسيغه أباطرة هذه الإمبراطوريّة، ففعلوا بالمسيحيين ما فعلوا؛ لأنّ هؤلاء لم يرضخوا –غالبًا– لأهواء أولئك وأوامرهم بعبادة تمثال الإمبراطور، وحينها أُعتُبرت المسيحيّة حركة مُتطرّفة، بل لعلّها حركة شيوعيّة تعمل في السّرّ على قلْب النّظام القائم؛ فمِن نيرون إلى أرجن إلى دومتيان إلى تراجان إلى هدريان... وغيرهم من الملوك والأباطرة، كانوا جميعًا قُساة في تعاملهم مع المسيحيين الذين كانوا تحت سلطتهم؛ فسخِروا منهم، وسخّروهم في أعمالهم، وأرغموهم على ترك معتقداتهم وإتّباع معتقد الإمبراطوريّة، وحرّموا الزّواج منهم وإليهم، وهدمُوا معابدهم، بل إنّهم وصفوهم بأبشع الأوصاف وأشدِّها إهانة كـ: "حثالة النّاس" و"البرابرة الوقحين"، واتّهموهم بأنّهم "أعداء الجنس البشري"، وقالوا: إنّ الكوارث التي حلّت بالإمبراطوريّة ليست إلّا نتيجة غضب الآلهة الوثنيّة والسّماح لمَن يسبّونها من المسيحيين بأنْ يبقوا أحياء، ولم يأتِ هذا التّهكُّم والسُّخريّة وإلحاق العذاب بهم من فراغ، بل إنّه جاء كردّة فعل؛ لأنّ المسيحيين كذلك وجّهوا أسلحتهم كلّها إلى صدر روما؛ فندّدُوا بما فيها من فساد وعبادة للأصنام، وسخِروا من آلهتِها، وأظهروا الشّماتة فيها حين حلّت بها الكوارث، وتنبؤوا بسقوطها بعد زمن قليل، وأعلنوا في حماسة الدّين الذي أخرجه عن تسامحه عدم تسامح الدّولة معه؛ أنّ كلّ مَن أُتيحت له لهم الفُرصة لاعتناق المسيحيّة ثمّ لم يعتنقوها سيُعذّبون عذابًا أبديًّا، وقال الكثيرون منهم: إنّ هذا سيكون مصير كلّ الخلائق الذين وُجِدُوا قبل المسيحيّة ثمّ لم يعتنقوها لأيّ سبب من الأسباب، وإنْ كان بعضهم قد استثنى سقراط الفيلسوف وحده من العذاب.[1]

ويشهد التّاريخ البشري كذلك على فترات أُخرى تعرّض فيها المسيحيون للحروب والتّعذيب والتّحريق والتّغريق، وغير ذلك، وهذا الجَزَاء –في نظر ابن القّيم على الأقل– هو الأنْسَب لمثل هؤلاء؛ الذين بدّلوا دين المسيح ﷺ، وحرّفوا النّصرانيّة؛ الدّيانة الحقّة

[1]– ول ديورانت: **قصّة الحضارة**، ج11: **قيصر والمسيح أو الحضارة الرّومانيّة**، ص370–381.

التي جاء بها هذا النّبيّ الكريم، هم وصليبهم وكلّ شعار لهم اختلقُوه ولم يأتِ به رسولهم، خصوصًا وأنّ هذه الدّيانة قد اختلطت معتقداتها مع المعتقدات الرّومانيّة الوثنيّة؛ لأنّ المسيحيّة حين انتقلت من فلسطين إلى روما عاشت هناك ردحًا من الزّمن؛ عرف فيه المسيحيون كيف يستفيدون من تواجدهم في المنطقة، كما احتكّوا احتكاكًا كبيرًا بشعبها وسكّانها، ولعلّ هذا هو السّبب في تأثّر المسيحيّة بالوثنيّة، الأمر الذي جعل ول ديورانت يشكّ بل ويجزم أنّ روما لم تُصبح يومًا مسيحيّة، ولكن المسيحيّة هي التي تروّمت،[1] وخير دليل على ذلك كنيسة الفاتيكان الواقعة بروما الإيطاليّة، والتي لازالت تحتفظ بكثير من الرّموز والأشكال والأيقونات الرّومانيّة الوثنيّة إلى يومنا هذا، وحتّى في الرُّتب الكنسيّة كـ: البابا والأسقف والشّمّاس والقسّ والكاهن... وغيرها من الرُّتب الأخرى؛ فالمسيحيّة فيها متأثّرة بالرّومان، حيث كان التّقسيم المحلّي في هذه الإمبراطوريّة العظيمة يخضع لمثل هذه الرُّتب، لذلك فالعلاقة بين المسيحيّة والإمبراطوريّة الرّومانيّة عميقة ومتجذّرة في التّاريخ، وقد تحدَّث ول ديورانت في كتابه "قصّة الحضارة" مطوّلًا عن هذه العلاقة المتينة، مركّزًا عن تأثّر المسحيين بالرُّومان، وذلك في عدّة أجزاء* من كتابه المذكور.

20. إِذَا رَكَــبَ الإِلَــهُ عَلَيْهِ كُرْهًــــا وَقَــــدْ شُــدَّتْ لِتَسْمِيــرٍ يَــــدَاهُ

في هذا البيْت بداية الجواب عمّا سبق استفهامُه في البيت السّابق، الذي استفهمَ فيه النّاظم رحمه الله استفهامًا تقريريًّا عن موقف العقول البشريّة من كسر الصّليب وإحراقه وأهله، وهو جوابٌ واضحٌ جليٌّ غير خفيّ على كلّ مَن له إِلمَامٌ بالدّيانة المسيحيّة ومفاهيمها العقائديّة، وقد أوضحه ابن القيّم في سلسلة من الأبيات هذا مُستهلُّها:

(**إِذَا رَكَبَ الإِلَــهُ عليْه كُرْهًا**)؛ أي إذا اِمتطى (عيسى) إلهكم أيّها النّصارى هذا المركب (الصّليب) كُرهًا (من غير إرادة ذاتيّة)، وهنا نقف مع النّاظم وقفة نُسائله فيها: هل المسيح عيسى عليه السلام في نظر هؤلاء القوْم صُلِب مُكرَهًا راغِمًا؟. وهذا سؤال تُجيبنا عنه الأناجيل المتواترة لديهم إجابة مباشرة جليّة لا غبار عليها.

[1]– ينظر: **قصّة الحضارة لـ: ول ديورانت**، خلاصة الجزأيْن الحادي عشر والثّاني عشر.

* للبحث أكثر فيي هذه العلاقة تُراجع الأجزاء: 09 و10 و11 و12، من الكتاب المذكور.

وتفصيل ذلك فيها؛ أنّ المسيح عيسى ﷺ بعد افتِراء اليهود عليه واتّهامه لدى الحاكم الرّوماني آنذاك، قُبِض عليه، وحُوكِم، فحُكِم عليه بالموْت صلبًا، فوُضِع على الصّليب مكرهًا غير مُريد له، مع إلحاق أشدّ العذاب به (تُنظر الأشكال: 2 و3 و4 و5 و6 و7 و15 المُثبتة في الفصل الأوّل من هذا الباب)، وذلك تبعًا لكيفيّة الصّلب البشعة خاصّة تسمير اليديْن بدقّ المسامير فيهما لتثبيتهما على خشبة الصّليب الأُفقيّة: **(وَقَدْ شُدَّتْ لِتَسْمِيرٍ يَدَاهُ)**؛[1] وهذا ما تعرّض له عيسى عندما قاموا بصلبه، ومعلومٌ أنّ ذلك يُلحِق ألمًا شديدًا بالمصلوب، فلا شكّ حينئذ أنّه –أي عيسى ﷺ– كان مُكرهًا على هذا الأمر؛ لأنّ شدّ الأيدي وتسميرها وكذا ربْط الأرجل إلى الصّليب وغير ذلك من قبيل هذه الأمور؛ يدلّ دلالة واضحة على صورة الإكراه.

لكن قبْل هذا، جاء في الدّياطسرون* ما يفيد تعرُّضه للإكراه والإرغام على الصّلب على الصّليب؛ أي صعوده على هذه المركبة بغير رِضًا، بداية من القبض عليه واقتياده للمحاكمة: **[وقام جميع جمعهم، وأخذوا يسوع وجاؤوا به مكتُوفًا إلى الدّيوان، وأسلموه إلى بيلاطس القاضي، وهم لم يدخلوا إلى الدّيوان حتّى لا يتنجّسوا إذا ما أكلوا الفِصح، ويسوع قام قدّام القاضي، وخرج بيلاطس إليهم إلى خارج وقال لهم: "أيّ حجّة لكم على هذا الرّجل؟"]**،[2] ولا شكّ أنّ الوِثاق والتّسليم والسّخرية؛ كلّها أمور تدلّ على عدم الرّضا، والسّوق بغير إرادة للخصم، وهذا ما حدث للمسيح كجزء من الإكراه في هذه الحادثة.

وفي جزء آخر من هذه الحادثة، تبدو للعيان إلزاميّة الإكراه على المُحاكمة والصّلب، حيث إنّ **[الكُتّاب وعظماء الكهنة ثلبُوه ثلبًا شديدًا، وهيرودس امتهنه هو وخدمه، ولمّا امتهنه ألبسه ثياب القِرمز وأرسله إلى بيلاطس]**،[3] وفي هذا الفعل من الإهانة والنّكاية ما فيه؛ حيث أصبح المسيح أُلعوبة بيْن يديْ بيلاطس وهيرودس، كما أنّ اليهود وجدوا ضالّتهم

---

[1]– أشرنا إلى كيفيّة الصّلب بالتّفصيل في الفصل السّابق عند شرحنا للبيت السّابع والتّاسع والعاشر، فلتُنظر هناك في مواضِعها.

* الدّياطسرون هو إنجيل جامع بين روايات الأناجيل الأربعة؛ ليبني منها نصًّا توافقيًّا غير حامل لكثير الاختلافات الواردة في تلك الأناجيل.

[2]– طيطيانوس: **الدياطسرون (أي الرّباعي)**، ص143.

[3]– **المرجع نفسه**، ص144.

وهي الشّماتة فيه، وممّا يدلّ أيضًا على أنّ الصّلب كان إجحافًا في حقّ المسيح عليه السلام، أنّ بيلاطس لم يجد ذنبًا يتّهمه به؛ لأنّه كان بريئًا، بل إنّه كان ينوي أن يُطلق صراحه لولا إصرار اليهود على عدم ذلك ودعوتهم الحاكم إلى صلبه:

[عظماء الكهنة والمشايخ سألوا الجموع أنْ يستنقذوا ابن أبّا وأنْ يهلكوا يسوع، أجابه القاضي وقال لهم: "لمَن تحبّون أنْ أُطلِق لكم منهما؟"، قالوا: "ابن أبّا"، قال لهم بيلاطس: "ويسوع الذي يُدعى المسيح ماذا أصنع به"، صاحوا كلّهم وقالوا: "اصلبه"، وخاطبهم أيضًا بيلاطس لأنّه أحبّ أنْ يطلق يسوع، وهم صاحُوا وقالُوا: "اصلبه، اصلبه، وأطلق لنا ابن أبّا"، وبيلاطس قال لهم دفعة ثالثة: "أيّ شرّ صنَعَ هذا؟، لم أجد فيه عِلّة ما تُوجب الموت، أوَ أُدّبه وأُخلّيه؟"، وهم زادوا في لزّةٍ بصوت عالٍ وسألوه أنْ يصلبه، وقوي صوتهم، وصوت عظماء الكهنة، حينئذ بيلاطس أطلَق لهم ذلك المُلْقَى في الحبس بسبب الشّغب والقتل؛ ابن أبّا الذي سألوه، وجلَد يسوع بالدّرر].[1]
إنّ هذا الأمر لغريبٌ حقًّا، وإلّا كيف يُسجَن ويُعذَّب البريء الطّاهر، المُخلص لربّه ولِعباد ربّه، البارّ بأمّه وقومه، الحريص على هدايتهم، النّاصح لهم، الشّفوق عليهم، في حين يُطلَق صراح الظّالم القاتل المُجرم البغيض، الذي لم يعرِف قلبه شفقة ولا رحمة بأيّ أحد، والأغرب من ذلك تواطؤ الحاكم في هذه الجريمة ورضوخه لرغبة شعْبٍ ليس له من خُلُق غير تكذيب الأنبياء والافتراء عليهم، بله قتلهم –في أغلب الأحيان–، شعْبٌ يبادِل الخير بالشّرّ، والإحسان بالإثم والعدوان؛ فيسعى للانتقام ممّن يسعى إلى إصلاحه وهدايته؟!!.

وفي فقرات أخرى من هذا الإنجيل الجامع، نقرأ مدى شناعة معاملة الجنود ورجال السّياسة والكهنة والكتبة للمسيح وهم يهيّئونه للصّلب، تقول تلك الفقرات واصفة هذه الحقيقة: **[حينئذ رجّالة القاضي أخذوا يسوع ودخلوا إلى الدّيوان، وجمعوا عليه جميع الرّجّالة، وعرّوه وألبسوه قباء من قِرمز، وألبسوه ثياب أرجوان، وضفروا إكليلًا من عوسج ووضعوه على رأسه، وقصبة بيمينه، وبينما هم يستهزأون به ويضحكون خرُّوا على ركبهم قدّامه وسجدوا له، وقالوا: "السّلام يا ملك اليهود"، وبصقُوا في وجهه، وأخذوا القصبة من يده، وضربوه على رأسه، ولكموا فكّيْه].**[2] فأيُّ عذاب بعد هذا العذاب؟، وأيّة نكاية بعد هذه النّكاية؟، وأيّ استهزاء

[1]– طيطيانوس: **الدياطسرون (أي الرّباعي)**، ص145–146.

[2]– **المرجع نفسه**، ص146.

بعد هذا الاستهزاء؟، وأيّة سخريّة بعد هذه السّخريّة؟، إنّ هذا النّصّ، ليدلّ دلالة قاطعة على حقيقة واضحة جليّة، وهي أنّ المسيح عليه السلام إنّما أُقتيد إلى مكان الصّلب على كُره منه من دون إرادته ولا رغبته، ومَن يرغَبُ في أنْ يعذَّب ويُنكأ ويُستهزأ به أو يُسخَر منه على رؤوس الملأ؟، خصوصًا إنْ كان من أهل المكانة والرّفعة، فما بالك بعيسى وهو من الصّفوة المُختارة من قِبل ربّ العالمين نبيًّا إلى بني إسرائيل.

وليْت الأمر توقّف عند هذا الحدّ، بل إنّ بيلاطس لمّا أخرج المسيح من قصْره بحجّة أنّه لم يجد له ذنبًا يأخذه به، وهو لابسٌ ذلك اللّباس، وصاح به عظماء الكهنة والشُّرط أنْ يصلبه، وبعد محاورات عديدة بين بيلاطس واليهود، وكذلك بين بيلاطس والمسيح نفسه؛ غسل بيلاطس يديْه متبرّئًا من دم المسيح، وأسلمه لليهود، فمضوا به إلى موضع الجمجمة وصلبوه، وصلبوا معه رجُليْن آخريْن شرّيريْن، ولمّا كان على الصّليب استهزؤوا به كذلك، فبعضهم ضحِك منه ساخرًا، والبعض قالوا له: خلِّص نفسك وأنزل مِن على الصّليب إنْ كنتَ ابن الله، والبعض جاءه بخلٍّ ليشرب لأنّه كان عطشانًا، وحتّى اللّصّيْن اللّذيْن صُلِبَا معه استهزءَا به وسخِرَا منه، وقالا له: إنْ كنتَ المسيح حقًّا فخلّص نفسك وخلّصنا معك... .[1]

إنّ كلّ النّصوص المذكورة آنفًا، والتي نقلناها من إنجيل الدّياطسرون؛ توحي بما لا شكّ فيه؛ أنّ المسيح عليه السلام صُلِب –في اعتقاد المسيحيين– كُرهًا؛ أي أنّه كان مُجبَرًا على ذلك إجبارًا كلّيًّا تامًّا، وإلّا كيف يسمح لأعدائه من اليهود والرّومان بالقبْض عليه ومحاكمته، والسّخريّة منه، والتّنقيص من مكانته، وبخْسِه حقّه في الإنسانيّة والحياة الذي هو حقٌّ لكلِّ فرد يعيش على وجْه هذه البسيطة، وإذا كان هو إله!!، فكيف يرضخ لحُكم غيره فيه؟؛ سخريّة ونكاية فلا يستطيع إنقاذ نفسه منه، ولا يستطيع تخليص روحه من الموت، ولا جسده من الصّلب، فأيّ إله هذا؟، وأيُّ ربّ عاجز عن فعْل أدنى محاولة للخلاص؟؛ الخلاص من الموْت، والنّفسُ مجبولةٌ على حُبِّ الحياة، الخلاص من العذاب المُؤلم، الخلاص من السّخريّة والنّكاية والاستهزاء والتّقريع؟!!!.

[1]– طيطيانوس: **الدياطسرون (أي الرّباعي)**، ص146–149.

ثمّ كيف يكون إلهًا وقد وسِعته خشبات حَجْمُها ليس كبيرًا؟، وكيف سُمّرت يداهُ بالمسامير؟، أَلَهُ لحْمٌ ودمٌ كسائر البشر؟!!، وهل ناسَبَ شكلُه شكْل الصّليب كما هو الحال لشكْل البشر؟!!، ثمّ ما الفرق بينه وبيْن اللّصّيْن المصلُوبيْن معه في الآن نفسه إنْ كان لم يستطع تخليص نفسه ولا تخليصهما هما كذلك؟!!، أم أنّ المصلُوب ليس إلهًا ولا نبيًّا ولا شخصًا كريمًا ذا كرامة وقيمة وشخصيّة مرموقة عاليّة؟!!؛ فهو شخصٌ آخر غير يسوع المسيح عليه السلام.

إنّ الإجابة عن جميع هذه الأسئلة لتدحَضُ المُعتقد المسيحي في المسيح عليه السلام دحضًا كلِّيًّا جِذريًّا؛ دحضًا لا يبقى معه عيسى إلهًا أو ربًّا، تسليمًا بقوْل النّصارى في ذلك، ولو أنّه صُلِب –كما يقولون– فإنّه صُلِب قسْرًا محتُومًا، والرّبّ الحقيقي لا يُكرَه على فعلٍ ولا يُقسَر على أمر مهما كان حسنًا أو سيّئًا، بل هو مختَارٌ في جميع أفعاله، وإنّما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كُن فيكون، وهو على كلّ شيء قدير: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ .(يس: 79–83)؛ أي: إنّما شأنه إذا دعاه داعي حكمة إلى تكوينه ولا صارف أنْ يكوّنه من غير توقّف فيحدُث فهو كائنٌ لا محالة، فسبحان من هو مالك كلّ شيء والمُتصرّف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته،[1] وعلى هذا فعيسى ليس إلهًا؛ لأنّه لا يملك شيئًا من ذلك كلّه، إنّما هو بشرٌ كباقي البشر، اصطفاه الله تعالى وأكرمه بالنّبوّة والرّسالة.

وقد بدأ النّاظم رحمه الله هذا البيت بـ: "إذا" المُتضمّنة معنى الشّرط؛ فـ: "إذا اسم زمان مطلق، قد يُستعمل للزّمن المستقبل غالبًا، ولذلك يُضمّن معنى الشّرط غالبًا، ويكون الفعل الذي تُضاف إليه بصيغة الماضي غالبًا لإفادة التّحقُّق "،[2] وجعل بقيّة مفرداته فعلًا للشّرط، لذلك عندما يقرأه القارئ فإنّه سيبقى ينتظر جوابًا عليه، فالمسيح إله النّصارى إذا أُصعِد كرها على آلة الصّليب، وثُبِّتت يداه فيها بالمسامير، فماذا بعد ذلك؟، فيأتي البيت

[1]– الزّمخشري: **تفسير الكشّاف**، ص901.

[2]– الطّاهر بن عاشور: **تفسير التّحرير والتّنوير**،ج30، ص590.

الموالي؛ وهو جواب الشّرط لـ: "إذَا" المتضمّنة معنى الشّرط، خاصّة وأنّه ارتبط بحرف الفاء، فكأنَّ ابن القيّم يخاطب أحدهم فيقول له على سبيل التّشويق: إذا علِمت ما حدَثَ للمسيح على الصّليب من تعذيب وأَلَمٍ وإهَانة، وكان هذا الصّليب سَبَبًا في إيلامه عليه السلام وشقوته ونُكُودِه:

21. فَذَاكَ المَرْكَبُ المَلْعُونُ* حَقًّا؛ فَدُسْهُ، لا تَبُسْهُ*** إِذْ تَرَاهُ!**

(فَذَاكَ المَرْكَبُ المَلْعُونُ حَقًّا)؛ وهو جوابٌ معلَّقٌ على الشّرط الماضي مرادًا التّذكير بأنّه قد حصل ووقع، أي: إذا ركب المسيح الإله حقًّا على هذا الصّليب، فهذا هو المركب الملعون، وهو الجواب الأوّل لـ "إذا" المتضمّنة معنى الشّرط، والمَعْنَى: يا أيُّها النّصراني، ومنه الخِطاب موجّه لجميع النّصارى، إنَّ ذاك الصّليب الذي اِرتقاهُ وركِب عليه المسيح الإله ربُّك كُرهًا وإجبارًا، قسرًا واحتقارًا؛ هو المركَبُ المَلعُون بحقّ؛ لأنّه كان سببًا في إيذاء مَن تعتقِدُ أنّه إله، بل وسببًا في عذابه وإزهاق روحه، وابن القيّم مُحِقٌّ في وصْف الصّليب بـ: "المركب الملعون"، ومُصيبٌ في ذلك تمامًا، وفي هذا دلالة واضحة على أنّه رحمه الله مطّلِعٌ اطّلاعًا معتبرًا على كُتُب القوم ومصادرهم، كما هو عالِمٌ وخبير بأفكارهم وعقائدهم، حيث إنّ الكتاب المقدّس لدى النّصارى بعهديْه القديم والجديد فيه إشارة إلى ما جاء في هذا الشّطر من هذا البيت؛ أي فيه حديثٌ عن لَعْن أداة الصَّلب والمصلُوب عليها كذلك.

---

* لعن يلعَن لعْنًا فهو لاعِن، والمفعول ملعون ولعين، ولعنه الله؛ أي طرده وأبعدَه من الخير، ولعن فُلان فُلانًا؛ سبَّه ونعته بالخزي والعار، وأمرٌ لاعن؛ جالبٌ للّعن وباعثٌ عليه. (أحمد مختار عمر وآخرون: **معجم اللّغة العربيّة المعاصرة**، مج03، ص2017)، وقد كان اليهود ينظرون إلى خشبة الصَّليب على أنّها أداة تعذيب الخارجين على القانون، ولذلك اعتبروا أنّ كلّ مَن يموت على خشبة الصّليب ملعونٌ تطبيقًا لما ورد في كتابهم المقدّس. (محمّد عزّت الطّهطاوي: **في مقارنة الأديان النّصرانيّة والإسلام**، ص80).

** داس يدوسُ دوْسًا فهو دائِس والمفعُول مدُوس، وداس الشَّيء؛ وَطِئَه وَطْئًا شديدًا بقدمه ونحوها، داسته سيّارة؛ دهسته، وداس فُلانًا؛ أذلَّه، عامله بازدراء واحتقار، وداس على الشَّيء؛ مشَى فوقه، وداس على القانون؛ خرقه ولم يلتزم به، وداس على المفاهيم السّائدة؛ تمرَّد عليها. (أحمد مختار عمر وآخرون: **معجم اللّغة العربيّة المعاصرة**، مج01، ص786).

*** باس يبوس بُسْ بوسًا فهو بائس والمفعول مبُوس، باسَ فُلانًا؛ قبَّلَه، لثمه، المفرد بُوسة؛ أي قُبلة، والجمع بَوَسَات وبوْسات؛ أي قُبلات، والمصدر بوْس. (أحمد مختار عمر وآخرون: **معجم اللّغة العربيّة المعاصرة**، مج01، ص262).

فقد وَرَدَ في سفر التّثنيّة: **[وإذا وجدتم على أحدٍ جريمة تستوجب القتل، فقُتِل وعُلِّق على خشبة، فلا تتركوا جثّته على الخشبة إلى اليوم الثّاني، بل في ذلك اليوم تدفنونه؛ لأنّ المُعَلَّق ملعُونٌ من الله، فلا تنجّسُوا أرضكم التي أعطاكم الرّبُّ إلهكم مُلْكًا لكم]**. (التّثنية: 21/ 21-23)، وإذا أنزلنا هذا النّصّ على صلْب المسيح، يمكننا القول احتكامًا إلى ما ورَد فيه: بأنّ المسيح ملعونٌ لأنّه عُلِّق على خشبة الصّليب، وهذا إشكالٌ كبير يواجه النّصارى الذين يعتقدون اعتقادًا جازمًا بصلبه ﷺ على خشبة الصّليب، حيث شاهدته جموعٌ كثيرةٌ وهو على هذا الوضع كما أخبرَت الأناجيل، وإذا كانوا يعتقدون أيضًا أنّ عيسى إله وربٌّ، وجمعًا بين ذاك وهذا؛ أي بين الاعتقاديْن -على حسب زعمهم-؛ يكون الإله ملعونًا، ولا شكّ أنّ هذا لا يجوز في حقّ الله تعالى، ومَن يجرؤ على ذلك؟، بل الله هو الذي يلْعَن مَن يشاء من الكافرين والظّالمين كما جاء في القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١** ﴾ (البقرة: 161)، وفي سورة آل عمران يقول: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ٨٧** ﴾ (آل عمران: 87)، وفي سورة النّساء يقول: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ٥٢** ﴾ . (النّساء: 52)؛ أي إنّ مَن يلعنه الله فلا نصير له ينصره ويمنعه من آثار هذه اللعنة المتمثّلة في العذاب العظيم،[1] فالله هو القويّ العزيز القادر، وهو الذي يفعل ما يشاء متى يشاء بالطّريقة أو الكيفيّة التي يشاء، ولا رادّ لحكمه وقضائه ولا مناقِش لأفعاله.

كما ورد في رسالة بولس إلى أهل غلاطية: **[والمسيح حرّرنا من لعنة الشّريعة بأنْ صار لعنة من أجلنا، فالكتاب يقول: "ملعُون كلّ مَن مات معلّقًا على خشبة"، وهذا ما جعله المسيح لتصير فيه بركة إبراهيم إلى غير اليهود، فننال بالإيمان الرّوح الموعود به]**. (غلاطية: 03/ 13-14)، وهذا النّصّ يؤكّد ما ورد في النّصّ السّابق من سِفر التّثنيّة، فكلّ مَن يموت على خشبة ملعُون، والمسيح ملعونٌ كذلك ما دام أنّه مات على الصّليب الخشبي، ولا يسعه أنْ يخرُج عن هذا القانون الرّبّاني!!، فمثله مِثل كلّ مصلوب على خشبة، فبأيِّ حقٍّ صار المسيح ملعونًا؟!!، إنّ القوْل بصلبِه أدّى إلى القوْل بلعنه احتكامًا إلى ما جاء في الكتاب المقدّس، وهذه معضلة كبيرة وقَع فيها النّصارى، لذلك يحاول بعض مفسّري

[1]- أبو حيّان الأندلسي: **تفسير البحر المحيط**، ج03، ص387.

الإنجيل وشُرّاحه تبرير موت المسيح على الصّليب، وخاصّة قول بولس السّابق في رسالته لأهل غلاطية، وفي السّطور الآتية نستعرض بعضًا من تلك التّبريرات، يقول وارين ويرزبي: "لا شكّ أنّ الرّسول بولس كان يقصِد بـ: "الخشبة"؛ "الشّجرة"؛ ذلك الصّليب الذي مات عليه المسيح، فالرّبُّ يسوع لم يُرجَم، ثمّ تمَّ عرض جسده الميّت، بل سُمِّر حيًّا على خشبة، وتُرِك هناك حتّى مات، وبموته هذا على الصّليب حمَلَ عنّا لعنة النّاموس؛ حتّى لا يقع المؤمن تحت النّاموس ولعنته فيما بعد، إنّ كلمة "اِفتدانَا"؛ تعني شراء العبد من أجل إطلاقه حُرًّا، فمن المُمْكِن شراء عبدٍ وتركه ليبقَى عبدًا كما كان، لكنّ المسيح لم يفعل ذلك؛ إذ سَفَكَ دمه على الصّليب واشترانا لكيْ يحرّرنا، أمّا جماعة المتهوّدين فقد أرادُوا الرّجوع بالمؤمنين الذين مات المسيح ليحرّرهم إلى العبوديّة، وكأنّ الخَلاص هو تبديل العبوديّة من شكل إلى آخر، وليس الانتقال من عبوديّة الخطيّة والنّاموس إلى حرّيّة نعمة الله بالمسيح".[1]

وجاء في تفسير رسالة غلاطية لـ: بسام مدني: "... فإنْ كان إبراهيم –حسب قوْل الكتاب– قد تبرّر بالإيمان، فمَن نحنُ أو أيّة جماعة كانت حتّى نقدِر أنْ نقول: أنّه بمقدورنا أنْ ننال رضَا الله وبرّه بواسطة أعمالنا؟، طبعًا لا ينكر الرّسول أنّ التّبرير بواسطة النّاموس يجري فيما إذا كان بمقدور الإنسان أنْ يقوم بكلّ ما يطلبُه منه النّاموس، لكن نظرًا لعجز الإنسان عن القيام بذلك، ونظرًا لأنّ الله قد أعلَن في كلمته أنّه ملعونٌ كلّ مَن لا يثبُت في جميع ما هو مكتوب في كتاب النّاموس ليعمل به، يُصبِح كلّ إنسان تحت لعنة النّاموس حتّى ولو كان جادًّا في الحُصُول على برّه بواسطة النّاموس، إذن فالتّبرير ليس بواسطة النّاموس، بل بالإيمان؛ لأنّ المُبرَّر بالإيمان هو الذي يحيا حسب تعليم الكتاب".[2]

أمّا يوحنّا ذهبي الفم –وهو من أَلْمَعِ اللّاهوتيين المسيحيين–، فيقول في تفسيره لهذه الرّسالة: "لقد حوّل المسيح لعنة النّاموس إلى صورة أخرى "ملعُون كلّ مَن عُلّق على خشبة"، وإذْ حمل لعْنَتَنَا وهو بريء منها أنقذنا من عقوبتها، مكتوبٌ عن الرّبّ أنّه: **[لم**

[1]– وارين ويرزبي: **كُن حرًّا**، ص56.

[2]– بسام مدني: **تفسير رسالة غلاطية**، ص12.

يفعل خطيّة ولا وُجد في فمه مكر]. (اشعياء: 53/ 09، بطرس1: 22/02)، وهكذا بموته أنقذ الموتى، وبأخذه اللّعنة عنّا خلَّصَنا منها...، السّرّ في المسيح الذي جاء من نسْل إبراهيم بركة للجميع، وبعْد أنْ يرفع الإيمان عنّا لعنة النّاموس، يسكب علينا موعد الرّوح الذي لا يهبِط إلّا على الخاضعين، إذن فالصّليب أزال اللّعنة، والإيمان أعطانا التّبرير، والتّبرير غمرنا بنعمة الرّوح".[1]

وفي السّياق ذاته، يقول مكسيموس صموئيل:

"كلّ الذين تحت النّاموس تحت لعنة تعدّي النّاموس؛ لأنّ الكلّ لم يستطع تتميمه، وحتّى وإنْ وُجِد مَن تمّمَه سقط أيضًا في الكبرياء، وبالتّالي في لعنة تعدّي النّاموس، فكيف يُعالجنا الله إلّا بالإيمان؟، فصار الله متجسِّدًا ليُصلَب، والصّلْب في ناموس موسى لعنة، لكنّه لعنة شكليّة؛ لأنّ ربّنا* يسوع لم يحمل لعنة التّعدّي إذْ هو قدّوس وبلا خطيّة، فبلعنة الصّليب أنقذَنا من لعنة النّاموس، وتعدَّى النّاموس لذلك، قيل: الذي لم يعرف خطيّة صار خطيّة لأجلنا، وصار لعنة لأجلنا، ليس لأنّه فعل خطيّة، بل حمَلَ خطايانا وأنقذنا بالصّلب من لعنة تعدّي النّاموس، وبهذا تتمّ مطالب النّاموس علينا".[2]

أمّا صاحب كتاب "الكنز الجليل في تفسير الإنجيل" فيُورِد بخصوص هذا الشّأن كلامًا طويلًا مُفصَّلًا وواضِحًا مقارنة بالتّفاسير السّابقة، لذلك ارتأينا نقله بطوله توضيحًا للمعنى المطلُوب، فيقول:

"إنّ المسيح أتى كلّ الذين كانوا تحت لعنة النّاموس بالخلاص لأنّه حرّرهم منها، فالنّاموس أتاهم باللّعنة وهذا كلّ ما استطاعه، فابتدأ عمل المسيح حيث انتهى عمل النّاموس إذْ أتى بالإنقاذ من اللّعنة. اِفتدانا من لعنة النّاموس لكيْ تأتينا البركة التي وُعد إبراهيم بها، إنّ جميع النّاس يهودًا وأُممًا احتاجُوا إلى الفِداء؛ لأنّ جميعهم كانوا تحت اللّعنة سواء؛ فاليهود كانوا تحتها لتعدّيهم النّاموس المكتُوب، والأُمم لتعدّيهم النّاموس

---

[1]– يوحنّا ذهبي الفم: **تفسير رسالة غلاطية**، ص40.

* هكذا يعتقد المسيحيون في عيسى عليه السلام.

[2]– مكسيموس صموئيل: **تفسير رسالة بولس الرّسول إلى غلاطية**، ص09.

المُعلَن لهم بالخليقة والضّمائر، وعبَّر عن إنقاذ المسيح بـ: "الافتداء"؛ لأنّ الفِداء إيفاءُ المطلُوب لإطلاق الأسير، فالمسيح فدانا واشترانا بثمَن مَن حَمَل العقاب على خطايانا بتأديته الثّمن الذي طلبه النّاموس بموته على الصّليب مرّة واحدة عن الجميع...، ولعنة النّاموس هي اللّعنة التي صُرِّح بها على كلّ الذين لا يحفظون النّاموس حفظًا تامًّا. إذْ صار لعنة لأجلنا وهو البارّ، واختار ذلك طوعًا، فرضِي أنْ ينقل الله اللّعنة من الجميع إليه، وأنْ يعامله كأنّه مذنِبٌ فعلًا كما كان في شريعة موسَى يُنقَل ذنب المُذنِب اليهودي إلى التّيْس عزازيل...، والمسيح حمل لعنة النّاموس على الصّليب حتّى مات، وفي الأصل العبراني المُقتبس منه "ملعونٌ من الله" وترك الرّسول لفظتيْ "من الله"؛ لأنّ المسيح لم يكن ملعونًا من الله حقيقة، لكنّ الله عامله كأنّه كذلك؛ لأنّه احتمل من تلقاء نفسه لعنة الخطَأة، وأتى ذلك على وِفقِ إرادة الآب الذي سُرّ بتقديمه بنفسه على الصّليب.

ذكر بولس لعنتيْن؛ الأولى في الآية العاشرة، وهي قوله: "ملعونٌ مَن لا يثبُت في جميع ما هو مكتُوب في أعمال النّاموس ليعمل به"، وهذه اللّعنة عمَّت الجنس البشري، والثّانية في الآية الثّالثة عشر، وهي قوله: "ملعونٌ كلّ مَن عُلّق على خشبة"، وهذه اللّعنة احتملها المسيح ليفدينا من اللّعنة الأولى، وكلتاهما من لعنات النّاموس وإحداهما تُشير إلى الذّنب والأُخرى تُشير إلى العقاب، فالمسيح احتمل العقاب حتّى يرفع عنّا الذّنب، وكان المسيح "لعنة" بدلًا من جميع الذين هم من أعمال النّاموس بكونه "مَن عُلّق على خشبة"؛ لتصير بركة إبراهيم للأُمم؛ هذا غاية مصير المسيح لعنة، و"بركة إبراهيم" هي البركة التي وُعِد بها هو ونسله، وخُلاصتها التّبرير بالإيمان والخلاص بالمسيح لننال بالإيمان موعِد الرّوح نحن المؤمنون من اليهود والأُمم بلا التفات إلى النّسل، وموعد الرّوح هو من أعظم البركات الموعُود بها في ملكُوت المسيح".[1]

وعلى الرّغم من جميع هذه التّفسيرات والتّبريرات، إلّا أنّ المعنى من لعْن المسيح يبقى قائمًا؛ بمعنى أنّ المشكلة أو المُعضلة التي وقع فيها المسيحيون لم تُحَل، وهذا تقصير في حقّ عيسى المسيح عليه السلام، وظلمٌ له، وانتهاك من قدره ونفسه وحرمته؛ لأنّها جميعُها أجمعَت

[1]– وليم إدي: **الكنز الجليل في تفسير الإنجيل**، ج07: **شرح غلاطية إلى فيلمون**، ص40–41.

على أنّ هذا الرّجل لا بُدّ من أنْ يُلعَن حتّى ينقذ البشريّة من اللّعنة المُلتصقة بها من قديم الزّمان، ولا يتحقّق هذا إلّا بالإيمان الجازم بما وقع له –أي للمسيح– من صلْبٍ ولعْنٍ وغير ذلك من المخاطر، وانطلاقًا من التّسليم بهذه النّقطة جدلًا، يمكن القول –مع ابن القيّم–: أنّ الصّليب أيضًا يستحقّ اللّعنة ما دام أنّ راكبه المُمَات عليه وبفعله ملعُون، وتزداد لعنته توغُّلًا عند النّصارى إذْ قد كان سببًا في نهاية إلههم يسوع المأسويّة، أمّا عقيدة المسلم في هذا الأمر –والمخالفة تمامًا لعقيدة النّصراني– فسنُشير إليها في ختام هذا الشّرح عند شرحنا لآخر بيْت من هذه القصيدة.

(فَدُسْهُ، لا تَبُسْهُ إِذْ تَـرَاهُ)؛ وهذا هو الجواب الثّاني لـ "إذا" المُتضمّنة معنى الشّرط إذ أنّه اِرتبط بحرف الفاء أيضًا، والمعنى: يا أيّها النّصرانيّ، إذا علِمْتَ أنّ الصّليب الذي صُلِب عليه ربُّك وإلهُك عيسى حسب معتقدِك، هو مركَبٌ ملعُونٌ مُتسبِّبٌ في قتل المسيح إلهك وربّك، فدُسْه (اِرفسْهُ) –أي الصّليب– وأجلِب عليه برجْلِك، وامشي فوقه إهانة له، وأبصِقْ عليه كلّما رأيته، واحتقرهُ أينما وجدته وفي كلّ زمان قابلْته أو أبصرته، ولا تُعظِّمْهُ ولا تُكرِمْهُ ولا تُبجّله بالانحناء له وتقبيله والمَسْح عليه بحنان ولُطْفٍ ورقّة، بل عامله بقسوة وغِلظة وحقارة، ولا تتعامل معه بغير ذلك من مراسم الحُبّ والتّوقير، فإنْ أصغيْت لهذه النّصيحة؛ فقد فُزْتَ ونِلْتَ المفازة العظمَى والمكانة القُصوّى، وإنْ خالفتها ولم تتّعِظ بها فانحنيْت للصّليب وعظّمته وقبّلته ورسمته بيديْك بيْن عينيْك؛ فستُوصم –لا محالة– بالجنون والسَّفه والعُتُوه والخُذلان والغباء والحُمق وفُقدان البصر والبصيرة...، وهاهنا أيضًا لجَأَ النَّاظم إلى طريقة التَّعبير بالأضداد، وذلك حينما استعمل لفظيْ (داسَ، باسَ)؛ حيث يُعبِّر أحدهما على الإهانة والاحتقار والازدراء، ويعبِّر الآخر على المودّة والتّوقير والاحترام.

وهو هاهنا –أي النّاظم– ينطلق من عقيدته الإسلاميّة النّاهيّة عن تقديس الصَّليب، بل والدّاعيّة إلى هدْمِه وحرقه ومعاملته معاملة ازدراء وعدم الاعتراف به مُطلَقًا، فالقرآن الكريم لم يُثبِت وجود الصّليب أصلًا بله لم يَدْعُ إلى تقديسه، وذلك لمَّا نفَى قضيّة صلب المسيح عليه السلام نفيًا قاطِعًا جملة وتفصيلًا في غير ما آية، وبالتَّالي لا وجود لأداة الصَّلب البتّة، وأمَّا في السُّنّة النّبويّة، فقد جاءت أحاديث عِدَّة ناهيّة عن حمل الصّليب أو تعليقه

أو اتّخاذه وثنًا يُعبد؛ فعن عَدِيّ بن حاتم قال: أتيتُ النّبيّﷺ وفي عُنقي صليب من ذَهَبٍ، فقال: "**يا عديّ اطرحْ عنك هذا الوثن**"[1]...، وفي حديث آخر يُبيِّن لنا النّبيّﷺ أنَّ الصَّليب مثله مثل بقيّة الأوثان والأصنام المعبودة من غير الله وأنّها من بدع الاعتقاد التي لا تنفع ولا تضرُّ، فيقول في حديث طويل: "**يُنادي مُنادٍ: ليذهبْ كلُّ قوْمٍ إلى ما كانوا يعبُدون، فيذهب أصحاب الصّليب مع صليبهم، وأصحابُ الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كلّ آلهة مع آلهتهم...**"،[2] كما كان عليه الصّلاة والسَّلام –زيادة في التّحذير من اتّخاذ الصّليب– يتخلَّص من كلّ شيء فيه علامة صليبيّة؛ فعن عائشة رضي الله عنها: "**أنّ رسولﷺ الله كان لا يترُك في بيته شيئًا فيه تصليبٌ إلَّا قَضَبَه**"؛[3] أي قطعه واستأصله وتخلّى عنه، وتصويرًا لمآل الصّليب وخاتمته بينّ عليه الصّلاة والسّلام النّهاية المأسويّة له –أي للصّليب– ولأتباعه في آخر الزّمان؛ فعن ذي مِخْمَرٍ وهو رجل من أصحاب رسول اللهﷺ، قال: سمعتُ رسول اللهﷺ يقول: "**ستُصالحكم الرُّوم صُلحًا آمِنًا، ثمَّ تغزوْنَ وهُم عَدُوًّا، فتُنصَرون وتَسْلمُون وتَغنَمُون، ثمّ تنصرفون حتَّى تنزلوا بِمَرْجٍ ذي تُلُولٍ، فيرفَع رجلٌ من النَّصرانيَّة صليبًا، فيقول: غَلَبَ الصَّليبُ، فيغْضبُ رجلٌ من المُسلمين، فيقومُ إليه فيَدُقُّه، فعند ذلك تغْدِرُ الرُّوم ويجْمعُون للمَلحَمَة***"،[4] ولا يَخْفَى على أحدٍ من المُسلمين مَا يفعله المسيح عيسى ابن مريمعليه السلام حينما ينزل إلى الأرض؛ فيكُون من بيْن أعماله كسْرُ الصّليب شِعَار النّصارى إشارة منه إلى رِسالة ضِمنيّة تنفِي عنه كونه ماتَ مصلوبًا، وفي هذا يقول الرّسولﷺ بأسلوبٍ توكيديّ مُخاطِبًا جموع

---

[1]– التّرمذي: **سنن التّرمذي**، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التّوبة، حديث رقم (3095)، ص597.

[2]– البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب التّوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ (القيامة: 22–23)، حديث رقم (7439)، ص1187.

[3]– أبو داود: **سنن أبي داود**، كتاب اللّباس، باب ما جاء في الصَّليب في الثَّوب، حديث رقم (4151)، ص516.

* المقصود بها هنا؛ الملحمة الكُبرى التي تكون بين المسلمين والرُّوم والمُهيِّأةِ لفتح القسطنطينيّة، حيث يحشُد فيها الطّرفان قوَّتيْهما؛ فيكون حشد الرُّوم قُرابة مليون جندي (12×80000=960000) يتمركزون بالاعماق (دابق) قُرب مدينة حلب، أمَّا جيش المُسلمين فينطلِق من المدينة المنوّرة، وتلتحق به بقيّة الجموع، وتكون بلاد الشّام هي أرض هذه المعركة وما يعقُبها من معارك، ويحضُرها المهدي، وينتصر فيها المسلمون انتصارًا مريرًا على الرُّوم تهيئة لفتح القسطنطينيّة الأخير وغيرها، وهي من علامات السّاعة. (عبد الوهاب عبد السّلام طويلة: **المسيح المنتظر ونهاية العالم**، ص80).

[4]– ابن ماجة: **سنن ابن ماجة**، كتاب الفِتن، باب المَلاحم، حديث رقم (4089)، ص442.

المُسلمين: "**لا تقوم السَّاعة حتَّى ينزِل فيكم ابن مريم حَكَمًا مُقْسِطًا؛ فيكسِر الصَّليب، ويقتُل الخنزير، ويضع الجِزية، ويفيض المالُ حتَّى لا يقبله أحدٌ**"،[1] وقد اعتبر علي بن أبي طالب الصّليب كالنَّجاسة، وذلك حينما مسّه، فأعاد وضوءَهُ لكيْ يصلِّي طاهرًا، وكان عمر بن الخطَّاب ينهى عن وضْع اليد في الخاصرة خصوصًا في الصَّلاة بحجّة أنَّ هذا الوضع يُشبه الصَّلب؛ لأنّ الرَّجُل إذا صُلِب مُدَّتْ يده ونُشِر على الجذع، وهيئة الصَّلْب في الصَّلاة: أنْ يضع الرَّجل يديْه على خاصِرتيْه ويُجافي بين عضديْه في القيام.[2]

فهذا هو موقف الإسلام قرآنًا وسنَّةً وتُراثًا وفكرًا من الصَّليب، وهو موقفٌ مناقضٌ –كما ترى– لموقف النَّصارى تمامًا؛ حيث يقدِّسه هؤلاء تقديسًا فائقًا، أمَّا المسلمون وانطلاقًا من تعاليم دينهم الحنيف فيعتبرونه "يُعادِل الوثَنَ، وهو كالقيْد للعقول عن رؤية الحقِّ، وأنَّه ملعون، وأنَّهُ مكروه، وأنَّه قبيح المنظر، ولا يصِحُّ لعاقلٍ أن يُعلِّق صليبًا في رقبته أو يدقه وشْمًا، لمَا يتبعه من فكر ساذج لا يقتنع به الصِّبية فضلًا عن الرِّجال ذوي الألباب"،[3] لذلك دَعَا ابن القيّم جموع النَّصارى إلى إهانته، ونهاهم عن توقيره واحترامه وتقبيله.

والمُلاحظ هاهنا أنّ صيغة الخطاب قد تغيّرت، فبعدما كان الخطاب في الأبيات السّابقة بصيغة الجمع، تحوّل بدءً من هذا البيت إلى صيغة المُفرد، وفي ذلك لفتةٌ بيانيّة ورغبة ذاتيّة من النّاظم القصد منهما؛ التنويع في الخِطاب رفعًا للملل وتشويقًا للنّفوس التّاليّة لهذه القصيدة من جهة، ومن جهة أخرى تأثيرًا على النّصارى المُخاطبين طمعًا في إيمانهم وتخلّيهم عن معتقداتهم الفاسدة التي تتناقض ومعتقدات المسلمين إجمالًا وتفصيلًا.

ومواصلة للتَّوغُّل في هذا الجواب، وبُغية في زيادة توضيح الأسباب الدّاعيّة لترك تقديس الصّليب وعبادته من طرف النّصراني، وتفسيرًا لهذا البيْت والبيْت الذي قبله، يقول النّاظم رحمه الله:

---

[1]– البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المظالم، باب كسْر الصّليب وقتْلِ الخنزير، حديث رقم (2476)، ص399.

[2]– محمّد توفيق صدقي: **نظريّتي في قصَّة صلْب المسيح وقيامته من الأموات**، ص27–30.

[3]– المر**جع نفسه**، ص31.

22. يُهَـــانُ* عَلَيْـــهِ رَبُّ الخَلْـــقِ طُـــرًّا وتَعْبُـدُه؟!، فَإِنَّكَ مِـــنْ عِـــدَاهُ**

(يُهَانُ عَلَيْهِ رَبُّ الخَلْقِ طُرًّا)؛ إنّ هذا الصّليب الذي تكرّمُه أيّها النّصراني، قد أُهين عليه –بحسب اعتقادك– ربُّ الخلق قاطبة؛ الذي خلق السّماوات والأرض وما بينهما وكلّ ما فيهما من ملك وإنس وجنّ ونجوم وكواكب وبحار وجبال ونباتات وحيوانات...، فكيف ربُّ الخلائق جميعًا وربّ كلّ شيء يُهان على خشبتيْن صغيرتيْن ضعيفتيْن لا تقْويان حتّى على حمْل خروفٍ أو نعجة؟!!!.

فبشهادة جميع النّصارى أُهِين المسيح على الصَّليب، حيث إنَّ الأناجيل التي بيْن أيدينا تبيّن لنا بالتّفصيل كيْف أُهين هذا الرّبّ وهو على الصّليب أيّما إهانة، واستُهزئ به وسُخِر منه أيّما استهزاء وسخرية؛ حتّى أضحى كأنّه لُعبة بين يديْ القوم، ومُلخّص ما جاء فيها بالمعنى: أنّهم لمّا صلبوه اقترعوا على ثيابه واقتسموها، ووضعوا فوق رأسه لافتة مكتوبًا عليها أنّه إنّما صُلِب اتّهامًا له بأنّه ادّعى أنّه ملك اليهود، كما سوّوا بينه وبين لصّيْن آخرين فصلبوه معهما، وكان كلّ مَن يمرّ به وهو على تلك الحالة يهزأ به ويسخر منه؛ فيسبّه ويشتمه ويُقلّل من شأنه ويعيّره وينقّص من قيمته ويقذفه بشتّى الرّذائل، وليس فقط المارّة هم مَن كانوا يفعلون به هذا، بل حتّى اللّصّيْن اللّذيْن صُلِبَا معه كانا يشتُمانه ويعيّرانه ويستهزئان به، فلمّا أحسّ بالعطش وطلَب ماءً سقوْه خلًّا زيادة في النّكاية به، وليت الأمر توقّف عند هذا الحدّ، بل إنّه حتّى بعدما مات وأسلم الرّوح؛ أخذ أحد الجنود حربة حديديّة وطعنه في جنبه فخرج منه دمٌ كثيرٌ وماء.[1]

إذن، إنّ الأناجيل الأربعة متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا، مجمعة ومتّفقة على ما حدَث للمسيح من إهانة وهو على خشبة الصّليب، والتّعليق عليها لوحده إهانة ما بعدها إهانة، فكيف إذا أُضيفت له إهانات متعدّدة ومتفرّقة، وكانت مصوّبه إليه هو بالذّات وبطريقة مباشرة، ومن قِبل أصنافٍ مختلفة من فئات الشّعب والمجتمع؛ من صاحب المكانة

---

* أَهان يُهين أهِنْ إهانة فهو مُهين، والمفعول مُهان، أهان الشَّخص؛ أذلَّه واحتقره واستخفَّ به.

** أي جميعًا.

[1]– متّى: 27/ 35–44، مرقس: 15/ 21–32، لوقا: 23/ 26–43، يوحنّا: 19/ 17–37، وتنظر الأشكال (2 و3 و4 و5 و6 و7 و15) المُثبتة في الفصل الأوّل من هذا الباب.

والمنزلة الرّفيعة إلى الوضيع المُجرم الحقير مرورًا بالفئة الوُسطى، ولك أن تتصوّر معنى أنْ تكون موقوفًا معلّقًا على خشبة الصّليب بذلك العلو المُعتَبر على الأرض وأنت لم تقترف أيّ ذنْبٍ، بل تُعَاقَب بهذا العقاب تهمة وزورًا وبهتانًا، وقبْل ذلك كلّه كُنْتَ ذا مكانة رفيعة في قومك، ثمّ وأنت في ذلك الوضع الذي لا تُحسَد عليه، تمرّ بك الجموع البشريّة مستهزئة ساخرة ضاحكة متشفّية؛ فأيّ إهانة أعظم من ذلك، وقد أقرّ بهذا مؤلّفُو قاموس الكتاب المقدّس، حيث جاء فيه: "وإلى موْت المسيح وحتّى بعده كان الصّليب علامة الذُّلّ والعار...، وحمل الصّليب كان يعني حمل الإهانة..."،[1] كما يقول صاحب كتاب "**تفسير العهد الجديد**": "والأعداد الأخيرة من هذا الجزء تروي عبارات الهُزء والسّخرية التي كان النّاس والمارُّون واللّصّان والسُّلطات اليهوديّة يُلقونها على يسوع، وكانت كلّ العبارات تتركّز في شيء واحدٍ؛ وهو ما كان يدَّعيه يسوع من أنَّه المسيح ابن الله، ومقارنة ذلك بموقفه العاجز على الصَّليب..."،[2] وقد أشار إلى هذا أيضًا العديد من الكُتّاب المسيحيين كـ: صاحب كتاب: "**المحبّة الغافرة**"،* وغيره، وبهذا الصَّدد لا يفوتنا أن نذكِّر بتلك الصّورة المتوارثة في التّراث المسيحي سواء أكان ذلك داخل الكنائس أو خارجها في أيّ مكان آخر؛ وهي الصّورة الذي يظهر فيها المسيح مثبتًا على الصّليب مُنكّس الرّأسِ مُطَأطِئه ذابلًا ذليلًا مُهانًا.

هذا هو حال المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام في اعتقاد النّصارى، وهذه هي نهايته المؤلمة وما حدث له فيها، وأمّا في اعتقاد المسلمين فإنّه لم يحدُث له شيء من ذلك كلّه قطّ، بل وُلِد كريمًا وعاش كريمًا ونهايته كانت كريمة كذلك؛ فلم يمُت على الصّليب ليُهان عليه، ولم تكُن خاتمه الصّلب ليُسخر منه وهو على تلك الحالة، بل حفظه الله تعالى كما حفظ جميع الأنبياء من كيْد الكائدين وحسد الحاسدين؛ فنجّاه من كيد اليهود ودسائسهم وخُططهم العدوانيّة، وكرّمه وعظّمه وبجّله أيّما تبجيل، حتَّى كان شخصيَّة ذا قيمة كبيرة في الفكر الإسلامي.

---

[1]– بطرس عبد الملك وآخرون: **قاموس الكتاب المقدّس**، ص374.

[2]– وليم باركلي: **تفسير العهد الجديد**، مج01: **إنجيل متّى ومرقس**، ص454.

* للقمص أنطونيوس كمال حليم، ص68–70.

(وتَعْبُدُه؟!)؛ فكيف بك أيّها النّصراني، وقد عرفْتَ أنّ عيسى الذي تعتقِده ربًّا قد أُهين وهو على الصّليب كثيرًا، وذلك بنصّ الإنجيل وهو كتابُك المقدّس ومصدرُك الأوّل في عقائدك وشرائعك وأخلاقك، فكيْف بعد هذا كلّه تعبُد هذا الصّليب وتقدّسه وقد علمْت معاناة إلهك معه وعليه؟!!، أفبعدما حصل ما حصل وكان ما كان تعكف عليه وتسجد له؟!!، أفتعبُده وقد كان سببًا في موتِ ربِّك؟!!، أفتعبُده وقد كان مكانًا لإهانة إلهك والسّخريّة منه؟!!، أو تعبُده وقد كان موضعًا لتعذيب ربّك عذابًا شديدًا؟!!، أو تعبُده وقد كان مستقرًّا لإزهاق روح ربّك الذي تعظِّم وتمجِّد وتعبُد...، وكان الأولَى بك أنْ تُهينه، وتلْعنه بُكرة وعشيّة، ويلهج لسانك بذلك على الدّوام، وعبادة الصّليب ليس شرطًا أن تكون بطريقة مباشرة بالرّكوع والسّجود وتقديم القرابين له، لكنّ المُبالغة في حُبّه وتقديسه وتعظيمه وتمجيده واحترامه؛ كلّ ذلك يُعدُّ نوعًا من عبادته، وهو لا يجوز أن يقدَّم له، ولا شكّ أنّ الأسئلة الواردة في هذه الفقرة، تتركُ المُعتَقد مثل هذا الاعتقاد في حيرة كبيرة لا مخرَج منها إلّا الكفّ عن مثل ذلك؛ لأنّها أسئلة مستعصيّة الإجابة، والإجابة عنها لا تؤدّي إلّا إلى نتيجة سلبيّة لا تُنجِّي من تلك الحيرة الكبيرة، خصُوصًا وأنّ جلّ العقائد المسيحيّة معقّدة إلى درجة كبيرة بحيث يعجز العقل الإنساني ويقف حائرًا أمامها، فهي في ذاتها متناقضة وتفتقِر إلى أدلّة علميّة قويّة.

ومهما يكُن من أمر، فإنّك أيُّها النّصراني، إذا كان هذا هو اعتقادُك في المسيح فيما زعمْت أنّه حدَث له **(فَإِنَّكَ مِنْ عِدَاهُ)**؛ أي لسْت من أنصاره وأعوانه وشيعتِه وحِزبه، بل إنّك من ألدِّ أعدائه وأكبر الحاقدين عليه حتّى من اليهود في حدِّ ذاتهم؛ لأنّه لا يرْضى أن يُعتَقَد فيه هذا المعتَقد الخسيس السّاخر النّرجسي البعيد عن الواقعيّة والإنسانيّة والحقيقة التّاريخيّة، ولو أنّه عاد اليوم إلى الأرض ووجد هؤلاء يقولون فيه مثل هذا القول لتبرّأ منهم تبرّؤًا تامًّا براءة الذّئب من دم ابن يعقوب، بل ولَوَبّخهم ولامهم لومًا شديدًا، وقرّعهم وعنّفهم بشدّة على ما هم واقِعون فيه من استهتارات ومخالفات عقديّة، ثمّ لعاقبهم على ذلك أشدّ العقاب، أمّا في الآخرة فإنّ الله عزّ وجلّ سيتكفّل بكلّ ذلك، وسيقتصّ لعيسى عليه السلام منهم؛ لأنّه عبده ورسوله، ولأنّهم هم أسرفُوا فيما نسبُوه إليه ظلمًا وعدوانًا، وعند الله تجتمع الخُصوم، ثمّ بعد ذلك يبْحث النّاظم رحمه الله ويستقصي معهم مسألة سبب تعظيمهم لهذا

الصّليب، فيحصرُها في سبب أساسي وهو استطاعة هذه الآلة حمْل المسيح واحتواءَه فيقول:

23. فَإِنْ عَظَّمْتَــهُ مِــنْ أَجْـلِ أَنْ قَــدْ حَـوَى رَبَّ العِبَـادِ، وَقَـدْ عَــلَاهُ

(فَـإِنْ عَظَّمْتَـهُ مِـنْ أَجْـلِ أَنْ قَـدْ حَـوَى رَبَّ العِبَـادِ)؛ أي: ويا أيُّها النّصراني العابِد المُعظِّم لهذا الصّليب؛ إنْ كنتَ تعظِّمه وتمجّدُه وتوقّرُه بسبب أنّه قد استطاع –على الرّغم من صِغر حجمه وعلى الرّغم من كونه مصنُوعًا من خشب– حمَلَ إله الخلائق وربّ العالمين واحتواءَهُ، وهذا الأخير –أي ربّ العالمين **(قَـدْ عَـلَاهُ)**؛ أي علا هذا الصّليب واستوى عليه كأنّما صعده بإرادته وفعل ذلك على رغبة ذاتيّة منه راضيًا فرحًا مسرورًا، لذلك فأنت تفتخر بكوْن أنّ الصّليب حمل إلهك وضمّه بين خشباته؛ فكان له كالأُمّ الحنون الرّؤوم، والأب العطُوف، وكان الأحرى بك أنْ تصنع خلاف ذلك فتهينه وتحتقرَه بسبب أنّ مَن تعتقد أنّه إلهٌ وربٌّ؛ أُهين عليه وتألّم، ثمَّ مات!!.

لكنّ بعض المسيحيين يحاولون تبيين أنّ تقديسهم للصّليب وتعظيمهم إيّاه، ليس لأنّه حَوَى المسيح واحتملَه كما قال ابن القيّم، وإنّما يفعلُون ذلك لكوْنه علامة للخلاص وليس مجرّد أداة للقتْل، فالمسيح إنّما صُلِب ليُخلّص البشريّة وكلّ مَن يؤمن به من خطيئة آدم المتوارثة، انطلاقًا ممّا ورَد في أسفار العهد الجديد، وخاصّة تلك الفقرة من إنجيل يوحنّا التي تقول:

[فكذلك يجب أنْ يُرفَع ابن الإنسان، لينال كلّ مَن يؤمن به الحياة الأبديّة، هكذا أحبَّ الله العالم حتّى وَهَبَ ابنه الأوحد، فلا يهلك كلّ مَن يؤمن به، بل تكُون له الحياة الأبديّة، والله أرسَل ابنه إلى العالم لا ليُدين العالم، بل ليُخلّص به العالم]. (يوحنا: 03/ 14–17).

وقبل ذلك يحاول البعض إبراز قيمة الموْت على الصّليب واختلافها عن سائر الميتاتِ الأخرى بأنواع أُخرى من وسائل التّعذيب والقتل، وأنّه الطّريقة الأنسب لذلك، حيث إنّ الموْت على الصّليب هو من أبشع الطّرائق في الموت؛ مُبرِّرًا لموت المسيح بهذه الطّريقة –وإنْ كان هذا خلاف الحقيقة التّاريخيّة المتعلّقة بنهاية هذا النّبيّ–؛ لأنّ هذا

الأخير اختار –في اعتقادهم– الموْت على الصّليب لكيْ ينتصر على جميع أصناف الموْت الأُخرى، فيقول القدّيس أوغسطينوس:

"لم يكُن الصّليب مجرّد وسيلة إعدام كالمشنقة أو الإعدام في ميدان عام بإطلاق النّار، أو الكرسي الكهربائي (الآن)، وكلّها وسائل تتدرّج في درجة الإهانة لإرهاب الذين يفكّرون في الخطأ أو الجُرم نفسه، كما تختلف وسائل العقاب في نسبة الألم؛ فالكرسيّ الكهربائي أكثر رحمة وليس فيه عار العلنيّة، أمّا الشّنق فهو يحدث بدون سفْك الدّم، أمّا الرّجم ففيه تسيل الدّماء ولكنّ الجسم أيضًا ينكسر، وهو عملٌ يقوم به كثيرون ضِدّ المُخطئ أو المجرم كما هو في ناموس اليهود، أمّا الصّلْبُ فكان طريقة نشأت في اليونان* واستعملها الرّومان، وفيه يتمّ ترك الجسد معلَّقًا حتّى يتصفّى دَمُهُ وعَرَقُه تمامًا، وقد يُترك ثلاثة أيّام حتّى تأكله الطّيور، ولهذا فقد تعجّب بيلاطس من أنّ المسيح مات هكذا سريعًا، فهو تعذيبٌ بطيء، وهناك أيضًا قطْع الرّقبة بالسّيْف، أو الحرق حيًّا، وكلُّها عقوبات مُرعِبة"،[1] كما يعتقِد بعض المسيحيين أنّ صلْب المسيح محا اللّعنة المكتوبة في الكتاب، حيث إنّه بهذا الفعل حمَلَ لعنة خطايا آخرين، وحمل خطايا كثيرين، وشفَع في المُذنبين حامِلًا آثامهم...،[2] إلى غير ذلك من التّأويلات والمُبرّرات.

24. وَقَـدْ فُقِـدَ الصَّلِيـبُ، فَـإِنْ رَأَيْنَـا لَـهُ شَكْـلًا تَذَكَّـرْنَـا سَنَـاهُ**

(وَقَـدْ فُقِـدَ الصَّلِيـبُ)؛ وهذا الصّليب مهما يكُن اعتقادك فيه أيُّها النّصراني، ومهما تُبالغ في مدحِه ووصفِه واختلاق الأعذار له؛ أي عيْنُ الصّليب الأساسي الذي صُلب عليه المسيح كما تزعم، قد فُقِد منذ زمنٍ بعيد فلم يعُد موجودًا اليوم، والأحرى بك أنْ تبحث عنه هو بالذّات إذا أردت تمجيده، فتضَعه في متحفٍ أو في مكان آمِن لحِفظ

---

* الصّحيح أنّ القتل بالصّلب أقدم من ذلك، ويدلّ عليه ما ورد في سورة يوسف﵇: ﴿**وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ**﴾. (يوسف: 41)، فالحضارة المصرّيّة أقدم بكثير من الحضارة اليونانيّة.

[1]– أنطونيوس كمال حليم: **المحبّة الغافرة (مع المسيح صُلبتُ فأحيا)**، ص68.

[2]– الأنبا بيشوى: **لماذا الصّليب بالذّات–لماذا اختار السّيّد المسيح أنْ يموت مصلوبًا؟**–، ص40.

** سنا مفرد مصدره سَنِي؛ ضوء ساطعٌ، سنا يُبهر الأبصار. (أحمد مختار عمر وآخرون: **معجم اللّغة العربيّ المعاصرة**، مج02، ص1123).

الآثار؛ لأنّ مثله شيء أو كنز مقدّس يجب أن لا يضيع منك أو تفقده ما دُمتَ تقدِّسه وتفتخر به، وما دام أنّه حمل إلهك ساعاتٍ عديدة وهو في آخر عهده بهذه الدّنيا، فإذا فُقِد واختفى من الوجود أصبحْنا **(إِنْ رَأَيْنَا لَهُ شَكْلًا تَذَكَّرْنَا سَنَاهُ)**؛ أي لا يذكّرُنا به، نحن وإيّاك أيّها النّصراني إلّا حينما نرى شكْلًا* أو قالبًا له مصنوعًا على شاكلته وبالطّريقة ذاتها التي هو مصمَّمٌ عليها، فحينها نتذكّر مآثره ومحاسنه، وذكرياته التّالدة الخالدة، وتاريخه الحافل، وبريقه في الحياة اليهوديّة المسيحيّة!!، وأنت أيّها النّصراني ربّما تنسى أنّ إلهك مات مصلُوبًا ولا يذكّرك بهذا إلّا حينما ترى شكل الصّليب، فأيُّ خسارة هذه؟، وقد فُقِد المركَب الإلهي، فأين هو الآن وأين مكانه؟، مَن حطّمه أو سرقه؟، أم مازال محفوظًا على العهد الذي تركه فيه يسوع المسيح؟، ثمّ هل هو مخصوصٌ بعيسى فقط؟؛ أي: هل عيسى فقط هو مَن صُلِب عليه؟!، أم أنّه قد صُلب عليه أشخاصٌ آخرون كُثُر؟!، فإن كان مخصوصًا بعيسى فقط، فكيف ضيّعتموه أيُّها النّصارى؟!، فلم يعُد موجودًا لديكم ولا في حواضِركم اليوم، وإنْ كان اشترك فيه مع غيره، فأين هي القداسة المزعومة له؟، وأيّة مزيّة اختصّ بها؟، حيث ركِب عليه الإله كما ركب عليه بعض البشر، ثمّ بما تميّز عن الصّليبيْن الآخريْن اللّذيْن صُلِبَ عليهما ذلكما اللّصّان المُجرمان اللّذيْن كانا يستهزئان به –أي بعيسى–، وقد ضمّتهُما (صليبيّهما مع صليبه) معه الأرض ذاتها وحواهما معه الموضع نفسه، وحرساهما وإيّاه الجنود ذاتهم، فإذن والحال هذه، أيّة مزيّة له عنهما؟!!، ولئن قدّر الله وعثرنا وإيّاكم على هذه الصّلبان الثّلاثة اليوم؛ فأيّة طريقة أو كيف نميّز بين صليب عيسى والصّليبيْن الآخريْن إنْ كانت التُّهم المكتوبة على الصّلبان قد مُحيَت واندثرَت بفعل عوادي الزّمن وتعاقب سنواته الطّوال وتقلّبات الجوّ؟!!، ولو عثرنا على صليب واحد منهم، فما أدرانا أنّه صليب عيسى أو صليب اللّصّ اليماني أو صليب اللّصّ الشّمالي؟!!، لكنّ المسيحيين يعتقدون –وقد يكون ذلك مجرّد زعْم يفتقر إلى إقامة الأدلّة عليه– أنّ الصّليب الذي صُلِب عليه المسيح ظهر حسْب التّقليد الكنسي على يد القدّيسة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين، فقد سافرَت إلى أورشليم بعد أنْ

* للصّلبان ثلاث نماذج رئيسيّة: أحدها المدعو صليب القدّيس أندراوس وهو على شكل في (×)، وثانيها المعروف بالصّلب اليوناني بشكل زائد (+)، وثالثها بشكل السّيْف وهو المعروف بالصّليب اللّاتيني (✝)، وقد أشرنا إلى هذا عند شرحنا للبيت الثّامن عشر (18) من هذه القصيدة.

تجاوزَت السّبعين من عمرها لتكشف على قبر المخلّص (المسيح) وتبني كنيسة هناك، وبالفعل بنَتْ كنيستيْن؛ الأولى فوق القبر المقدّس، والثّانية فوق مغارة بيْت لحم...، وقيل أنّها تحمّسَت لهذا العمل بواسطة رؤيا أُعلِنَتْ لها، وبعد بحث طويل عن القبر المقدّس عثرَت عليه في مايو سنة 328م، أمّا السّبب في اختفاء مكان القبر المقدّس كما يذكر المؤرّخ الكنسي سقراط (380–450م)؛ فهو أنّ اليهود تعمّدُوا إخفاء معالم هذا المكان بعد أنْ كان يحجّ إليه مسيحيون كثيرون، فكانوا يلقون عليه الأتربة والقاذورات حتّى تكون فوقه ما يشبه الهضبة المرتفعة، وأُقيم فوقها معبد للإله فينوس إمعانًا في إخفاء مصدر إيمان وعزاء المسيحيين، وقد أمرت هيلانة بهدم الهيكل ورفع الأتربة فوجدَت ثلاثة صلبان على مسافة رمية حجر من موضع القبر المقدّس، ووجدت صليب يسوع المسيح وعليه العنوان الذي كتبه بيلاطس البنطي، وقد تأكّدوا من أنّه صليب المسيح لمّا وضعوه على سيّدة مريضة فشُفيَت في الحال،* وكان ذلك بحضور مكاريوس أسقف أورشليم آنذاك.[1]

وأوّل مَن أشار إلى حادثة اكتشاف الصّليب بواسطة هيلانة هو امبروسيوس أسقف ميلان (339–397م) في عِظة له ألقاها سنة 395م، وعن امبروسيوس نقل كلّ من يوحنّا ذهبي الفم بطريرك القسطنطينيّة (347–407م)، وبولينوس الأسقف الفرنسي

* لكن كلّ هذه الأمور تبقى مجرّد تفسيرات وتأويلات وتبريرات مسيحيّة للتّأكيد على العثور الفعلي على صليب المسيح ﷺ، ومن ثمّة المُرور إلى القول بصلبه، لكنّا بيّنا في ما مضى من سطور أنّ عوادي الزّمن والظّروف الطّبيعية لا يمكن أن تبقى معها التّهمة المكتوبة على الصّليب موجودة خصوصًا وأنّه مرّ على هذه الحادثة من حادثة الصّلب حتى عثور هيلانة على الصّلبان الثّلاثة حوالي ثلاثمائة (300) سنة أو أكثر، ثمّ إنّ القول ببركة هذا الصّليب وشفائه للمرضى قضيّة لا سند لها أساسًا، بل إنّ المسيح ﷺ ما كان يفعل ذلك إلّا بإذن الله: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. (آل عمران: 49)، وقد ذكرت الأناجيل كذلك شفاء عيسى للمرضى، حيث جاء في إنجيل مرقس: **[ثمّ غادر يسوع نواحي صور وعاد إلى بحيرة الجليل، مرورًا بصيدا وعبر حدود المُدن العشر، فأحضروا إليه أصمّ معقود اللّسان، وتوسلوا إليه أن يضع يده عليه، فانفرد به بعيدًا عن الجمع ، ووضع إصبعه في أذني الرّجل، ثمّ تفل ولمس لسانه، ورفع نظره إلى السّماء، وتنهّد وقال له: "افتح!" أي انفتح، وفي الحال انفتحت أذناه وانحلّت عقدة لسانه، وتكلّم بطلاقة، وأوصاهم أنْ لا يخبروا أحدًا بذلك، ولكن كلّما أوصاهم أكثر، كانوا يكثرون من إعلان الخبر، وأُهلوا إلى الغاية قائلين: "إنّه يُبدع في كلّ ما يفعل، فهو يجعل الصُمّ يسمعون والخُرس يتكلّمون"**]. (مرقس: 07/ 31–37)، كما ورد في هذا الإنجيل شفاء المسيح لأعمى. (مرقس: 08/ 22–26)، إلى غير ذلك من المعجزات الأخرى التي هي من هذا القبيل، والتي يتوافق فيها القرآن مع الإنجيل.

[1]– الأنبا يوأنس: **المسيحيّة والصّليب**، ص32–33، وينظر أيضًا: القرافي: **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرَّدِّ على المِلَّة الكافرة**، ص146.

(353–431م)، وذكر هذه القصّة المؤرّخان الكنسيان سقراط (380–450م) وتيودوريت (393–458م) الذي ذكر أنّ هيلانة وجدَت في القبر المقدّس المسامير التي سمِّرت بها يدا المسيح ورجلاه، وأرسلتْها إلى ابنِها الإمبراطور قسطنطين الذي ثبَّت مسمارًا منها على الخُوذة الملكيّة التي كان يلبسها وهو خارجٌ لخوض المعارك الحربيّة.[1]

ويقول القدّيس كيرلس الأورشليمي مُثبِتًا العُثُور على الصّليب الذي صُلِب عليه المسيح:

"لقد صُلب المسيح حقًّا، ونحن وإنْ كنَّا ننكر ذلك، فهذه هي الجلجثة تُناقضني التي نحن مجتمعون حولها الآن، وها هي خشبة الصّليب أيضًا تناقضني التي توزّع منها على كلّ العالم...، وخشبة الصّليب تشهد للمسيح، تلك التي نراها حتّى هذا اليوم بيننا، وقد ملأَتْ كلّ العالم بواسطة المؤمنين الذين أخذوا قِطَعًا منها إلى بلادهم".[2]

ويتّفق كلٌّ من تيودوريت وسقراط أنّ هيلانة أرسلَتْ قطعة من خشبة الصّليب إلى القصر الإمبراطوري في القسطنطينيّة، ووضعَت بقيّة الصّليب في تابوت من الفضّة داخل كنيسة القيامة...، والمعرُوف أنّ الإمبراطور قسطنطين أمر بتوزيع قطعٍ من خشب الصّليب المقدّس على كافّة كنائس العالم وقتذاك، وقد احتفظتْ كنيسة روما بقطعة كبيرة...، وظلّتْ خشبة الصّليب المقدّس بكنيسة القيامة حتّى غزا الفُرس الأراضي المُقدّسة، واستولى خسرو الثّاني ملك الفرس سنة 615م على التّابوت الفضّي الذي يضمُّ قطعة الصّليب المقدّس وحمله معه إلى بلاده، وظلّ هناك حتّى استردَّهُ الإمبراطور هرقل سنة 629م، ووُضع في كنيسة القيامة، ومنها إلى القسطنطينيّة سنة 636م خوفًا من وقوعه في أيدي الغُزاة...، ويشهد اركلفوس الذي زار القسطنطينيّة سنة 670م أنّه رأى الصّليب في كنيسة آيا صوفيا...، وبعد ذلك لا يُعلَم ماذا حدَث لما تبقّى من الصّليب المقدّس.[3]

---

[1]– الأنبا يوأنس: **المسيحيّة والصّليب**، ص33.

[2]– **المرجع نفسه**، ص33–34.

[3]– **المرجع نفسه**، ص34–35.

ورغم هذه الرّحلة الطّويلة للصّليب، وتنقُّله أو تنقُّل بقاياه من مكان إلى مكان، ومن كنيسة إلى كنيسة، إلّا أنّ الشّهادات المسيحيّة والمنقولة أعلاه تؤكّد على أنْ لا وجود اليوم لأيِّ جزء من ذاك الصّليب الذي صُلِب عليه المسيح؛ أي أنّه أصبَح مفقُودًا لا أثر له، فأين ذهب أو أين اختفى؟، وماذا يُعظِّم المسيحيون اليوم؟، إنّهم يعظِّمون مجموعة من الصّلبان الأخرى الحديثة بمختلف أشكالها وعلى اختلاف موادّها المصنُوعة منها، والتي لم يكُن لها عهْدٌ مع السّيّد المسيح بتاتًا، ويحاولون من خلالها تِذكار الصّليب الأصلي الذي بُنِيَت عليه المسيحيّة منذ أمد بعيد، وحتّى يكُون هذا الفعْل مقبولًا منهم لابدّ وأنْ يُجيبُوا على فتوى دينيّة مفادها: إذا كان المسيح قد صُلِب على صليب خشبي المادّة، وهذا الصّليب قد اختفى وضاع إلى الأبد؛ فهل يجوز تعويضه –عند إقامة الشّعائر والطّقوس الدّينيّة والتّذكار– بصلبان أُخرى مصنوعة من موادّ شتّى؟، أم أنّه لا يجوز لذلك إلّا الصّليب الخشبي؟!!.

غير أنّ الحقيقة التي لا مناصَ منها حتّى وإن سلّمْنَا جدلًا بالرّوايات المسيحيّة السّالفة الذِّكر بخصوص هذا الشّأن؛ هي تلك التي تقول: بأنّ الصّليب الذي صُلِب عليه السّيّد المسيح في شكلِه الكلّي المُتكامل اختفَى من الوجود منذ وُقوع حادثة الصّلب، ولم يرهُ أحدٌ منذ ذلك الحين؛ لأنّ ما أثبتناه من روايات إنّما أفادنَا بالعُثُور على بعض الأجزاء وبعض القطع منه فقط؛ لذلك واجه ابن القيّم رحمه الله النّصارى بهذه الحقيقيّة المُرّة التي لم يكُونُوا يتصوّرون أنْ يأتي يومٌ ويتعرّضوا لها، وبالتّالي جرّهم إلى التّفكير بما لم يكونوا يفكّرون فيه من ذي قبل.

ولمّا كان المُنشِد لهذه القصيدة أو تاليها ربّما يجد فجوَة بانقطاعٍ في المعنى واللّفظ عند إنشاده للبيت الثّالث والعشرين (23) منها، والذي يقول فيه النّاظم رحمه الله:

فَإِنْ عَظَّمْتَــهُ مِــنْ أَجْـلِ أَنْ قَـــدْ حَــوَى رَبَّ العِبَــادِ، وَقَـــدْ عَــلَاهُ

حيثُ إنّ جواب "إنْ" الشّرطيّة غير وارد فيه، بل إنّه اكتفى بإيراد فعل الشّرط الذي تُنبئ عنه العِبارة التّالية: "أيّها النّصراني، إنْ أنت عظّمْت هذا الصّليب لمجرّد أنّه قد حمل ربَّك على ظهره، وربُّك قد اِستوى على خشباته". فهذا البيت توقّف معناه هنا عند هذه العبارة؛

أي عند فعل الشّرط لـ: "إنْ" الشّرطيّة، وهذا ما يترك القارئ يتساءل عن جوابها، فلا يجده إلّا في البيْت الخامس والعشرين (25) الذي نصّه:

25. فَهَـلَّا لِلْقُبُـورِ سَجَـدْتَ طُـرًّا لِضَـمِّ* القَبْـرِ رَبَّكَ في حَشَـاهُ؟**

(فَهَلَّا لِلْقُبُورِ سَجَدْتَ طُـرًّا)؛ أي: يا أيُّها النّصراني إنْ كُنْتَ تعظِّم الصّليب بحُجّة أنَّ ربَّك صُلب عليه واعتلاه وكان مستقرّ نهايته، فهلّا؛ و"هلَّا حرف تحضيض وتنديم، فإن دخلتْ على المضارع أفادت التّحضيض، وإن دخلَت على الماضي أفادت التّنديم"؛[1] وبما أنّها هنا دخلت على الفعل الماضي، فهي بلا شكّ تفيد التّنديم، أي: أَفلَا سجدت كذلك لكلِّ القُبور التي حَوَتْ جُثث مجموعة من القدّيسين والرّهبان ورجال الدّين، فإنّها جميعها كذلك تستحقّ التّعظيم منك بركوعك عندها والسّجود لها، ما دُمْتَ قد اتّخذْت هذا الأمر ديْدنًا لك وعادة منك، وسننْتَ في ذلك سنّة خاصّة بك وبجماعتك من بعدك؛ والمعنى المُراد؛ جعل النَّصراني يندم على هذا الفعل الشّنيع الذي خالَف به العقيدة الصَّحيحة والشّريعة القويمة والصِّراط المُستقيم؛ بحيث لو عاد المسيح وشاهدَهُ على هذا المُعتَقَد لصرَّح تصريحًا واضِحًا بأنَّه﵇ بريء من كلِّ ذلك براءة الذِّئبِ من دَمِ ابن يعقوب﵇، فأيُّ دينٍ هذا الذي يتبرَّأُ منه نبيُّه ورسوله الذي جاء به.

وابن القيّم هنا، يدعو الطّرف الآخر إلى السّجود للقبُور وتعظيمها؛ قبُور أصحاب المكانة والمنزلة الرّفيعة من رجال الدّين وغيرهم؛ استهزاءً به وسخريّة منه ما دام موطَّنًا على ذلك، ولا يدعوه لذلك من جهة الحثّ والطّلب على الحقيقة؛ لأنّه –أي ابن القيّم﵀؛ عالِم مسلِمٌ مؤمنٌ موحِّدٌ، يعلم تمام العِلم أنّه في العقيدة الإسلاميّة لا يجوز مثل هذا الفعل

---

* ضمَّ يضمُّ ضمًّا، فهو ضامٌّ، والمفعول مضموم وضميم، ضممتُ الأوراق ونحوها؛ قبضتُها أو جمعْتُ بعضها إلى بعض، يُقال: يضمُّ الكتاب مجموعة من القصائد الرّائعة؛ أي يجمعها بين دفَّتيْه، وضمَّ الصُّفوف؛ ألَّف بين النَّاس، وضمّ على يدي؛ قبضها وأمسكها، وضمّ الشّخص إلى صدره؛ عانقه بحنان وعناية، وضمّ الشَّيء إليه؛ أخذه وجذبه إليه. (مختار عمر وآخرون: **معجم اللغة العربيّة المعاصرة**، مج02، ص1369).

** حشَا مُفرد جمعه أحشاء، حشًا ما دون الحجاب الحاجز ممّا يلي البطن، أو الخصر والمعنى الجوف والدّاخل والوسط والنَّاحيَّة... .(أحمد مختار عمر وآخرون: **معجم اللغة العربيّة المعاصرة**، مج01، ص504).

[1]– مصطفى الغلاييني: **جامع الدّروس العربية**، ج03، ص578.

الذّميم المُنافي للتّوحيد نهيًا شاملًا شديدًا غليظًا،* حتّى لا يُترك مجال لتغلغُل الشِّرك إلى أيّ أحد من المسلمين المؤمنين الموحّدين.

وعِلّة هذه الدّعوة –أي دعوة ابن القيّم للنّصراني إلى السّجود للقبور وتعظيمها– منوطة بكوْن اعتقاد النّصارى أنّ المسيح الذي يعتبرونه إلهًا قد مَكَثَ في القبر بِضعة أيّام بعد الصّلب في القبر، وهي الحقيقة التي أشار إليها النّاظمﷺ بقوله: **(لِضَمِّ القَبْرِ رَبَّكَ في حَشَاهُ)**، وهذا الشّطر هو جواب "هلّا" الاستفهاميّة التّنبيهيّة التّنديميّة التي أُفتِتح بها هذا البيْت، والمعنى: أفلا تسجد أيُّها النّصراني للقبُور جميعًا، ما دام أنّ القبر قد كان ذات يومٍ مُستودع جثّة ربَّك السّيّد المسيح؟، وذلك هو اعتقادك الجازم فيه الذي لا تستطيع إنكاره أو الرُّجوع عنه في أيّ حالٍ من الأحوال.

وإذا ثَبَتَ عند المسيحيين أنّ المسيح ﷺ –من خلال الشّواهد السّالفة الذّكر في شرح البيت الثّالث عشر (13) من هذه القصيدة– قد حلّ في القبر فعلًا، فإنّ ابن القيّم دعاهم إلى السّجود لذلك القبر وعبادته، فهو أحقُّ أنْ يعظَّم؛ كونه ضمّ ربّهم فاستطاع على الرّغم من صِغر حجمه وضيقه احتواءَه بين جنَبَاتِه، وهذه مزيّة يمتاز بها هذا القبر عن بقيّة القبور؛ فهو –على الأقل– تمكَّن من حصْرِ إلههم في مكان محدود يبصرونه بأعينهم ويتحسّسونه بأيديهم، فيُريحهم من عناء البحث عنه في أمكنة أخرى.

---

*لقد نهى الإسلام نهيا شديدًا عن تعظيم القبور والغلوّ فيها والاعتقاد في أصحابها مهما كانوا؛ لأنّ الغلوّ فيها يُصيّرها أوثانًا تُعبد من دون الله؛ أي يؤول الأمر بالغالين أن يعبدوا هذه القبور وأصحابها، والقبور لها حقٌّ علينا من وجهيْن: **الأوّل:** أن لا نفرّط فيما يجب لها من الاحترام، فلا تجوز إهانتها ولا الجُلوس عليها، وما أشبه ذلك، **الثّاني:** أن لا نغلو فيها فنتجاوز الحدّ، قال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه لأبي الهياج الأسدي: "ألا أبعثك على ما بعثن عليه رسول اللهﷺ؟؛ أنْ لا تدع تمثالًا إلّا طمسته، ولا قبرًا مُشرفًا إلّا سوّيته"، والقبر المُشرف: هو الذي يتميّز على سائر القبور، فلا بدّ أنْ يُسوّى ليساويها لئلّا يُظنّ أنّ لصاحب هذا القبر خصوصيّة ولو بعد زمن؛ إذا هو وسيلة إلى الغلوّ فيه، وقد وردت في هذا الباب جملة من الأحاديث، منها قوله عليه الصّلاة والسّلام: "**اللهمّ لا تجعل قبري وثنًا يُعبَد، اشتدّ غضب الله على قومٍ اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد**"، وقوله أيضًا: "**لعن الله اليهود والنّصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد**"، وقول ابن عبّاسرضي الله عنهما: "**لعن رسولﷺ الله زائرات القُبور، والمُتّخذين عليها المساجد والسُّرج**"؛ لذلك لا تجوز عبادة القبور بأيّ نوع من أنواع العبادة كالطّواف حولها أو السّجود لها أو الذّبح لها أو إسراجها أو تجصيصها أو التّبرّك بها أو أرفعها عن الأرض أو تعظيم أصحابها بأيِّ شكلٍ من الأشكال... . (ابن عثيمين: **القول المفيد على كتاب التّوحيد**، ص243–264).

لكنّ المشكلة التي تواجههم بخصوص هذا الشّأن أكبر من ذلك كلّه، وأشدّ مضاضة، وهي لم تخْفَ على ابن القيّم، لكنّه أراد الاستهزاء بمعتقداتهم السّخيفة، والاستخفاف بعقولهم المتحجّرة؛ إنّها معضلة أنّ القبر –أي قبر المسيح– على فرْض وجوده فعلًا كحقيقة ملموسة– فارغٌ ولا يحتوي على جسد المسيح؛ لأنّ هذا الأخير تغلّب على الموت؛ فخرج من قبره وتركه فارغا خاويًا على عروشه، حيث تروي الأناجيل أنّ النّسوة بعدما صُلب المسيح ومات ووُضع في القبر؛ زُحْن لزيارة القبر المقدّس، فلمّا وصلْن إليه وجدْنَه فارغًا غير محتوٍ على جثّة المسيح، بل وجدْن ملاكًا أخبرهنّ بأنّ المسيح عيسى قد قام من بين الأموات وعاد إلى الحياة، فترك القبر وذهب ليلتقي بتلاميذه مرّة أخرى، فالتقيْن به شخصيًّا وهنّ في طريقهنّ لإخبار تلاميذه بما حصل له، وخاطبَهنّ خِطَاب الحيّ للحيّ.[1]

فإذا كان القبر فارغًا وليس فيه جثّة المسيح –كما أخبرت الأناجيل بذلك–، فكيف يدعو ابن القيّم رحمه الله النّصارى إلى السُّجود لقبر فارغ خالٍ؟، فلمَن يسجدون؟، ومَن يعظّمون؟، الصّخور أم الحجارة أم الفراغ المتخلّل بينها؟، أم أنّهم يسجدون لهذه الحفرة لأنّها تذكّرهم بربّهم أو إلههم الذي وُضع ذات يوم فيها؟، وأيُّ إله هذا الذي حوثه هذه الحفرة ؟، لا شكّ أنّه محدود الحجم، مغلوبٌ على أمره، وفإنْ كان كذلك، فكيف تُسَلِّم العقول البشريّة بالسُّجود له تعظيمًا؟، أم أنّ أصحابها على قلُوب أقفالها؟، بل كان الأولى بهم أنْ يسجدوا لمَنْ قبضُوا عليه وعذّبوه وصلبُوه وأماتوه ووضعوه في هذه الحفرة الواهنة!!!.

وقد يكون المعنى المُراد بالقَبر هنا في قوله: **(لضمّ القبر ربَّك في حشاه)**؛ الصَّليب، حيث إنّ سياق هذه الأبيات ابتداء من البيت الثّامن عشر (18) إلى آخر بيت من هذه القصيدة يتحدّث عن تعظيم الصّليب لدى النّصارى، فلا يمتنع –والحال هذه– أن يكون المقصود بالقبر؛ الصّليب ما دام أنّه كان المثوى الأخير للمسيح عليه السلام في اعتقاد النّصارى، فضُمِّن معنى القبوريّة، ولكونه مُعظَّمًا عند هؤلاء القوم كتعظيمهم لقبر المسيح أو أشدّ تعظيمًا، والله أعلم.

[1]– متّى: 28/ 01–06، مرقس: 16/ 10–07.

26. فَيَــا عَبْــدَ المَسِيــحِ أَفِــقْ*، فَهَــذَا بِدَايَتُـــــهُ، وَهَـــــــذَا مُنْتَهَـــاهُ

عوْدًا على بدْءٍ، وبعد مجادلة النّصارى في قضيّة زعم صلب المسيح ﷺ وادّعاء إلوهيته وربوبيته، وإدْحاض كلّ ذلك بأسلُوب استفهاميّ تهكّمي، ينادي ابن القيّم رحمه الله هؤلاء بصيغة المُفرَد منسوبًا للمسيح: **(فَيَا عَبْدَ المَسِيحِ)**، ليكون الخِتام فيه إصرارٌ على ما كان مبدوءًا به في أوّل هذه القصيدة، وذلك للتّأكيد على غِلظتِهم في هذا الاعتقاد أو هذا الادّعاء، غير أنّ الفرْق كامِنٌ في تغيير صيغة الخِطاب من الجمْع إلى المفرد؛ ففي البيت الأوّل من هذه القصيدة كان النّداء بصيغة الجمع **(أَعُبَّادَ المَسِيحِ)**، وفي البيت الأخير منها كان بصيغة المفرد **(فَيَا عَبْدَ المَسِيحِ)**، وكامنٌ أيضا في تغيير أداة النّداء؛ حيث استعمل في البيت الأوّل أداة النّداء **(أ)** واستخدم في البيت الأخير أداة النّداء **(يا)**، وإذا كانت الهمزة **(أ)** للمنادى القريب، والياء **(يا)** لكلّ منادى؛ قريبًا كان أو متوسِّطًا أو بعيدًا،[1] فإنّ ابن القيّم في هذا البيت ربّما استخدمها للبعيد، بعدما استعمل الهمزة **(أ)** في البيْتيْن الأوّل (01) والثّامن عشر (18) من هذه القصيدة، وتفسير ذلك أنّهم كانوا _أي النّصارى_ قريبين منه عند بداية مخاطبته لهم؛ فناداهم بالهمزة استلطافًا لهم واستمالة لقلوبهم وتودُّدًا إليهم، فلمّا بكتهم وهوّل من فظاعة ما ارتكبوه من آثام وخطايا عقائديّة، أحسّ بابتعادهم عنه، وتقاصيهم عن نصائحه ووصاياه لهم؛ ناداهم كما ينادَى الشّخص البعيد، وأيًّا كان الأمر، فإنّ في هذا النّداء تذكيرٌ وتعييرٌ لهم بعبوديتهم للمسيح لاعتقادهم في شخصه أنّه الرّبّ المَربُوب والإله المعبود، فكأنَّ ابن القيّم يقول:

يا أيُّها الإنسان، يا مَن اتّخذْتَ من المسيح ﷺ ربًّا وإلهًا من دون الله، ويا مَن عظّمتَ الصّليب فعبدّته وسجدَّت له، إنّكَ في غفلة من أمرك، بل إنّك في غيبوبة مغيّبة للعقل، وسُبَاتٍ مُذهِبٍ للإدراك، وإلّا لما كُنْتَ تتخبّط في لُجج الجَهَالَة العَمْيَاء وظلُمات العمَى؛ فتجيءَ بالتّرّهات والأقاويل المُخالفة للحقيقة الرّبّانيّة المبثُوثة في الكُتب السّماويّة الحقّة

---

* أَفَاق يفيق أَفِقْ إِفَاقةً فهو مُفيقٌ، والمفعول مُفَاقٌ منه، أَفَاقَ من نومته؛ استيقظَ، صحَا وعاد إلى طبيعته بعْد إغماءةٍ أو سَكْرَةٍ، أفاق من مرضه، شُفِيَ، أَفَاقَ من جنونه؛ رجعَ إليه عقله، أَفاقَ من غفلته؛ انتبَه إلى ما يُدبَّرُ له من شرٍّ، أفاق الزَّمان؛ جاء بالخِصب بعد الضّيق. (أحمد مختار عمر وآخرون: **معجم اللّغة العربيّة المعاصرة**، مج03، ص1754).

[1]– مصطفى الغلاييني: **جامع الدّروس العربيّة**، ج03، ص502.

التي لم تلحقْها أيدي التّحريف والتّغيير والتّبديل، وعليْك أنْ تفيق من هذه الغفلة، وتستيقظ من هذا السُّبَات الذي طغَى على قلْبِك وعقْلِك وجعَلَ على بصَرِك غِشَاوة فغطّى وعمّى عليك الحقيقة؛ فأصبحْت كالأعمى المجنون الأبله الأحمق، لا تبصر الأمور كما هي في واقعها الحقيقي والتّاريخي من غير تحريف ولا تشويه، بل إنّك تُصوِّب الخطأ المخالف للحقيقة، وتخطّئ الصّواب المطابق للواقع، وهذا خِلافُ الإيمان ونقيضه.

فيا مَن أنت عبدٌ للمسيح أفِقْ من كلّ هذا الذي أنت واقعٌ فيه، **(فَهَـذَا بِدَايَتُـهُ، وَهَـذَا مُنْتَهَاهُ)**؛ أي أنّ هذا الذي قصصته عليه في هذه الأبيات (من البيت الثَّامن عشر (18) إلى البيت الخَامِسِ والعشرين (25)) من أمْرِ الصّليب؛ كما هو اعتقادك فيه ونظرتُك إليه، وقولي لك فيه ما قُلتُ حسب تصوّري الإسلامي المُعارض لقوْلِك واعتقادِك بخصوص هذا الموضوع، وما تضمّنته هذه الأبيات من معاني مستفيضة في ذلك؛ إنّ جميع هذا هو مختصر بداية الصّليب ونهايته، فإن كان في نظرك يستحقّ العبادة منك، والتّعظيم والتّقديس والرّفع والعُلو والافتخار، وإقامة التّذكار له، والاحتفال به في كلّ موضع وموقع، واتّخاذه شعارًا لديانتك يُصاحبك أينما كنتَ وفي أيّ مكان حلَلْتَ...، فهو عندي ليس بشيء أصلًا، إنّما هو مَركَب ملعونٌ مخلوقٌ مصنوع لا اعتبار له ولا قيمة ولا مقدار؛ فمعاملته لا تكون بالسّجود والتّعظيم وإنّما بالإهانة رميًا ودوْسًا وكسرًا أو حرقًا، ومن أجل هذا كلّه فنحن المسلمين لم يرد في تراثنا أيّة إشارة إليه بالتّعظيم أو التّقديس، وعليه فالمعنى في جميع ما سَبَقَ يعود على الصَّلِيب خاصّة وأَنَّ السّياق يدلّ على ذلك؛ لأنّ هذا البيت مرتبط بما سبقه من أبيات في هذا الجُزء، وقد يكون المعنى عائِدًا على المسيح عليه السلام لا على الصَّليب، فيكون هذا البيت بمثابة الخُلاصَةِ للقصيدة ككُلّ؛ فهو مِطْوَاعٌ؛ بحيث يُمكن تَطْوِيعُه ليَشْمُل هذين الرّأيين كليْهِما، وعلى وِفْقِ الرّأي الأخير يكون المعنى: أَيَا أيُّها النّصراني العابد للمسيح؛ إنّ هذا الذي قصَصْته عليك في الأبيات السّابقة جميعها رادًّا على مُعْتَقدك الفاسد في تَأْلِيهِ المسيح وجعْلِه رَبًّا وكذا قولك بصَلْبِه وموته وقِيامته؛ ذلك هو بدايه المسيح وشأنه كلُّه في تصوّرك، وتلك هي نِهايته في مخيِّلتك، ويُحتَمَل أنّ يكون المعنى المُراد: يا أيُّها المسيحي خُذ معتقدي أنا المُسلم في المسيح عيسى عليه السلام بخُصوص بِدايته ونِهايته، وهو مخالِفٌ بالكُلِّيَّة التَّامَّة لاعتقادك فيه.

وسواء كان هذا أو ذاك، وتفسيرًا لهذا البيْت المختصر والغامض في معناه، حيث لم يحمل في مفرداته إلَّا إشارة بعيدة لا تفِي بالغَرض المطلوب، وتوضيحًا لهذه القضيّة؛ يستلزم منّا الأمر الوُقُوف على بداية المسيح ونهايته في تصوّر النّصارى (المسيحيّين)، وكذا بدايته ونهايته في تَصوّر المُسلمين؛ لإحداث مقارنة ذِهنيّة في هذا المجال الخاصّ بهذه الشّخصيّة الكريمة بين التَّصّوريْن في فِكر واعتقاد أتباع الدّيانتيْن، حيث إنّ الاختلاف بينهما في هذا الشّأن هو السِّمة الغالبة والحَاضرة بقوّة، وذلك في فَصْلٍ مستقِلّ عن الفصليْن السّابقين، نظرًا لِما لهذا الموضوع من أهمّيّة كبيرة عند كلا الفريقيْن، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى؛ نَودُّ إجراء مقارنة في هذا الموضوع بين المُعْتَقَدَيْن المسيحي والإسلامي، حيث إنّ القصيدة التي نحن بصدد شَرْحِها أشارت إلى ذلك في جميع أبياتها، وعليه فالفصل المُوالي هو بمثابة استخلاص توضيحي مُزدوج (إسلامي–مسيحي) لجميع ما جاء فيها من أفكار ومعاني.

الفَصْلُ الثَّالِثُ: بِدَايَةُ المَسِيحِ عليه السلام ونِهَايَتُهُ في النَّصْرَانِيَّةِ والإِسْلَامِ

أوّلًا- بداية المسيح عليه السلام ونهايته في النّصرانيّة (المسيحيّة):

أمّا بداية المسيح ونهايته في النّصرانيّة (المسيحيّة) وكما يتصوّرهما أتباع هذه الدّيانة، فقد أَوْفينَاها حقَّها من البحث والتّوضيح عند شرْحِنا لجميع أبيات هذه القصيدة، غير أنّه ورغبة منّا في تبصير القارئ بحقيقة المسيح عند النّصارى سنُورِد مُقابلتيْن بشأن هذا الخُصوص؛ الأولى بين المسيح عندهم كما يتصوّرون بدايته ونهايته من خلال مصادرهم وبين بداية ونهاية كرشنا كما يراها الهنود في تراثهم، والثّانية بين المسيح وبوذا بالصّورة والطّريقة ذاتها:

المُقابلة الأولى: بين كرِشْنَا والمسيح:[1]

أقوال الهنود الوثنيين في "كرشنا" ابن الله	أقوال النّصارى المسيحيين في"يسوع المسيح"ابن الله
البدايـــــــــــــــــــــــــــــــــة	
01- قد مجّد الملائكةُ "ديفاكي" والدة كرشنا ابن الله، وقالوا: "يحقّ للكون أنْ يُفاخر بابن هذه الطّاهرة".	01- دخل المَلاك على "مريم العذراء" والدة يسوع المسيح، وقال لها: "سلام لك أيُّها المُنعَمُ عليها، الرّبُّ معك".
02- عرف النّاس وِلادة كرشنا من نجمِه الذي ظهر في السّماء.	02- لمّا وُلِد يسوع ظهر نجمُه بالمشرق، وبواسطة ظهور نجمه عرَف النّاس محلّ وِلادته
03- لمّا وُلد كرشنا سبَّحَتْ الأرض، وأنارها القمر بنوره، وترنَّمت الأرواح، وهامَتْ ملائكة السّماء فرَحًا وطربًا، ورتَّل السَّحاب بأنغام مطربة.	03- لمّا وُلِد يسوع المسيح رتّل الملائكة: فرحًا وسرورًا، وظهرت من السّحاب أنغامٌ مطرِبة.

[1]- محمّد بن طاهر التّنير البيروتي: **العقائد الوثنيّة في الدّيانة النّصرانيّة**، ص185-195، وسعيد عبد العظيم: **دعوة أهل الكتاب لدِين ربّ العباد**، ص16–23، ومحمّد أبو زهرة: **الدّيانات القديمة**، ص30–42.

04- كان كرشنا من سُلالة ملوكانيّة، ولكنّه وُلِد بغار في حال الذُّلِّ والفقر.	04- كان يسوع المسيح من سُلالة ملوكانيّة، ويدعونه "ملك اليهود"، ولكنّه وُلِد في حال الذُّلِّ والفقر بغار.
05- لمّا وُلِد كِرشنا أُضيء الغار بنورٍ عظيم، وصار وجه أمّه "ديفاكي" يُرسِل أشعّة نور ومجد.	05- لمّا وُلد يسوع المسيح أُضيء الغار بنور عظيم أعيا بلمعانِه عينيْ القابلة وعينيْ خطيب أمّه "يوسف النّجّار".
06- ومن بعد ما وضعته صارتْ تبكي وتندُب سوء عاقبة رسالته؛ فكلَّمها وعزَّاها.	06- وقال يسوع المسيح لأمّه وهو طفل: "يا مريم أنا يسوع ابن الله، وجئتُ كما أخبركِ جبرائيل الذي أرسله أبي إليكِ، وقد أتيْتُ لأُخلِّص العالم".
07- وعرفتْ البقرة أنّ كرشنا إله وسجدت له	07- وعرَف الرُّعاة يسوع وسجدوا له.
08- آمَن النّاس بكرشنا واعترفُوا بلاهوته، وقدّمُوا هدايا من صِندل وطيب.	08- وآمَن النّاس بيسوع وقالوا بلاهوته، وأعطوْه هدايا من طِيب ومر.
09- وسمِع نبيُّ الهنُود "نارد" بمولِد الطّفل الإلهي كرشنا، فذهب وزاره في "توكول"، وفحص النَّجم، فتبيّن له من فحصها أنّه مولودٌ إلهيّ يُعبَد.	09- ولمّا وُلِد يسوع في "بيْت لحم" اليهوديّة في أيّام هيرودس الملك إذ المجوس من المشرق قد جاؤوا إلى أورشليم قائلين: "أين هو المولود ملك اليهود؟".
10- لمّا وُلِد كرشنا كان "ناندا" خطيب أمّه "ديفاكي" غائبًا عن البيْت، حيث أتَى إلى المدينة كيْ يدفع ما عليه من الخَرَاج للملك.	10- ولمّا وُلِد يسوع كان خطيب أمّه غائبًا عن البيْت، وأتى كيْ يدفع ما عليه من خَرَاج للملك.
11- وُلِد كرشنا بحال الذُّلِّ والفقر مع أنّه من عائلة ملوكانيّة.	11- وُلِد يسوع المسيح بحال الذُّلِّ والفقر مع أنّه من سُلالة ملوكانيّة.
12- وسمع "ناندا" خطيب أمّه "ديفاكي" والدة كرشنا نداءً من السّماء يقول له: "قُم وخذ الصّبيّ وأُمّه فهرّبهما إلى كاكول، واقطع "نهر جمنة"؛ لأنّ الملك طالب إهلاكه".	12- وأنذر "يوسف النّجّار" خطيب "مريم" والدة يسوع بحُلم كيْ يأخذ الصّبيّ وأُمّه ويفرّ بهما إلى مصر؛ لأنّ الملك طالبٌ إهلاكه.

13- وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنا الطّفل الإلهي فطلب قتْل الولد، ولكيْ يتوصّل إلى أُمنيته أمر بقتل كافّة الأولاد الذّكور الذين ولدُوا في اللّيلة التي ولِد فيها كرشنا.	13- وسمع حاكم البلاد بولادة الطّفل يسوع الإلهي فطلب قتله، ولكيْ يتوصّل إلى أُمنيته أمر بقتْل كافّة الأولاد الذين ولِدوا في اللّيلة التي ولِد فيها يسوع المسيح.
14- واسم المدينة التي ولِد فيها كرشنا "مطرا"، وفيها عمِل الآيات العجيبة، ولم تزل محلّ التّعظيم والاحترام عند الهنُود العابدين للأوثان القائلين عن كرشنا: "إنّه ابن الله وإنّه الله إلى يومنا هذا".	14- واسم المدينة التي هاجر إليها يسوع المسيح في مصر لمّا ترك اليهوديّة "المطرية"، ويُقال: إنّه عمل فيها آيات وقواعد عديدة.
15- كانت وِلادة القدّيس "راما" قبل ظهور كرشنا في النّاسوت بزمن قليل، وقد سعى "قانسا" ملك البلاد في إهلاك القدّيس "راما" وإهلاك كرشنا أيضًا.	15- وكانت وِلادة "يوحنّا المعمدان" قبل ولادة يسوع المسيح بزمن قليل، وقد سعى الملك "هيرودس" في إهلاك يوحنّا كما سعى في إهلاك الطّفل يسوع المسيح، وكان يوحنّا مبشّرًا بولادة يسوع المسيح.
16- ورُبِّيَ كرشنا بين الرُّعاة، ولمّا جيء به إلى "مطرا" كان في احتياج عظيم إلى التّعليم؛ فأُتي له بمعلّم خبير، وفي وقت قليل فاق على أستاذه في العلوم، وأعياه في المسائل العلميّة السّنسكريتيّة الدّقيقة.	16- وأُرسل يسوع المسيح إلى المعلّم "زاخوس" كيْ يعلّمه، فكتب له أحرف: ألف باء، وقال ليسوع: " قل: ألف"، فقال الرّبّ يسوع: "أخبرني أوّلًا عن معنى حرف الألف ومن بعده أقول حرف الباء"، فتهدّد المعلّم يسوع بالضّرب، فقام يسوع وفسّر معنى حرف الألف والباء وأخبره عن الحروف المستقيمة، والحروف المُنحنية، والحروف المثنّاة والتي لها نقاط وحركات، والتي ليس لها نقاط، ولماذا وُضعت في هذا التّرتيب؛ أي بعض الحروف قبل غيرها، وطفِق يخبره عن أشياء لم يسمع بها المعلّم من قبل، ولم يقرأْها في كتاب.
النّهايـــــــــــــــــــة	
01- كِرشنا صُلب ومات على الصّليب.	01- يسوع صُلب ومات على الصّليب.

02- لمّا مات كرشنا حدثتْ مصائب وعلامات شرّ عظيم، وأحاطَ بالقمر هالة سوداء، وأظلمَتْ الشّمس في وسط النّهار، أمطَرَتِ السّماء نارًا ورمادًا، وتأجّجتْ أشعّة نار حامية، وصارت الشّياطين تُفسد في الأرض، وشاهَدَ النّاس أُلوفًا من الأرواح في جوّ السّماء يتراوحون صباحًا ومساءً وكان ظهورها في كلّ مكان.	02- لمّا مات يسوع حدثتْ مصائب جمّة متنوّعة، وانشقّ حِجاب الهيكل من فوق إلى تحت، وأظلمتْ الشّمس من السّاعة السّادسة إلى السّاعة التّاسعة، وفُتِحَتْ القُبور، وقام كثيرون من القدّيسين، وخرجوا من قبورهم.
03- وثُقِب جنْبُ كرشنا بحِربة.	03- وثُقِب جنْبُ يسوع بحِربة.
04- وقال كرشنا للصّيّاد الذي رماه بالنّبلة وهو مُصلُوب: "اذهبْ أيُّها الصّيّاد محفوفًا برحمتي إلى السّماء مسكن الآلهة".	04- وقال يسوع لأحد اللّصّيْن اللّذيْن صُلِبا معه: "الحقّ أقول لك: إنّك اليوم تكون معي في الفِردوس".
05- ومات كرشنا، ثمّ قام من بيْن الأموات.	05- ومات يسوع، ثمّ قام من بيْن الأموات.
06- ونزل كرشنا إلى الجحيم.	06- ونزل يسوع إلى الجحيم.
07- وصعد كرشنا بجسده إلى السّماء، وكثيرون شاهدوه صاعِدًا.	07- وصعد يسوع بجسده إلى السّماء، وكثيرون شاهدوه صاعِدًا.
08- ولسوف يأتي كرشنا في اليوم الأخير، ويكون ظهوره كفارِس مُدجَّج بالسّلاح، وراكب على جوادٍ أشهب، وعند مجيئه تُظلم الشّمس والقمر، وتُزلزَل الأرض، وتهتزّ وتتساقط النّجوم من السّماء.	08- ولسوف يأتي كرشنا في اليوم الأخير، كفارِس مُدجَّج بالسّلاح، وراكب على جوادٍ أشهب، وعند مجيئه تُظلم الشّمس والقمر، وتُزلزَل الأرض، وتهتزّ وتتساقط النّجوم من السّماء.
09- وهو -أي كرشنا- يُدين الأموات في اليوم الأخير.	09- ويُدين يسوع الأموات في اليوم الأخير.
10- كرشنا الألف والباء، وهو الأوّل والوسط، وآخر كلّ شيء.	10- يسوع الألف والباء، وهو الأوّل والوسط، وآخر كلّ شيء.

بعد هذه المقابلة بين هاتيْن الشّخصيتين في بِدايتيْهما ونهايتيْهما، نلاحظ جليًّا التّطابق الكبير بينهما في شتّى النّقاط المُشار إليها في الجدول أعلاه، سواء بالنّسبة إلى البداية أو النّهاية، حيث إنّ المُطّلع على سيرة هذين الرّجلين؛ سيُخيّل إليه أنّه أمام سيرة شخص واحد، فالسّيرة ذاتها؛ فهي سيرة كرشنا، وفي الوقت ذاته سيرة المسيح، وإنْ يكُن هناك من فرق بينهما؛ فهو يكمن في اختلاف المرحلة الزّمنيّة، حيث تواجد كلٌّ منهما في مرحلة زمنيّة معيّنة، وأيضًا اختلاف الجهة المكانيّة، على اعتبار أنّ كلًّا منهما عاش في مكان محدّد وبيئة معيّنة، وكذلك الاختلاف في أسماء الأشخاص والأماكن، وهذا أمرٌ طبيعي.

المُقابلة الثّانية: بين بُوذَا والمسيح:[1]

أقوال الهنود الوثنيين في "بوذا" ابن الله	أقوال النّصارى المسيحيين في "يسوع المسيح" ابن الله
البِدايـــــــــــــــــــــــــــــة	
01- وُلد "بوذا" من العذراء "مايا" بغير مضاجعة رجل.	01- وُلد "يسوع المسيح" من العذراء "مريم" بغير مضاجعة رجل.
02- كان تجسيد بوذا بواسطة حلول "روح القدس" على العذراء "مايا".	02- كان تجسيد يسوع المسيح بواسطة حلول "روح القدس" على "العذراء مريم".
02- لمّا نزل بوذا من مقعد الأرواح، ودخل في جسد العذراء "مايا"، صار رحمها كالبلّور الشّفّاف النّقي، وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة.	02-لمّا نزل يسوع من مقعده السّماوي ودخل في جسد "مريم العذراء"، صار رحمها كالبلّور الشّفّاف النّقي، وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة.
03- وقد دلّ على وِلادة بوذا نجمٌ ظهر في أُفق السّماء، ويدعونه: (نجم بوذا).	03- وقد دلّ على وِلادة يسوع نجمٌ ظهر في المشرق، وقال دوان: "من الواجب أنْ يُدعى (نجم يسوع)".
04- وُلِد بوذا ابن العذراء "مايا" التي حلّ فيها الرّوح القدس يوم عيد الميلاد (أي في 25 كانون الأوّل).	04- وُلِد يسوع ابن العذراء "مريم" التي حلّ فيها الرّوح القدس يوم عيد الميلاد (أي في 25 كانون الأوّل).

[1]- محمّد بن طاهر التّنير البيروتي: **العقائد الوثنيّة في الدّيانة النّصرانيّة**، ص203-210، وسعيد عبد العظيم: **دعوة أهل الكتاب لدِين ربّ العباد**، ص28-33.

05- لمّا وُلِد بوذا فرِحت جنود السّماء، ورتّلتْ الملائكة أناشيد المجد للمولود المُبارك قائلين: "وُلِد اليوم بوذا على الأرض، كيْ يعطي النّاس المسرَّات والسَّلام، ويرسل النّور إلى المحلّات المُظلمة، ويهب بصرًا للعمي.	05- لمّا وُلد يسوع فرحتْ ملائكة السّماء والأرض، ورتّلتْ الأناشيد، حمدًا للواحد المُبارك، قائلين: المجد لله في الأعلى، وعلى الأرض السّلام، وبالنّاس المسرّة.
06- وعرف الحُكماء بوذا، وأدركوا أسرار لاهوته، ولم يمضِ يومٌ على ولادته حتّى حيّاه النّاس ودعوْه إلهًا.	06- وقد زار الحُكماء يسوع وأدركوا أسرار لاهوته، ولم يمضِ يومٌ على وِلادته حتّى دعوْه إله الآلهة.
07-وأهدوا بوذا وهو طفل هدايا من مجوهرات وغيرها من الأشياء الثّمينة.	07- وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب وطيب ومر.
08- لمّا كان بوذا طفلًا قال لأُمّه "مايا": "إنّه أعظم النّاس جميعًا".	08- لمّا كان يسوع طفلًا قال لأُمّه مريم: "أنا ابن الله".
09- كان بوذا ولدًا مُخيفًا، وقد سعى الملك "بميسارا" وراء قتْله لمّا أخبروه أنّ هذا الغلام سينزع الملك من يده إن بقي حيًّا.	09- كان يسوع ولدًا مخيفًا، فسعى الملك هيرودس وراء قتْله كيْلا ينزع الملك من يده.
10- ويصِلون نسب كوتاما بوذا من أبيه "صدودانا" في أُناس كلّهم من سلالة ملوكانيّة إلى "ماها سماطا"، وهو على زعمهم أوّل ملك صار في الدّنيا، والحوادث والأنساب المذكورة في كتاب "بيوراز" البرهمي وُجد في أنسابه، غير أنّه لا يمكن تحقيق الحوادث ونسبتها مع غيرها، وسبب ذلك هو أنّ مؤرّخي البوذيّة اخترعوا فيها تمكّنهم من إعلان نسب حكيمهم فوق اعتبارهم إيّاه إلهًا.	10- ويعدُّون سلالة يسوع من أبيه يوسف في أشخاص مختلفين، وكلّهم من سلالة ملوكانيّة إلى آدم أبي البشر، وكثيرٌ من الأسماء والحوادث المذكورة في سلالته مذكورة في "التّوراة" كتاب اليهود.
11- لمّا أُرسل بوذا إلى المدرسة أدهشَ الأساتذة وفاق الجميع في الكتابة، والرّياضيات، والعلوم العقليّة، والهندسة، والتّنجيم، والكهانة والعرافة.	11- لمّا أُرسل يسوع إلى المدرسة أدهش أستاذه زاخوس، وقال لأبيه يوسف: "لقد أتيْتني بولدٍ لأُعلّمه مع أنّه أعلم من كلّ معلّم".

النّهايـــــــــــــــــــــــة	
01- لمّا مات بوذا ودُفِن؛ انحلّت الأكفان، وفُتِح غطاء التّابوت بقوّة غير طبيعيّة (أي بقوّة إلهيّة).	01- لمّا مات يسوع ودُفِن؛ انحلّت الأكفان، وفُتِح القبر بقوّة إلهيّة.
02- وصعد بوذا إلى السّماء بجسده لمّا أكمَل عمله على الأرض.	02- وصعد يسوع بجسده إلى السّماء من بعد صلبه لمّا أكمَل عمله في الأرض.
03- ولسوف يأتي بوذا مرّة ثانيّة إلى الأرض، ويُعيد السّلام والبركة فيها.	03- ولسوف يأتي يسوع مرّة ثانيّة إلى الأرض، ويُعيد السّلام والبركة فيها.
04- وسيدين بوذا الأموات.	04- وسيدين يسوع الأموات.
05- بوذا الألف والباء، ليس له انتهاء، وهو الكائن العظيم، الواحد الأزلي.	05- يسوع الألف والباء، ليس له انتهاء، وهو الكائن العظيم، الواحد الأبدي.

بعد عقد هذه المقابلة بين بُوذا والمسيح في بدايتيْهما ونهايتيْها، فإنّ الملاحظة المُمكن ملاحظتها هي الملاحظة ذاتها التي رأيناها عند المقابلة بين كرشنا والمسيح، وعليْه فإنّ النّتيجة المُستخلصة في كلتا المُقابلتيْن هي المُقِرّةُ بأنّ الدّيانة النّصرانيّة تأثّرت تأثُّرًا كبيرًا بالدّيانات والعقائد الوثنيّة وخاصّة الهنديّة (الهندوسيّة والبوذيّة)، وذلك انطلاقًا من أنّ هذه الدّيانات أقدم ظهورًا من النّصرانيّة، ومعروفٌ بداهة أنّ السّابق هو الذي يؤثّر في اللّاحق؛ بمعنى أنّ اللّاحق يأخذ عن السّابق، وهذا ما حصل فعلًا للدّيانة النّصرانيّة التي أخذت من الدّيانات الهنديّة وغيرها من الدّيانات الوثنيّة، وإلّا، فمن أين دخلت عقيدة التّثليث إلى النّصرانيّة (وهي في الأصل ديانة سماويّة توحيديّة كالإسلام واليهوديّة) إنْ لم تكُن قد أخذتها عن الهندوسيّة، حيث تقول كلّ منها بثلاثة آلهة؛ فثالوث الهندوسيّة المقدّس هو: (براهما، فشنو، سيفا)، وثالوث النّصرانيّة المقدّس هو: (الآب، الابن، الرّوح القدس)، وهذه العقيدة لا تقتصر عليهما فقط، بل هناك ديانات أخرى تقول بها.

ثانياً- بداية المسيح ﷺ ونهايته في الإسلام:

يعود المُسلمون –بدرجة أولى– في اِستقاء المعلومات عن الأقوام الأولى البائدة والغابرة أو حتّى القديمة التي لا تزال موجودة حاضرًا بكيانها أو تأثيرها، وكذا عن الأشخاص السّابقين كالأنبياء والرّجال الصّالحين وذوي المكانة في أقوامهم، إلى القرآن الكريم؛ المصدر الأوّل لعقيدتهم وفكرهم وتاريخهم الموثُوق لديهم، ثمّ إلى سنّة نبيّهم عليه الصّلاة والسّلام، ثمّ إلى تُراثهم الفكري والمادّي، وبالنّسبة للموضوع الذي نحن بصدد بيانه يكفينا العودة إلى القرآن والسّنّة؛ إذ ورد فيهما حديث طويل عن المسيح ﷺ، وكما تحدّثْنا عن بداية هذا النّبيّ الكريم ونهايته في التّصوّر النّصراني (المسيحي)، سنتحدّث –هاهنا– عن بدايته ونهايته في التّصوّر الإسلامي، فكيف كانت البداية؟، وما المصير في النّهاية؟.

1- كيف كانت البداية؟:

بالعودة إلى القرآن الكريم، نجد أنّه اهتمّ اهتمامًا بالغًا بهذه المسألة، وذلك لكثرة الأقاويل فيها والخائضين في أغوارها؛ فهي مسألة لاكتها الألسن، ووقع فيها القِيل والقال، بين مُنصِف لها ومُجحِفٌ في حقّها، وبناءً على هذا جاءت الحكايات المُفسّرة للآيات القرآنية المتحدّثة عن البداية المُباركة من سورة آل عمران والتي نزلَت في حقّ أُسرة المسيح ﷺ وأجداده على حسب ما رواه المؤرّخون والمُفسِّرون المُسلمون لتقول لنا:

إنّ العناية بهذا النّبيّ الكريم قد بدأتْ قبل خروجه لهذه الدّنيا، وذلك أنّ الله تعالى اِصطفى آله وأهله وأمّه قبل أنْ يخلقه، حيث إنّ الآيات الأولى من صدر هذه السّورة وعددها ثلاث وثمانون (83) آية نزَلَتْ في نصارى نجران لمّا غلوْا في عيسى، وجعلوه ابن الله تعالى، واتّخذوه إلهًا، حيث إنّهم جاؤوا للنّبيّ ﷺ وجعلُوا يذكرون له ما هم عليه من الباطل والزّيغان العقدي؛ فنزلَتْ هذه الآيات ردًّا عليهم، وإعلامًا أنّ عيسى من ذُرّيّة البشر المُتنقّلين في الأطوار المستحيلة على الإله، واستطرَد من ذلك إلى ولادة أمّه، ثمّ إلى ولادته هو، فذكر المُصطفيْن الذين يجب إتباعهم؛ فبدأ أوّلًا بأوّلهم وجودًا وأصلهم، وثنّى بنوح ﷺ إذ هو آدم الأصغر ليس أحدٌ على وجه الأرض إلّا من نسْله، ثمّ أتى ثالثًا

بإبراهيم، فاندرج فيهم رسول اللهﷺ؛ المأمور بإتباعه وطاعته، وموسىعليه السلام، ثمّ أتى رابعًا بآل عمران* بن ماثان من ولد سليمان بن داود عليهما السّلام؛ وهو أبو مريم البتول أمّ عيسىعليه السلام، فاندرج في آله مريم وعيسى عليهما السّلام، ونصّ على آل إبراهيم لخصوصيّة اليهود بهم، وعلى آل عمران لخصوصيّة النّصارى بهم، فذكر تعالى جعْل هؤلاء صفْوَة؛ أي مختارة نقاوة، والمعنى أنّه نقّاهم من الكدر، وهذا من تمثيل المعلوم بالمحسوس،[1] ومعنى هذا أنّ العناية الرّبّانيّة بعيسى ابن مريم بدأت من أجداده وخاصّة جدّه عمران الذي اختاره الله واصطفاه وطهّره من الأدران والأرجاس؛ ليكون طاهرًا نقيًّا هو وجميع ذرّيته من بعده.

ثمّ يأتي الاعتناء الرّبّاني بوالدته مريم عليها السّلام، وذلك منذ ولادتها، ويظهر من خلال الآيات المُشار إليها أعلاه** أنّ الله تعالى تعهّد مريم منذ ولادتها، حيث ذكر المُفسّرون أنّ امرأة عمران حنّة بنت فاقُودَا كانت عاقِرًا، وكان ذووها أهل بيْت لهم عند الله مكانة، فبينما هي يومًا في ظِلّ شجرة، نظرت إلى طائر يُذِقْ فرخًا له، فتحرّكت به نفسها للولد، فدعَت الله تعالى أنْ يَهِب لها ولدًا فحملَت، ومات عمران زوجها وهي حامل، فحسِبتْ الحمل ولدًا فنذرته لله حبيسًا لخدمة الكنيسة أو بيْت المقدس، وكان من عادتهم التّقرُّب بهِبة أولادهم لبيُوت عباداتهم، وكان بنُو ماثان رؤوس بني إسرائيل وملوكهم وأحبارهم، ولم يكُن أحدٌ منهم إلّا ومِن نسلِهم محرَّرٌ لبيت المقدس من الغِلمان، وكانت الجاريّة لا تصلُح لذلك، وكان جائزًا في شريعتهم، وكان على أولادهم أنْ يُطيعوهم؛ فإذا

---

* قال ابن كثيررحمه الله: "والمراد بعمران هذا والد مريم عليها السّلام، وقال محمّد بن إسحاق: وهو عمران بن باشم بن أمون بن ميشا بن حزقيا بن أحريق بن موثم بن عزازيا بن أمصيا بن ياوش بن أحريهو بن يازم بن يهفاشاط بن إيشا بن إيان بن رحبعم بن داودعليه السلام، وقال أبو القاسم بن عساكر: مريم بنت عمران بن ماثان بن العازر بن اليود بن أخيز بن صادوق بن عيازوز بن الياقيم بن أبيود بن زربابيل بن شالتان بن يوحينا بن برشا بن أمون بن ميشا بن حزقيا بن أحاز بن موثام بن عزريا بن يورام بن يوشافاط بن إيشا بن إيبا بن رحبعم بن سليمان بن داودعليه السلام. (ابن كثير: **قصص الأنبياء**، ص422-423).

[1]- أبو حيّان الأندلسي: **تفسير البحر المحيط**، ج02، ص692، وابن كثير: **قصص الأنبياء**: ص422.

** تعمّدنا في شرحنا لهذا البيْت عند الحديث عن بداية المسيحعليه السلام ونهايته في الفكريْن النّصراني والإسلامي عدم إثبات الآيات القرآنية وكذا الفقرات الإنجليّة، تجنّبًا للتّكرار؛ لأنّنا سنُجري في آخر هذا الشّرح مقابلة بين النّصوص الإنجليّة والقرآنيّة بخصوص هذه المسألة.

حُرِّر الغُلام خدمَ الكنيسة بالكنْس والإسراج حتّى يبلُغ، فيُخيّر؛ فإن أحبَّ أنْ يُقيم في الكنيسة أقام فيها، وليس له الخروج بعد ذلك، وإنْ أحبَّ أنْ يذهب ذهب حيث شاء، ولم يكُن أحدٌ من الأنبياء والعلماء إلّا ومن نسله محرَّرٌ لبيت المقدس،[1] وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على صلاح هذه الأُسرة الكريمة واستقامتها على الحقّ المُبين، لذلك اختصّها الله تعالى بخصائص كريمة جمّة لم يخصّ بها غيرها من الأُسر والعائلات الأُخرى.

فلمّا أنجبتْ مريم عليها السّلام، قالت ذلك –أي القول الصّادر منها في الآيات السّابقة– تحسُّرًا وتحزُّنًا إلى ربّها؛ لأنّها كانت ترجو أنْ تلِد ذكرًا، ولذلك نذرتْ تحريره، خصوصًا وأنّها تعلم أنّ الأُنثى ليست كالذَّكر في خدمة الكنيسة والمتعبّدين الذين فيها؛ لعورتها وضُعفها وما يعتريها من الحيض والنّفاس والأذى...، واستأنفَت مخبِرة بأنّها سمَّتْها مريم تقرُّبًا لله وطلبًا لأَنْ يعصمها ويُصلِحها حتّى يكون فعلها مُطابقًا لاسمها، فإنّ اسم مريم في لغتهم يعني: العابدة والخادمة، وكانت أجمَل النّساء وأفضلهنّ في وقتها، وطلبَت من الله أنْ يُعيذها هي وذرّيَتَها من بعدها من الشّيطان، فعن النّبيّ ﷺ أنّه قال: "**ما من مولودٍ يولد إلّا والشّيطان يمسّه حين يولَد، فيستهلُّ من مسِّه إلّا مريم وابنها**"،[2] ومعناه أنّ الشّيطان يطمَع في إغواء كلّ مولود يتأثّر منه إلّا مريم وابنها، فإنّ الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة.[3]

واستجابة لدعوة حنّة بنت فاقُودا وطلبِها الحِفظ والقبُول لابنتها؛ رضيَ بها الله في النّذر مكان الذّكر بوجْه حَسَنٍ؛ فأقامها مقام الذّكر، وقد رُويَ أنّ حنّة لمّا ولَدَتْها لفَّتْها في خِرقة وحملتْها إلى المسجد، ووضعتها عند الأحبار وقالت: "دونكم هذه النّذيرة"؛ فتنافسُوا فيها لأنّها كانت بنتَ إمامهم وصاحب قُربانهم، فإنّ بني ماثان كانوا رؤوس بني إسرائيل ومُلوكهم، فقال زكريّا عليه السلام: "أنا أحقُّ بها، عندي خالتها"، فأبوا إلّا القُرعة، وكانوا سبعة أو

---

[1]– أبو حيّان الأندلسي: **تفسير البحر المحيط**، ج02، ص698–699.

[2]– البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾. (مريم: 16)، حديث رقم (1431)، ص562.

[3]- البيضاوي: **أنوار التّنزيل وأسرار التأويل**، ج02، ص14، والثّعلبي: **الكشف والبيان في تفسير القرآن**، ج02، ص48.

تسعة وعشرين، فانطلقُوا إلى نهرٍ فألقوا فيه أقلامهم فطفَا قلم زكريّا ورسَتْ أقلامهم فتكفّلها زكريّا، فلمّا كفلها ضمَّها إلى خالتها أمّ يحيى عليه السلام واسترضع لها، حتّى إذا نشأتْ وبلغَتْ مبالغ النّساء بَنَى لها مِحرابًا؛ أي غرفة في المسجد، وجعَل بابه إلى وسطِها، لا يَرقَى إليها إلَّا بسُلَّم مثل باب الكعبة، فلا يصعَد إليها غيرُه، فكان يأتيها بطعامها وشرابها ودُهنِها كلّ يوم.[1]

وكان كلّما دخل عليها وجد عندها فاكهة في غيْر أوانها؛ فاكهة الصّيف في الشِّتاء، وفاكهة الشِّتاء في الصّيْف غضًّا طريًّا، فلمّا رأى زكريّا ذلك، قال: "إنّ الذي قدَرَ على أنْ يأتيَ مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد؛ لقَادِرٌ على أنْ يُصْلِحَ زوجتي ويهَب لي غُلامًا على الكِبر"، فطمع في الولد، وذلك أنّ أهل بيته كانوا قد انقرضُوا، وكان هو قد شاخ وأيِس من الولد، فدعا الله بذلك؛ فاستجاب له ربّه ووهبه يحيى عليه السلام،[2] وفي هذا عناية ربّانيّة أُخرى بالسّيّد المسيح عليه السلام؛ حيث هيّأ له بيئة صالحة مُحاطة ببعض الأنبياء عليهم السّلام والأفراد الصّالحين من رجال ونساء؛ لكيْ يتربّى في كنفهم؛ فينشأ طفْلًا صالحًا ويحيَا شابًّا خيِّرًا كريمًا، بعيدًا عن مواطن الفِسق والشّرّ وكلّ ما يكدّر حياة المخلصين، وكلّ ذلك من تدبير الله عزّ وجلّ، العليم بعباده ظاهرًا، الخبير ببواطنهم وأسرارهم ومآلهم.

ويُخبرنا القرآن الكريم أنّ الله تعالى اِصطفى مريم على سائر النِّساء في ذلك الزّمان، حيثُ إنّه في الآية الثّانيّة والأربعين (42) من سورة آل عمران؛ نادت الملائكة مريم باسمها تأنيسًا لها وتوطِئة لِما ستُلقيه إليْها، والظّاهر مشافهة الملائكة لها بالقوْل بأنّ الله اختارها وبرّأها من تُهم اليهود*، وطهّرها من الحيْض؛ إذْ كانت لا تحِيض، أو عمّا يَصِمُ النّساء في خَلْقٍ وخُلُقٍ ودين، كما اصطفاها على نساء العالمين عمومًا وقِيل عن نساء

---

[1]– البيضاوي: **أنوار التّنزيل وأسرار التأويل**، ج02، ص14، والثّعلبي: **الكشف والبيان في تفسير القرآن**، ج02، ص50.

[2]– **المصدر نفسه**، ج02، ص50–51.

* اتّهم اليهود مريم عليها السّلام بأنّها أنجبت عيسى عليه السلام عن طريق الزّنا؛ لأنّها لم تكن متزوّجة حينها، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾. (مريم: 27–28).

زمانها،؛ باختصاصِها بولادة عيسى عليه السلام، وقِيل بخِدمة البيت، وقِيل بالتّحرير ولم تُحرَّر أُنثى غيرها، وقيل بسلامتها من نخْس الشّيطان، وقيل بالوحي إليها ونبوّتها*، وقيل أُصطُفيت بشيء يخصُّها،[1] ومهما يكن من أمر فإنّ المقصود بهذه الآية الكريمة هو تكريم مريم وتبجيلها وتبرئتها من كلّ ما أُلصِق بها من تُهمٍ، وتفضيلُها على غيرها من النّساء، لذلك قال النّبيّ ﷺ: "**كمُل من الرّجال كثير، ولم يكمل من النّساء إلّا آسيّة امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإنّ فضل عائشة على النّساء كفضل الثّريد على سائر الطّعام**"،[2] كما أثنى الله عليها بالعفَاف والقُنوت والإيمان الحازم بالكتاب والكلمات الرّبّانيّة؛ وذلك في الآية الثّانيّة عشر (12) من سورة التّحريم، وفي هذا يقول عبد الوهّاب النّجّار:

"نشأتْ مريم نشأة طُهر وعفاف وبُعد عن الإسفاف إلى رذيلة، مكلوءة بعناية الله محروسة بحراسته".[3]

فلمّا كانت بهذا الطُّهر والعفاف، وهذه النّقاوة والمكانة والمنزلة من التُّقى والزُّهْدِ والورع والإيمان؛ "اختارها الله لإيجاد ولدٍ منها من غير أب وبُشِّرَت بأن يكون نبيًّا شريفًا"؛[4] فبينما هي ذات يوم متنحيّة في جهة الشّرق تعبُد الله تعالى، وكانت قد قعدَتْ بعد ذلك تغتسل من الحيْض محتجبة بحائط يستُرها، إذ أتاها الملك في صورة آدمي شابّ أمرد، وضيءَ الوجه، جعْد الشّعر، سويّ الخَلق، لم ينتقص من الصّورة الآدميّة شيئًا؛ لأنّه لو بَدَا لها في الصُّورة المَلكيّة لنفرتْ منه ولم تقدر على الاستماع لكلامه، ودلّ على عفافها وورعها أنّها تعوّذتْ به من تلك الصّورة الجميلة الفائقة الحُسن، وكان تمثُّله على تلك الصِّفة اِبتلاءً لها

---

* ذهب بعض العلماء إلى القول بأنّ الله أنعم على بعض النّساء بالنّبوّة كمريم عليها السّلام، ومن هؤلاء؛ أبو الحسن الأشعري والقُرطبي وابن حزم، ويُوردون على ذلك بعض الأدلّة من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾.(مريم: 17-19). (عمر سليمان الأشقر: **الرّسل والرّسالات**، ص84-85).

[1] – أبو حيان الأندلسي: **تفسير البحر المحيط**، ج02، ص728-729.

[2] – البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾.(التّحريم: 11-12)، حديث رقم (3411)، ص844.

[3]– عبد الوهّاب النّجّار: **قصص الأنبياء (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)**، ص379.

[4]– ابن كثير: **قصص الأنبياء**، ص426.

وسبْرًا لعفّتِها، فلمّا فرَغَت منه وخافَتْ على حالها؛ هدَّأها وأخبرها بأنّه رسول ربِّه إليها الذي استعاذتْ به منه، وذلك حتّى تطمئن، وأعلمَها كذلك بأنّه سيكون سببًا في وهْبِها الولد، فتعجّبَت من هذا الأمر كونها كانت عذراء لم يمسسْها بشرٌ ولمْ تكُن من أهل البغاء، فأخبرها بأنّ هذا حُكم الله الحكيم العليّ ولا رادَّ لحُكمه، وأنّ ابنها سيكون آية للنّاس إذ وُلِد من غير أب.[1]

عند ذلك نفخ الملك –وهو جبريلؑ عند غير واحدٍ من السّلف– في جيْبِ دِرعها، فنزلت النّفخة حتّى ولَجَتْ في الفرج، فحملَتْ بالولد بإذن الله تعالى، فلمّا حملتْ به ضاقتْ ذرْعًا، ولم تدرِ ما تقول للنّاس؛ فإنّها تعلم أنّ النّاس لا يصدِّقونها فيما تخبرهم به، غير أنّها أفشَتْ سِرّها وذكرَتْ أمرها لخالتها امرأة زكريّا، وذلك أنّ زكريّاؑ كان قد سأل الله الولد، فأُجيب إلى ذلك، فحملتْ امرأته، فدخلتْ عليها مريم فقامت إليها فاعتنقَتْها وقالت: "أشعرتِ يا مريم أنّي حُبلَى؟"، فقالت لها مريم: "وهل علمتِ أيضًا أنّي حُبلَى؟"، وذكرَتْ لها شأنها وما كان من خبَرِها وكانوا بيْت إيمان وتصديق، ثمّ كانت امرأة زكريّا بعد ذلك إذا واجهَتْ مريم تجِد الذي في جوفها يسجد للذي في بطْن مريم؛ أي: يُعظّمه ويخضع له، فإنّ السُّجود كان في ملّتهم عند السّلام مشروعًا، كما سجد ليوسفؑ أبواه وإخوته، وكما أمر الله الملائكة أن تسجد لآدمؑ، ولكن حُرِّم في ملّتنا هذه تكميلًا لتعظيم جلال الرّبّ تعالى.[2]

واختلف المُفسّرون في مُدّة* الحمل بعيسىؑ؛ فالمشهور عند الجمهور أنّها حملتْ به تسعة أشهر، وقال عكرمة: ثمانيّة أشهر، وقال ابن جريج: أخبرني المُغيرة بن عثمان

---

[1]– أبو حيّان الأندلسي: **تفسير البحر المُحيط**، ج06، ص223–225.

[2]– ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج05، ص221.

* يقول عبد الوهّاب النّجّار: "حملت مريم عليها السّلام بالمسيح بمُجرّد نفخ الملك في جيْبها، وطبيعيٌّ أنّها قد مرَّت بجميع أدوار الحمل إلى أن ولدتْه، والقرآن الكريم لم يذكر عن تلك الأدوار شيئا، واختلفتْ الأقوال في مدّة الحمل بين سبعة أشهر وستّة وثمانيّة...، والذي أميل إليه أنّ كلّ هذا تكلُّف من أصحاب هذه الأقوال؛ لأنّ أمره في الحمل لمّا كان عجيبًا أرادوا أنْ يجعلوه في مدّة الحمل أيضا عجيبًا، ونحن ليس في أيدينا ما يُثبِت العجيبة في مدّة الحمل!، فالأليق أنْ يُحمَل على الأمر الطّبيعي الذي جرَتْ العادة بمثله". (عبد الوهّاب النّجّار: **قصص الأنبياء (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)**، ص382).

بن عبد الله الثّقفي أنّه سمع ابن عبّاس وقد سُئل عن حبْل مريم، فقال: لم يكُن إلّا أنْ حملتْ فوضعت، وقال مقاتل بن سليمان: حملته مريم في ساعة، وصُوّر في ساعة، ووضعته في ساعة حين زالتْ الشّمس من يومها، وهي بنتُ عشرين سنة، وقد كانت حاضتْ حيْضتيْن قبل أنْ تحمل بعيسى، والمشهور القول الأوّل؛ أي أنّها حملتْ به كما تحمل النّساء بأولادهنّ، ولهذا لمّا ظهرَت علامات الحمل عليها وكان معها في المسجد رجلٌ صالح من قراباتها يخدم معها البيت المقدّس يقال له: يوسف النّجّار، فلمّا رأى ثِقل بطنِها وكِبرَه، أنكَر ذلك من أمرها، ثمّ صرفه ما يعلم من براءَتِها ونزاهتِها ودينها وعبادتِها، ثمّ تأمّل ما هي فيه، فجعل أمرها يجوسُ في فكرِه، لا يستطيع صرفه عن نفسه، فحمَل نفسه على أنْ عرَّض لها في القوْل، فقال: "يا مريم، إنّي سائلك عن أمرٍ فلا تعجلي عليّ"، قالت: "وما هو؟"، قال: "هل يكُون قطّ شجرٌ من غير حبّ؟، وهل يكُون زرعٌ من غير بذر؟، وهل يكون ولدٌ من غير أب؟"، فقالت: "نعم –فهِمتْ ما أشار إليه–، أمّا قولك: "هل يكون شجرٌ من غير حبّ وزرعٌ من غير بذر؟"، فإنّ الله قد خلق الشّجر والزّرع أوّل ما خلقهما من غير حبٍّ ولا بذر، و"هل خلْقٌ يكون من غير أب؟"، فإنّ الله قد خلق آدم من غير أب ولا أمّ "، فصدّقها وسلّم لها حالها.[1]

وبعد أن تمّتْ فترة الحمل، ألجأها وجَعُ النّفاس إلى جذع النّخلة* لتعتمِد عليه وهي تعاني من آلام الطّلق وأوجاعه، فلمّا وضعته تأسّفتْ وتمنَّتْ متحسّرة أنّها قد ماتت قبل أنْ يحدُث لها هذا، أو أنّها كانت شيئًا متروكًا لا يُعرَف، فناداها ابنها عيسى عليه السلام يحملُها على الصّبْر والعزاء، وأنّ الله قد أجرى تحتها نهرًا وسهّل لها طريقة إنزال الرّطب من النّخلة؛

---

[1]– ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج05، ص222، والثّعلبي: **الكشف والبيان في تفسير القرآن**، ج04، ص172.

* يقول المراغي: "وتلك آية أُخرى لها، إذ رُوي أنّها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر، وكان الوقت شتاءً، فأنزل الله لها رزقًا، فجعل للنّخلة رأسًا وخوصًا، وجعل لها ثمرًا رطِبًا، وفي هذا إيماء وتنبيه إلى أنّ مَن يقدر أنْ يُثمِر النّخلة اليابسة في الشّتاء، يقدر أنْ يجعلها تحمل من غير السُّنن العاديّة، وإلى أنّ السّعي في الرّزق مطلوب ولا يُنافي التّوكُّل، ولله درّ القائل:

ألمْ تَر أنّ الله أوحى لمريم وهزّي إليك الجذع يسّاقط الرّطب
ولو شاء أنْ تجنيه من غير هزّه إليها ولكن كلّ شيء له سبب"

(المراغي: **تفسير المراغي**، ج16، ص45).

لتشرب وتأكل وتطيب نفسًا وتفرَح بولدها، وأخبرها بأنْ تلزم الصّمت حينما يسألها النّاس؛ فلا تردّ على سؤال ولا تأبه لقول قائل، وهذا كلّه من قوْل عيسى لها، أنطقه الله كرامة لها ليُذْهِب عنها حُزنها وألمها النّفسي من جرّاء الوِلادة وهي بِكر لم تتزوّج،[1] وكلّ هذا من عنايته سبحانه وتعالى بها.

وحين ذاك، سلَّمَتْ مريم أمرها لله واستسْلمتْ لقضائه، فحملها يوسف النّجّار وابنها إلى غار فأدخلهما فيه أربعين يومًا حتّى تعافَتْ من نفاسها، ثمّ جاءت بعيسى تحمله بعد هذه المُدّة، فكلّمها عيسى في الطّريق فقال: "يا أمّاه أبشري فإنّي عبد الله ومسيحه"، فلمّا دخلت على أهلها ومعها الصّبي بكوا وحزنوا، وكانوا أهل بيْت صالحين، ولمّا رآها القوْم أعظموا ما رأوا واستنكروه وقالوا: "يا مريم لقد جئتِ أمرًا عظيمًا منكرًا"، ثمّ زادوا تأكيدًا في توبيخها فقالوا: "يا مَن أنت من نسل هارون أخي* موسى"، كما يقال للتّميمي: يا أخا تميم، وللمُضري: يا أخا مضر، أو "يا مَنْ أنت شبيهة بذلك الرّجل المسمّى بهذا الاسم الذي كنتِ تتأسّين به في العبادة والزّهد، ما كان أبوك بالفاجر، وما كانت أمّك بالبغي، فمن أين لكِ هذا الولد"، فلمّا قالوا لها ما قالوا، أشارَت إلى ابنها عيسى أنْ كلِّمُوه، وإنّما اكتفَتْ بالإشارة ولم تأمره بالنّطْق لأنّها نذرتْ للرّحمن صومًا عن الكلام، أو اقتصرَتْ على ذلك للمبالغة في إظهار الآية العظيمة، وأنّ هذا المولود يفهِم الإشارة ويقدر على العبارة، فتعجّبُوا من ذلك وظنُّوها تستهزئ وتزدري بهم، قال عمران بن ميمون: إنّ مريم لمّا أتت قومها بعيسى أخذوا لها الحجارة ليرموها بها، فلمّا تكلّم عيسى** بما تكلَّم ناطِقًا بالحقِّ

---

[1]- أبو بكر جابر الجزائري: **أيسر التّفاسير لكلام العليّ القدير**، ج03، ص302.

* وقيل إنّ هارون هذا كان رجلًا صالحًا من أتقياء بني إسرائيل، وليس بهارون أخي موسى، وقد اتّبع جنازته يوم مات أربعون ألفًا كلّهم يُسمّى هارون من بني إسرائيل، وقال الكلبي: كان هارون أخا مريم من أبيها ليس من أمّها، وكان أمثَل رجل في بني إسرائيل، وقيل: إنّ هارون كان من أفسق بني إسرائيل وأظهرهم فسادًا، فشبّهوها به، وهذا مستبعَد. (المراغي: **تفسير المراغي**، ج16، ص47-48).

** روي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: "**خمسة تكلّمُوا قبل إبان الكلام: شاهد يوسف، وولد ماشطة بنت فرعون، وعيسى، وصاحب جُريج، وولد المرأة التي أُحرقَت في الأخدود**". (الثّعلبي: **الكشف والبيان في تفسير القرآن**، ج04، ص175)، وهؤلاء إنّما كان كلامهم في هذه المرحلة المُتقدّمة جدًّا من العُمر -أي في المَهد- كرامة لهم وتحقيقًا لبعض المقاصد الإنسانيّة الأخلاقيّة العالية؛ كدَفْع التُّهم، أو الشّهادة بالحقّ، أو الكشف عن جريمة، وهذا كلُّه من عناية الله بعباده المؤمنين المُخلصين المُتَّقين.

تركوها.[1] ورُوي أنّ عيسى عليه السلام لمّا سمع كلامهم أقبَل عليهم وترك الرّضاع وأشار بيمينه، ثمّ بدأ يتكلّم فوصف نفسه بجملة صفات فقال:[2]

أ- "إنّي عبد الله"؛ أي: إنّي عبد الله الذي له صفات الكمال لا أعبُد غيره، وفي هذا إيماءٌ إلى أنّ مَن كان عبد الله لا يُتَّخَذ إلهًا من دونه، ولا يستعبده شيطان ولا هوى.

ب- "آتاني الكتاب"؛ أي: سيُنزِل عليَّ الإنجيل.

ج- "وجعلني نبيًّا"؛ أي: وسيجعلني نبيًّا، وفي هذا براءة لأُمّه؛ لأنّ الله لا يصطفي لنبوّته أولاد سفاح.

د- "وجعلني مباركًا أينما كنتُ"؛ أي: سيجعلني نفّاعًا للنّاس، هاديًا لهم إلى سبيل الرّشاد في أيّ مكان كنتُ، وقد جعل هذه الصّفات كأنّها حدثَتْ له فعلًا وهي لم تحصُل بعد، من قبَيلِ أنّها لمّا كانت واقعة حتمًا نُزِّلتْ منزلة ما قد حصل.

هـ- "وأوصاني بالصّلاة والزّكاة ما دمتُ حيًّا"؛ أي: وأمرني بالصّلاة إذ في إقامتها وإدامتها على الوجه الذي سنَّه الدّين تطهيرٌ للنّفوس من الأرجاس ومنعٌ لها عن ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأمرني بالزّكاة بإعطاء جزء من المال للبائس والمُحتاج، لما في ذلك من تطهير المال، مادمتُ حيًّا في الدّنيا.

و- "وبرًّا بوالدتي"؛ أي: وجعلني برًّا بوالدتي مُطيعًا لها محسنًا، وفي هذا رمزٌ إلى نفي الرّيبة عنها، إذ لو لم تكُن كذلك لمَا أمر الرّسول المعصوم بتعظيمها.

ز- "ولم يجعلني جبّارًا شقيًّا"؛ أي: ولم يجعلني جبّارً مستكبرًا عن عبادته، ولا شقيًّا بعقوق والدتي وعدم البَرّ بها.

ح- "والسّلام عليّ يوم وُلدتُ ويوم موتُ ويوم أُبعث حيًّا"؛ أي: والأَمَنَة من الله عليّ، فلا يقدر أحدٌ على ضرِّي في هذه المواطن الثّلاثة التي هي أشقُّ ما يكون على العباد.

---

[1]- الثّعلبي: **الكشف والبيان في تفسير القرآن**، ج04، ص174-175.

[2]- المراغي: **تفسير المراغي**، ج16، ص48-49.

وقال وهب بن منبّه: "إنّما نطَق بهذا الكلام وهو ابن أربعين يومًا"، وقال مقاتل: "هو يوم ولد"، وقيل: إنّه بعدما قال ما قال لم يتكلّم حتّى كان بمنزلة غيره من الصِّبيان،[1] وفي هذا دليلٌ على أنّ كلامه في المهد معجزة له، أنطقه الله بذلك حتّى ينفيَ ما ألصقَه النّصارى به حينما وصفُوه بالبنوّة لله تعالى أو الإلوهيّة؛ فأثبَتَ لنفسه العبوديّة لله، كما برَّأ أُمّه من التّهمة التي اتّهمها اليهود بها؛ وهي الزِّنا، إلى غير ذلك من مقامات العبوديّة والبشريّة والأخلاق والمُعاملات التي وصف نفسه بها، لكنّ الغريب في الأمر أنّ النّصارى ينكِرون كلامه في المهد، لذلك خلَتْ الأناجيل من الإشارة إلى هذه المعجزة؛ لأنّ إثباتها يهدم المعتَقد المسيحي فيه –أي في المسيح– من الأساس، خصوصًا وأنّها تؤكّد على مقام العبوديّة وتنفي صفة الإلوهيّة عنه؛ المسيح عيسى بن مريم البشر الإنسان، وهذه نقطةٌ فارقة بين هؤلاء والمسلمين، بل وتُعدُّ من النّقاط الجوهريّة التي يختلِف حولها الفريقان؛ ففريق مُثبِتٌ لها، وفريق نافٍ؛ فالمُثبتُ للكلام في المهد نافٍ لإلوهيّة المسيح وربوبيته وبنوّته لله تعالى، والنّافي له؛ –أي للكلام في المهد– مُثبِتٌ كلّ ذلك له؛ –أي لعيسى عليه السلام–.

هذه هي بداية عيسى عليه السلام كما أثبَتَها القرآن وكما رواها المفسّرون والمؤرّخون؛ وهي بداية مشرّفة مُشرِقة كريمة، تليق بنبيّ كريم كعيسى ابن مريم، وقد رأينا كيف أنّ الله عزّ وجلّ مهّد لهذه البداية الكريمة، بدءً باختيار الأُسرة الصّالحة، ومرورًا باجتباء الوالدة الزّكيّة، وصولًا إلى الشّخصيّة الفذّة، وهذا كلّه حتّى تنشأ هذه الشّخصيّة في بيئة إيمانيّة صالحة نقيّة من الشّوائب بعيدة عن الكُدورات والآثام والشُّرور، وهكذا ينشأ الكرام من النّاس والصّفوة المُختارة من الأنام، إذ يجب أن يمتازوا على غيرهم من إخوانهم في الطّبيعة والأصل بجملة من الخصائص والمُميّزات تمهيدًا لتحمُّل عبء الرّسالة ونُصح الآخرين والسّعي إلى إصلاحهم وخلاصهم.

لكن قبل مغادرة هذا الموضوع، نرى أنّه من الضّرورة الإشارة إلى نقطة غاية في الأهمّية؛ وهي معجزة مولد عيسى عليه السلام من غير أب، ولا شكّ أنّ في ذلك حكمًا ربّانيّة

[1] – الثّعلبي: **الكشف والبيان في تفسير القرآن**، ج04، ص175.

عديدة، أراد الله عزّ وجلّ إظهارها في هذا المولد المُبارك، يقول عبد الوهّاب النّجّار رادًّا على شُبهة تقول: كيف يتولّد عيسى عليه السلام من نفخة الملك في جيْب قميص مريم، ونحن لم نَرَ إنسانًا أتى من غير مُباشَرَة الرّجل للمرأة؟: "والجواب على ذلك: أنّ أمر الحمل جاء عجيبًا دالًّا على قدرة الله تعالى، إذ جعل المرأة تأتي بإنسان من دون مُباشَرَة رجل إيّاها، وهذا ليس بأعجَب من خلق السّماوات والأرض وما فيهما من عجائب!، بل ليس أعجبَ من خلْق الإنسان من رجل وامرأة مع المُباشرة!، ولا من خلْق الحيوان وتقلُّبه في الأدوار الجنينيّة وأحواله في كلّ دور؟، كلّ ذلك ناطِقٌ بأنّه صنع حكيم عليم قادر قدرة فائقة الوصف، فإذا كان المُعترِض ممَّن يقول بآية الله ويُقرُّ بأنّ الله تعالى صنع العجائب لأنبيائه وغيرهم!، فالخطْبُ سهل، وإنْ كان ممَّن لا يقرُّون بالآيات مع الإقرار بوجود الإله القادر الحكيم!، قلنا: وما تُنكِر من صُنع الله وهو الذي أوجد "آدم" من غير أبٍ ولا أُم؟، فالذي صنع "آدم" سهُل عليه أن يصنع "عيسى" دون أب، وهذا صُنع الله في كلّ حين يصدُر على خِلاف ما مضتْ به السُّنّة، فقد تضع المرأة قردًا وهو غير جنسها، وقد تضع بعيرًا أو شيئًا آخر!، وهذا أمر يأتي في كلّ حين وتُطالعنا به الجرائد، فمن الجائز أن يأتي مولودٌ كعيسى على خِلاف ما مضَتْ به عادة غير أُمّه من النِّساء!، فيكون من أم بلا أب كما جاء آدم بلا أب ولا أمّ، وهي على كلّ حال أمرٌ عجيب قريب إذْ لم تجرِ عادة النّساء بهذا!، إنّ قدرة الله تعالى صغيرٌ في جنبها إيجاد هذه العجائب!... ".[1] وبالإضافة إلى هذه الحِكمة؛ حِكمة القدرة الإلهيّة النّافذة التي ذكرها عبد الوهّاب النّجّار في الفقرة السّابقة والتي لا تخضعُ لقانون الأسباب والمُسبّبات ولا تتقيّد به، هناك حِكمٌ أُخرى منها: [2]

– الإعلان عن عالم الرّوح بين قوم أنكروها؛ وهم اليهود، إذ كانوا لا يؤمنون إلّا بالجسد والمادّيات.

– إتمام القِسمة العقليّة في طريقة خلْق النّاس، فكما أنّ الله خلق آدم عليه السّلام من غير أب ولا أُمّ، وخلق حوّاء من ضِلع آدم –ممّا يُشبِه أن يكون أبًا فقط–، وخلق كـــافّة النّاس

[1]– عبد الوهّاب النّجّار: **قصص الأنبياء (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)**، ص383.

[2]– محمّد أبو زهرة: **محاضرات في النّصرانيّة**، ص21–22، ومحمّد عبد السّلام محمّد: **دراسات في القرآن الكريم من التّفسير الموضوعي**، ص201–203.

من أبٍ وأمٍ، لم يبق إلَّا احتمال رابعٌ؛ وهو الخلق من أم بلا أب، وكان هذا ما حصل في خلق عيسى عليه السلام.

وإذا كان هذا هو حَالُ البداية، فـ:

2- **ما المصير في النِّهاية؟**:

كما تكلَّم القرآن الكريم عن شأن بداية المسيح عليه السلام وما رافقها من أحداث، تعرَّض للحديث عن نهايته، فبيّن كيف كان آخر عهده بهذه الدّنيا، حيث إنّ الله تعالى نفى عنه أمر الصّلب ونجّاه من كيد أعدائه، ثمّ رفعه إليه مكانًا عليًّا، وذلك في الآيتيْن (157و158) من سورة النّساء، والآية (55) من سورة آل عمران؛ فهذه الآيات الثّلاث مُضافًا إليها الآية (117) من سورة المائدة؛ لخّصَت لنا مصير هذه النّهاية.

ففي هذه الآيات حَسَمَ القرآن الكريم هذه القضيّة الشّائكة التي وقع فيها اختلاف كبير، ويروي لنا المفسّرون والكُتّابُ المسلمون الأقوال الكثيرة في هذا الشّأن، ففي رواية عن ابن أبي حاتم قال: حدّثنا أحمد بن سِنان حدّثنا أبو معاوية عن المنهال ابن عمرو، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عبّاس قال: لمّا أراد الله أن يرفَع عيسى إلى السّماء، خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلًا منهم من الحواريين، يعني فخرج عليهم من عَيْن في البيت ورأسه يقطر ماءً فقال: إنّ منكم مَن يكفُر بي اثنتا عشرة مرّة بعد أنْ آمن بي، ثمّ قال: أيُّكم يُلقى عليه شبهي فيُقتل مكاني فيكون معي في درجتي؟، فقام شابٌّ من أحدثهم سِنًّا فقال له: اجلس، ثمّ أعاد عليهم فقام الشّاب، فقال: أنا، فقال: أنت هو ذاك، فأُلقي عليه شبه عيسى، ورُفع عيسى من روزنة في البيت إلى السّماء، قال: وجاء الطّلَب من اليهود فأخذوا الشّبه فقتلوه ثمّ صلبُوه، فكفَر به بعضهم اثنتا عشرة مرّة بعد أنْ آمَنَ به، وكان ذلك عشيّة الجمعة ليلة السّبت، وحينما دخل الشُّرَط وجدوا ذلك الشّاب الذي أُلقي عليه شبهه فأخذوه ظانّين أنّه عيسى، فصلبوه ووضعوا الشّوك على رأسه إهانة له، وسلَّم لليهود عامّة النّصارى الذين لم يُشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنّه صُلِب، وضلُّوا بسبب ذلك ضلالًا مبينًا كثيرًا فاحشًا بعيدًا، وافترقوا فيه ثلاث فرق؛ فقالت فِرقة: كان الله فينا ما شاء ثمّ صعد إلى السّماء، وهؤلاء هم اليعقوبيّة، وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ثمّ

رفعه الله إليه، وهؤلاء هم النّسطوريّة، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثمّ رفعه الله إليه، وهؤلاء هم المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المُسلمة فقتلوها.[1]

وكان عنده من الحواريين قبل الرّفع اثنا عشر رجلًا: بطرس، يعقوب بن زابدا، يحنس أخو يعقوب، أندراوس، فليبس، ابرثلما، متَّى، توماس، يعقوب بن حلقيا، تداوس، فتاتيا، يودس كريايوطا وهذا الذي دلّ اليهود على عيسى، قال ابن إسحاق: وكان فيهم رجلٌ آخر اسمه سرجس كتمتْه النّصارى وهو الذي أُلقي شبه المسيح عليه فصُلِب عنه، وقال بعضهم: إنّ الذي أُلقي عليه الشّبه هو يودس بن كريايوطا، وقيل: رأس الجالوت*، وقيل: إنّ سبعة عشر رجلًا كلُّهم أُلقيَ عليهم الشّبه.[2] والله أعلم.

وقد ناقش الإمام الرّازي في تفسيره قضيّة إلقاء شبه عيسى على رجل آخر، وقرّر أنّ إلقاء شبهه على الغير فيه إشكالات:[3]

الإشكال الأوّل: إنّا لو جوّزنَا إلقاء شبه إنسان على إنسان آخر لزمتْ السّفسطة، فإنّي إذا رأيتُ ولدي ثمّ رأيته ثانيًا فحينئذ أُجوّز أن يكون هذا الذي رأيتُه ثانيًا ليس بولدي، بل هو إنسان أُلقيَ شبهه عليه، وحينئذ يرتفع الأمان على المحسُوسات، وأيضًا فالصّحابة الذين رأوا محمّدًاﷺ يأمرهم وينهاهم وجَب أنْ لا يعرفوا أنّه محمّد لاحتمال أنّه أُلقيَ شبهه على غيره وذلك يُفضي على سقوط الشّرائع، وأيضًا فمدار الأمر في الأخبار المتواترة على أنْ يكون المُخبِر الأوّل إنّما أخبر عن المحسوس، فإذا جاز وقوعُ الغَلَطِ في المُبصِرات كان سقوط خبر المُتواتر أولى، وبالجُملة ففتح هذا الباب أوّله سفسطة وآخره إبطال النّبوّات بالكُلّيّة.

---

[1]- علي أحمد عبد العال الطّهطاوي: **الأنبياء وملك الموت**، ص188.

* اسم رجل يهودي، وقصّة مع عيسىعليه السلام كما يحكيها الفرّاء: "أنّ عيسى غاب عن خالته زمانًا فأتاها، فقام رأس الجالوت اليهودي فضرَب على عيسى حتّى اجتمعوا على باب داره فكسروا الباب، ودخل رأس الجالوت ليأخذ عيسى؛ فطمَس الله عينيْه عن عيسى، ثمّ خرج إلى أصحابه فقال: لم أره، ومعه سيف مسلول، فقالوا: أنت عيسى وألقى الله شبه عيسى عليه، فأخذوه فقتلوه وصلبوه". (**المرجع نفسه**، ص190).

[2]- **المرجع نفسه**، ص188-190.

[3]- الرّازي: **التّفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ج08، ص77-78.

الإشكال الثّاني: وهو أنّ الله تعالى كان قد أمر جبريلﷺ بأن يكون معه في أكثر الأحوال، هكذا قاله المفسّرون في قوله: "إذ أيّدتك بروح القدس"، ثمّ إنّ طرف جناح واحد من أجنحة جبريلﷺ كان يكفي العالم من البشر، فكيف لم يكْفِ في منْع أولئك اليهود عنه؟، وأيضًا أنّهﷺ لمّا كان قادرًا على إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، فكيف لم يقدر على إماتة أولئك اليهود الذين قصدوه بالسّوء، وعلى إسقامهم وإلقاء الزمانة والفلج عليهم حتّى يصيروا عاجزين عن التّعرُّض له؟.

الإشكال الثّالث: إنّه تعالى كان قادرًا على تخليصه من أولئك الأعداء بأن يرفعه إلى السّماء، فما الفائدة في إلقاء شبهه على غيره، وهل فيه إلّا إلقاء مسكين في القتل من غير فائدة إليه؟.

الإشكال الرّابع: أنّه إذا أُلقي شبهه على غيره، ثمّ إنّه رُفع بعد ذلك إلى السّماء، فالقوم اعتقدوا فيه أنّه هو عيسى مع أنّه ما كان عيسى، فهذا كان إلقاء لهم في الجهل والتّلبيس، وهذا لا يليق بحكمة الله تعالى.

الإشكال الخامس: أنّ النّصارى على كثرتهم في مشارق الأرض ومغاربها وشدّة محبّتهم للمسيحﷺ، وغلوّهم في أمره أخبروا أنّهم شاهدوه مقتولًا مصلُوبًا، فلو أنكرنا ذلك كان طعنًا فيما ثبَتَ بالتّواتر، والطّعن في التّواتر يوجب الطّعن في نبوّة محمّدﷺ ونبوّة عيسى، بل في وجودهما، ووجود سائر الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، وكلّ ذلك باطل.

الإشكال السّادس: أنّه ثبتَ بالتّواتر أنّ المصلُوب بقيَ حيًّا زمانًا طويلًا، فلو لم يكُن ذلك عيسى بل كان غيره لأظهَر الجزع، ولَقَال: إنّي لستُ بعيسى بل إنّما أنا غيره، ولبالغ في تعريف هذا المعنى، ولو ذكَر ذلك لاشتهر عند الخلْق هذا المعنى، فلمّا لم يوجد شيء من هذا علِمْنا أنْ ليس الأمر على ما ذكرتم، فهذا جملة ما في الموضع من السّؤالات.

وهي سؤالات هامّة تغلغلَت في ذهن الرّازي، فحاول إثباتها في تفسيره بذكر مجموعة كبيرة منها، وذلك حتّى تتقدح الملَكة النّقديّة في فِكر القارئ الباحث، وهذا هو ديدنه في كثير من المواضع في تفسيره.

ثمّ يشرع﵀ في الإجابة عن هذه الإشكالات، فيقول:[1]

والجواب عن الأوّل: أنّ كلّ مَن أثبَتَ القادر المُختار، سلَّم أنّه تعالى قادِرٌ على أنْ يخلُق إنسانًا آخر على صورة زيْد مثلًا، ثمّ إنّ هذا التّصوير لا يوجِب الشّكّ المذكور، فكذا القوْل فيما ذكرتم.

والجواب عن الثّاني: أنّ جبريل﵇ لوْ دفع الأعداء عنه أو أقدَر الله تعالى عيسى﵇ على دفْع الأعداء عن نفسه لبلَغتْ معجزته إلى حدِّ الإلجاء، وذلك غير جائز.

والجواب عن الثّالث: فإنّه تعالى لو رفعه إلى السّماء وما أَلقَى شبهه على الغير، لبلَغت تلك المُعجزة إلى حدّ الإلجاء.

والجواب عن الرّابع: أنّ تلامذة عيسى كانوا حاضرين، وكانوا عالمين بكيفيّة الواقعة، وهم كانوا يُزيلون ذلك التّلبيس.

والجواب عن الخامس: أنّ الحاضرين في ذلك الوقت كانوا قليلين، ودخول الشُّبهة على الجمْع القليل جائز، والتّواتر إذا انتهى في آخر الأمر إلى الجمْع القليل لم يكُن مُفيدًا للعلم.

والجواب عن السّادس: إنّ بتقدير أنْ يكون الذي أُلقِي شبه عيسى﵇ عليه كان مُسلِمًا، وقبل ذلك عن عيسى جائز أنْ يسكُت عن تعريف حقيقة الحال في تلك الواقعة.

ومن كلّ ما سبَق تتقرّر تلك الحقيقة القرآنيّة التي يؤمِن بها المسلمون، والتي تقول: إنّ عيسى﵇ لم يُقبَض عليه ولم يُصلَب ولم يُقتَل من طرف اليهود، وإنّما نجّاه الله منهم ومن كيدهم ودسائسهم وخُططهم الخبيثة، وذلك حتّى لا تُسوّل لهم أنفسهم بالتّسليم بهذا القول، فرفعه الله إليه في السّماء، وأَلقَى شبهه على رجل آخر؛ وهو الرّجل ذاته الذي قُبِض عليه، ثمّ صُلِب وقُتِل، ومنذ ذلك الحين ظنّ اليهود بأنّ ذاك الرّجل الذي صلبوه وقتلوه إنّما هو المسيح عيسى ابن مريم، وتبعهم النّصارى في هذا المعتقد المَظنُون!!.

[1]- الرّازي: **التّفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ج08، ص78-79.

لكن قبل رفعه إلى السّماء، ذكر القرآن الكريم أنّ الله تعالى حينما خاطب المسيح عليه السلام أخبره بأنّه متوفّيه، ثمّ هو رافعه إليه ومطهِّرُه من الذين كفروا، ويحاول الفخر الرّازي تبيين المعنى الحقيقي للتّوفّي، فيذكر في ذلك ثمانيّة معاني:[1]

المعنى الأوّل: أي مُتمّم عمرك، فحينئذ أتوفَّاك، فلا أتركهم حتّى يقتلوك، بل أنا رافُعك إلى سمائي، ومُقرّبُك بملائكتي، وأصونُك عن أنْ يتمكّنوا من قتلك.

المعنى الثّاني: أي مُميتُك، وهو مروي عن ابن العبّاس ومحمّد بن إسحاق قالوا: والمقصود أنْ لا يصل أعداؤه من اليهود إلى قتلِه، ثمّ إنّه بعد ذلك أكرمه بأن رفعه إلى السّماء، ثمّ اختلفوا على ثلاثة أوجه: **أوّلها:** قال وهب: توفّي ثلاث ساعات ثمّ رُفع. **ثانيها:** قال محمّد بن إسحاق: توفّي سبع ساعات ثمّ أحياه الله ورفعه. **ثالثُها:** قال الرّبيع بن أنس: أنّه تعالى توفّاه حين رفعه إلى السّماء.

المعنى الثّالث: أنّ الله يتوفّاه ثمّ يرفعه على وجه لا يعلمه إلّا هو.

المعنى الرّابع: أي: إنّي متوفّيك عن شهواتك وحظُوظ نفسك، ثمّ أرفعك إليّ؛ لأنّ مَن لم يصِر فانيًا عمّا سوى الله لا يكون له وصول إلى مقام معرفة الله، وأيضًا فعيسى لمّا رُفِع إلى السّماء صار حاله كحال الملائكة في زوال الشّهوة، والغضب والأخلاق الذّميمة، وهذا قول أبي بكر الواسطي.

المعنى الخامس: إنَّ التّوفّي أخذُ الشّيء وافيًا، ولمّا علم الله إنّ من النّاس مَن يخطُر بباله أنّ الذي رفعه الله هو روحه لا جسده، ذكر هذا الكلام ليدلّ على أنّه عليه الصّلاة والسّلام رُفِع بتمامه إلى السّماء بروحه وجسده.

المعنى السّادس: أي: أجعلك كالمتوفّي؛ لأنّه إذا رُفع إلى السّماء وانقطع خبرُه وأَثَرُهُ عن الأرض كان كالمتوفّي.

المعنى السّابع: إنّ التّوفّي هو القبض، وقد يكون أيضًا بمعنى الاستوفاء، وعلى كِلا

[1]- الرّازي: **التّفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ج08، ص74-75.

الاحتماليْن كان إخراجه من الأرض وإصعاده إلى السّماء توفيًا له.

المعنى الثّامن: أن يقدَّر فيه حذف المُضاف، والتّقدير: متوفّي عملك؛ بمعنى: مستوفي عملك ورافع عملك إليّ، والمُراد أنّه تعالى بشّره بقبول طاعته وأعماله، وعرَّفه أنّ ما يصل إليه من المتاعب والمشاقّ في تمشيّة دينه وإظهار شريعته من الأعداء؛ فهو لا يُضيع أجره ولا يهدم ثوابه.

وتبيينًا لمعنى الوفاة الذي نسبه المسيح عليه السلام لنفسه وهو يُخَاطب الله عزّ وجلّ في الآية رقم (117) من سورة المائدة، قال الطّبري: "فلمّا قبضتني إليك"،[1] وقال القُرطبي: "قيل: هذا يدلّ على أنّ الله عزّ وجلّ توفّاه قبل أن يرفعه، وليس بشيء؛ لأنّ الأخبار تظاهرت برفعه، وأنّه في السّماء حي، وأنّه ينزل ويقتل الدّجّال، وإنّما المعنى: فلمّا رفعتني إلى السّماء، والوفاة في كتاب الله تعالى على ثلاثة أوجه: وفاة الموت، ووفاة النّوم، ووفاة الرّفع"،[2] وقال الألوسي (1217-1270هـ): "أي قبضتني بالرّفع إلى السّماء"،[3] ومِثْلُه قال الصّابوني (1930م-؟)،[4] وأيًّا تَرَاءَى لك صِحّته وقُربه للصّواب من هذا الجدل حَوْل المعنى الحقيقي للوفاة، وكيفمَا اتّفق ذلك في ذِهنك، فإنّ الحقيقة التي لا مِراء فيها ولا جدال؛ هي تلك الحقيقة القرآنية التي لا يختلف حولها اثنان ولا يتناطح فيها قرنان، والمُثبتة إثباتًا لا يحتمل التّأويل بأنّ الرّفع إلى السّماء* هو المصير الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لعبده ورسوله عيسى عليه السلام تنجيَّة له من كيْد الأعداء، وتكريمًا لشخصه

---

[1]- الطّبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مج03، ص209.

[2]- القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن والمُبيّن لما تضمّنه من السُّنّة وآي الفرقان**، ج08، ص303.

[3] - الألوسي: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني**، ج07، ص69، وزاد: "وعن الجبائي أنّ المعنى أمتّني، وادّعى أنّ رفعه عليه السلام إلى السّماء كان بعد موته وإليه ذهب النّصارى".

[4]- الصّابوني: **صفوة التّفاسير**، مج01، ص375.

* وما يؤكّد هذه الحقيقة التقاء النّبيّ ﷺ به ورؤيته له مرأى العيْن في السّماء الثّانية، وذلك في حادثة الإسراء والمعراج، فقد جاء في الحديث الطّويل الذي رواه البخاري في باب المعراج: "... **ثمّ صعد بي حتّى أتَى السّماء الثّانية فاستفتح، قيل: من هذا؟، قال: جبريل، قيل: ومَن معك؟، قال: محمّد، قيل: وقد أُرسِل إليه؟، قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء ففتح، فلمّا خلُصتُ إذا يحي وعيسى وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحي وعيسى فسلِّم عليهما، فسلَّمتُ فردَّا، ثمّ قالا: مرحبًا بالأخ الصّالح والنّبيّ الصّالح**". (البخاري: **صحيح البُخاري**، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، حديث رقم (3887)، ص627-628).

الكريم، غير أنّه سوف يعود مرّة أخرى إلى هذه الدّنيا وينزل على الأرض كعلامة من علامات السّاعة الكُبرى.

فقد دلّتْ الأحاديث النّبويّة الصّحيحة الكثيرة الواردة في كتب الصّحاح والسُّنن بالتّأكيد والتّواتُر على ذلك، وخُلاصة ما جاء فيها: أنّ عيسى عليه السلام ينزِل في آخر الزّمان واضعًا كفّيْه على أجنحة ملكيْن، لابِسًا ثوْبيْن إزارًا ورِداء يميل لونهما إلى الصُّفرة؛ وهما المهرودتان أو المُمصرتان، قامته معتدلة؛ فهو مربوع ليس بالطّويل ولا بالقصير، ولونُ بشرتِه أبيض مشربٌ بحُمرة، وشعر رأسه ناعمٌ مسترسل، تملأُ لمّته ما بيْن منْكبيْه، وقد سرّحها فظهَر حسنُها، فينزِل في غاية النّظافة كأنّه خرج من حمّام، يقطُر رأسه وإنْ لم يُصبه بلل، فإذا هو طأطأهُ قطَرَ منه الماء، وإذا رفعه تحدَّر منه مِثل حبّات اللّؤلؤ، وهو عريض الصّدر، وهذا من كمال الأجسام، وهو شابٌّ ابن ثلاثٍ وثلاثين؛ وهي السِّنّ التي رفعه الله إليه فيها، وقد شبّهه النّبيّ ﷺ لأصحابه بعروة بن مسعود ذي البهاء والحُسن، ويكون نزوله في أيّام مسيح الضّلالة؛ المسيح الدّجّال، على المنارة الشّرقيّة بدمشق المبنيّة بحجر أبيض من أموال النّصارى، وقتَ صلاة الفجر إبّان الإقامة فيدعونه للإمامة فيأبي ويُصلّي تلك الصّلاة خلف المهدي تكرِمة الله لهذه الأُمّة، ويجتمع إليه المؤمنون، فيسير بهم قاصِدًا نحو الدّجّال وقد توجّه نحو بيْت المقدس، فيُدرِكه عند عقبة أُفيق، فينهزم الدّجّال منه، فيلحقه عيسى عند مدينة باب لُدّ؛ فيقتُله بحربته وهو داخلٌ إليها ويقول: إنّ لي فيك ضربة لن تفوتني، فإذا واجهه الدّجّال ينْماعُ كما يذوب المِلح في الماء، فيتداركه عيسى فيقتُله بالحربة بباب لُدّ، فتكون وفاته هناك.[1]

وبعد مُطاردة الدّجّال وقتله، يقضي على اليهود، وبعد فناء يأجوج ومأجوج يحكُم بشريعة الإسلام؛ أي أنّه لا ينزل بشريعة جديدة، بل يكون منضويًا تحت راية دين الإسلام؛ لأنّ النّبوّة والرّسالة خُتمتْ بالبِعثة المُحمّديّة،* ويحجّ ويزور مسجد النّبيّ ﷺ،

[1]- عبد السلام طويلة: **المسيح المنتظر ونهاية العالم**، ص211-221، وابن كثير: **قصص الأنبياء**، ص479.

* وقد أكّد القرآن على هذه القضيّة في قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (الأحزاب: 40)، وقال عليه الصّلاة والسّلام: "**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلّما هلك نبيّ خلفه نبيّ، وإنّه لا نبيّ بعدي**". البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل، حديث رقم (3455)، ص566.

ويكسِر الصّليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويتّخذ السّيوف مناجل، ويدعو النّاس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه المِلل كلّها إلّا الإسلام، وفي عهده ينتشِر الأمن حتّى يلعب الصّبيّ بالثّعبان ولا يضّره، وترعى الغنم مع الذّئب ولا يضرّها، والأسد مع البقرة ولا يضّرها...، وتكثُر الخيرات، وتُنزِل السّماء رزقها، وتُخرج الأرض بركتها، ويمكُث المسيح بعد نزوله إلى الأرض أربعين (40) سنة، ويتزوّج، ثمّ يتوفّاه الله سبحانه؛ فيُصلّي عليه المسلمون ويدفنونه بالمدينة المنوّرة حيثُ كانت وفاته في الحُجرة النّبويّة عند رسولﷺ الله وصاحبيْه، ويستخلِفُون بأمره رجلًا من بني تميم يُقال له: المقعد.[1]

وممّا يمكن استخلاصه في ختام هذا الموضوع؛ التّأكيد على النّهاية المُشرِّفة لهذا النّبيّ كما يتصوّرها المسلم انطلاقًا من مصادره، فبعيدًا عن إهانة المسيح وصلبه وقتله ونهايته تلك النّهاية المأسويّة في الفكر النّصراني، يقرّر القرآن الكريم وتُثبِت السُّنّة النّبويّة؛ أنّ عيسىعليه السلام لم يُصلب ولم يقتَل ولم يُهن على الصّليب، إنّما رفعه الله إليه، وتكريمًا له سيُعيده مرّة أخرى إلى الأرض كعَلَم من أعلام السّاعة، حاكمًا بشريعة الإسلام وناصِرًا للمسلمين، وقد اتّفقَت هذه النّهاية الشّريفة مع تلك البِداية الكريمة، وهذا إن دلّ على شيء؛ فإنّما يدلّ على مكانة هذا النّبيّ ورِفْعَة منزلته عند المسلمين، فقد احتفى كتابهم الكريم بهذه الشّخصيّة الفذّة أيّما احتفاء، وبجّلها تبجيلًا منقطع النّظير، فآياتٌ كثيرة منه تحدّثت عنه في شتّى المواضيع، سواء كان ذلك في بدايته أو في نهايته كما بيّنّاه سالفًا، أو حتّى في سيرته الدّعويّة على الرّغم من أنّه لم يعمّر طويلًا، بل إنّه لم يتعدّ الثّلاث والثّلاثين سنة لمّا رفعه الله عزّ وجلّ إلى السّماء، والنّاظر في القرآن الكريم يجد أنّ هذا الكتاب لم يكتَفِ بمدح عيسى بالاقتصار على ذاته فحسب، بل إنّ ذلك المدح اطّرد في عائلته ووالدته وأصحابه والكتاب المُنزّل عليه، ثمّ الانتصار لشيعته والانتقام من أعدائه، ويكفي في هذا الإشارة إلى أنّ الله عزّ وجلّ ذكره في القرآن الكريم باسمه الصّريح: خمسة وعشرين (25) مرّة،[2] وبنعته المسيح: إحدى عشر مرّة (11)،[3] وبوصفه ابن مريم: ثلاث

---

[1]- عبد الوهاب عبد السلام طويلة: **المسيح المنتظر ونهاية العالم**، ص222، 240-248، وابن كثير: **قصص الأنبياء**، ص480.

[2]- محمّد فؤاد عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص494-495.

[3]- **المرجع نفسه**، ص666.

وعشرين (23) مرّة،[1] بالإضافة إلى الإشارة إليه بضمير الغائب، وذلك في عدّة آيات، منها قوله تعالى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾. (المائدة: 117)، وقوله كذلك: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾. (الزّخرف: 61)، وغير هذا كثيرٌ في القرآن، كما أنزل سورة خاصّة بأُسرته؛ وهي **سورة آل عمران**، وسورة خاصّة بمعجزة من معجزاته؛ وهي **سورة المائدة**، وسورة خاصّة بوالدته مريم البتول؛ وهي **سورة مريم**، وسورة خاصّة بالمُهتدين الخُلّص من قومه الذين آمنوا به وصدّقوا رسالته وجاهدوا من أجل الحفاظ عليها واستمراريتها؛ وهي **سورة الكهف**، إلى غير ذلك من الآيات المُتفرّقة المُشيرة إليه، أمّا في السّنّة النّبويّة؛ فإنّ الأحاديث المنوّهة به وبرسالته ودعوته ومكانته ومنزلته في الإسلام أكثر من أنْ تُحصى، فالمُتصفّح لصِحَاحِها وسُنَنِها ومَسَانِيدها؛ تقع عيناه على جملة معتبرة من الأحاديث السّاردة لكثير من المواضيع المتعلّقة بهذا النّبيّ ودعوته وجهاده في سبيل ذلك، وهذا هو ديدن الإسلام مع بقيّة الأنبياء، حيث المسلم مطالَبٌ بالإيمان بهم وبرسالاتهم وكُتبهم جميعًا دون تفريق بينهم في ذلك: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾. (البقـرة: 136)، ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾(البقرة: 285)، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾. (النّساء: 150-152).

[1]- محمّد فؤاد عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص136-137.

ثالثاً- مُقابلة بين النّصوص الإنجيليّة والقرآنيّة بخصُوص بداية المسيح عليه السلام ونهايته:

	النُّصُوصُ الإِنْجِيلِيَّةُ		النُّصُوصُ القُرْآنِيَّةُ
	البِدايـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــة		
01	- [هذا نسب يسوع المسيح ابنِ داود ابن إبراهيم، إبراهيم ولَدَ إسحاق، وإسحاق ولَدَ يعقوب، ويعقوب ولَدَ يَهوذا وإخوته، ويهوذا ولَدَ فارص وزارح من ثامار، وفارص ولَدَ حصرون، وحصرون ولَدَ أرام، وأرام ولَدَ عمّيناداب، وعمّيناداب ولد نحشون، ونحشون ولَدَ سلَمُون، وسلمون ولَدَ بوعز من راحاب، وبوعز ولَدَ عوبيد من راعوث، وعوبيد ولَدَ يسّى، ويسّى ولَدَ داود الملك، وداود ولَدَ سليمان من امرأة أوريا، وسليمان ولَدَ رحبعام، ورحبعام ولَدَ أبيّا، وأبيّا ولَدَ آسَا، وآسا ولَدَ يوشافاط، ويوشافاط ولَدَ يورام، ويورام ولَدَ عُزّيا، وعزّيا ولَدَ يوثام، ويوثام ولَدَ أحاز، وأحاز ولَدَ حزقيّا، وحزقيا ولَدَ منسّى، ومنسّى ولَدَ آمون، وآمون ولَدَ يوشيَا، ويوشيّا ولَدَ يكنيّا وإخوته زمن السّبي إلى بابل، وبعد السّبي إلى بابل يكنيّا ولَدَ شألتيئيل، وشألتيئيل ولَدَ زَرُبابل، وزربابل ولَدَ أبيهود، وأبيهود ولَدَ ألياقيم، وألياقيم ولَدَ عازور، وعازور ولَدَ صادوق، وصادوق ولَدَ أخيم، وأخيم ولَدَ أليُود، وأليُود ولَدَ أليعازر، وأليعازر ولَدَ متّان، ومتان ولَدَ يعقوب، ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يُدعى المسيح، فمجموع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً]. (متّى: 1/1-17).	01	- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾. (آل عمران: 33-34).

02	- [نقرأ في أخبار أسباط إسرائيل الاثني عشر أنّ يواكيم كان غنيًّا جدًّا ويُقدّم لله قرابين مضاعفة، قائلًا في قلبه: "لتكُن خيراتي للشّعب كلّه، من أجل مغفرة خطاياي لدُن الله، ليُشفِق الرّبّ عليّ"، وحلّ عيد الرّبّ الكبير، وكان أبناء إسرائيل يأتون بقرابينهم، فاحتجّ روبين على يواكيم قائلًا: "إنّك لا تملك الحقّ بتقديم قربانك، لأنّك لم تحظ بذرّيّة في إسرائيل"، فاستولى على يواكيم حزن عظيم، ومضى يراجع سلاسل أنسابِ الأسباط الاثني عشر، قائلًا في سرّه: "سوف أرى إنْ كنتُ الوحيد في أسباط إسرائيل الذي لم يحظ بذرّية في إسرائيل"، وبتفحُّص الماضي رأى أنّ الأبرار كلّهم خلّفوا عقبًا؛ لأنّه تذكّر إبراهيم الأب الذي رزقه الله في أيّامه الأخيرة إسحاق ابنًا، إذّاك لم يشأ يواكيم مختمًا لهذه الذّكرى، الظّهور ثانيّة أمام امرأته، فمضى إلى الصّحراء ونصَبَ فيها خيمته، وصام أربعين يومًا وأربعين ليلة قائلًا في قلبه: "لن أتناول طعامًا ولا شرابًا، وصلاتي ستكون طعامي الوحيد". وكانت امرأته حنّة تعاني حزنًا مضاعفًا، وكانت فريسة الّلوم مضاعف قائلة: "إنّني أرثي لترمّلي وعقمي"، إلّا أنّ عيد الرّبّ الكبير حلّ، فقالت يهوديت خادمة حنّة لها: "إلى متى سوف تستسلمين للحزن؟ ليس مسموحًا لك بالبُكاء، فها هو يوم العيد الكبير، خذي إذا هذا الرّداء وزيّني رأسك، وكما أنا خادمتك، كذلك سوف تُشبعين ملكة"، فأجابت حنّة: "ابتعدي عنّي، لا أريد أن أفعل شيئًا من ذلك، إنّ الله أذلّني بشدّة، أخشى أن يعاقبني الله بسبب خطيئتكِ"، فأجابت الخادمة يهوديت: "ماذا أقول لك، طالما أنّك لا	02	- ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾. (آل عمران: 35-37).

تريدين سماع صوتي؟، إنّ الله أخلف بحقّ بطنك لئلّا تُرزقي طفلًا لإسرائيل"، وحزنت حنّة جدًّا، وخلعت ثياب حدادها، وزيّنت رأسها وارتدت ملابس عرس، ونزلت نحو السّاعة التّاسعة إلى الحديقة لتتنزّه، وإذ رأت شجرة الغار جلست تحتها، ووجّهت صلواتها إلى الرّبّ قائلة: "يا إله آبائي، باركني واستجب صلاتي كما باركتَ أحشاء سارة ورزقتها إسحاق ابنًا، ورأت على شجرة الغار وهي ترفع عينيها إلى السّماء عُشّ دوري فصاحت بألم: "وا أسفي! بماذا يمكنني أن أُقارن؟ لمَن أدين بالحياة لأكون ملعونة هكذا في حضور أبناء إسرائيل؟، إنّهم يسخرون منّي ويحقّرونني وقد طردوني من هيكل الرّبّ، وا أسفي ماذا أُشبه؟ أيمكنني أن أُقارَن بطيور السّماء؟ لكنّ الطّيور وَلود أمامك، يا ربّ أيمكنني أن أُقارن بحيوانات الأرض؟ لكنّها وَلود، لا، لا يمكنني أن أُقارَن بالبحر لأنّه مسكون بأسماك، ولا بالأرض لأنّها تعطي ثمارًا في أوانها وتُبارك الرّبّ". وإذا بملاك الرّبّ طار نحوها وقال لها: "يا حنّة، إنّ الله سمع صلاتك، وسوف تحبلين وتلدين، ويكون نسلك مشهورًا في العالم بأسره"، فقالت حنّة: "ليحي الرّبّ إلهي، سواء كان صبيًّا أو بنتًا ما ألده، فسوف أقدّمه للرّبّ، وسوف يكرّس حياته للخدمة الإلهيّة"، وإذا بملاكين أتيا قائلين لها: "هو ذا يواكيم زوجك يصل مع قطعانه"، ونزل ملاك الرّبّ نحوه قائلًا: "يا يواكيم، يا يواكيم، إنّ الله سمع صلاتك، وستحبل امرأتك حنّة"، ونزل يواكيم ونادى رعاته قائلًا: "هاتوني بعشر نعاج سليمة وبلا عيب، وسأنذرها للرّبّ إلهي، وقودوا إليّ اثني عشر عجلًا بلا عيب،

وسوف أقدّمها للكهنة وشيوخ بين إسرائيل، وائتوني بمائة كبش، وهذه الأكباش كلّها ستكون للشّعب كلّه". وإذا بيواكيم قد جاء مع قطعانه، فركضت امرأته وارتمت على عنقه قائلة: "أعرف الآن أنّ الرّبّ إلهي باركني، لأنّني كنتُ أرملة ولم أعد كذلك، وكنتُ عاقرًا وحبلت"، وارتاح يواكيم في اليوم نفسه في منزله، وفي الغد قدّم قرابينه وقال في قلبه: "إذا كان الرّبّ قد باركني، فلتكُن لي على ذلك علامة ظاهرة على رقاقة حُلّة الكاهن الأعظم"، وقدّم يواكيم هباته ونظر إلى الرّقاقة أو البطوال حين قُبِل على مذبح الله ولم ير خطيئة فيه، فقال يواكيم: "أعلم الآن أنّ الرّبّ استجابني وغفر لي كلّ خطاياي"، ونزل مؤيّدًا من بيتِ الرّبّ وأقبل إلى منزله، وحبلت حنّة، وفي الشّهر التّاسع ولدَت وقالت لقابلتها: "ماذا ولدتُ؟" فأجابت الأُخرى: "بنتًا"، فقالت حنّة: "نفسي ابتهجت هذه السّاعة"، وأرضعَت حنّة ابنتها وأسمتها مريم، وتقوّتِ الطّفلة من يوم إلى يوم، وعندما بلغت من العمر ستّة أشهر، وضعتها أمُّها أرضًا لترى إنْ كانت ستقف، فقامت بسبع خطوات سائرة وجاءت ترتمي في ذراعي أُمّها، فقالت حنّة: "ليحي الرّبّ إلهي، لن تسيري على الأرض حتّى أُقدّمك في هيكل الرّبّ"، وطهّرتها في سريرها، وكلُّ ما كان مُنجّسًا كانت تبعده عنها لأجلها، وناديت بناتًا يهوديات بلا عيب للاعتناء بالطّفلة، وعندما أتمّت عامها الأوّل؛ أقام يواكيم وليمة كبرى، ودعا أُمراء الكهنة والكتبة ومجلس الشّيوخ كلّه وكلّ شعب إسرائيل، وقدّم هدايا لأُمراء الكهنة، فباركوها قائلين: "يا إله آبائنا، بارك هذه الطّفلة

وأعطها اسمًا يُعظَّم في كلّ الأجيال"، وقال الشّعب كلّه: "آمين، ليكُن كذلك"، وقدّمها أبوها للكهنة فباركوها قائلين: "يا إله المجد، أخفِض أنظارك على هذه الطّفلة وامنحها بركة لا تعرف أيّ انقطاع"، وحملتها أمّها وأرضعتها، وأنشدت نشيدًا قائلة: "سأُنشد مدائح الرّبّ إلهي؛ لأنّه زارني وخلّصني من إهانات أعدائي، وأعطاني الرّبّ إلهي ثمرة عدل مضاعفة في حضرته، مَن يعلن لأبناء روبين أنّ لحنّة طفلًا؟، اسمعي كلّك يا أسباط إسرائيل الاثني عشر، اعلمي أنّ حنّة تُرضع"، ووضعت الطّفلة في المكان الذي طهّرته، وخرجت وخدمت المدعوين، وحين انتهت الوليمة خرجوا ملؤهم الفرح وأسموها مريم، وهم يمجّدون إله إسرائيل. وعندما بلغت مريم الثّانية من عمرها، قال يواكيم لحنّة زوجته: "لنقدّمها إلى هيكل الله، ولنتمّم النّذر الذي أقسمنا عليه خشية أن يغضب الله علينا وينتزع منّا هذه الطّفلة"، فقالت حنّة: "لننتظر العام الثّالث خوفًا من أن تعاود طلب أبيها وأُمّها"، فقال يواكيم: "لننتظر"، وبلغت الطّفلة عامها الثّالث فقال يواكيم: "نادوا عذارى العبرانيين البلا عيب، وليحملْن مصابيح ويُشعلنها، وعلى الطّفلة ألّا تلتفِت على الوراء، وعلى ذهنها ألّا يبتعد عن بيت الله"، وصنعت العذارى كما أمر به، ودخلن الهيكل، واستقبل أمير الكهنة الطّفلة وقبّلها وقال: "يا مريم، إنّ الرّبّ أعطى اسمك عظمة في كلّ الأجيال، وفي آخر الأيّام سيُظهر الله فيك ثمن خلاص أبناء إسرائيل"، ووضعها على درجة المذبح الثّالثة، فسكب الله نعمته عليها، فارتعشت فرحًا وهي ترقص برجليها، وكلّ بيت

إسرائيل أحبّها. ونزل أبواها مُعجبين شاكرين الله ومُستحسنين على أنّ الطّفلة لم تلتفت نحوهما، وكانت مريم مربّاة كحمامة في هيكل الرّبّ، وكانت تتلقّى طعامًا من يد الملائكة. وعندما بلغت الثّانيّة عشر من عمرها، اجتمع الكهنة في بيت الرّبّ وقالوا: "ها هي مريم أمضت عشرة أعوام في الهيكل؛ فماذا سنفعل في شأنها خوفًا من أن تعاني قداسة هيكل الرّبّ إلمامًا دنسًا ما؟"، وقال الكهنة لأمير الكهنة: "اذهب إلى أمام هيكل الرّبّ وصلّ من أجلها، وما يُظهره الله لك نمتثل له"، فدخل أمير الكهنة إذًا قدس الأقداس وقد لبس رداءه الكهنوتي؛ المُزيّن باثني عشر جُريسًا وصلّى من أجل مريم، وإذا بملاك الرّبّ بدا له وقال: "يا زكريّا، يا زكريّا، أخرج واستدع مَن هو أرامل وسط الشّعب، وليأتِ كلّ واحدٍ بقلم، ومَن يختاره الله بعلامة يكون الزّوج المُعطَى لمريم ليحفظها"، ومضى بُشراء إذا في كلّ بلاد اليهوديّة، ودوّى بوق الرّبّ وهرع الجميع، وأتى يوسف كالآخرين وقد تخلّى عن فأسه، وإذ اجتمعوا مضوا نحو الكاهن الأعظم بعدما تسلّموا أقلامًا، فأخذ الكاهن قلم كلّ واحد، ودخل الهيكل وصلّى وخرج بعد ذلك وأعاد إلى كلّ واحدٍ القلم الذي جاء به، فلم تظهر أيّ علامة؛ لكنّه عندما أعاد إلى يوسف قلمه خرجت منه حمامة حطّت على رأس يوسف، فقال الكاهن الأعظم ليوسف: "لقد عُيّنتَ باختيار الله لتتكفّل عذراء الرّبّ هذه وحفظها قربك"، فقدّم يوسف اعتراضات قائلًا: "لي أولاد وأنا شيخ، بينما هي فتيّة جدًّا، وأخشى أن أكون عُرضة للسّخريّة بالنّسبة إلى أبناء إسرائيل"، فأجابه الكاهن الأعظم يوسف:

"اخشَ الرّبّ إلهك وتذكّر كيف عاقب الله عصيان داتان وأبيرون وقارح، وكيف انفتحت الأرض وابتلعتهم؛ لأنّهم تجرّؤوا على اعتراض أوامر الله، اخشَ إذا يا يوسف أن يحصل كذلك لبيتك"، فتقبّل يوسف مريم مرتعبًا وقال لها: "إنّني أتقبّلك من هيكل الرّبّ وأترك لك المَسْكن، وأذهبُ لأزاول مهنتي نجّارًا وأعود إليك، وليحفظك الله كلّ الأيّام"، وعُقد اجتماع للكهنة وقالوا: "لنصنع حجابًا أو بساطًا لهيكل الرّبّ"، فقال أمير الكهنة: "هاتوا إليّ عذارى سبط داود البلا عيب"، ووُجدت سبع من تلك العذارى، ورأى أمير الكهنة أمامه مريم التي كانت من سبط داود وكانت بلا عيب أمام الله، فقال: "اقترعوا على مَن تغزل خيط ذهبٍ وناري وكتّان رفيع وحرير وبرتقالي محمرّ وقُرمزيّ"، وحصلَت مريم بالقرعة على الأرجوان الخالص والقرمز، وإذ تسلّمتهما ذهبت إلى بيتها، وفي الوقت نفسه أصبح زكريّا أبكم، وحلّ صموئيل محلّه، إلى أن يخاطبك زكريّا ثانيّة يا مريم، وأخذت مريم تغزل، وقد تسلّمت الأرجوان والقرمز، ومضت تسقي ماءً وقد تناولت جرّة فإذا بها تسمع صوتًا يقول: "السّلام عليك يا مريم، يا مملوءة نعمة، الرّبّ معك، الرّبّ معكِ، مباركة أنت من بين كلّ النّساء..."].[1]

(إنجيل يعقوب التّمهيدي: 01-11).

- ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

(آل عمران: 42-43).

- ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾.

(التّحريم: 12).

[1]- **الأناجيل المنحولة**، ص32-39، وقد اقتبسنا من هذا الإنجيل رغم أنّه غير معترف به عند المسيحيين اليوم؛ ابتغاء موازنة المقابلة الجارية، وذلك لأنّ الأناجيل المُعترف بها خلتْ من الإشارة إلى البشارة بمريم ومولدها ونشأتها.

	- [أُرسِل المَلاكُ جبرائيل من قِبَل الله إلى مدينة بالجليل اسمها النّاصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف، من بيت داود، واسم العذراء مريم، فدخل المَلاك وقال لها: "سلام، أيّتُها المُنعَم عليها!، الرّبُّ معكِ: مباركة أنتِ بين النّساء"]. (لوقا: 01/ 26-28).		
03	- [كان في زمن هيرودس ملك اليهوديّة كاهنٌ اسمه زكريّا، من فِرقة أَبِيّا، وزوجته من نسل هارون، واسمها أليصابات، وكان كلاهما بارّين أمام الله، يسلُكان وِفقًا لوصايا الرّبّ وأحكامها كلِها بغير لوم، ولكِن لم يكُن لهما ولد؛ إذ كانت أليصابات عاقرًا وكِلاهما قد تقدّمَا في السّنّ كثيرًا، وبينما كان زكريّا يؤدّي خدمته الكهنوتيّة أمام الله في دور فِرقته وقعت عليه القُرعة التي أُلقيَت حسب عادة الكهنوت ليدخُل هيكل الرّبّ ويُحرِق البخور، وكان جمهور الشّعب جميعًا يصلُّون خارجًا في وقت إحراق البخور، فظهر له ملاكٌ من عند الرّبّ واقِفًا عن يمين مذبَح البخور، فاضطرب زكريّا لمّا رآه واستولى عليه الخوف، فقال له المَلاك: "لا تخف يا زكريّا، لأنّ طِلبَتَكَ قد سُمِعت، وزوجتك أليصابات ستلِد لك ابنًا، وأنت تسمّيه يوحنّا، ويكون لك فرحٌ وابتهاجٌ وكثيرون سيفرحون بولادته، وسوف يكون عظيمًا أمام الرّبّ، ولا يشرب خمرًا ولا مُسكرًا، ويمتلئ بالرّوح القدس وهو بعدُ في بطن أُمّه، ويرُدُّ كثيرين من بني إسرائيل إلى الرّبّ إلهِهم، فيتقدّم أمامه وله روح إيليّا وقدرته، ليرُدَّ قلوب الآباء إلى الأولاد، والعُصاة إلى	03	- ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾. (آل عمران: 38-41).

حكمة الأبرار، ليهيّئ للرّبّ شعبًا مُعدًّا"، فسأل زكريّا المَلاك: "بِمَ يتأكّد لي هذا، فأنا شيخٌ كبير وزوجتي متقدّمة في السّنّ؟" فأجابه المَلاك: "أنا جبرائيل، الواقِف أمام الله، وقد أُرسلتُ لأُكلّمك وأُبشّرك بهذا، وها أنتَ ستبقى صامِتًا لا تستطيع الكلام، إلى اليوم الذي يحدُث فيه هذا؛ لأنّك لم تصدّق كلامي، وهو سيتمُّ في حينه". وكان الشّعب منتظرين زكريّا، وهم متعجّبون من تأخُّره داخل الهيكل، ولكنّه لمّا خرج لم يقدِر أن يكلّمهم، فأدركوا أنّه رأى رؤيا داخل الهيكل، فأخذ يُشير لهم وظلّ أخرس، ولمّا أتمّ أيّام خِدمته رجع إلى بيته، وبعد تلك الأيّام، حبلت أليصابات زوجته، فكتمَت أمرها خمسة أشهر قائلة: "هكذا فعل الرّبّ بي في الأيّام التي فيها نظرَ إليّ لينزع عنّي العار من بين النّاس"... ولمّا تمّ زمانها لتلد فولدَت ابنًا، وسمع جيرانها وأقاربُها أنّ الرّبّ أفاض رحمته عليها، ففرحوا معها، وفي اليوم الثّامن حضرُوا ليختِنوا الولد، وكادوا يسمّونه زكريّا على اسم أبيه، ولكنّ أُمّه قالت: "لا، بل يُسمّى يوحنّا!"، فقالوا لها: "ليس في عشيرتك أحدٌ تسمّى بهذا الاسم"، وأشاروا لأبيه ماذا يريد أن يُسمّى، فطلَب لوحًا وكتَبَ فيه: "اسمه يوحنّا"، فتعجّبوا جميعًا، وانفتح فمُ زكريّا في الحال وانطلق لسانه، فتكلّم مباركًا الله، فاستولى الخوف على جميع السّاكنين في جوارهم، وصارت هذه الأمور موضوع الحديث في جبال اليهوديّة كلّها، وكان جميعُ السّامعين يضعونها في قلوبهم قائلين: "تُرى، ماذا سيصير هذا الطّفل؟" فقد كانت يد الرّبّ معه. وامتلأ زكريّا أبوه من الرّوح القدس،

- ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبًا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ۝١١ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ۝١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ۝١٣ وَبَرّٗا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ۝١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ۝١٥﴾ .

(مريم: 01-15).

	فتنبّأ قائلًا: "تبارك الرّبّ إله إسرائيل؛ لأنّه تفقّد شعبه وعمِل له فداء، وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه، كما تكلّم بلسان أنبيائه القدّيسين الذين جاؤوا منذ القديم: خلاص من أعدائنا ومن أيدي جميع مُبغضينا، ليُتمّ الرّحمة نحو آبائنا ويتذكّر عهده المقدّس؛ ذلك القَسَم الذي أقسم لإبراهيم أبينا: بأنْ يمنحنا بعد تخليصنا من أيدي أعدائنا أنْ نعبده بلا خوف، بقداسة وبِرّ أمامه، طوال حياتنا، وأنت، أيّها الطّفل، سوف تُدعى نبيّ العليّ؛ لأنّك ستتقدّم أمام الرّبّ لتُعِدّ طُرُقه، لتُعطي شعبه المعرفة بأنّ الخلاص هو بمغفرة خطاياهم بفضل عواطف الرّحمة لدى إلهنا، تلك التي تفقّدَنَا بها الفجرُ المُشرق من العَلاء، ليُضيء على القابعين في الظّلام وظلّ الموت، ويهدي خُطانا في طريق السّلام". وكان الطّفل ينمو ويتقوّى بالرُّوح، وأقام في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل]. (لوقا: 01/ 05-25، 57-80).		
04	- [فاضطَرَبت لكَلام الملاك، وساءَلت نفسها: "ما عسى أنْ تكون هذه التّحيّة!"، فقال لها المَلاك: "لا تخافي يا مريم، فإنّكِ قد نلتِ نعمة عند الله! وها أنتِ ستحبلين وتلِدين ابنًا، وتُسمّينه يسوع، إنّه يكون عظيمًا، وابنُ العليّ يُدعَى، ويمنحُه الرَّبُّ الإله عرش داود أبيه، فيملك على بيتِ يعقوب إلى الأبد، ولن يكُون لمُلكِه نهاية». فقالت مريم للملاك: "كيف يحدُث هذا، وأنا لستُ أعرِف رجُلًا؟"، فأجابها الملاك: "الرّوح القدس يأتي عليكِ،	04	- ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾. (آل عمران: 45-47).

وقُدرة العليّ تُظلّلكِ، لذلك أيضًا فالقُدّوس المولود منك يُدعَى ابنَ الله، وها هي نسيبتُكِ أليصابات أيضًا قد حبلت بابن في سنّها المُتقدّمة، وهذا هو الشّهر السّادس لتلك التي كانت تُدعَى عاقرًا، فليس لدى الله وعدٌ يستحيل عليه إتمامه"، فقالت مريم: "ها أنا عبدةُ الرّبّ، ليكُن لي كما تقول!"، ثمّ انصرف الملاكُ من عندها. وفي تلك الأيّام، قامت مريم وذهبت مسرعة إلى الجبال، قاصدة إلى مدينة من مُدن يهوذا، فدخلت بيت زكريّا وسلّمت على أليصابات، ولمّا سمعت أليصابات سلام مريم، قفزَ الجنين داخل بطنها، وامتلأت أليصابات من الرّوح القدس، وهتفت بصوتٍ عالٍ قائلة: "مُباركة أنتِ بين النّساء! ومباركة ثمرة بطنكِ! فمِن أين لي هذا: أن تأتي إليّ أمّ ربّي؟"، فإنّه ما إنْ وقع صوت سلامكِ في أُذنيّ حتّى قفز الجنينُ ابتهاجًا في بطني: فطُوبى للتي آمنت أنّها سيتمُّ ما قيل لها من قِبل الرّبّ"، فقالت مريم: "تُعظّم نفسي الرّبّ، وتبتهج روح بالله مخلّصي، فإنّه نظر إلى تواضع عبدته، وها إنّ جميع الأجيال من الآن فصاعدًا سوف تُطوّبُني، فإنّ القدير قد فعل بي أمورًا عظيمة، قدُّوس اسمه، ورحمته للذين يتّقونه جيلًا بعد جيل، عمِل بذراعه قوّة، شتّتَ المُتكبّرين في نيّات قلوبهم، أنزل المُقتدرين عن عروشهم، ورفع المتواضعين، أشبعَ الجياع خيرات، وصرف الأغنياء فارغين، أعان إسرائيل فتاه، مُتذكّرًا الرّحمة، كما تكلّم إلى آبائنا، لإبراهيم ونسله إلى الأبد"، وأقامت مريم عند أليصابات نحو ثلاثة أشهُر، ثمّ رجعت إلى بيتها]. (لوقا: 01/ 29-56).

- ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا
مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾
قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾
قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا
﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ
وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ
هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ
أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا
قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ
قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا
﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ
سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ
رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ
مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ
أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا
تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾
يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن
كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ
ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا
كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا
﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا
شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ

	- [وفي ذلك الزّمان، أصدر القيصر أُغسطس مرسومًا يقضي بإحصاء سكّان الإمبراطوريّة، وقد تمّ هذا الإحصاء الأوّل عندما كان كيرينيوس حاكمًا لسوريّة، فذهب الجميع ليُسجّلوا، كلّ واحِدٍ إلى بلدته، وصعد يوسف أيضًا من مدينة النّاصرة بمنطقة الجليل إلى مدينة داود المدعوّة بيت لحم بمنطقة اليهوديّة؛ لأنّه كان من بيت داود وعشيرته، ليتسجّل هناك مع مريم المخطوبة له، وهي حُبلى، وبينما كانا هناك، تمّ زمانُها لِتلد، فولدَت ابنها البِكر، ولفّتْهُ بقِماط، وأنامته في مِذْود، إذ لم يكن لهما متّسع في المنزل، وكان في تلك المنطقة رعاةٌ يبيتون في العراء، يتناوَبون حِراسة قطيعهم في اللّيل، وإذا ملاكٌ من عند الرّبّ قد ظهر لهم، مجْدُ الرّبّ أضاء حولهم، فخافوا أشدّ الخوف، فقال لهم المَلاك: "لا تخافوا! فها أنا أُبشّركم بفرح عظيم يعمُّ الشّعب كلّه: فقد وُلد لكم اليوم في مدينة داود مخلّص هو المسيح الرّبّ، وهذه هي العلامة لكم: تجدون طفلًا ملفوفًا بقماط ونائمًا في مذوَد"، وفجأة ظهر مع الملاك جمهورٌ من الجُند السّماوي، يسبّحون الله قائلين: "المجدُ لله في الأعالي، وعلى الأرض السّلام، وفي النّاس البهجة!"، ولمّا انصرف الملائكة عن الرُّعاة إلى السّماء، قال بعضهم لبعض: "لنذهب إذن إلى بيت لحم، ولننظر هذا الأمر الذي حدَثَ وقد أعلمنا به الرّبّ!"، وجاؤوا مُسرعين، فوجدوا مريم ويوسف، والطّفل نائمًا في المِذْوَد، فلمّا رأوا ذلك، أخذوا يُخبِرون بما قيل لهم بخصوص هذا الطّفل، وجميع الذين سمعوا بذلك دُهِشوا ممّا قاله لهم الرُّعاة، وأمّا مريم، فكانت تحفظ هذه		وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ . (مريم: 16-33).

الأُمور جميعًا، وتتأمّلها في قلبها، ثمّ رجع الرُّعاة يُمجّدون الله ويسبّحونه على كلّ ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم. ولما تمّت ثمانيّة أيّام ليُختَن الطّفل، سُمّي يسوع، كما كان قد سُمّي بلسانِ المَلاك قبل أن يُحمَل به في البطن، ثمّ لمّا تمّتِ الأيّام لتطهيرها حسب شريعة موسى، صعِدَا به إلى أورشليم ليُقدّماه إلى الرّبّ كما كُتِب في شريعة الرّبّ: "كلُّ بكر من الذّكُور يُدعَى قُدسًا للرّبّ"، وليُقدّما ذبيحة كما يوصَى في شريعة الرّبّ: "زوجي يمام، أو فرخي حمام". وكان في أورشليم رجلٌ اسمه سِمعان، وهو رجل بارٌّ تقيٌّ ينتظر العزاء لإسرائيل وكان الرّوح القدس عليه، وكان الرّوح القدس قد أوحى إليه أنّه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرّبّ، وقد جاء إلى الهيكل بدافع من الرّوح، فلمّا أحضر الأبوان الطّفل يسوع ليُقدّما عنه ما سُنَّ في الشّريعة، حمَله على ذراعيه وبارك الله، وقال: "أيّها السّيّد، الآن تُطلق عبدَك بسلام حسب وعدك!، فإنّ عينيَ قد أبصرَتَا خلاصك الذي هيّأته لتُقدّمه إلى الشّعوب كلّها، نور هداية للأُمم ومجدًا لشعبك إسرائيل"، وكان أبوه وأُمّه يتعجّبان من هذا الكلام الذي قيل فيه، فباركهما سمعان، وقال لمريم أمّ الطّفل: "ها إنّ هذا الطّفل قد جُعِل لسقوط كثيرين وقيام كثيرين في إسرائيل، وآية تُقاوَم –حتّى أنتِ سيخترِق نفسك سيفٌ– لكي تنكشِف نيّاتُ قلوبٍ كثيرة!"، وكانت هناك نبيّة، هي حنّة بنت فنوئيل من سِبط أشير، وهي متقدّمة في السّنّ، وكانت قد عاشت مع زوجها سبع سنين بعد عذراويتها، وهي أرملة نحو أربعٍ وثمانين سنة، لم تكُن تُفارق الهيكل وكانت تتعبّد ليلًا

ونهارًا بالصّوم والدُّعاء، فإذ حضرت في تلك السّاعة، أخذت تسبّح الرّبّ وتتحدّث عن يسوع مع جميع الذين كانوا ينتظِرون فِداءً في أورشليم. وبعد إتمام كلّ ما تقتضيه شريعة الرّبّ، رجعوا إلى مدينتهم النّاصرة بالجليل، وكان الطّفل ينمو ويتقوّى، مُمتلئًا حكمة، وكانت نعمة الله عليه. وكان أبواه يذهبان كلّ سنة على أورشليم في عيد الفصح، فلمّا بلغ سنّ الثّانيّة عشر، صعِدوا إلى أورشليم كالعادة في العيد، وبعد إنتهاء يوم العيد رجعا، وبقيَ الصّبيّ يسوع في أورشليم، وهما لا يعلمان، ولكنّهما إذ ظنّاه بين الرّفاق، سارَا مسيرة يومٍ واحِدٍ ثمّ أخذا يبحثان عنه بين الأقارب والمعارف، ولمّا لم يجِداهُ، رجعَا إلى أورشليم يبحثان عنه، وبعد ثلاثة أيّام وجدَاه في الهيكل، جالسًا وسط المُعلّمين يستمع إليهم ويطرح عليهم الأسئلة، وجميع الذين سمِعُوه دُهِلوا من فهمه وأجوبته، فلمّا رأياه دُهِشا، وقالت له أُمّه: "يا بني، لماذا عمِلت بنا هكذا؟ فقد كنّا، أبوك وأنا، نبحث عنك مُتضايقين!"، فأجابهما: "لماذا كنتما تبحثان عنّي؟ ألم تعلَمَا أنّ عليّ أن أكون في ما يخصّ أبي؟"، فلم يفهما ما قاله لهما، ثمّ نزل معهما ورجع على النّاصرة، وكان خاضِعًا لهما، وكانت أُمّه تحفظ هذه الأُمور كلّها في قلبِها، أمّا يسوع، فكان يتقدّم في الحِكمة والقامة، وفي النّعمة عند الله والنّاس.... ولمّا تعمّد الشّعب جميعًا تعمّد يسوع، وإذ كان يُصلّي، إنفتحت السّماء، وهبَط عليه الرّوح القُدس متّخِذًا هيئة جسميّة مِثل حمامة، وانطلَق صوتٌ من السّماء يقول: "أنتَ ابني الحبيب بك

	سُررتم كلّ سرور"]. (لوقا: 02/ 01-52، 03/ 21-22).		
	النّهايـــــــــــــــــــــة		
01	- [... بعدما انتهى يسوع من صلاته هذه، خرج معه تلاميذه وعبروا وادي قِدْرُون، وكان هنالك بستان، فدخله هو وتلاميذه، وكان يهوذا الذي خانه يعرِفُ ذلك المكان لأنّ يسوع كان يجتمع فيه كثيرًا مع تلاميذه. فذهب يهوذا إلى هناك آخِذًا معه فِرقةَ الجُنود وحرس الهيكل الذين أرسلهم رؤساء الكهنة والفرّيسيون وهم يحملون المشاعل والمصابيح والسّلاح، وكان يسوع يعرف كلّ ما سيحدُث له، فتقدّم نحوهم وقال: "مَن تريدون؟" فأجابوه: "يسوع النّاصري"، فقال لهم: "أنا هو"، وكان يهوذا الذي خانه واقِفًا معهم، فلمّا قال لهم: "أنا هو" تراجعوا وسقطوا على الأرض!، فعاد يسوع يسألهم: "مَن تريدون؟" أجابوه: يسوع النّاصري"، فقال: "قلتُ لكم: أنا هو، فإنْ كنتم تريدونني أنا، فدعوا هؤلاء يذهبون". وذلك لتتمّ الكلمة التي قالها: "إنّ الذين وهبتَهم لي لم يهلك منهم أحد!". وكان مع سِمْعَان بطرس سيفٌ فاستلّه وضرب به عبْد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليُمنى، وكان اسم العبد مَلْخُس، فقال يسوع لبُطرس: "أعِدِ السّيف إلى غِمدِه! الكأس التي أعطاني الآب، ألَا أشربُها؟". فقبضت الفِرقة والقائد وحرس الهيكل على يسوع وقيّدوه، وساقوه أوّلًا إلى حنّانَ وهو حمو قَيَافَا رئيس الكهنة في تلك السّنة، وقيَافَا هو الذي أشار على اليهود بأنّه من الأفضل أنْ	01	- ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾. (المائدة: 117).

يموت رجلٌ واحدٌ فِدَى الأُمّة. وتبِع يسوع سِمعان بطرس وتلميذٌ آخر كان رئيس الكهنة يعرفه، فدخل ذلك التّلميذ مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة، أمّا بطرس فوقف بالباب خارِجًا، فخرج التّلميذ الآخر الذي كان رئس الكهنة يعرفه، وكلّم البوّابة فأدخَل بطرس، فسألت الخادمةُ البوّابةُ بطرس: "ألستَ أنتَ أحد تلاميذ هذا الرّجل؟" أجابها: "لا، لستُ منهم!"، وكان الطّقسُ باردًا، وقد أوقَدَ العبيد والحرّاس نارًا ووقفوا يستدفِئون حولها، فوقف بطرس يستدفئُ معهم. وسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه، وعن تعليمه، فأجابه يسوع: "علَنًا تكلّمتُ إلى العالَم، ودائمًا علّمتُ في المَجمَع والهيكل حيث يجتمع اليهود كلّهم، ولم أقُل شيئًا في السِّرّ، فلماذا تسألني أنا؟، اِسأل الذين سمعوا ما تكلّمتُ به إليهم، فهم يعرفون ما قلتُه!"، فلمّا قال يسوع هذا لطمه أحد الحرّاس وقال له: "أهكذا تُجيب رئيس الكهنة؟" أجابه يسوع: "إن كنتُ أسأتُ الكلام فاشهدْ على الإساءة، أمّا إذا كنتُ أحسنتُ، فلماذا تضربني؟"، ثمّ أرسله حنّانُ مقيّدًا إلى قيَافَا رئيس الكهنة. وكان بطرس لا يزال واقِفًا هناك يستدفئ، فسألوه: "ألستَ أنت أيضًا من تلاميذه؟" فأنكرَ وقال: "لستُ أنا"، فقال واحدٌ من عبيد رئيس الكهنة، وهو نسيبُ العبد الذي قطع بطرس أُذنه: "أمَا رأيتُك معه في البستان؟" فأنكر بطرس مرّة أُخرى، وفي الحال صاح الدّيك، ثمّ أخذوا يسوع من دار قيَافَا إلى قصر الحاكم الرّوماني، وكان ذلك في الصّباح الباكر، ولم يدخل اليهود إلى القصر لئلّا يتنجّسوا فلا يتمكّنوا من الأكل من خروف الفِصح، فخرج بيلاطس إليهم

- ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

(آل عمران: 55).

وسألهم: "بماذا تتّهمون هذا الرّجل؟"، أجابوه: "لو لم يكن مذنبًا، لمَا سلّمناهُ إليك!"، فقال بيلاطس: "خذوه أنتم وحاكمُوه حسب شريعتكم"، فأجابوه: "لا يحقّ لنا أنْ نقتُل أحدًا!"، وقد حدَث هذا لتتمّ الكلمة التي قالها يسوع إشارة إلى الميتة التي سيموتها، فدخل بيلاطس قصره واستدعى يسوع وسأله: "أأنت ملك اليهود؟"، فردّ يسوع: "أتقول لي هذا من عندك، أو قاله لك عنّي آخرون؟"، فقال بيلاطس: "وهل أنا يهوديّ؟، إنّ أُمّتَك ورؤساء الكهنة سلّموك إليّ، ماذا فعلتَ؟"، أجاب يسوع: "ليست مملكتي من هذا العالم، ولو كانت مملكتي من هذا العالم، لكان حُرّاسي يجاهدون لكيْ لا أُسلَّم إلى اليهود، أمّا الآن فمملكتي ليست من هنا"، فسأله بيلاطس: "فهل أنت مِلِكٌ إذن؟"، أجابه: "أنتَ قلتَ، إني ملكٌ، ولهذا وُلدتُ وجئتُ إلى العالم: لأشهد للحقّ، وكلّ مَن هو مِن الحقّ يُصغي لصوتي"، فقال له بيلاطس: "ما هو الحقّ؟"، ثمّ خرج إلى اليهود وقال: "إنّي لا أجد فيه ذنبًا!، وقد جرتْ العادة عندكم أنْ أُطلق لكم أحد السُّجناء في عيد الفِصح، فهل تريدون أنْ أُطلق لكم ملك اليهود؟"، فصرخوا جميعًا قائلين: "لا تطلق هذا، بل باراباس"، وكان باراباس لِصًّا، عندئذ أمر بيلاطس بأن يؤخَذَ يسوع ويُجلَد، وجَدَلَ الجُنود إكليلًا من الشّوك وضعوه على رأسه، وألبسوه رداء أُرجوان، وأخذوا يتقدّمون إليه ويقولون: "سلامٌ، يا ملك اليهود!" ويلطمونه. وخرج بيلاطس مرّة أخرى على الجمهور وقال لهم: "سأُخرجه إليكم لتروا أنّي لا أجد فيه ذنبًا!"، فخرج يسوع وعليه إكليل الشّوك ورداء الأُرجوان، فقال لهم

بيلاطس: "ها هو الإنسان!"، فلمّا رآه رؤساء الكهنة والحرس صرخوا: "اصلبه! اصلبه!"، فقال لهم بيلاطس: "بل خذوه أنتم واصلبوه، فإنّي لا أجد فيه ذنبًا!"، فأجابه اليهود: "لنا شريعة، وبحسب شريعتنا يتحتّم عليه الموت؛ لأنّه جعل نفسه ابن الله"، فعندما سمع بيلاطس هذا الكلام، اشتدّ خوفه، ودخل على قصرِه وسأل يسوع: "مِن أين أنتَ؟" فلم يجبه يسوع بشيء، فقال له بيلاطس: "أمَا تكلّمني؟، ألَا تعلم أنّ لي سلطة أَنْ أُطلقك، وسلطة أنْ أصلبك؟"، فأجابه يسوع: "ما كان لك عليّ سُلطة قطّ، لو لم تكُن قد أُعطيَتْ لك من فوق، لذلك فالذي سلّمني إليك له خطيئة أعظم...". من أجل ذلك سعى بيلاطس أنْ يُطلقه، ولكنّ اليهود صرخوا: "إنْ أطلقْتَ هذا، فلستَ مُحبًّا للقيصر، فإنّ كلّ مَن يجعل نفسه ملكًا يُعادي القيصر"، فلمّا سمع بيلاطس هذا الكلام، أمر بإخراج يسوع، وجلَس على كرسيّ القضاء في مكان يُسمَّى "البَلَاط" وبالعبريّة "جَبَّاثَا"، وكان الوقتُ نحو السّادسة في يوم الإعداد للفِصح، وقال بيلاطس لليهود: "ها هو ملكُكم!" فصرخوا: "خذه! خذه! اصلبه!" فسألهم بيلاطس: "أأصلبُ ملكَكم"، فأجابه رؤساء الكهنة: "لا ملِك لنا إلّا القيصر"، فسلّمه بيلاطس إليهم ليُصلَب. فأخذوا يسوع، فخرج وهو حاملٌ صليبه إلى المكان المعروف بمكان "الجُمجُمة"، وبالعبريّة "جُلجُثة"، وهناك صلبوه وصلبُوا معه رجلَين، واحدًا من كلّ جانب، ويسوع في الوسط. وعلّقَ بيلاطس لافِتةً على الصّليب مكتوبًا عليها: "يسوع النّاصري مِلكُ اليهود"، فقرأَ اللّافتة كثيرون من اليهود؛ لأنّ المكان الذي صُلِب يسوع فيه كان قريبًا

من المدينة، وكانت اللّافتة مكتوبة بالعبريّة واللّاتينيّة واليونانيّة، فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس: "لا تكتب: ملك اليهود، بل: إنّ هذا الإنسان قال: أنا ملك اليهود"، فردّ بيلاطس: "ما كتبتُ فقد كتبتُ!"، ولمّا صلبَ الجنودُ يسوع أخذوا ثيابه وقسّموها إلى أربعة أقساء، فأخذ كلّ جنديّ قِسْمًا، وأخذوا القميص أيضًا وكان منسوجًا كلّه من قطعة واحدة بغير خياطة، فقال الجنود بعضهم لبعض: "لا داعي لتمزيقه، بل لنقترع عليه فنرى مَن يكسبه!"، وقد حدث ذلك ليتمّ ما جاء في الكِتاب: "اقتسَموا ثيابي بينهم، وعلى قميصي اقترعوا"، وهذا هو ما فعله الجنود. وهناك عند صلب يسوع وقفت مريم أُمّه، وأخت أمّه مريم زوجة كِلُوبا، ومريم المجدليّة، فلمّا رأى يسوع أُمّه والتّلميذ الذي كان يحبّه واقفًا بالقُرب منها، قال لأُمّه: "أيّتها المرأة، هذا ابنكِ"، ثمّ قال للتّلميذ: "هذه أُمّك"، ومنذ ذلك الحين أخذها التّلميذ إلى بيته. بعد هذا رأى يسوع أنّ كلّ شيء قد اكتمل، فقال: "أنا عطشان"، ليتمّ ما جاء في الكتاب، وكان هناك وعاءٌ مليءٌ بالخلّ، فغمسوا في الخلّ إسفنجة ووضعوها على زُوفَا ورفعوها إلى فمه، فلمّا ذاق يسوع الخلّ، قال: "قد أُكمِل"، ثمّ نكس رأسه وأسلَمَ الرُّوح. ولمّا كان الإعدادُ يتمّ في ذلك اليوم، طلبَ اليهود من بيلاطس أنْ تُكسَر سِيقَان المصلوبين، فتؤخَذ جثثهم لئلّا تبقى معلّقة على الصّليب يوم السّبت، ولاسيما لأنّ ذلك السّبت كان يومًا عظيمًا، فجاء الجنود وكسرُوا ساقيْ كِلا الرّجلين المصلوبين مع يسوع، أمّا يسوع، فلمّا وصلوا إليه وجدوه قد مات، فلم يكسروا ساقيْه، وإنّما طعنه أحد الجنود بحربة في جنبه،

– ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾.

(النّساء: 157-158).

فخرج في الحال دمٌ وماء، والذي رأى هذا هو يشهد، وشهادته حقّ وهو يعلم تمامًا أنّه يقول الحقّ، لكي تؤمنوا أنتم أيضًا، وقد حدث هذا ليتمّ ما جاء في الكتاب: "لن يُكسَر منه عظم"، وقد جاء أيضًا في موضع آخر من الكتاب: "سينظرون إلى ذاك الذي طعنوه". بعد ذلك طلب يوسف الذي من الرّامة إلى بيلاطس أنْ يأذن له بأخذ جثمان يسوع، وكان يوسف هذا تلميذًا ليسوع ولكن في السّرّ؛ لأنّه كان خائفًا من اليهود، فأذن له بيلاطس، فجاء يوسف وأخذ جثمان يسوع، وجاء أيضًا نيقوديموس الذي كان قد أتى من قبلُ إلى يسوع ليلًا، وأحضر معه حوالي ثلاثين لترًا من طيبِ المُرّ المخلوط بالعود، فأخذا جثمان جثمان يسوع ولفّاه بأكفان مع الطّيب، كما كانت عادة اليهود في الدّفن، وكان في المكان الذي صُلِب يسوع فيه بستان، وفي البُستان قبر جديد، لم يسبَق أنْ دُفن فيه أحدٌ، فدفنَا يسوع في ذلك القبر لأنّه كان قريبًا، ولأنّ ذلك اليوم كان يوم الإعداد عند اليهود. وفي اليوم الأوّل من الأسبوع، بكّرت مريم المجدليّة إلى قبر يسوع، وكان الظّلام لا يزال مخيّمًا، فرأت الحَجَر قد رُفع عن باب القبر، فأسرعت وجاءت إلى سمعان بطرس والتّلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبّه وقالت لهما: "أخذوا الرّبّ من القبر، ولا ندري أين وضعوه!"، فخرج بطرس والتّلميذ الآخر وتوجّها إلى القبر، وكانا يركضان معًا، ولكنّ التّلميذ الآخر سبق بطرس فوصل إلى القبر قبله، وانحَنى فرأى الأكفان مُلقاةً على الأرض، ولكنّه لم يدخل، ثمّ وصل سمعان بطرس في إثره إلى القبر ودخله، فرأى أيضًا الأكفان

	مُلقاةً على الأرض، والمنديل الذي كان على رأس يسوع وجدوه ملفوفًا وحدهُ في مكانٍ منفصل عن الأكفان، عند ذلك دخل التّلميذ الآخر الذي كان قد وصل إلى القبر أوّلًا، ورأى فآمن، فإنّ التّلاميذ لم يكونوا حتّى ذلك الوقت قد فهمُوا أنّ الكِتاب تنبّأ بأنّه لابدّ أنْ يقوم من بين الأموات، ثمّ رجع التّلميذان إلى بيتهما...]. (يوحنّا: 18/ 01-40، 19/ 01-42، 20/ 01-10).		
	- [وخلال فترة أربعين يومًا بعد آلامه ظهر لهم مرّات عديدة...، وقد سأله المُجتمعون: "يا ربّ، أفي هذا الوقتِ تُعيد المُلك إلى إسرائيل؟"، فأجابهم: "ليس لكم أنْ تعرفوا المواعيد والأوقات التي حدّدها الآب بسلطته، ولكن حينما يحُلّ الرّوح القُدس عليكم تنالون القوّة، وتكونون لي شهودًا في أورشليم واليهودية كلّها، وفي السّامرة، وإلى أقاصي الأرض". قال هذا وارتفع إلى السّماء بمَشهد منهم، ثمّ حجبته سحابةٌ عن أنظارهم، وبينما هم يحدّقُون إلى السّماء وهو ينطلِق إليها، إذا رجُلان قد ظهرا لهم بثيابٍ بيض، وقالا لهم: "أيُّها الجليليون، لماذا تقفُون ناظرين إلى السّماء؟، إنّ يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السّماء، سيعود منها مثلما رأيتموه منطلقًا إليها!"]. (أعمال الرّسل: 01/ 03، 06-11).		

02	– [...فسوف يبرز أكثر من مسيحٍ دجّال ونبيّ دجّال، ويُقدّمون آياتٍ وأعاجيب، ليُضلّوا حتّى المُختارين لو استطاعُوا، فانتبِهوا إذن! ها أنا قد أخبرتكم بالأُمور كلّها قبل حدوثها، ولكِن في تلك الأيّام، بعد تلك الضّيقة، تُظلِم الشّمس ويحجُبُ القمر ضوءَهُ، وتتهاوى نجوم السّماء، وتتزعزع القوّات التي في السّماوات، وعندئذٍ سوف يُبصِرون ابن الإنسان آتيًا في السّحب بقُدرة عظيمة ومجد، فيُرسِل عندئذ ملائكته ويجمع مُختاريه من الجِهاتِ الأربع، من أقصَى الأرضِ إلى أقصَى السّماء]. (مرقس: 13/ 22-27).	02	– ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ (النّساء: 159). – ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾. (الزّخرف: 61).

وليس لنا من تعليق على هذا الجدول وبعد هذه المُقابلة المُتقاربة في السّياق العام؛ خاصّة في الحديث عن البشارة بمولد المسيح عليه السلام وعلاقته بـ: يحي عليه السلام...، سوى إثبات فروقات أسهمت في التّباعد بين الرّواية الإنجيليّة والرّواية القرآنيّة، ويمكننا اختصار ذلك في النّقاط الآتية تمثيلًا لا حصرًا:

- ذِكرُ الأناجيل للأحداث بالتّرتيب؛ لأنّها من الأساس مُخصّصة لسرد سيرة المسيح من البداية إلى النّهاية، أمّا القرآن فإنّه ذكر ذلك متفرِّقًا ودون ترتيب أحيانًا في عدّة سور، حيث كلّ سورة تتحدّث عن قضيّة معيّنة في هذا الموضوع، وذلك راجعٌ لكون القرآن ليس مخصَّصًا فقط لسرد سيرة المسيح كما الأناجيل، بل هو كتابُ هِداية عام تتقاطع فيه المواضيع المختلفة والقضايا العديدة، وما قصّة المسيح عليه السلام فيه سوى موضوع من مواضيعه العامّة أو قضيّة من قضاياه الجزئيّة المكوّنة لآياته وسوره.
- الإطناب الإنجيلي وإغراقه في التّفاصيل كعادة الكتاب المقدّس في شتّى أحداثه ورواياته حيث للتّاريخ فيه معنى كبير، والاختصار القرآني كعادته في شتّى

المواضيع والأحداث؛ نُشدانًا للعظة واستهدافًا للعِبرة التي هي المغزى المُراد من القصّة أو الحكاية؛ لذلك فإنّ القصص القرآني لا يهتمُّ بذكر أسماء الأشخاص والأماكن والأزمان خِلافًا للكتاب المقدَّس.

- إثباتُ القرآن لاتّهام اليهود لمريم عليها السّلام بالزّنا، ورميهم إيّاها بالإفك والإثم زورًا وبهتانًا، واعتراضهم على ما جاءتهم به (المولود الجديد الصّغير)، وإغفال الأناجيل لكلّ ذلك، حيث لم يذكر أيَّ إنجيل منها هذا الأمر؛ لأنَّ هذه الأناجيل كُتِبتْ في بيئة متأثِّرة بالفكر اليهودي المتعصّب والمُعادي لمريم وابنها عيسى عليهما السّلام.
- تفصيل الأناجيل في طفولة المسيح، وذلك بإحاطتِها من جميع النّواحي، واهتمام القرآن بحادثة مولده فقط؛ حيث هي الحادثة التي ظهرتْ فيها الأعجوبة وتجلّت فيها المعجزة (الميلاد من غير أب، التّكلُّم في المهد*)، مع الإشارة إلى بعض المحطَّات في دعوته ورسالته باقتضاب.
- وصْل نسب المسيح في الأناجيل بيوسف النّجّار –خطيب مريم–؛ أي التّأصيل للنّسب من النّاحية الأبويّة وإلحاقه بنسل داود تحقيقًا لفكرة المسيح المخلّص المُنتظر اليهوديَّة، ووصلُه في القرآن بمريم عليها السّلام؛ للتّأكيد على صِلته المُباشرة بها واقتصاره عليها دون التّعدّي إلى أيّ ذَكَر.
- القبض على المسيح وإهانته وصلبه ودفنه وقيامته من الموْت؛ تفاصيل في نهايته ركّزتْ عليها الأناجيل التي تروِّج لفكرة الخَلاص والفِداء والنَّجاة، ولم يُثبتها له القرآن، بل نفاها عنه إطلاقًا مفنِّدًا إيّاها، مُثبتًا في حقّه النّجاة والرّفع إلى السّماء؛ لأنَّ النِّهايات والبدايات الخاصَّة بالبشر فيه إنَّما هي أمور شخصيَّة فرديَّة، فكلُّ نفسٍ بما كسبَتْ رهينة.

---

* لم ترد الإشارة إلى ذلك في الأناجيل الأربعة المعتمدة (متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا)؛ لأنَّها أناجيل محرَّفة وكُتِبت لغاية محدَّدة، خاصّة الإنجيل الرّابع (إنجيل يوحنَّا) الذي حاول فيه صاحبه جاهدًا التَّرويج لإلوهيّة المسيح وبنوَّتِه لله تعالى، وإنّما ورد ذلك في بعض الأناجيل المنحولة غير المعترف بها من قِبل المسيحيين كإنجيل الطّفولة العربي، حيث جاء فيه في إصحاحه الأوّل: [**إنّ يسوع تكلّم حين كان في المهد، وإنّه قال لأُمّه مريم: "أنا يسوع، ابن الله، الكلمة، كما بشّرك بذلك المَلاك جبرائيل، وأبي أرسلني لخلاص العالم"**]. (**الأناجيل المنحولة**: ص50).

إلى غير ذلك من هذه الفوارق بين الكِتابيْن الشَّاملة لكثير من المحاور والقضايا والمسائل والمواضيع، والتي إنْ دلّت على شيء فإنّما تدلّ على الهُوّة الشّاسعة والبوْن الكثير بينهما في هذا الموضوع، الأمر الذي أدّى ضرورة إلى التّناقض الصَّارخ والصَّريح بين عقيدة المسيحيين وعقيدة المسلمين في كثير من الأحداث المُتعلّقة بالمسيح عليه السلام.

البَابُ الثَّالِثُ: مُوَافَقَاتٌ إِسْلَامِيَّةٌ وَرُدُودٌ مَسِيحِيَّةٌ.

الفَصْلُ الأَوَّلُ: المُوَافَقَاتُ الإِسْلَامِيَّةُ.

الفَصْلُ الثَّانِي: الرُّدُودُ المَسِيحِيَّةُ.

تمهيد:

يتطرّق هذا الباب؛ الباب الثَّالث والأخير من هذا الكتاب؛ والذي هو عبارة عن بابٍ تكميلي تذيلي مُتمّمٌ لغرض لقصيدة ابن قيّم الجوزيّة، إلى إيراد موافقات إسلاميّةٍ وردود مسيحيّةٍ بما له علاقة وطيدة بالقصيدة السّالفة الذّكر أو قريب منها.

فأمّا المقصود بالموافقات الإسلاميّة: فهي تلك النّصوص التي ألّفها علماء ومفكّرون أو أُدباء وشُعراء مسلمون، سواء أكانت منظُومة أو منثُورة، والتي تتّحد مع الغرض ذاته الذي جعله ابن القيّم غرضًا لقصيدته "**أَعُبّاد المسيح**"، والمُتمَحوِر حول الرّد على العقيدة النّصرانيّة في الإلوهيّة والصَّلب والفِدَاء والقِيَامة قصْد إبطالها ودحضها وبيان مخالفتها للعقيدة الإسلاميّة التي جاء بها القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة فيما يخصّ المسيح عيسى ابن مريم عليهما السّلام.

وأمّا المقصود بالرّدود المسيحيَّة: فهي تلك النّصوص التي ألّفها علماء ومفكّرون أو أُدباء وشُعراء مسيحيون، سواء أكانت منظُومة أو منثُورة، والتي وُجِّهت خصّيصًا للرّدّ على قصيدة ابن قيّم الجوزيّة "**أَعُبّاد المسيح**"، وذلك بُغية دحضها وبيان مخالفتها للمنطق السّليم ومُعتقدات النّصَارى في المسيح عليه السلام.

وقد ألحقْناه بهذا الكتاب لما رأينا من ضرورته والحاجة المُلحّة إليه، كونه يُتمّم الغرض ويدعم الفائدة ويقوّي الاستفادة، ويُطلع القارئ على نصوص أُخرى مرتبطة بغرضه دعمًا وتأييدًا أو ردًّا وتفنيدًا بذكر نموذجيْن اثنيْن من كلّ صِنفٍ من الصّنفيْن في المتْن؛ أحدهما شِعرِي والآخر نَثرِي، مع إضافة نموذج ثالث شعريّ في الهامِش لكليْهما، لذلك فهو بمثابة المُلحق الذي لا غنى عنه لِمَن رام اِستِكمال الفهم ونيْل المطلوب، كما أنّه وإضافة إلى هذا كلّه يتعّرف من خلاله اللّغويّ على زادٍ أدبيّ والمُتكلّم على زادٍ عقديّ بخصوص هذا الشّأن، وكلّ هذه الأسباب مُجتمعة أَمْلَتْ علينا وضع هذا الباب في هذا الموضع من هذا الكتاب.

الفَصْلُ الأَوَّلُ: المُوافَقَاتُ الإِسْلَامِيَّةُ

أوّلا- النّمـوذج الشّـعري:[1] ويتمثّل في قصيدة شعريّة نظم أبياتها **الشّيخ أحمد بن علي المليجي الكتبي؛**[*] وهي قصيدة بليغة فصيحة تجادل النّصارى في معتقداتهم جاءت في مضمونها موافقة لقصيدة ابن قيّم الجوزيّة.

[1]– هناك قصائد أُخرى تصبُّ في نفس المعنى والغرض مع قصيدة (أعبّاد المسيح)، نذكر منها على سبيل التّمثيل قصيدة لأبي العلاء المعرّي (363–449هـ)، متكوّنة من ثمانيّة (08) أبيات، مثبتةٌ في ديوان اللّزوميات في حرف الهاء المضمومة مع الباء وواو الرّدف، ونصّها:

أَسْـــــهَبَ النّـــــاسُ فِـــــي المَقَـــــالِ *** ومَـــــا يَظْفَـــــرُ إِلَّا بِزَلَّـــــةٍ مُسْـــــهِبُوهُ

عَجَبًـــــا لِلْمَسِيـــــحِ بَـــــيْنَ أُنَـــــاسٍ *** وإِلَـــــى اللهِ وَالِـــــدٍ نَسَـــــبُوهُ

أَسْـــلَمَتْهُ إِلَـــى اليَهُـــودِ النّصَـــارَى *** وَأَقَـــرُّوا بَـــأَنَّهُمْ صَلَبُـــوهُ

يُشْـــفِقُ الحَـــازِمُ اللَّبِيـــبُ عَلَـــى *** الطِّـــفْلِ إِذَا مَـــا لِدَاتُـــهُ ضَـــرَبُوهُ

وَإِذَا كَـــانَ مَـــا يَقُولُـــونَ فِـــي عِيســـ *** ـــى صَـــحِيحًا فَـــأَيْنَ كَـــانَ أَبُـــوهُ؟

كَيْـــفَ خَلَّـــى وَلِيـــدَهُ لِلْأَعَـــادِي؟ *** أَمْ يَظُنُّـــونَ أَنَّهُـــمْ غَلَبُـــوهُ؟

وَإِذَا مَـــا سَـــأَلْتَ أَصْـــحَابَ دِيـــنٍ *** غَيَّـــرُوا بِالْقِيَـــاسِ مَـــا رَتَّبُـــوهُ

لا يَـــدِينُونَ بِـــالْعُقُولِ وَلَكِـــنْ *** بِأَبَاطِيـــلِ زُخْـــرُفٍ كَذَّبُـــوهُ

(أبو العلاء المعرّي: **اللّزوميات**، ج02، ص418–419)، وهناك مَن ينسب هذه الأبيات لأبي حامد الغزالي، غير أنّ هذا الرّأي مستبعد.

[*]أحمد بن علي المليجي الشّهير بلقب: «الكتبي» (1283هـ/ 1866م)، ولد في قرية مليج (محافظة المنوفية)، وتوفّي في القاهرة في الأربعينيات من القرن العشرين، قضى حياته في مصر، حفظ القرآن الكريم بكتُّاب القرية، ثمّ انتقل للدّراسة في الجامع الأزهر، حتّى حصل على إجازته، عمل بالتّدريس في الأزهر، كما افتتح مطبعة ومكتبة المليجيّة بها، أسّس الحزب الخيري وأصبح رئيسًا له، نَشِطٌ اجتماعيًّا وسياسيًّا، له مُطوّلة تجاوز المائة بيت، وردت ضمن كتاب: «رفع الحجاب عن بلايا ابن خطاب»، وهي في تقريظ الكتاب ومدح مؤلّفه، وله قصائد وردت ضمن كتابه:=

وهذا نصّها:[1]

أَعُبّـــادَ عِيسَـــى لَنَـــا عِنْدَكُـــمْ *** سُـــؤَالٌ عَجِيـبٌ فَهَـلْ مِـنْ جَـوَابِ؟
إِذَا كَـــانَ عِيسَـــى عَلَـــى زَعْمِكُـــمْ *** إِلهًـــا قَـــدِيرًا عَزِيـــزًا يُهَـــابِ
فَكَيْـــفَ اِعْتَقَدتُّـــمْ بَـــأَنَّ يَهُـــودًا *** أَذَاقُـــوهُ بَالصَّـــلْبِ مُـــرَّ العَـــذَابِ؟
وَكَيْـــفَ اِعْتَقَدتُّـــمْ بَـــأَنَّ الإِلَـــهَ *** يَمُـــوتُ ويُـــدْفَنُ تَحْـــتَ التُّـــرَابِ؟
ويَطْلُـــبُ مِـــنْ خَلْقِـــهِ شُرْبَـــةً *** لِيُطْفِـــئَ عَـــنْ قَلْبِـــهِ الالْتِهَـــابِ
فَجَـــاءَ لَـــهُ وَاحِـــدٌ مِنْهُمُـــوا *** بِمُـــرٍّ وخَـــلٍّ وبِـــئْسَ الشَّـــرَابِ
ويُـــوضَعُ ذُلًّا عَلَـــى رَأْسِـــهِ *** مِـــنَ الشَّـوْكِ تَـاجٌ يشِـيب الغُـرَابِ
وتَدْعُـــونَ (فَـــارِسَ) جَـــدًّا لَـــهُ *** ونُطْفَـــةً مِـــنْ زِنَـــى وارْتِكَـــابِ
ومَـــا هَـــوَ إِلَّا كَأَمْثَـالِـــهِ *** عَبْـــدٌ لِخَـالِقِـــهِ ذُو اقْتِـــرَابِ
ولَـــوْ كَـــانَ رَبًّـــا كَمَـــا تَزْعَمُـــونَ *** فَمَـــنْ كَـــانَ يَرْجُـو لِكَشْـفِ العَـذَابِ؟
ومَـــنْ ذَا الّـــذِي رَدَّ رُوحًـــا لَـــهُ *** وقَـــدْ فَـــارَقَتْ جِسْمَـــهُ لِلذَّهَـــابِ؟
ومَـــنْ كَـــانَ مِـــنْ بَعْـدِهِ حَـــافِظًا *** نِظَـــامَ الْوجُـــودِ لِوَقْـــتِ الإِيَّـــابِ؟
وَهَـــلْ أَحْسَـــنَ القَـــوْمُ فِـــي صَـــلْبِهِ *** لِتَخْلِيـــصِ أَشْيَـــاخِكُمْ والشَّبَـــابِ؟
وإِلَّا أَسَـــاؤُوا بِجَلْـــبِ الخَـــلَاصِ *** لَّكُـــمْ إِنَّ هَـــذَا لَشَـــيْءٌ عُجَـــابِ
فَـــإِنْ قُلْتُمُـــوا: إِنَّهُـــمْ أَحْسَنُـــوا *** وَلَـــمْ يَفْعَلُـــوا غَيْـرَ عَـيْنِ الصَّـوَابِ
أَقُـــلْ: فَعَـــلَامَ تُعَـادُونَهُـــمْ؟ *** وَمَـنْ يَصْنَـع الخَيْـرَ يُجْـزَ الثَّـوَاب
وإِنْ قُلْتُمُـــوا: أَنَّهُـــمْ أَجْرَمُـــوا *** بِصَـلْبِ الإِلَـــهِ وبِـئْسَ المُصَـــابِ
أَقُـــلْ: كَيْـفَ هَـــذَا؟ ولَـوْلَاهُ مَـــا *** تَخَلَّصْتُمُـــوا مِـــنْ وَخِيـــمِ المَـآبِ
وهَـــلْ رَضِـــيَ الصَّـــلْبَ أَمْ مُكْـــرَهٌ *** عَلَيْـــهِ فَمَـــا هُـــوَ فَصْـــلُ الخِطَـــابِ؟

=«إعلام البعيد والقريب بعجز من ظنّ أنّه رد على السّؤال العجيب» منها قصيدة السّؤال العجيب في الرّد على أهل الصّليب، وله قصائد وردت ضمن كتاب: «تحذير المسلمين والمسلمات من مدارس النّصارى والمستشفيات»، ومن كتبه أيضا: «إتحاف اللبيب بشواهد السّؤال العجيب»، «الجواب عن سؤال بعض أهل الكتاب». إنّهُ شاعر داعية، إذ يبصِّر المسلمين بمسائل دينهم، ويحذِّرهم من مؤامرات تحيق بهم وغوايات تترصّد لهم، غزير الإنتاج، طويل النّفس، تتراوح أساليبه بين التّحذير والتّحريض والدّعاء؛ فهو مشغول بقضايا الدّعوة، وله غير ذلك تقاريظ لبعض الكتب وأسئلة في شؤون العقيدة والرّد على دعاوى المخالفين، كثير من معانيه تتكرّر، وتتبنّى صوت الحكمة والنّصيحة، وشعره ملتزم وزنًا وقافيّة، يسوقه في لغة سلسة وبيان فصيح، **(ترجمة الشّيخ أحمد المليجي صاحب المطبعة المليجيّة**، موقع الألوكة: https://majles.alukah.net، تاريخ النّشر: 18جويلية 2010م، تاريخ الزّيارة: 20 ماي 2020م، السّاعة: 17:06).

[1]- عثرنا على هذه القصيدة كاملة في ملحق بديوان شعر للشّيخ عبد الرّحمن الدّوسري، ص56-58.

فَـــإِنْ قُلْتُمُـوا: صَـلْبُهُ عَـنْ رِضَـــى *** لِتَكْفِيـرِ ذَنْـبِ امْـــرِئٍ مِنْـهُ تَـــابَ
وَأَعْنِـــي بِـــهِ آدَمَ الفَضْـــلِ مَـــنْ *** لِمَـوْلَاهُ مِمَّـا جَنَـــى قَـــدْ أَنَـــابَ
وَسَـــامَحَهُ اللهُ مِـــنْ فَضْلِـــهِ *** وذَا بَعْـــدَ تَوْفِيقِـــهِ لِلْمَتَـــابِ
فَأَنْتُـــمْ كَذَبْتُـــمْ عَلَـــى رَبِّكُـــمْ *** لِمَـا صَـحَّ مِـنْ فِعْلِـهِ فِـي الكِتَـابِ
فَقَـــدْ كَـــانَ يَهْـــرَبُ مِـنْ صَلْبِـــهِ *** وَيَبْكِـــي عَلَـــى نَفْسِـــهِ بِانْتِحَـــابِ
وَيَدْعُـــو: أَجِرْنِـــي إِلَـــهَ السَّمَـــا *** بِفَضْـلِكَ مِـنْ ذِي الأُمُـور الصِّعَـابِ
وَايلِـــي ايلِـــي نَـــادَى بِهَـــا *** لِـــمَ اليَـــوْمَ تَتْرُكُنِـــي لِلْعَـــذَابِ؟
فَهَـــذَا دَلِيـــلٌ عَلَـــى أَنَّكُـــمْ *** كَذَبْتُـــمْ وَقُلْتُـــمْ خِـــلَافَ الصَّـــوَابِ
وَإِنْ قُلْتُمُـوا: الصَّـلْبُ قَهْـرًا جَـرَى *** فَيَـــا عَجْـــزَ رَبٍّ قَـــوِيِّ الجَنَـــابِ
بِتَعْلِيقِـــهِ فَـــوْقَ الصَّلِيـــبِ *** لَقَـدْ جَـاءَهُ اللَّعْـنُ مِـنْ كُـلِّ بَـــابِ
أَمَـــا كَـــانَ يُمْكِنُـــهُ دَفْعَـــهُ؟ *** أَمِ الـــذُّلُّ كَـــانَ لَـــهُ يُسْتَطَـــابُ؟
وَإِلَّا فَهَـــذَا مِـــنَ المُضْحِكَـــاتِ *** التِـــي سُطِّـــرَتْ فِـــي الكِتَـــابِ
كَقِصَّـــةِ إِبْلِـــيسَ مَـــعَ رَبِّكُـــمْ *** عَلَـــى الجَبَـلِ المُرْتَقَـــى لِلسَّحَـــابِ
فَقَـــدْ كَـــانَ يَأْمُـــرُهُ فَوْقَـــهُ *** لَـــهُ بِالسُّجُـــودِ وَالِاقْتِـــرَابِ
وكَـــانَ يُرْغِّبُـــهُ فِـــي العَطَـــا *** لِملـــكٍ أَرَاهُ إِذَا مَـــا اسْتَجَـــاب
أَهَـــذَا يَكُـــونُ إِلَهًـــا كَمَـــا *** زَعَمْتُـــمْ وَإِلَّا فَكَيْـــفَ الجَـــوَابُ؟
وَرَبٌّ يُبِيـــــحُ بِأَفْعَالِـــــهِ *** عُقُـــوقَ الـــذَّرَارِي لِأُمٍّ وآبِ

إنّ ما يمكن ملاحظته على هذه القصيدة؛ أنَّها متوافقة في أغلب أبياتها –إن لم نقُل كلُّها– مع قصيدة "**أعبّاد المسيح لنا سؤال**"، بل إنّنا قد لا نجانب الصّواب إذا ما قرَّرْنا أنّها مقتبسة منها وسائرة على منوالها إلى حدّ بعيد، خصوصًا لمّا نعلم أنّ ناظمها **الشّيخ أحمد بن علي المليجي** متأخّرٌ في العصر الزّمني على عصر ابن القيّم بعدّة قرون، فلا غرو والحال هذه أن يكون قد استعان بأبيات قصيدة ابن القيّم ونسج على منوالها أبيات قصيدته هذه؛ فهما –أي القصيدتان– ذواتَا موضوع واحدٍ وغرض واحد؛ فالموضوع هو: العقيدة المسيحيّة والغرض: الرّدّ عليها ودحضها من الأساس، بالإضافة إلى الوحدة في الأسلوب المبني على الاستفهام الإنكاري التّقريري فيهما، ويكفينا للتّدليل على ذلك المَطْلَعُ المُوحَّد تقريبَا الذي أُستُفتِحت به كلٌّ منهما (أعبّاد المسيح لنا سؤال/ أعبّاد عيسى لنا عندكم سؤالٌ)، وإنْ يكُن هناك من فرق بينهما فلا يعدو كونه فرقًا في الشّكل؛ فإذا كانت قصيدة ابن القيّم مقدارها ستّة وعشرون (26) بيْتًا رَوِيُّها الهاء المضمُومة، فإنّ قصيدة

أحمد بن علي المليجي عدّتُها ستّة وثلاثون (36) بيتًا رَوِيّها الباء المكسورة في الغالب، وليس معنى هذا أنّ ابن القيّم عاجزٌ عن نظم قصيدة من الطّول مثل قصيدة أحمد المليجي، بل ربّما يكون المقام أو السّياق الذي دعاه إلى نظم قصيدة "**أعبّاد المسيح لنا سؤال**" هو الذي أملى عليه الاكتفاء بهذا القدر من الأبيات، فهو العالم الكاتب الشّاعر، وما نونيّته في وصف الجنّة بخافيّة على أحد؛ فهي مثال حيّ على التّمكّن من الصَّنعة الشّعريّة وزنًا وموضوعًا وطولا.

ثانياً- النّموذج النّثري:

يوجد الكثير من الكُتب والرّسائل التي تتوافق وقصيدة ابن القيّم في الرّدّ على النّصارى ودحض معتقداتهم، وقد وقع اختيارنا كنموذج لها على رسالة قيّمة في بابها، جليلة النّفع والفائدة، قويّة الحجّة والبرهان، ساطعة البيان؛ إنّها رسالة "**في الرّدّ على النّصارى**" لـ: الجاحظ أبي عثمان عمرو المعروف (159-255هـ)، ونظرًا لطول هذه الرّسالة فيكفينا في هذا المقام بسطُ بعض الفقرات منها، إذ ليس الغرض هو عرضها كاملة، بل إنّما هدفنا هو تبيين اِشتراكها والقصيدة المذكورة أعلاه في الموضوع والغرض ذاته.

قال الجاحظ:[1]

"الحمد لله الذي مَنَّ علينا بتوحيده، وجعلنا ممَّن ينفي شبهة خلقه وسياسة عباده، وجعلنا لا نفرّق بين أحدٍ من رُسُله، ولا نجحد كتابًا أوجَب علينا الإقرار به، ولا نضيف إليه ما ليس منه، إنّه حميد مجيد، فعّال لِما يريد.

أمّا بعد فقد قرأتُ كتابكم، وفهمتُ ما ذكرتم فيه من مسائل النّصارى قبلكم، وما دخل على قلوب أحداثكم وضعفائكم من اللّبس، والّذي خفتموه على جواباتهم من العجز، وما سألتم من إقرارهم بالمسائل، ومن حُسن معونتهم بالجواب... .

[1]- عبيد الله بن حسّان: **رسائل الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري (الفصول المختارة من كتب الجاحظ)**، مج02، ج03، ص231، 249، 250-251، 252، 259، 262، 264.

وسألتم عن قولهم: إذا كان تعالى قد اتّخذ عبدًا من عباده خليلًا، فهل يجوز أن يتّخذ عبدًا من عباده ولدًا، يريد بذلك إظهار رحمته له، ومحبّته إيّاه، وحُسن تربيّته وتأديبه له، ولُطف منزلته منه، كما سمّى عبدًا من عباده خليلا، وهو يريد تشريفه وتعظيمه، والدّلالة على خاصّ حاله عنده... .

أمّا نحن؛ رحمك الله؛ فإنّا لا نُجيز أن يكون لله ولدٌ، لا من جهة الولادة، ولا من جهة التّبنّي، ونرى أنّ تجويز ذلك جهلٌ عظيمٌ، وإثمٌ كبيرٌ؛ لأنّه لو جاز أن يكون أبًا ليعقوب لجاز أن يكون جدًّا ليوسف، ولو جاز أن يكون جدًّا وأبًا، وكان ذلك لا يوجِب نسبًا، ولا يوهِم مُشاكَلة في بعض الوجوه، ولا ينقص من عِظم، ولا يحطّ من بهاء، لجاز أيضًا أن يكون عمًّا وخالًا؛ لأنّه إنْ جاز أن يُسمّيه من أجل الرّحمة والمحبّة والتّأديب؛ أبًا، جاز أَنْ يُسمّيه آخر من جهة التّعظيم والتّفضيل والتّسويد أخًا، ولجاز أَنْ يجد له صاحبًا وصديقا، وهذا ما لا يجوّزُهُ إلّا مَن لا يعرف عظمة الله، وصغر قدر الإنسان... .

والقول بأنّ الله يكون أبًا وجدًّا وأخًا وعمًّا، للنّصارى ألزم، وإن كان للآخرين لازمًا؛ لأنّ النّصارى تزعم أنّ الله هو المسيح بن مريم، وأنّ المسيح قال للحواريين: "إخوتي"، فلو كان للحواريين أولادٌ لجاز أن يكون الله عمّهم!، بل قد يزعمون أنّ مرقس (صاحب الإنجيل) هو ابن شمعون الصفا، وأنّ زوزرى ابنته وأنّ النّصارى تقرأ في إنجيل مرقس: [مَا زَادَ أُمَّكَ وَإِخوَتِكَ عَلَى البَابِ] (مرقس: 32/03)، وتفسيرها: ما زاد: معلم، فهم لا يمتنِعون من أن يكون الله تبارك وتعالى أبًا وجدًّا وعمًّا... .

قلنا في جوابٍ آخر: إنْ كان المسيح إنّما صار ابن الله لأنّ الله خلقه من غير ذكر، فآدم وحوّاء إذ كانَا من غير ذكر وأُنثى أحقُّ بذلك، إن كانت العِلّة في اتّخاذه ولدًا أنّه خلَقَه من غير ذكر، وإن كان ذلك لِمكان التّربيّة فهل ربّاهُ إلّا كما ربّى موسى وداود وجميع الأنبياء، وهل تأويل: (ربّاه) إلّا غذّاه، ورزقه، وأطعمه، وسقاه، فقد فعل ذلك بجميع النّاس، ولِمَ سمّيتم سَقيَه لهم وإطعامِه إيّاهم تربيّة؟، ولِمَ ربّاه وأنتم لا تريدون إلّا غذّاه ورَزَقَهُ، وهو لَم يحضُنْه، ولم يباشر تَقْلِيبه، ولم يتولّ بنفسه سَقْيَه وإطعامه، فيكون ذلك سببًا له دون غيره، وإنّما سقاه لَبَنَ أُمّه في صغره، وغذّاه بالحُبوب والماء في كِبَرِهِ،

والأعجوبة في آدم عليه السلام أبدع، وتربيّته أكرم، ومنقَلبه أعظم وأشرف، إذ كانت السّماء داره، والجنّة منزله، والملائكة خدّامه، بل هو المُقدَّم بالسّجود، والسّجود أشدُّ الخضوع، وإن كان بحُسن التّعليم والتّثقيف، فمَنْ كان الله يُخاطبُه، ويتولّى مُناجاته دون أن يُرسل إليه ملائكته ويبعث إليه رُسلَه؛ أقرب منزلة، وأشرف مرتبة، وأحقّ بشرف التّأديب وفضيلة التّعليم، وكان الله تعالى يكلِّم آدم كما يكلِّم ملائكتَه، ثمّ علّمه الأسماء كلّها، ولم يكن ليُعلّمه الأسماء كلّها إلّا بالمعاني كلّها، فإذا كان ذلك كذلك، فقد علّمه جميع مصالحه ومصالح ولده، وتلك نهاية طِباع الآدميين، ومبلغ قوى المخلوقين... .

فإذا قالوا: ليس المسيح روح الله وكلمته، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ (النّساء: 171)، أَوَ ليس قد أخبر عن نفسه حين ذكر أُمَّه أنّه نفخ فيها من روحه؟، أَوَ ليس مع ذلك قد أخبر عن حصانة فرجها وطهارتها؟، أَوَ ليس مع ذلك قد أخبر أنّه لا أب له، وأنّه كان خالِقًا؛ إذ كان يخلُق من الطّين كهيئة الطّير، فيكون حيًّا طائرًا؟، فأيُّ شيء بقيَ من الدّلالات على مخالفته لمُشاكَلة جميع الخلق، ومُبايَنة جميع البشر؟.

قلنا لهم: إنّكم إنّما سألتمونا عن كتابنا، وما يجوز في لُغتنا وكلامنا، ولم تسألونا عمّا يجوز في لغتكم وكلامكم، ولو أنَّا جوّزنا في لغتنا ما لا يجوز، وقلنا على الله تعالى ما لا نعرف، كنّا بذلك عند الله والسّامعين في حدّ المُكاثرين، وأسوأ حالا من المُنقطعين، وكنّا قد أعطيناكم أكثر ممّا سألتم، وجُزْنا بكم فوق أُمنيتكم، ولو كنّا إذا قلنا: عيسى روح الله وكلمته، وجب علينا في لغتنا أن يجعله الله ولدًا، ونجعله مع الله تعالى إلهًا، ونقول: إنّ روحًا كانت في الله فانفصلت منه إلى بَدَنِ عيسى وبطْن مريم، فكنّا إذا قلنا: إنّ الله سمّى جبريل روح الله وروح القدس، وجب علينا أن نقول فيه ما يقولون في عيسى، وقد علمتم أنّ ذلك ليس من ديننا، ولا يجوز ذلك بوجه من الوجوه عندنا، فكيف نُظهر للنّاس قولًا لا نقوله، ودينًا لا نرتضيه؟... .

وسنسألهم إن شاء الله، ونجيب عنهم، ونستقصي لهم في جواباتهم، كما سألنا لهم أنفسنا، واستقصينا لهم في مسائلهم.

فيقال لهم: هل يخلو المسيح أن يكون إنسانًا بلا إله، أو إلها بلا إنسان؟، أو أن يكون إلهًا وإنسانًا؟.

فإن زعموا أنّه كان إلهًا بلا إنسان، قلنا لهم: فهو الذي كان صغيرًا فشبّ والتَحَى، والذي كان يأكل ويشرب، وينجو ويبول، وقُتل بزعمكم وصُلب، وولدته مريم وأرضعته، أم غيره هو الذي كان يأكل ويشرب على ما وصفنا؟، فأيُّ شيء معنى الإنسان إلّا ما وصفنا وعددنا؟.

وكيف يكون إلهًا بلا إنسان، وهو المَوصُوف بجميع صفات الإنسان، وليس القول في غيره ممَّن صفته كصفته إلّا كالقول فيه كاشتمالها على غيره؟، وإن زعموا أنّه لم ينقلِب عن الإنسانيّة ولم يتحوّل عن جوهر البشريّة، ولكن لمّا كان اللّاهوت فيه، صار خالقًا وسُمِّي إلهًا، قلنا لهم: خبِّرونا عن اللّاهوت، أَكَان فيه وفي غيره، أم كان فيه دون غيره؟، فإن زعموا أنّه كان فيه وفي غيره، فليس هو أولى بأن يكون خالقًا ويتسمّى إلهًا من غيره، وإن كان فيه دون غيره، فقد صار اللّاهوت جسمًا.

وسنقول في الكسر عليهم إذا صرنا إلى القول في التّشبيه؛ وهو قول معظمهم، والذي كان عليه جماعتهم، إلّا مَن خالفهم مِن متكلّميهم ومتفلسفيهم، فإنّهم يقولون بالتّشبيه والتّجسيم، فرارًا من كثرة الشّناعة، وعجزًا عن الجواب، وكفى بالتّشبيه قُبحًا، وهو قولٌ يعمّ اليهود وإخوانهم من الرّافضة، وشياطينهم من المُشبّهة والحشويّة النّابتة، وهو بعدُ متفرّقٌ في النّاس. والله تعالى المستعان".

فأنت ترى –أخي القارئ– بعد هذه المقتطفات المختارة من رسالة "في الرّدّ على النّصارى"؛ أنّها تتّحد مع موضوع قصيدة "**أعبّاد المسيح**" وغرضها، غير أنّ ما يمكن ملاحظته هاهنا: أنّ ابن القيّم ركّز في قصيدته على قضيّة الصّلب لدى النّصارى ودحضها، أمّا الجاحظ فقد ركّز على إلهيّة عيسى وبنوّته لله تعالى لديهم وتفنيدها، وليس معنى هذا أنّ أحدًا منهما أهمل ما طرقه الآخر، حيث أنّ الاشتراك في إبطال العقيدة النّصرانيّة والرّدّ على معتنقيها هو السّمة البارزة في كِلا النّصّيْن، ويلاحظ أيضًا اتّحاد الرّجليْن في الإكثار من إيراد الأدلّة العقليّة القاطعة، والحُجج البُرهانيّة السّاطعة؛ بغية

الوصول بالطّرف المُجادَل إلى التّسليم والاقتناع، وإن كان الجاحظ قد بالغ في إتّباع هذا السّبيل معتمدًا على مَلَكَتِه اللغويّة التي يمتاز بها. ونودّ أنّ نشير في خِتام هذا الفصل إلى أنّ هناك الكثير من القصائد والنّصوص والرّسائل المتّفقة مع قصيدة "**أعبّاد المسيح**"، غير أنّه لا يسعنا المكان لبسْطِها كاملة أو بَسْط أغلبِها، وإنَّما ذكرنا منها ما مرَّ عليك أعلاه على سبيل المثال لا الحصر.

الفَصْلُ الثَّانِي: الرُّدُودُ المَسِيحِيَّةُ

أوّلا- النّمـوذج الشِّـعري: وهو عبارة عن قصيدة شعريّة أو نظميّة لمسيحيّ يُدعى: "**أبو حمزة**" وتُسمّى قصيدته هذه بـ: "**معلّقة أبي حمزة**" ردّ فيها الرّجل على قصيدة ابن القيّم، محاولاً محاكاته فيها؛ لذلك جاءت بنفس السّياق الفِكري، وبنفس النّمط الأدبي الشِّعري خصوصًا فيما يتعلّق بالقافيّة والرّوي، ونصُّها:[1]

أَأَتْبَـــاعَ مُحَمَّـــدٍ لَنَـــا سُـــؤَالٌ *** نُرِيـــدُ جَوَابَـــهُ مِمَّـــنْ وَعَـــاهُ
إِلَـــهٌ يُشَـــرِّعُ نِكَـــاحَ صَغِيـــرَةٍ *** وقَتْـــلَ مُرْتَـــدٍّ لا لِشَـــيْءٍ جَنَـــاهُ
عَجَبًـــا لِسِـــارِقِ طُفُولَـــةٍ تُقَدِّسُـــهُ *** وسَـــارِقِ دِينَـــارٍ تُقْطَـــعُ يَـــدَاهُ
يُذْبَـــحُ الأَبْرِيَـــاءُ فِـــي جِهَـــادِ طَلَـــبٍ *** تُسْتَبَـــاحُ أُمُّ الطِّفْـــلِ ويُقْتَـــلُ أَبَـــاهُ
يَـــأْمُرُ بِقِتَـــالِ أَهْـــلِ الكِتَـــابِ طَمَعًـــا *** فِـــي جِزْيَـــةٍ لَـــمْ يَـــدْعُ لَهَـــا أَحَـــدٌ سِـــوَاهُ
لَـــمْ تَنْـــجُ النِّسَـــاءُ مِـــنْ سَـــبْيٍ مَهِيـــنٍ *** ولَـــمْ يَشْفَـــعْ لِمُنْبِـــتِ شَعْـــرٍ بُكَـــاهُ
البَشَـــرُ يُبَـــاعُونَ فِـــي أَسْـــوَاقِ نخَاسَـــةٍ *** والكَرِيـــمُ أَصْبَـــحَ الـــرِّقُّ مَثْـــوَاهُ
يُقَـــوِّلُ اليَهُـــودَ مَـــا لَـــمْ يَقُولُـــوا كَـــذِبًا *** ويُؤَلِّـــهُ مَرْيَـــمَ بُهْتَـــانًا اِفْتَـــرَاهُ
لَـــمْ ولَـــنْ يَعْبُـــدَ يَهُـــودِيٌّ عُزَيْـــرًا *** ولَـــمْ يَنْطِـــقْ بِهَـــا يَوْمًـــا فَـــاهُ
ولَـــمْ يَتَّخِـــذْ أَحَـــدٌ مَرْيَـــمَ إِلَهَـــةً *** فَهَـــذَا جَهْـــلٌ قَـــدْ بَلَـــغَ مُنْتَهَـــاهُ
هَـلِ الشَّـمْسُ تَغْـرُبُ فِـي عَيْـنٍ حَمِئَـةٍ؟ *** أَمْ جَرَيَانُهَـا فِـي كَبِـدِ السَّـمَاءِ وَهْـمٌ تَـرَاهُ؟
وهَلْ كَانَ الجَنِينُ عِظَـامًا فِي بَطْنِ أُمِّـهِ؟ *** ثُـــمَّ جُعِـــلَ لَـــهُ لَحْـــمٌ كَسَـــاهُ

[1] – أبو حمزة: **الـــرّدّ علـى قصـيدة ابـن قـيّم الجوزيّـة "أعبّـــاد الصّـليب"**، موقـع معضـــلات الإسـلام والقـــرآن: https://islamexposedtoyou.wordpress.com، تـاريخ النّشـر: 15 مـارس 2013م، تـاريخ الزّيـارة: 15 مارس 2020م، السّاعة: 10:00 صباحًا، كما أنّ هذه القصيدة نُقلت على الهواء مباشرة في برنامج الدّليل المسيحي بصوت النّاظم نفسه (الحلقة: 117).

وأَيُّ مَنِيٍّ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ صُلْبٍ وتَرَائِبِ *** أَلَيْسَ جَيْبُ الخِصْيَتَيْنِ الذِي حَوَاهُ؟
إِلَهٌ يُنْزِلُ الآيَاتِ ثُمَّ يَنْسَخُهَا *** ويَنْسَى حُكْمًا ويَقُولُ أَنْسَاهُ
أَمُقَبِّلَ الحَجَرِ الأَسْوَدِ أَفِقْ *** بِاللهِ عَلَيْكَ هَلْ هَذَا إِلَهُ؟
تَعْجَبُ لِكَلِمَةِ اللهِ في المَسِيحِ تَجَسَّدَتْ *** وتُؤْمِنُ بِإِلَهٍ كُرْسِيٌّ حَوَاهُ
هَلْ اِسْتِوَاءُ الإِلَهِ عَلَى عَرْشِهِ *** يَنْفِي وُجُودَهُ فِي مَكَانٍ عَدَاهُ؟

هذه هي قصيدة أبي حمزة المسيحيّ في ردّه على قصيدة ابن القيّم، وإنّ أيّ نظرة بسيطة سطحيّة فيها ولو مِن أدنى شخص مهما كان مستواه؛ توحي لنا بالتّهافت الكبير الذي هو أقلّ وسْمٍ يمكننا أن نَسِمَهَا به، فمن حيث الشّكل والصّناعة الشّعريّة نجدها بعيدة كثيرًا عن المستوى المعهود في الشّعر العربي؛ لأنّها غير خاضعة لأوزانه المُتعَارف عليها ولا مقيّدة بها، كما أنّ الوحدات الشّطريّة غير متناسقة ولا هي على مقياس واحد من الطّول والقصر ولا في عدد الكلمات كذلك؛ فمنها الطّويل ومنها القصير ومنها فيما بين ذلك، بالإضافة إلى ذلك فإنّها معدومة من النّغمة الشّعريّة المألوفة التي تبعث النّفس الإنسانيّة على التّرنّم والشّذو والاهتزاز طربًا، إذ هي أقرب إلى النّثر منها إلى الشّعر، أو هي بعبارة أخرى من النّثر المنظوم أو الشّعر المنثور، ثمّ بعد ذلك تحتوي على ألفاظ بسيطة وعبارات ساذجة في أغلبها وغير متناسقة ولا مترابطة، وحتّى من حيث عدد الأبيات فإنّها لم تبلُغ عدد أبيات القصيدة المردُود عليها؛ إذ أن أبياتها سبعة عشرة (17) بيتًا، في حين أنّ عدد أبيات قصيدة ابن القيّم هو ستّة وعشرون (26) بيتًا.

ومن حيث المعرفة الفكريّة، لا يسعنا إلّا أن نقرّر بلا ريب ولا اِرتياب أنّ ناظم هذه القصيدة كحاطب ليلٍ يجمع الغثّ إلى السّمين ويُخلط العسل بالسّمّ، ويكفينا في هذا المقام بَسْطُ بعض الأمثلة لذلك على سبيل التّمثيل لا الحصر؛ ففي الإطار العام اشتملت هذه القصيدة على الرّدّ على أصول الدين الثّلاثة المعروفة؛ العقيدة والشّريعة والأخلاق، أمّا قصيدة ابن القيّم فإنّها مخصّصة للرّد على العقيدة النّصرانية فحسب، وفي بعض التّفصيلات نرى أنّ أبا حمزة ينتقل فيها من موضوع إلى آخر دونما ربطٍ علميّ ولا منهجيّ، بل هو اِنتقال فجائي بغير أدنى مسوّغ لذلك، كما أنّه نظمها بأسلوب تقريري خبريّ مباشر ولم يلتزم بطرح الأسئلة التي كان من المفترض أن يواجه بها المسلمين إلّا

في النّزر القليل من أبياتها، ثمّ إنّه أقحم فيها طرفًا ثالثًا غير النّصارى والمسلمين والمتمثّل في اليهود حيث تصدّى للدّفاع عنهم ضدّ المسلمين، وبالإضافة إلى ذلك كلّه نجد بهذه القصيدة خلطًا كبيرًا وتلفيقًا عميقًا ومغالطات علميّة ومعرفيّة وفلكيّة بشأن بعض الحقائق العلميّة والفلكيّة والطّبيعيّة؛ كالجنين وماء الرّجل ومسار الشّمس، وكذا مغالطات ومخالفات عقائديّة وتشريعيّة متعلّقة ببعض القضايا الخاصّة بالدّين الإسلاميّ كالنّكاح والجهاد والجزية والمرأة والرّقّ ومريم عليها السّلام والحجّ والكرسيّ والعرش والاستواء وافتراءات في حقّ الله عزّ وجلّ وغيرها من الأمور، ويمكن خِتام هذه الملاحظات بحقيقة معرفيّة متعلّقة بنهاية "معلّقة أبي حمزة"؛ إذ أنّ ناظمها لم يُحسن ختْمها بل إنّه تركها مفتوحة قابلة للزّيادة والتّصرف؛ الأمر الذي يعدُّ مثلبًا كبيرا في صناعة الشّعر العربي، حيث من المُستحسن ختْم القصيدة في موضع واحد عند آخر أبياتها.

ثانياً- النّموذج النّثري:

وهو عبارة عن ردّ نثريّ سرديّ مسيحيّ يردّ على قصيدة ابن قيّم الجوزية منشور بموقع: "الأنبا تكلا هيمانوت"، بعنوان: "ردٌّ على قصيدة <<**أعبّاد المسيح لنا سؤال**>> لكاتبها الإمام القيّم ابن الجوزيّة"،[1] ونصُّه:

"صاحب هذه الأبيات هو الإمام القيّم ابن الجوزية السوري (ويُعْرَف أيضًا باسم أبي عبد الله شمس الدين محمّد بن أبي بكر الزّرعي الدّمشقي)، وهو من علماء الدّين الإسلامي (1292– 1349م – القرن الثّامن الهجري)، وهو تلميذ "ابن تيمية" كذلك، وقد نُشِرَت في كتابٍ له بعنوان "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان"، وقد بحثنا عن نسخة من الشّعر بالتّشكيل كذلك، حتى يتّضح المعنى أكثر للباحث العزيز، وقمنا أيضًا في هذا المقال بموقع الأنبا تكلاهميانوت بترقيم الأبيات، للتّسهيل خلال العرض التالي:

---

[1]– **ردٌّ على قصيدة <<أعبّاد المسيح لنا سؤال>> لكاتبها الإمام القيّم ابن الجوزيّة**"، موقع: الأنبا تكلا هيمانوت، تراث الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة، https://st-takla.org، تاريخ الزّيارة: 28 ماي 2020م، السّاعة: 18:53، والملاحظ على هذا المقال المنشور في هذا الموقع؛ أنّه ليس فيه إشارة لاسم صاحبه أو كاتبه، ممّا يوحي لنا بأمرين اثنين؛ فأمّا الأوّل: فهو تعمُّد إخفاء ذلك لغرض معيّن، وأمّا الثّاني: فهو إمكانيّة أن يكون محرّر هذا المقال اثنين أو ثلاثة أو أكثر كما يمكن أن يكون محرّره شخصٌ واحد.

وأوّلًا، وقبل كل شيء، نودّ أن نبدي إعجابنا بالأسلوب الشّعري وجماليات الشّعر الواضحة في النص من قافيّة مدروسة وخلّاقه (مع تحفُّظنا على بعض الأمور؛ مثل عدم التّمكُّن الظّاهر في تكرار بعض الكلمات مثل كلمات "قفاه"، و"علاه" في أكثر من بيت، ممّا يخالف قواعد الشعر المُتعارَف عليها التي تُعتَبَر في عُرف الشعراء أنّ سبب تكرار الكلمات هو ضعف من الشّاعر من استخراج كلمات جديدة، وخاصّة أنّ التكرار لم يأتِ بهدف التّوكيد أو غيره)... ولكن، ليس أيّ كلام موزون هو كلام سليم!، وإلّا لأصبحت الأغاني الهابطة فنًّا مقبولًا مادام الكلام يتبع القواعد الشعرية!!، وليس أيّ شيء قديم هو شيء ذو قيمة...، وبخلاف تكرار الكلمات في القصيدة، هناك تكرار للمعاني من بيت لآخر، في نقاط الصّلب والقبر وغيره!.

والقارئ الفطن لهذا الكتاب يرى مدى بساطة عقل كاتبه، وتحليلاته الخاطئة، وتحريفه للتّاريخ والوثائق بتحليلات جديدة للأحداث، وإضفاء معاني غير سليمة عليها...، بخلاف الأخطاء العلميّة المذكورة في الكتاب، فنرى في الثُّلث الأخير في الكتاب مثلًا حينما يتحدّث عن اكتشاف الصليب؛ يستغرب كيف أنّ الخشب يعيش تحت أنقاض أكثر من ثلاثمائة (300) سنة ولا يتحلّل!!، في حين أنّ لدينا في مصر مئات الأعمال الخشبيّة المصريّة القديمة المُكتشفة التي كانت موجودة سواء في مقابر أو تحت رمال وأنقاض، وعاشت آلاف السنين، ونراها اليوم في متاحف مصر والعالم...، إلى غير ذلك من التّزييف والأخطاء للتّاريخ وللواقع واستخدام الكذب أو "المعاريض" أو "التقية" حسبما يُتيح إيمان الكاتب، لكي يعلي من شأن عقيدة بالكذب، ويقلّل من شأن أخرى أو أخريات بنفس الأسلوب... .

فنرى الشّاعر وهو يتّكلم عن موت الله يصوّر أنّ المسيح قد انفصل عن عالمنا بالموت مثل سائر البشر الذين بموتهم ينفصلون عن العالم وينتقلون من مكان إلى مكان، ونَسِيَ أن الله جل جلاله لا يتغيّر فهو الكمال المطلق في كل شيء، ولا يحدُّه مكان أو زمان، وهو موجود في كلّ مكان وفي كلّ زمان، طبيعة الله لا تتغير، فالله جل جلاله لا يحدُّه مكان أو زمان، وهنا في موقع الأنبا تكلا توجد مقالات وكتب تتحدّث عن طبيعة السيّد المسيح لمن يريد الاستزادة، والمُحتوى الإجمالي للقصيدة، والذي يتعرّض لبعض

العقائد المسيحية، ويقف أمامها البعض حائرًا...، فهذا إجابته بسيطة جدًّا...، وربما تكون هي الفَرْقُ بين الإسلام والمسيحيّة...؛ ففي المسيحيّة [**اللهُ مَحَبَّة**] (يوحنّا الأولى: 08/04، 16)، [**ونصلّي إلى الله دائمًا وننادي "أَبَانَا"**] (متّى: 09/06، لوقا: 2/11)؛ فالعلاقة مع الله هي علاقة حُبّ، وعلاقة أُبوّة، وعلاقة شخصيّة...؛ فالله ليس إلهًا بعيدًا عنّا في بُرج عاجي...، ولكنّه داخلنا... .

والمسيح بتجسُّده أخذ كلّ طبيعة الإنسان وكلّ معاناته، مع احتفاظه بلاهوته...، وهذه الأبيات وإن كانت تطرب لها الأذن عند سماعها، إلّا أنّ بها الكثير من الكلمات تدلّ على غياب الكثير من أساسيات ومفاهيم الدّيانة المسيحيّة عن ذهن كاتب الأبيات. وقبل أن نبدأ في مناقشة الأبيات لا بُدّ أن نعرض هذه المفاهيم الغائبة حتى نُسهِّل على القارئ فهم الرّدّ هنا في موقع الأنبا تكلاهيمانوت، وفيما يلي أهمّ المواضيع التي يجب معرفتها عن المسيحيّة:

- لاهوت المسيح.

- طبيعة المسيح.

- ما معنى أنّ للسيّد المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين؟، فالسيّد المسيح له طبيعة بشريّة محدودة × (في) طبيعة إلهيّة غير محدودة.

- حتميّة التّجسُّد الإلهي.

- الصّليب في المسيحيّة: رؤية كنسيّة آبائية.

- الخلاص وعلاقته بحريّة إرادة الإنسان، وهل هذا ما كان يريده الله أم لا؟.

- وهل سقوط آدم يعتبر سقوط للبشريّة جمعاء؟، وما هي نتائج السُّقوط المُروّع للبشريّة؟، والفرق بين عدل الله ورحمته...، وهل يكفي إنسان لإيفاء العدل الإلهي بحكم الموت...؟ إلخ، كل هذا وذاك ستجده في كتاب حتمية التّجسُّد الإلهي لكنيسة القدّيسين لسيدي بشر.

- ما هي التّشبيهات التي تُقرّب لنا معنى التّجسُّد؟.

– هل السيّد المسيح هو الله أو ابن الله أو ابن الإنسان؟.

– لماذا لم يتجسّد الله عقب سقوط آدم مباشرة؟.

– هل التّجسُّد يعني أن النّاسُوت حدَّ وحيَّز اللاهوت؛ فلم يعد لِلّاهوت تواجد خارج نطاق النّاسُوت المحدود؟، وكيف حدَّ بطن العذراء الله الغير محدود؟.

– هل لا يقدر الله أن يتجسّد؟.

– هل نجد أثرًا للتّجسُّد في الفكر الإسلامي؟.

– نقطة أخرى هامّة يعرفها المسلم مثل المسيحي؛ وهي أن أُجرة الخطيّة موت (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 5: 12، 6: 23)، ومبدأ الضّحيّة هذا هو معروف لدى المسلمين، ويتّضح من قصّة افتداء إسحق (أو كما يقول القرآن بعد قرون من كتابة التّوراة أنّه هو إسماعيل!) عندما كان سيقوم إبراهيم بذبح ابنه تلبيّة لأمر الله...، وهذا هو الرّمز الذي كان يرمز للفداء الذي قدَّمه المسيح على الصّليب؛ فمن غير المعقول أن يُفتَدَى الإنسان بحيوان!، ولا حتّى بإنسان محدود مثله...، فيتّضح من النّقاط السّابقة أن هدف التّجسّد هو أن يفتدي الله البشريّة، ولا يستطيع إنسان أو ملاك أو نبيٌّ أن يفتدي البشريّة جمعاء؛ لأنّ الأمر يحتاج شخصًا غير محدود، وفي نفس الوقت أن يكون شخصًا بلا خطيّة...، لهذا تجسّدت كلمة الله كما يقول كتاب الله: [**الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا**]. (يوحنّا: 01/ 14)، وحتّى كتاب القرآن الكريم يقول ذلك أن السّيّد المسيح هو: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ .(النّساء: 171).

وسنتناول فيما يلي النّقاط الرّئيسية في أبيات القصيدة، مع العلم أنّنا سنتجاهل المُقدّمات، والأسئلة المكررة سيكون لها ردّ واحد:

– بيت رقم 02: الإله لم يمت...، اللّاهوت لا يموت...، الرّوح والجسد كلاهما كان متّحدًا باللّاهوت الذي لا يموت، وفي موت السيّد المسيح على الصّليب انفصل الجسد عن الرّوح ولكن لم ينفصل أيّ منهما عن اللّاهوت الذي لا يموت...، فأنت بعد الموت مثلًا، لا تموت روحك...، ولكن الذي يحدث هو انفصال الجسد عن الرّوح...، وفي بيت 06، 07 اللّاهوت لم يُدْفَن، واللّاهوت لم يُسَمَّر على الصّليب...، بل الجسد المُتّحد

باللّاهوت هو الذي حدثت له هذه الأمور...، فالله كان موجودًا في كلّ مكان، وفي الوقت ذاته متّحدًا بهذا الجسد البشري...، يقول كتاب الله: [**الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ**]. (تيموثاوس: 06/ 16).

– يتساءل الشّاعر في بيت 02: "إذا مات الإله": يظهر من هذه الأبيات أنّ الشّاعر لا يعرف شيئًا عن معنى التّجسُّد الإلهي وطبيعة السيّد المسيح وأسباب التّجسُّد التي أوضحناها أعلاه، بل وهناك نقاط كثيرة في جوهر المسيحيّة غائبة عنه أو لا يعلمها.

– هذه الأبيات تدلّ على أنّ كاتبها لا يعلم شيئًا عن موت الصّليب، فقوله: "أماتوه"؛ قول ناقص فالمفروض أن يقول: "نفّذوا إرادته في أن يموت على الصليب فِداءً عن البشريّة لأنّ أُجرة الخطيئة موت"، وهذه الجملة يوجد تحتها مفاهيم كثيرة قد تغيب عن الكثير من إخوتنا غير المسيحيين، فنحن نؤمن أنّ الله قد رتَّب لهذا الفداء منذ سقوط أبينا آدم في الخطيئة، ونؤمن أنّ السيّد المسيح صلب بإرادته وحده عنّا، وما هؤلاء القوم الذين قال عنهم الشّاعر: "أماتوه" إلا منفّذين للإرادة الإلهيّة، وليس معنى هذا أنّهم أبرار بل فعلوا هذا بكامل إرادتهم الشّريرة ولكن بالرّغم من أنّ إرادتهم كانت شرّيرة إلّا أنّها كانت ضمن خطّة الله لخلاص العالم، مثلما قام إخوة يوسف بإلقائه في البئر، هذا الفعل في حدّ ذاته كان شرّيرًا ولكنّه كان ضمن خطّة الله في حياة يوسف ليصبح سيّدًا على أرض مصر، فالله لا يمنع النّاس عن فعل الشّر لأنّ الله ميّز الإنسان عن سائر الخليقة بالإرادة الحرة، ولكن الله الكُليّ القدرة يستخدم ما يفعله الناس من شرّ ويحوّله إلى خير للّذين يحبُّونه، أمّا هؤلاء الأشرار فالله يعطيهم فرصة للتّوبة ويحبّهم ولكن يتركهم أيضًا لإرادتهم فمن يستجيب ويندم على خطيئته يُغْفَر له...، فما يُميِّز الإنسان عن الحيوان هو الإرادة...، يقول السيّد المسيح حول نقطة أنّ ما سيحدث له هو بسماح منه: [**أَضَعُ نَفْسِي.. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا**]. (يوحنا: 10/ 17–18)، ونرى في حديث المسيح مع بيلاطس قوله: [**لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَانٌ الْبَتَّةَ، لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ فَوْقُ**]. (يوحنا: 19/ 11)، [**مِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلَامِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ قَائِلًا: «حَاشَاكَ يَا رَبُّ! لاَ**

يَكُونُ لَكَ هذَا!» فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ: «اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ»]. (متى: 16/ 21-23)...، وكلّ هذا يدلّ على أنّ ما حدث كان بإرادته (أقصد الموت على الصّليب).

– بيت 03 يتساءل: هل موت المسيح الذي أعطاه للبشر أرضاه؟ نعم بالطّبع كما أوضحنا، فهذه كانت رغبة المسيح، فلهذا تجسَّد السّيّد المسيح ليعطي فداءً للعالمين...، وقد أرضى موته أيضًا الخاطئين الذين قتلوه قد قتلوه كنوع من التَّشفّي والحكم عليه بالموت لأنه كان **[مُعَادِلًا نَفْسَهُ بِاللهِ]** (يوحنا: 05/ 18، فيلبي: 02/ 06). فاليهود الذين قتلوه كان في هذا رضاءً لهم، ظانّين أنّهم قد انتصروا بهذا...، ولكن لم يكن فائدة لهم، لأنّهم لم يقبلوا الخلاص (على الأقل ليس كلّهم، فقد قبل بعضهم بالفعل الخلاص مثل اللّص اليمين، والجندي الذي طعن المسيح، بخلاف بعض اليهود المعاصرين)...، أمّا الآخرين الّذين قبلوا الفداء، فموت المسيح هذا كان تحقيقًا للعدل الإلهي الذي تحدّثنا عنه...، وكان هذا ما يتّحدث عنه أنبياء الله في العهد القديم.

– والبيت الرّابع مردود عليه بالتّالي كنتيجة...، ولكن ليس الأمر أنّ: "قوّتهم قد أَوْهَتْ قواه" كما يقول الشاعر، بل كان هذا بسماح من الله...، فهناك فرقٌ بين أن تُهْزَم في أمرٍ ما، وفي أن تُسلم ذاتك ولا تُدافع عنها، وأنت القويّ...، ومن جانب آخر، الكثير من الأخوة المسلمين لا يستوعبون هذه الفكرة، ظانّين أنّنا عندما نقول أنّ الإله قد تجسّد، كأنّه ترك العالم كلّه، وانحصر في ذلك الجسد. وهذا ما لا نقوله...، فإنّ تَجَسُّد الله في جسد بشري، لم يَحِد وجوده في كل العالم...، أو أنّنا نقول –في رأيهم– أنّه عندما صُلِب فإنّ اللّاهوت قد صُلِب، وهو الذي تمّ تقييده على الصّليب!! فبالرّغم من صلب المسيح على الصّليب، إلا أنّه كان موجودًا في كلّ مكان أيضًا، لأنّه الإله الذي يحدُّه مكان...، فإنّ كان الله لا يستطيع التّجسُّد، إذن يوجد شيء لا يستطيع الله فِعله، وحاشا أَنْ يعجز الله عن فعل أيّ شيء.. فالله قادر على كلّ شيء عدا الخطيّة، ليس لعدم قدرة، بل لأنّ الله كليّ القداسة والقدرة...، ولمن يريد الاستزادة يقرأ المقال التّالي: لماذا الله هو الذي يموت عن العالم؟.

– بيت 05: سبق الرّد عليه في سؤال سابق بالموقع: عند موت المسيح (الإله) على الصّليب، مَنْ كان يحكم العالم؟.

– بيت 06: هناك خطأ في النّص، حيث يتحدّث الشّاعر أنّ عدد السّماوات سبعة، ولكن في المسيحيّة عدد السّماوات ثلاثة...، على أيّ الأحوال هذا أمر عادي، فقد أتى القرآن بعد قرون طوال بكلام كثير جديد لا علاقة له بكتاب الله ولا بكلامه... .

– هناك خطأ آخر في البيت السّابق يُوضّح الجهل بطريقة دفن جسد المسيح، فهو لم يدفن في الأرض ويوضع عليه التّراب...، بل وضع في قبر منحوت في الصّخر، وأغلق باب القبر بحجر (متّى: 27/ 60)...، فجسد المسيح "وُضِعَ" في القبر، ولم يدفن تحت التّراب، ولا حتّى باب القبر والحجر وضع عليه تراب، بدليل أنّهم بعد وضعه في القبر قاموا بختم الحجر، ولكن العِبرة ليست في هذا، فالأهمّ هو أنّ جسد ليس كجسدنا الفاسد الذي يتحلَّل بموته...، فجسد المسيح لم يرَ فسادًا، ولم ينفصل عن لاهوته...، فالكتاب يقول: [**لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا**] (المزامير: 16/ 10، أعمال الرّسل: 02/ 27)، [**سَبَقَ فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ رَأَى جَسَدُهُ فَسَادًا**] (أعمال الرّسل: 02/ 31).

– بيت 07: التّجسُّد الإلهي لم يحد وجود الله في ذلك الجسد...، كما يقول الكتاب: [**لَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ**] (يوحنّا: 03/ 13)، فبرغم نزوله من السّماء ووجوده في جسد بشري، إلّا أنّه ما زال في السّماء وكلّ العالم بلاهوته.

– بيت 08: يتحدّث عن "تخلّي الأملاك عنه"، وإذا قرأ الشّاعر الكتاب المقدّس ولو لمرّة واحدة، سيكون قد عبرت عليه أكثر من مرّة الآية القائلة: [**يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ**] (المزامير: 91/ 11، متّى: 04/ 06، لوقا: 04/ 10)، وعند الرّبط بين الآية والحدث، نعرف أنّ ما حدث كان بسماح من الله، وليس بسبب تخلّي السّماء عنه...، هذا من جانب، ومن جانب آخر، كيف يتخيَّل الشّاعر العزيز أنّ الملائكة هي التي

تنصر الله، وكأنّ الله في انتظار مَنْ ينصره!! حاشا! إن كان هذا إيمان الشّاعر وعقيدته، فهذا لا علاقة له بالمسيحيّة.

– وإن كان الشّاعر يقصد جملة **[إلهي إلهي لماذا تركتني؟]**، فقد قمنا بالرّدّ عليها سابقًا هنا في موقع الأنبا تكلاهيمانوت في أحد المقالات... .

– في نفس البيت يذكر الشّاعر مغالطة أخرى وهي: "بكاء المسيح على الصّليب"، وهي لم تحدث...، هناك فرقٌ بين الكلام والطّلب والصّراخ (أي الكلام بصوتٍ عال) وبين البكاء...، فقط أردنا توضيح الخطأ في الأبيات عمّا حدث بالفعل في القصّة التّاريخيّة، ولكن حتّى وإن بكى المسيح على الصّليب، فهذا أيضًا دليل آخر على أنّه أخذ طبيعتنا البشريّة الكاملة فيما عدا الخطيّة.

– وتساؤلات الشّاعر في الأبيات اللّاحقة (09،10،11) حول الخشب والمسمار أو الحِربة وأيدي الأعداء، كلّها في صيغة استنكار لحدوث هذا للإله، وهذا بسبب عدم التّفريق بين الله والله المتجسّد الذي قبل أن يظهر في الجسد ويأخذ طبيعتنا ويتألّم بأقصى الآلام التي يمكن أن يتعرّض لها البشر، سواء كانت آلام جسديّة أو آلام نفسيّة، مع أنّنا نحن الذين كنّا نستحقّ هذه الآلام ولكنّه حملها عنّا لأنّه أحبّنا.

– وهذا بسبب الرّبط بين اللّاهوت والنّاسوت؛ أي الله في جوهره، والجسد البشري الذي اتّخذه واتّحد به، فالله يستخدم ويُسَخِّر الطّبيعة لأهدافه.

– في بيت 11: هناك مغالطة جديدة في قوله: "صفعوا قفاه"...، هذا أيضًا لم يحدث.

– بيت 12: كلمة: "المحيي له ربٌّ سواه" هذه لها علاقة بالآريوسيّة، التي قالت بأنّ المسيح إله مخلوق من إله آخر أعلى شأنًا منه.

– وحول قيامة السّيّد المسيح (سيّدنا عيسى في الإسلام)، فقد أقام نفسه بنفسه، وقد أوضح المسيح ذلك بنفسه: **[فَأَجَابَ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ: «أَيَّةَ آيَةٍ تُرِينَا حَتَّى تَفْعَلَ هذَا؟» أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ». فَقَالَ الْيَهُودُ: «فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هذَا الْهَيْكَلُ، أَفَأَنْتَ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ تُقِيمُهُ؟» وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ]**. (يوحنا: 02/ 18–21)، كلّ الأموات الذين حدثت لهم معجزات كانت معجزات

"إقامة"، من شخص لشخص، ولا يوجد شخص واحد استطاع أن يقيم نفسه بنفسه بعد الموت، ولا حتّى لأيّ من أعظم أنبياء الإسلام!.

– بيت 13 يتعجّب لبطن أو قبر احتوى الله، وهذا كلام غير صحيح أوضحناه أعلاه هنا في موقع الأنبا تكلا بأنّ اللّاهوت لم يُحتوَ، بل النّاسوت... .

– الأبيات 14، 15، 16: تتحدّث عن الحبل بالمسيح، الولادة، ما بعد الميلاد، وحياته البشرية العاديّة، والسّيّد المسيح قد **[شَابَهَنَا فِي كُلِّ شَيْءٍ فِيمَا خَلا الخَطِيَّةَ وَحْدَهَا]**، **[يُشْبِهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ]**. (العبرانيين: 02/ 17)، فهذه الأحداث لم يفعلها الله بروحه، بل الإله المتجسِّد (بجسده البشري).

– بيت 17: يتحدّث عن النّصارى، وبرغم كون النّصارى هم طائفة لا وجود لها الآن، أو هم المسيحيون في المعنى العام الذي يقصده المسلم (كنوع من الاشتقاق من مدينة النّاصرة)، حيث أنّ المسيح **[يُدْعَى نَاصِرِيًّا]** (متّى: 02/ 23)، على أيّ الأحوال، سنُسأل جميعًا في يوم الدّين حسب ما يفعله الإنسان، ولكنّنا لم نفتر شيئًا، فهذا هو كتاب الله، والذي سيُسأل هو مَنْ سيرفضه، أو مَنْ يدّعي بتحريف كتاب الله، وكأنّ الله في نظر القائل بهذا هو عاجز عن الحِفاظ على كتبه! حاشا!.

– بيت 18: يبدأ بقوله: "أعبّاد الصّليب"! ولا أعرف من أين يأتي الشّاعر بهذا الكلام، فلم يحدث في يوم من الأيام أنْ قام أحد المسيحيين بعبادة الصّليب!، هذا فقط مرجعه سوء فهم ليس بسبب آخر سوى عدم محاولة الفهم، فنحن نكرم الصّليب ولا نعبده؛ **[فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ]**. (كورنثوس الأولى: 01/ 18)، **[وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ]**. (غلاطية: 06/ 14).

– والأبيات 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24؛ تتحدّث عن الصَّليب...، تعرّضنا لما فيها من نِقاط في النّقطة السّابقة، وللمزيد اقرأ كتاب: "الصّليب في المسيحيّة: رؤية كنسيّة آبائية"، وستجده في قسم الكتب القبطيّة هنا في موقع الأنبا تكلاهيمانوت.

– لتعرف أيضًا تقديرنا للصّليب وعلاقتنا به، اقرأ أقوال القِدّيس الأنبا شنوده رئيس المتوحدين هنا في موقع الأنبا تكلا عن الصّليب في حياة المؤمنين على سبيل المثال.

– بيت 20: يذكر كلمة: "كرهًا"، وهي غير سليمة كما أوضحنا سابقًا...، فهذا كان بسماح ورضى من الله، وطريقة الفداء...، ولم يُفاجأ المسيح بالقبض عليه أو بصلبه، بل سبق وتَنَبَّأ وأخبر عن هذا الأمر حرفيًا أكثر من مرّة: (متّى: 20/ 19، 26/ 02، لوقا: 24/ 07).

– بيت 21: فيه نقطة سليمة قالها: "ذاك المركب الملعُون"، وهو صحيح حيث يتوافق مع كلام الله عزّ وجلّ: [**الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللهِ**]. (التثنية: 21/ 23)، [**اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ»**]. (غلاطية: 03/ 13)، فهذه اللّعنة لم تأتِ عرضًا أو تأتِ مفاجأة، ولا هي اكتشاف من الشّاعر يريد أن يجرح به إيمان الآخرين، بل هي جزء من الإيمان!.

– بيت 22: يعيد نقطة عبادة الصّليب المذكورة في بيت 18 وقد قمنا بشرحها وتوضيح أنّها سوء فهم من الشّاعر أو بسبب عقيدته.

– وإن كان بعض المسلمين يظنّون أنّ المسيحيين يعبدون الله والمسيح ومريم، فقد أضاف الشّاعر عبادة الصّليب للقائمة الوهميّة!!، ونحن نعبد إلهًا واحدًا فقط لا غير، وإيماننا هذا قبل مجيء الإسلام بقرون، ومن بداية تعاملات الله مع البشر...، وهو ليس ابتداع حديث!.

– بيت 23: كما أوضحنا، فنحن لا نُعظِّم الصّليب للسّبب الموضّح في البيت، بل بسبب الخلاص الناتِج عنه.

– ثم يتهكّم الشّاعر في نهاية القصيدة بقوله: إن كنتم تعبدون الصّليب فلماذا لا تعبدون القبور كذلك؛ فهي فرضيّة خاطئة مبنيّة على فرضية خاطئة، فنحن لا نعبد الصّليب ولا نعبد القبور، نحن نكرِّم الصّليب أداة الخلاص، ونقدّس مكان القبر المُقدّس الموجود في القدس، بنفس القدر الذي يقدّس فيه أخي المسلم الحجر الأسود أو الكعبة الشّريفة أو

مقـابر أوليـاء الإسـلام وغيـره، فالصّـليب هـو علامـة الخـلاص، ولـيس مجّـرد أداة القتل، فالمسيح بالموت داس الموت.

– ليس المُعترف بالمسيح هو الذي ضدّ الله وقدسيّته، بل الذي يرفضه...، فقد قال كتاب الله عزّ وجل~: **[قَدْ دَخَلَ إِلَى الْعَالَمِ مُضِلُّونَ كَثِيرُونَ، لاَ يَعْتَرِفُونَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ آتِيًا فِي الْجَسَدِ. هذَا هُوَ الْمُضِلُّ، وَالضِّدُّ لِلْمَسِيحِ]**. (يوحنّا الثانية: 01/ 07)، **[مَنْ هُوَ الْكَذَّابُ، إِلاَّ الَّذِي يُنْكِرُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ؟ هذَا هُوَ ضِدُّ الْمَسِيحِ، الَّذِي يُنْكِرُ الآبَ وَالابْنَ]**. (يوحنّا الأولى: 02/ 22)، **[وَكُلُّ رُوحٍ لاَ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ. وَهذَا هُوَ رُوحُ ضِدِّ الْمَسِيحِ الَّذِي سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يَأْتِي، وَالآنَ هُوَ فِي الْعَالَمِ]**. (يوحنّا الأولى: 04/ 03).

– نقطة أخيرة نوضّحها، وهي: **[لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَسُوعُ رَبٌّ» إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ]**. (كورنثوس الأولى: 12/ 03)، فكلّ شرحنا هذا، ومقالاتنا العقائديّة في موقع الأنبا تكلاهيمانوت هذا وغيره مجرّد شرح عام للعقائد، ولكن ينبغي على الإنسان أن يصلّي إلى الله عزّ وجلّ، ويفتح قلبه وفِكره في طلب الحق...، والله لن يتركه بالتّأكيد". انتهى نصّ هذا المقال.

وهو المقال الذي ردّ فيه صاحبه على قصيدة ابن قيّم الجوزيّة، وإنَّه بالرّغم من طوله –كما ترى– إلّا أنّه تبدُو معلوماته وأدلّته المحشودة فيه سطحيّة بسيطة لا تؤدّي الغرض الذي وُضعت خصّيصًا له، كما أنّ الطّريقة التي استخدمها صاحب المقال؛ هي طريقة بدائيّة وغير موضوعيّة ولا خاضعة لمنطق العقل السّليم؛ إذ في أغلبها تقوم على مبدأ الإنكار، كما تقوم على التّعصّب وعدم الاعتراف بالحقيقة على الرّغم من وضوحها كوضوح الشّمس في كبد السّماء، وهناك ملاحظة أخرى هامّة؛ تتمثّل في كون بعض الرّدود على بعض الأبيات جاءت مقتضبة جدًّا؛ الأمر الذي يدلّ دلالة قاطعة على أنّ هذا المسيحي كان غرضه الأوّل والأخير هو الرّدّ والدّحض فحسب، حتّى على تلك الأبيات ذات الحقيقة الدّامغة والحُجّة البالغة التي لا تقبل التّفنيد ولا الانتقاد بأيّ وجه من الوجوه، وكملاحظة أخيرة في هذا المقام، فإنّ النّاظر إلى قصيدة "**أعبّاد المسيح**" وهذا المقال الرّادُّ عليها؛ يتبيّن له مدى الفجوة أو الهُوّة العميقة الكائنة بين العقيدة الإسلاميّة

والعقيدة المسيحيّة، حيث أنّ هاتيْن العقيدتيْن تسيران في خطّيْن متوازيين لا يلتقيان أبد الدّهر إلّا بشرط تنازل أحد الفريقين عن عقيدته والتّسليم للفريق الآخر بمعتقداته وأفكاره، خصوصًا فيما يتعلّق بمسألة طبيعة المسيح عليه السلام وقضيّة الصّلب والفداء وكذا مسألة الإلوهيّة والنّبوّة، ولا ريب أنّ الصّراع كبير بين الإسلام والمسيحيّة في هذا المجال، والجدال بينهما عويص بخصوصه.

وأيضًا سنقول في ختام هذا الفصل ما قلناه في ختام الفصل السّابق من هذا الباب الثّالث والأخير من هذا الكتاب، والأمر متعلّقٌ بتعدّد الرّدود المسيحيّة على قصيدة ابن القيّم،[1] غير أنّ المقام لا يسمح ببسطها كاملة أو حتّى ذِكر أغلبها؛ لأنّه ليس هو غرض هذا الكتاب.

---

[1]– من تلك الرّدود المسيحيّة العديدة هناك ديوان شعر مسيحي بأكمله مهمّ عنوانه: "محمّديات شيطانيّة"، موضوعه الافتراء على النّبيّ محمّد ﷺ والاستهزاء به وبدينه وأتباعه، رأينا إثباته هاهنا تتميما للفائدة، وهو يتكوّن من سبعِ قصائد، لكلّ قصيدة منها عنوان خاصّ بها، إلّا أنّها جميعها ذات رويّ واحد، وهو حرف التّاء المربوطة أو الهاء؛ فالقصيدة الأولى عنوانها: **رسول الكذب** (أيا أتباع محمّد لنا سؤال...)، والثّانيّة عنوانها: **رسول الزّنا** (رسول الفسق اغتصب الصّغيرة...)، والثّالثة عنوانها: **رسول الشّذوذ** (نبيّ الزّنا كان حتمًا...)، والرّابعة عنوانها: **رسول القتل** (وبنو النّضير أذلّهم...)، والخامسة عنوانها: **رسول الخزعبلات** (وابن الأعصم سحره...)، والسّادسة عنوانها: **رسول الدّعارة** (وعد المؤمنين بأنهار خمر...)، والسّابعة عنوانها: **رسول الشّيطان** (وإله هذه أسماؤه الحسنى...)، وجميع أبيات هذه القصائد حوالي مائتي (200) بيت، وهذا نصّ الدّيوان كاملًا:

أَيَـــــا أَتْبَــاعُ مُحَمَــدٍ لنــا سُـــــؤالُ *** نرجـــــــوُ جَوابِـــهُ مِمَّـــنْ وَعْـــاه
أَحَقًّـــا تَعْبُـــدونَ إلهُنـــا القـــدّوسِ *** أَمْ شـــيطانٌ ورســـولٌ قـــد وَالاه؟
فإلهُنـــا يَهْـــوَهُ إيلُـــوهِيمٌ اسمُـــهُ *** وهـــو خَـــالِقُ الكَـــوْنِ والحَيْـــاه
ولِيـــسَ إلـــهُ القَمَـــرِ *** الّـــذي يُدْعَـــى الله
مَـــنْ كانـتْ العُربـــانُ تعبُـــدَهُ فـــي *** قفـــرِ مِكَـــةَ و مِنَـــى والصَفـــاه
كـــانَ الهِـــلالُ رَمْـــزَهُ ومـــنْ طِيـــنٍ *** صَنعـــوهُ وبـــهِ زَيّنـــوا الجِـــباه
إذْ جَاءَكُـــمْ فاسِـــقٌ بنبـــأٍ *** وادّعـــى أنّ جبريـــل أتَـــاه
ومـــا عـــرفَ أهـــلُ الكتـــابِ مَلاكًـــا *** هـــذا اِسْمُـــهُ ولا حَتّـــى كُنْيـــاه
وكَـــانَ صَادِقًـــا وأَمِينًـــا حَقًّـــا حَتّـــى *** تَقَمّصَـــهُ الشَيْطَـــانَ وأغْـــوَاه
فأصْبَـــحَ رسُولُـــه فعـــلًا *** وبالـــدّليلِ نُفَنّـــدُ دَعْـــوَاه
وفـــي الشَّـــامِ زَعِـــمَ بُحَيْـــرَا *** أنّ نبيًّـــا مَختومًـــا علـــى قَفَـــاه

سَيُولَـــــدُ فـــــي أرْضِ مِكّـــــة *** رَسَـــــولًا للبـــــدوِ والرّعَـــــاه
ليَخْـــــرُجُ نبيًّـــــا مـــــن نَسْـــــلِ *** إسْمَـــــاعِيلِ لا إسْحـــــق أخـــــاه
ومَـــا عُرِفَـــتْ نُبـــوّة إلّا مـــن نَسْـــلِ *** إســـرائيلِ كمـــا وَعـــدهُ الـــرّبُ وزَكّـــاه
وإذ كـــانَ بُحَيْـــرَا راهِـــبٌ فـــاسِق *** فرُبّمـــا كـــانَ مُحمّـــدًا ابنَـــهُ وضنَـــاه
مـــن سِفـــاحِهِ مـــعَ آمْنَـــة فـــي *** رِحلـــةِ لهَـــا للشّـــامِ وحَمَـــاه
حَمَلَتَـــهُ فـــي بَطنِهـــا سَنَـــواتٍ *** أربـــعٍ بِحَسْـــبِ قـــولُ الـــرّواه
وادّعَـــتْ خُـــروجُ نُـــورٍ مِـــن فَرْجِهـــا *** بِـــهِ رَأتْ قُصُـــورُ بُصـــرَى ومـــا تَحْـــوَاه
فيـــا لَهـــا مِـــنْ خُزَعْبَـــلاتٍ يَنْـــدَى *** لَهَـــا جَبْيِـــنُ السّـــامِعِين والـــرُّواه
فهيّـــا بنـــا إذَنْ نبْحَـــثُ عـــن فَـــرْجِ *** آمْنـــةٍ لنَنَعَـــمَ بنـــورهِ وضِيـــاه
لنُعِيـــدَ أمْجَـــادَ النُبـــوّةِ ونُصَـــدِر *** للعَـــالَمِ طَـــاقَتَهُ وكَهْرَبَـــاه
وفـــي غَـــارِ حِـــرَاءِ تَقَمّصَـــــ *** ـــــهُ إبْليـــــسٌ وابْتَـــــلاه
فأرْغَـــىَ وأزْبَـــدَ وعلـــى الأرضِ تَمَـــرّغَ *** فـــي قِيئِـــه ومـــا خَـــرَجَ مـــن أمْعَـــاه
ثـــمّ هَـــرْوَلَ إلـــى دارِهِ *** صَـــارِخًا فَزِعَـــا واخديجتَـــاه!
فأجلستـــهُ علـــى حِجْـــرها *** عســـاها تُطيـــبُ رُجْفَـــاه
وأعْلَمَهَـــا أنّ كائنـــا قـــدْ ظَهَـــر *** لـــهُ لا يَعْـــرِفُ كُنْهَـــاه
فزَمّلتـــهُ إلـــى صَـــدرِهَا وبخِمَـــا *** رِهـــا دَثَّرَتْـــه وسَـــدَّتْ أُذُنـــاه
كَاشِفَـــةٌ عـــن فَخْذيْهَـــا يُسْـــرى *** ويُمنَـــى وسَائلـــةَ أتَـــراه؟
ومُهَـــدِّأةٌ مِـــنْ رَوْعِـــهِ وللعَفـــريتِ *** قائلـــةً ابْتَعـــدْ عـــنْ مُحَمَّـــدَاه
فاخْتَفَـــىَ المَخلـــوقُ مِـــن فـــورهِ *** رُبّمـــا مِـــن خَجَلِـــهِ وحَيَّـــاه
فلـــولاها مـــا ثَبَتَـــتْ نُبـــوءةُ *** الكـــذّابِ ومـــا كـــان لدعـــوتِهِ حَيـــاه
ومـــا شَـــاهَدَهُ أحـــدٌ ومَـــا صَـــ *** ـــدَّقَ امْـــرؤٌ علـــى رُؤيـــاه
والقـــسُّ ابـــن نَـــوفلْ عَلّمَـــهُ الكتـــابَ *** آمـــلاً أن يجعـــلَ منـــهُ إنســـاناً يُبـــاه
فيجْعلـــهُ خَليفتـــهُ فـــي نشـــرِ *** هرطقتـــهِ ضِـــدّ المَسيـــحِ الإلـــه
وللعَـــرَبِ يكـــونُ وكيـــ *** ـــلهُ فـــي نَشْـــرِ دَعْـــواه
وبتَعَـــاليمٍ وآيـــاتٍ فـــي *** السِـــرّ أَمَـــدَّهُ ورَبَّـــاه
فلمّـــا مَـــات وَرَقَـــةُ وفـــي القبْـــرِ *** وُضِـــعَ وفـــي الجحيـــمِ مَثْـــواه
فَثَـــرَ الوَحْـــيُ عـــن الكـــذّابِ والمـــد *** عُـــو جِبريـــلٌ مـــا عـــادَ يَـــراه
فسَـــارَ إلـــى شَـــواهِقِ الجِبَـــالِ *** ليَنْتحـــر ويقضـــى نُحْبَـــاه
ثـــمَ تراجـــعَ زاعمًـــا أنّ جبـــ *** ـــريلٌ عـــادَ إليـــهِ وارْتَضَـــاه

فيـــا ليتـــه نفَّـــذ تَهديـــدهُ لا *** رتاحـــتْ البشـــريّة مِـــنْ بَـــلْواه
نبـــيٌّ كـــانَ الضّـــلالُ والخـــد *** يعـــةُ لـــهُ عِبـــادةٌ وصَـــلاه
وَصَـــايا الإلـــهُ العشـــرِ كَسَـــرَهَا *** والمُضـــلّ فـــرَضَ شُرْعَـــاه
قـــاتلٌ سَـــارقٌ حَـــالِفُ زورٍ *** وبزنـــاهِ مُفاخـــرٌ ومُبَـــاه
للنّهْـــبِ والسّلْـــبِ وسَفـــكَ الدّمَـــاءِ *** آمِـــرٌ فـــي غَزَوَاتِـــهِ وسَرَايـــاه
سَجـــدَ للغرانيـــقِ العُـــلا *** الـــلّاتِ والعُـــزَّىَ ومُنـــاه
وطُقـــوسُ الوثنيّـــةِ أعَـــادَها وفـــي *** شفـــاعاتِهُنَ كـــان مُرْتَجَـــاه
فعَجَبًـــا لكَعْبَـــةِ ضَمّـــتْ حَجَـــرًا *** يُشْبِـــهُ الفَـــرْجِ شِبْهًـــا لا يُضَـــاه
وأعْجَـــب مِنـــهِ حَجْيـــجٌ قـــدْ *** تنافَســـوا قتـــلًا علـــى قُبـــلاه
طافُـــوا حولـــهُ سَبْـــعَ مـــرّاتٍ *** وكُـــلٌّ يُغنّـــي علـــى لَيْـــلاه
عُـــراةٌ حُفـــاةٌ أو بثـــوبٍ لا *** تُخَـــاطُ بالخِيـــوطِ هُدُبَـــاه
وعلـــى جَبَـــلِ عَرَفَـــاتٍ يَرجُمُـــونَ *** شيطـــانًا بالحِجـــارةِ والحُصَـــاه
جَاهِلـــون أنّ إبليـــسٌ هـــو روحٌ *** لا يَقْـــدرُ الرُّمـــاةِ علـــى أذاه
رَسُـــول الفِسْـــقِ اغْتَصَـــبَ الصّغـــ *** ـــيرةُ عَائشـــةً باســـم الإلـــه
وهـــي لـــم تبلـــغْ مِـــنَ الأُنـــوثةِ *** مَبْلَغًـــا ولا حتّـــى قَرُبَـــتْ نُحَـــاه
مـــن الأُرجُوحَـــةِ إلـــى فِـــراش *** النّـــذل ســـارتْ بـــلا مُبَـــالاه
غيـــرُ عَالمـــةٍ أنّ الَـــذّئب *** سَـــيَنْتَهِكُ عُـــذرَتِها يـــا وِلْـــداه
فـــي السّادســـةِ مِـــن عُمرِهـــا أرَاهَـــا *** الـــدّنيءُ عَورَتِـــهِ بكـــلِّ غَبـــاه
وبيـــن فخْذيهـــا دَلَـــكَ إِرْبَـــهُ *** دَلكًـــا خفيفًـــا يـــا رُحْمَـــاه
فأدْمَـــت المسكينـــة ومـــن نزيفهـــا *** لـــم تَشْـــفَ قَـــطٌّ حَتّـــى الوَفـــاه
ظَانـــةٌ أنّهـــا حَـــائِضٌ ولـــم تـــعِ أنّ *** للحـــيضِ أوقاتًـــا لا طُـــولَ الحَيـــاه
أعْلَمَهَـــا يَومًـــا أنّ حُـــورَ العَيْـــنِ *** يَعُـــدْنَ بَكَـــارَى فـــي نَهَـــارِ ومِســـاه
فصَـــرَخَتْ بِخَـــوفٍ وذُعْـــرٍ *** ولَوعـــةٍ وَا وَجَـــعاه
ألمًـــا مِمّـــا عَانَتْـــهُ يَـــومَ *** اغتصَـــبْها اللّئـــيمُ وَا حَسْـــرَتْاه
ثُـــمّ صَـــارتْ للمُـــؤمنين أُمًّـــا وهـــي *** فـــي سِـــنّ الطُفولـــةِ والصّبَـــاه
تُعَلّمَهُـــم أمُـــورَ الجِـــنْسِ وفَـــرْكَ الثّـــوْبِ *** إذَا احْـــتَلَمَ المُـــؤمِنُ فـــي نَوْمَـــاه
وعَلَـــى الكِبَـــارِ أشْفَقَـــتْ فأرْضَعَتْهُـــم *** عَشْـــرَ رَضْـــعَاتٍ بـــلا مُـــوَاراه
ومـــع صَفْـــوَانْ بـــن المُعَطّـــلِ خَلْـــفَ *** الجِمَـــالِ كانَـــتْ تَخْتَبِـــرُ قُـــوَاه
فَبَرْهَنَـــتْ لنَفْسِهَـــا أنّ مُحَمّـــدًا *** كَـــانَ أمْلَكَهُـــمُ لإِرْبِـــهِ وشَهْـــواه

وقـــدْ أصْـبَحَتْ للعَـــاهِرَاتِ مَثَـــلًا *** يُقْتَـــدَى بـــهِ ويَـــتمّ احْتـــذاه
وبِنْـــتُ جَحْـــشٍ شَـــاهَدَهَا حَـاسِـــرَةً *** مـن خَلـفِ السِـتَارِ فأصَـبحتْ مُشـتهاه
وهـــــي زَوجُ زَيْـــــدٍ ابنـــــهُ *** بـــالتّبنّي ومَـــوْلاهُ مـــن صِبـــاه
فأرْغَمَـــــهُ علـــــى طَلاقِهـــــا *** ليَقضِـــيَ بِهَـــا وَطَـــره وشَـهْـــواه
بآيـــة مِـــنَ الشّيطـــانِ لمنـــعِ التّبنّـــي *** لليتـــامى وكأنّـــهُ عـــارٌ يَـــراه
ومَـــارِيّة القِبْطِيّـــةُ خَـــادِمَتَهُ وَطَأهَـــا *** كُرْهًـــا بعـــدَ أنْ دَبّـــرَ لجُرْمَـــاه
قـــدْ أهْـــدَاهَا المُقَـــوْقسُ لـــهُ *** وأختهـــا كوصـــيفاتٍ لا بُغَـــاه
ظَانًـا أنّـهُ مَلِكًـا يَتَرَفّـعُ عـن الصّغائـرِ *** ويَحْمِـــى مَـــنْ يـــدخُلُ فـــي حِمَـــاه
فمـــاذا يُسَمّـــىَ مَـــنْ يَطْـــأ الخَادِمَـــاتِ *** يـــا خَيْـــرَ مَـــنْ وَطِئَـــتْ الأرضُ قَدَمَـــاه؟
دنـــيءٌ سافـــلٌ وقـــحٌ هـذا مـا يوصـــفُ *** بـــهِ وبالنّعَـــالِ قـــد يَلْقَـــىَ جَـــزَاه
وأُمَيْمَـــة بِنْـــتُ النّعْمَـــانِ رَاوَدَهَـــا *** عـــن نفْسِـــها لتَقْبَـــل زِنَـــاه
فصَـــاحتْ بـــهِ إنّ الحُـــرّةُ لا تَهِـــبَ *** نَفْســـها لابـــنِ السّـــوقةَ والحُفَـــاه
فأهْـــوىَ بيـــدهِ عليهـــا لتَسْكُـــنَ *** فقالـــتْ أعـــوذُ بـــاللهِ منـــكَ ومـــا تَبْغَـــاه
ثـــم رشَـــاها بثوبيْـــنِ وألحقهَـــا *** بأهلِهـــا ليكُـــفّ عَنَهَـــا أَذَاه
وحِفْظًـــا لِمَـــاءِ وَجْهـــهِ أَمـــام *** قَومِـــهِ والعبيـــدُ والإمَـــاه
نَبـــيّ الزّنْـــا كَـــانَ حَتْمًـــا لا فَـــرْقَ *** بَيْنَـــهُ وبَـــيْنَ التّيُـــوسِ وبَعِيـــر الفَـــلاه
أُعْطِـــيَ قُـــوّةَ ثَلاثـــين رَجُـــلاً فـــي *** النّكَـــاحِ مِثْـــلَ كَلْـــبٍ فـــي ذِرْوَةِ شَهْـــواه
وعَلـــى نِسَـــائِهِ التِّسْـــعَ كَـــانَ يَجُـــول *** بغُسْـــلٍ وَاحِـــدٍ فَخُـــوراً بفُحُولَتِـــهِ وزِنَـــاه
أتِلْـــكَ فُـــرُوضُ نَظَافَتِـــهِ؟ يـــا *** لَهَـــا مِـــنْ طَهَـــارَةٍ لا تُضَـــاه!
ونِسَـــاء مُؤمِنَـــات يَهَـــبْنَ أنْفُســـهنّ *** لـــهُ إنْ أرَدْنَ بَرَكَتَـــه وتَقْـــواه
فـــالطّريقَ إلـــى جَنّتـــهِ لا *** يَمُـــرّ إلّا مِـــنْ خِـــلالِ إرْبـــاه
وفَاطِمـــةٌ أمّ عَلـــيّ اشْـــتَهَاهَا فلـــم *** يَقـــدِر علـــى إشْـــباعِ شَهْـــواه
فلمّـــا مَاتَـــتْ ضَـــاجَعَها زاعِمـــاً أنّـــهُ *** يُخَفّـــفُ عنْهـــا ضَـــغْطة القبـــرِ وظُلْمَـــاه
ومـــا هِـــي إلّا شَـــهْوة شَـــيْطان *** سَـــافلٌ لـــمْ يَـــرْعَ للمَـــوْتِ حُرْمَـــاه
وبِنْـــتُ العَبّـــاسِ اشْـــتهَاها ونَـــذَرَ *** نكَاحِهَـــا إن بَقِـــيَ علـــى قَيْـــدِ الحَيَـــاه
وهـــي رَضْـــيعَة لـــم تَـــزلْ فـــي مَهْـــدِهَا *** بَيْنَمَـــا كـــان فـــي شَـــيْخُوخَةِ غَبَـــاه
دَعُـــوا الأطْفَـــالَ يَـــأتُونَ إلـــيَّ *** ولا تَمْنَعُـــونَهُم فنِكَـــاحِهِم أبْغـــاه
تِلْـــكَ كَانَـــتْ وَسِـــيلَتَهُ فـــي إظْهَـــارِ *** مَحَبّتِـــهِ ومُفَاخَـــذَتِهِم كانـــت مُشْتَهَـــاه
أهَـــذا تفكيـــرُ إنْسَـــانٍ سَـــوِيّ يَـــدَّعِي *** أنّـــهُ رَسُـــولٌ مِـــنْ عِنْـــدِ الإلـــه؟

خَـــرَجَ إلـــى السّـــوقِ يَوْمَـــاً فَوَجَـــدَ *** زَاهِـــرَاً وكَـــانَ يُحْبّـــهُ ويَرْعَـــاه
فاحْتَضـــنهُ مِـــنَ الخَلْـــفِ فقـــال لـــهُ *** زَاهِـرٌ: أطْلِقْنِـي مَـنْ أنْـتَ يـا عَمّـاه؟
فقَـال لـهُ مُحَمّـدٌ: أنْـا مَـنْ يَشْـتَرِي *** العَبْيـدُ ورَفَـضَ أنْ يُطْلِقَـهُ لمَسْعَـاه
ولمّـا عَـرفَ أنّـهُ مُحَمّـدًا صَـارَ يُمَكّـنُ *** ظَهْـرَهُ مِـنْ صَـدْرِ الحَبيـبِ وَوَجْنَتَـاه
فهَـلْ كـانَ يُعَلّمَـه القُـرْآنَ مـن خَلْفِـهِ *** أم شَـيْئًا آخْـرَ لا نَعْلَـمُ إيّـاه؟
فرُبّمَـا عَلـمَ الصّـحَابَةِ حِفْـظُ القُـرْآنِ فـي *** صُـدُورِهِمْ إلّا زَاهِـراً فَبَـيّنَ إلْيَتَـاه
نَبْـيّ اللّـوَاطِ كـانَ حَقًّـا وللشّـذُوذِ *** كَـانَ مُعَلّمَـاً للمُحْتَـرِفِين والهِـوَاه
زَعِـمَ أنّ النُكَـاحَ يَعْنِـي الـزّوَاجَ *** مَـعَ أنّـهُ لَعَـنَ نَـاكِحَ يَـدَاه
فَهَـلْ لنَـاكِحِ يَـدَهِ أنْ يَـدْفَعَ مَهْرهَـا *** وكَـمْ الصّـدَاقُ بَيْنَهُمَـا ومَـا مُسَمَّـاه؟
وهَـلْ مِـنْ شُـرُوطٍ لقَبُـولِ هَـذا *** النّكَـاحِ وهـل يُمْكِنَـهُ تَوْكِيـل ذِرَاعَـاه؟
وهَـلْ يُمْكِـن للمُسْـلِمِ أنْ يَقُـولَ أنْكِحـ *** ـنِي ابْنَتَـكَ أو أنْكِحنِـي يَـدَكَ يـا عَمّـاه؟
أو أنْ يَـنْكحَ يَـدَ شَـخْصِ آخْـر إذا *** دَفَـعَ صَـدَاقَهَا ومَهْرهَـا أعْطَـاه؟
وأيّ يَـد يُفَضّـلُ نُكَاحِهَـا اليُسْـرَى أمْ *** اليُمْنَـى أمْ كِلاهُمَـا يـا رَسُـولُ الله؟
وإنْ غَضَـبَ المُـؤمِنُ علـى يَـدِهِ وطَلّقَهَـا *** طَلاقًـا بَائِنًـا ثُـمّ نَـدِمَ عَلَـى مَـا جَنَـاه
فَهَـلْ مِـنْ مُحَلّـل يَـذُوقُ عَسـيلَتِهَا *** لتَرْجِـع إلـى عِصْـمَتِهِ وسَطْـوَاه؟
وإذَا طَلّقَهَـا قَبْـلَ الـدُّخُول بِهَـا فَهَـلْ *** لَـهُ حَـقّ أخْـذِ نِصْـفُ مَـا أعْطَـاه؟
فهـلْ مِـنْ عَاقِـلٍ يَقْبَـلُ هَـذَا *** الهُـرَاءُ؟ رُحْمَـاكَ يَـا رَبّـاه!
وبَنُـو النّضْـيرِ أذلّهـمْ واسْـتَحَلّ *** دَمَـائُهم بعـد أن قَـاومُوا دَعْـواه
فضَـرَبَ عُنُـقَ كِنَانَـة بعـد أنْ *** مَنَـعَ عنـه كِنْـزًا كـانَ قـد أخْفَـاه
وزَوْجَتَـهُ صَـفْيّة اغْتَصَـبْها *** فـي حِمَـىَ أبـي أيّـوبِ مَـوْلاه
فـي نَفْـسِ لَيْلَـةِ قَتْلِـهِ لزَوْجِهـا *** وهـي صَـارخَةٌ وَاعَشْيرتَـاه!
فـأينَ شُـهُورُ العِـدّةُ الأربَعـة *** وأيـنَ شَـرْعكَ يـا رِسُـولَ الله؟
تِلْـكَ أفعـالُ نَبْـيّ الرّحمـةِ *** فيـا رَحْمَتَـهُ ابـنْ القُسَـاه!
وأمّ قِرفَـةِ شَـقّهَا بـين جَملـينِ *** لأنّهـا هَجَتْـهُ بصِـدقِ الهِجَـاه
وفـي المدينـةِ عَـرَضَ *** رَأْسَـها للّـرُوَاج والغُـداه
عَجـوزُ سـيّدةُ قومِهـا أذلّهـا *** لتكـونَ عِبْـرَةً لِمَـنْ عَـاداه
وفـي عَشـيرتها أعْمـلَ سَـيفهِ *** قـتلًا وتشـريدًا يـا ويـلاه!
وابـنْ عَتِيـكٍ نَفّـذَ أمْـرهُ بقَتْـلِ *** أبـي رَافِـعٍ بالسّـيْفِ فـي نَوْمَـاه
فتَحَامَـلَ عليـهِ حَتّـى قَـرَعَ العَـ *** ـظْمَ مِنْـهُ وهـو صَـارِخٌ آه

ولـم يَبْـرَحَ مَكَانَـهُ حَتّـى سَـمِعَ نَعْيَـهُ *** قـائلًا: ثُـمّ أتينـا النَبـيّ فأخْبَرْنَـاه
حَـرّضَ أتباعـهُ علـى قَتْـلِ اليهـوديّ *** فـي كُـلِّ زمـانٍ ومكـانِ سُكْنـاه
زاعِمًـا أنَّ الشّـجَرَ يـومَ القيامـةِ *** سَـينْطِقُ قـائلًا لِمَـنْ يَـراه
يـا مُسـلم! خلفـي يهـوديٌّ فهَلُـمّ أُقتلـهْ *** فنصـيبُكَ الحُـور يـا مُؤمـنًا بـالله
إلّا شَـجر اليهـودِ وهـو الغَرْقَـدِ *** سَـيَحْمِي اليَهُـودِيّ إذا اخْـتبأ وَرَاه
فيـا أُمَـةَ الإسْـلامِ مـاذا إذا حَمَـلَ *** كـلّ يهـوديّ غُصـنَ غَرْقَـدٍ لحِمَـاه؟
ألا يُبْطِـلَ هـذا نُبُـؤةِ الكَـذَّابِ ويَحْـ *** ـمي اليَهـودَ مِـنْ شـيطانِكم ومـا نَـواه؟
وابـن الأعصـم سَـحَرَهُ وجَعَلَـهُ *** للشّـيطانِ مَطيّتَـهُ وسِرْجَـاه
فـي مِشْـطٍ ومَشَـاقَةٍ وجِـف طَلْعَـةٍ *** طَبّـهُ وفـي بِئْـرٍ عَميـقٍ ألقـاه
أربعـة عَشَـرَ شَـهرًا رَبطـهُ وجَعلـهُ *** مَسْـخَرة فـي الحَـوارِي والمَقـاه
فكـانَ يخـالُ لـهُ أنّـهُ يـأتي *** النّسـاءَ فـي نومـهِ ويُقْظَـاه
وجِمَـارٌ عَلـى يَديـهِ أسْـلمَ فأنطـ *** ـقهُ الشّـهَادةِ و يَعْفُـورٌ سَمّـاه
فسَـأله: أتشـتهي النّسـاءَ يـا يَعْفـور؟ *** تُـرَى بـأيّ لغـةٍ كـان سـائلًا إيّـاه؟
فـإنْ أجَـابَ الحمـارُ نعـمْ فكيـف *** يقضـي الحِمـارُ مـعَ النّسـاءِ شَـهْواه؟
سُـؤالٌ غبـيٌّ مـن نبـيٍّ والأدْهَـى *** أنّ الحِمَـارَ لـم يَـرُدّ مِـنْ اسْـتِحياه
تَبِـعَ الحِمـارُ مُحمّـدًا فعَـلًا النَهـ *** ـيقُ فـوقَ المـآذنِ وقـتَ الصّـلاه
ومِـن وقتِهـا بَـدَأَ رَفْـسُ *** التّـابعين وضَـجيجُ رَعَـاياه
ولـن يتوقّـف نَهـيقهُم إلّا *** إذا سَـمَحَ الـرّبُ الحَقيقـيّ الإلـه
أسْـرَى وعَـرَجَ فـي أحْـلامٍ *** لـم يَراهـا أحـدٌ سِـوَاه
وعلـى بُـراقٍ مُجـنّحٍ مثـل الحمـارِ *** قـد رَكَـبْ ودَلْـدَلَ رِجْـلاه
مـن مَكّـةٍ إلـى القُـدسِ طـارَ بـه *** وإلـى السّـماءِ حيـثُ عَـرْش الإلَـه
ومـا هـي إلا أسـاطيرٌ اقتبسـها *** والجُهّـال أقـنعهم بِمَـا رَوَاه
وأمّ هـانئ زَوْجِـهِ تشْـهَدُ أنّـهُ *** لـم يُفـارقْ مَرْقَـدَهُ ولا حَشَايـاه
وأنّ فراشـهُ لـم يـزلْ دافئـاً منـذُ *** أن نـامَ مُشـخِرًا فاتِحَـاً فـاه
قائلـةٌ أنّهـا خُرافـاتُ أخْـر *** قٍ وأضْـغَاثٌ فيمـا رآه
بالوَيـلِ والثُّبـورِ وعَظـائِمِ الأُمـورِ *** هَـدّدَ أتباعَـهُ وكُـلُّ مَـنْ وَالاه
بثُعْبَـانٍ فـي القَبـرِ يَلـدْغَهم *** والشّـجاعُ الأقْـرَعُ سَمّـاه
إن فكّـروا يَومَـاً فـي تَرْكِـهِ *** واتّبَعُـوا طريقًـا آخـرِ سِـواه
فتَفَكّـروا يـا قـوم هـل رأيـتم ثعبانًـا *** ذو شَـعْرٍ علـى رَأسِـهِ وجِبَـاه؟

أبْـــــوالُ البَعْيـــــــر وصَـــــــفهَا *** للعَليـــــلِ كـــــــدَواءٍ لشِفـــــــاه
وهـــي سُـــمُومٌ تضـــرُ بالسّـــليمِ فمَـــا *** بالُـــكَ بالسّـــقيمِ تجُـــرّهُ لقَضَـــاه
عليـــكَ بالعَسَـــل ! قالهَـــا لَمـــريضٍ *** كانـــت بَطْنَـــهُ ومَعْيـــهُ تُؤلمَـــاه
فـــزادَ مَرَضـــهِ وهَلَـــكَ المِسْـــكِينُ *** ثِقَـــةً بكَـــذّابٍ وتصـــديقًا لفَتْـــواه
صَـــارَ طبيبًـــا ذلـــك الجَاهِـــلُ *** قـد الأُمَّـيّ كمـا دَعَـاهُ جِبريـلُ ونَـادَاه
وَعَـــدَ المُـــؤمنين بأنهَـــارِ *** خَمْـــرٍ وعَســـلٍ مـــا أحْـــلاه
وَزَوَّجَهُـــمْ بأبْكَـــارٍ حُـــورٍ *** عِـــينٍ قاصِـــراتٍ طُرُفَـــاه
عَلَـــى سُـــرُرٍ مَصْـــفُوفَةٍ مُتّكَـــأهِمَ *** ولكـلّ مِـنْهُمُ مَـا اشْـتَهَىَ ولَـذّتَ عَيْنَـاه
ووِلْـــدَانٌ مُخَلّـــدونٌ مُسَـــوّرون مُقَـــر *** طـــون يَعْملـــون كَخَـــدم وسُـــقاة
لا يَصـــدّعُونَ ولا يَنْزِفُـــونَ تُـــرَىَ *** مَـاذا يُصْـدِعُ الوَلَـدُ ويُنْـزِفُ دِمَـاه؟
ذَاكَ نَصْـــيبُ كُـــلّ مُـــؤمِنٍ فمَـــا *** نَصْـــيبكُ يـــا مُؤمِنَـــة بِـــالله؟
فتَعَقّلـــوا يـــا قَـــوْمُ أجنّـــةٌ تِلْـــكَ *** أمْ بيـــتُ دَعَـــارَةٍ ولُـــوَاطٍ وعُـــرَاه؟
أقـــوّادُ إلَهُكُـــمُ ليَسْـــمَحَ بالعَـــ *** ـــهَارَةِ فـــي مَحْضَـــرَهِ وبَهَـــاه؟
أجَـــرّاحٌ هُـــوَ ليرتـــق غَشَـــاءَ البَكـــارى *** بَعْـــدَمَا يَشُـــقّ المُـــؤمِنُ إيَـــاه؟
فَـــضّ البَكَـــارَةِ كُـــلُ هَمّهِـــمُ فمَتَـــىَ *** يَكُـــونُ وَقْـــتَ العِبَـــادَةِ والصّـــلاة؟
ومُـــؤمنٌ لا يَنْثَنِـــي أبَـــدًا ذَكَـــرَهُ *** فكيـــف يَنـــامُ علـــى بَطْنِـــهِ وثَدْيَـــاه؟
ودَاجْـــنٌ صَـــارَ مُقَدّسًـــا إذ أكَـــلَ *** مـــن القـــرآنِ آيـــةً طالتهـــا شَفَتَـــاه
تَحْـــت السّـــرْيرِ وَجَـــدَها وقـــتْ *** انشـــغالُ القـــومُ بجثّـــةِ نبـــيّ البُغَـــاة
فَقَـــدْ مـــاتَ مُحَمّـــدٌ بعـــد أن خَـــدَعَ *** الجَميـعُ أنّـــهُ بـــاقٍ إلـــى دَهْـــرِ الحَـــياه
وفـــى القَبْـــرِ دُفِـــنَ وصَـــار مـــأكلاً *** لـــدُودِ الأرْضِ وآكِلِـــي ثُـــــــرَاه
فرُبّمـــا صَـــنَعَ مُعْجِـــزةٍ وَقتُهـــا *** فسَـــمّمَ الـــدّودَ بعـــدَ أنْ الـــتهمَ إيّـــاه
وإلـــهٌ هَـــذهِ أسْـــمَاؤهُ الحُسْـــنَىَ فمَـــاذا *** عَـــنْ الـــدّمْيمِ مِنْهـــا والسّـــفْيه مَعْنَـــاه؟
المُـــؤمِن بِمَـــنْ يُـــؤمِنُ إلَهُكُـــمْ يـــا قَـــوْمْ *** ولمَـــنْ يُقَـــدّمُ فُـــروضَ صَلْـــوَاه؟
المُـــذلُّ المُتَكَبّـــر الضّـــار أيُـــدْعَى إلـــهٌ *** مَـــنْ يَـــذِلّ عَبيـــدَهُ ويَضـــرّ رَعَايـــاه؟
المَتـــين المُتعـــال وعَلَـــى مَـــنْ *** يَتَعَـــالَى ويُظْهِـــرُ مَتَانَتِـــهِ وقُـــوَاه؟
المُنْـــتَقِمُ مِـــنْ عَبْيـــدهِ والجَبّـــار فكَيْـــفَ *** يَنْـــتَقْمُ إلَهُكُـــم مِمَّـــنْ خَلَقَـــتْ يَـــدَاه؟
وسَيَسْـــخَرُ القَهّـــارُ بعـــد أن يُبِيـــدُ *** خَلْيقَتُـــهُ قـــائلا: أيـــن أنـــتم يـــا عُصَـــاة؟
قـــاطِعٌ للرّقِـــابِ والأطْـــرَافِ مِـــنْ خِـــلافٍ *** أجَـــزّارٌ هُـــو أمْ سِـــكّينٌ مُسْنَـــاة؟
نَـافِخٌ فـي الفُـرُوجِ وشَـافِطٌ مـا يَطيـرُ فـوقَ *** كَعْبَتِـــهِ كمِنْفَـــاخ وشَـــفَاطٌ مَـــا أقْـــوَاه!

بِلُغَـــةِ العُرْبَـــانِ عَـــالِمٌ ولا يَعْـــي *** غَيْرُهَـــا مِـــنْ لُغَـــاتِ العَـــالَمِ ولُسُـــنَاه
يَنْسَـــى الآيَـــاتُ ويَـــأتْي بأحَسَـــنِ مِنْهَـــا *** فمـــاذا يُمَيّـــزَهُ عَـــنْ الكُتّـــابِ والـــرّوَاه؟
ورَحْمَـــانٌ عَلَـــىَ العَـــرْشِ اسْـــتَوَى أجَـــالِسٌ *** عَلَـــى كُرّسِـــيّ هُـــوَ أم فُـــرْنٌ مُحَمْـــاة؟
ومَـــنْ ذَا الـــذي يُحَـــدّدُ نُضْـــجِهُ *** ويعُـــرفَ أنّـــه قـــد كَمُـــلَ اسْـــتوَاه؟
لـــمْ يَعْـــرِفَ مَـــا قـــد كُتِـــبَ عَلَـــىَ عَرْشِـــ *** ـــهِ لَـــوْلا أنْ نَبَهَـــهُ مُحَمَـــدَاً وأرَاهُ إيَـــاه
فهـــل كـــان مَحْـــدُودٌ مُحَمّـــدِكُم؟ أم *** أنّ إلَهَـــهُ قَـــدْ حَـــدَّ نَفْسَـــهُ ليَـــرَاه؟
تُـــرَىَ هَـــلْ كَـــانَ نَـــائِمٌ إلَهَكُـــمْ ؟ أمْ *** لـــمْ يُكُـــنْ قَـــدْ فَـــاقَ بَعْـــدُ مِـــنْ غُفْـــلاه؟
فَقُـــلْ يَـــا أيّهـــا المُسْـــلمون لا نَعْبُـــدُ مـــا *** تَعْبِـــدُون ولا أنْـــتُم عَابِـــدون مَـــنْ عَبَدْنَـــاه
أنـــتم أبنـــاءُ إبلـــيس وأعمالـــهُ تَعْملـــون *** وإن كُنْـــــتُم لا تَعلمـــــون خَبَايَـــــاه
وإن صَـــــعُبَ عَلـــــيكُمُ فَهْـــــمُ *** إيمَانُنَـــا فلَـــيْسَ هـــذا لَكُـــم بمَدْعَـــاه
فخَيْـــرٌ لكُـــم أن تُصْـــبِحوا بـــلا دِيـــنٍ *** مِـــنْ أن تَتْبَعُـــوا إلهًـــا تِلـــكَ صِفَـــاه
فالمُلْحِـــــدُ مُجَـــــرّدُ إنســـــان لا *** يُـــؤمنُ بوجـــودِ رَبـــاً للكَـــوْنِ يَرْعَـــاه
والـــوَثَنِيّ يُـــؤمِنُ بوجـــودِ كـــائنٍ *** أعلـــى لا يَسْـــتَطِيعُ أنْ يَـــراه
فجَسّـــــدَهُ فـــــي وَثَـــــنٍ *** صَـــــنَعَهُ بيَدَيـــــهِ وسَـــــوَّاه
واليَهُـــودِيّ لـــمْ يُـــؤمنْ بالمســـيحِ *** الابـــنِ بعـــد ولكِنّـــهُ يَعْبُـــدُ الآبَ الإلَـــه
إيْلُـــوهِيم إلَهَنَـــا قَـــدْ ظَهَـــرَ فـــي ثَالُوثِـــهِ *** فـــي مَعْمُوديـــةِ المَسَـــيح فـــي الميـــاه
يَسُـــوعُ الابـــنُ فـــي النّهْـــرِ والـــرُوحُ *** القُـــدُسُ علـــى شَـــكْلِ حَمَامَـــةٍ ظَهَـــرَ ثَنَـــاه
والآبُ مـــنَ السّـــمَاءِ قـــائِلًا: هـــذا هـــو *** ابْنِـــي الحَبيـــب بِـــهِ سُـــرِرتُ فاسْـــمَعُوا نِـــداه
ثَـــالُوثٌ فـــي وَاحِـــدٍ ووَاحِـــدٌ فـــى ثَـــا *** لـــوثٍ هـــو إلَـــه الكَـــونِ وصَـــانِعَهُ بيَـــداه
ولا يَســـــتطيعُ أحَـــــدٌ أنْ يَعْتَـــــرِفَ *** بالمســـــيحِ مخلّصـــــاً وإلَـــــه
إلّا إذا مَـــــــلأهُ الـــــــرّوحُ *** القُـــــدُسُ وطَهَـــــرَهُ وقـــــوَّاه
فَعَظِـــــيمٌ هُـــــو إلَهُنَـــــا *** وعَظْـــــيمٌ سِـــــرّ تَقْـــــوَاه
أحْبَنَـــــا فتَـــــراءَى لَنـــــا *** ونَـــــزَلَ مِـــــنْ عُلْيَـــــاه
فلِمَـــــا لا تَتَبَيّنـــــوا يـــــا إخْـــــوَةَ *** الإنســـانِ أكاذيـــبَ مُحَمّـــدٍ ودَعَـــاوَاه؟
إنّـــا نعـــيشُ العُمْـــرُ مـــرةً فـــلا تضـــيعو *** نـــهُ سُـــدَىَ وراءَهُ بكـــلّ خَطَايَـــاه
وكـــاذبٌ كـــلّ مَـــنْ ادّعَـــى نُبْـــوّةً *** بَعـــدَ المَســـيح رَاعِـــي الرّعَـــاه

(**الـرّدّ علـى قصـيدة ابـن القـيّم الجوزيّـة، "محمّـديات شـيطانيّة"**، موقـع: مسـيحيو الشّـرق لأجـل المسـيح: https://mechristian.org، تاريخ النّشر: 10 أوت 2007م، تاريخ الزّيارة: 03 جوان 2020م، السّاعة: 10:35).

يحاول صاحب هذا الدّيوان مضاهاة ابن القيّم في قصيدته راجيًا الرّدّ عنه، وبالرّغم من كثرة هذه الأبيات، إلّا أنّها لا تصمد أمام أدنى نقد يوجّه إليها، ويكفي في هذا المقام أن نقول: هذه أبيات مُهلهلة متهاويّة، غير متناسقة ولا منسجمة بله بعيدة كلّ البُعد عن الصّنعة الشّعريّة، بل هي أقرب إلى النّثر أو السّرد المتواصل، فلا نغمة موسيقيّة تحملها، ولا وزن، ولا قافيّة منتظمة...، أمّا من حيث الموضوع والمحتوى فالأمر أشدّ وأنكى؛ إذا يبدو أنّ مؤلّف هذا الدّيوان (المجهول) لا يعرف من حقائق الإسلام شيئًا، فهو جاهل بالإسلام عقيدة وشريعة وخُلقا، وهذا أمرٌ لا ينكره كلّ مَن قرأ ديوانه سواء كان مسلمًا أو مسيحيّا، نظرًا لما في هذه الأبيات من قذف وقذع وزور وبهتان...، لاسيما بما يتعلّق برسول الإسلام محمّدﷺ وكذا شعائر دينه الحنيف، ولا غرو في ذلك ما دام القاذف أو المفتري ذا جهلٍ مُطبِق، وليس له غرض غير الكذب والافتراء، ولو طبّقنا أبجديات علم النّفس على هذا الكاتب أو الشّاعر تجاوزًا؛ لصحّ لنا وصمُه بشتّى نعُوت الخزي والعار؛ من قبيل الشّذوذ الجنسي، وهوس القتل والانتقام، وعشق الكذب والتّزوير، ومداومة ارتكاب الفواحش كالزّنا واللّواط والفجور، ومعاقرة الخمر، والسّجود للأصنام، وعبادة الأيقونات والتّصاوير والقدّيسين...، وقد حاول بكلّ وقاحة إسقاط كلّ ذلك على رسول الإسلام، بل وعلى كلّ منتسب للدّين الإسلامي، انتقامًا وحقدًا، وهذه هي الصّورة النّمطيّة التي يعتقدها المسيحيون تجاه المسلمين، ويجب الإقرار –من باب الموضوعيّة– أنّ هناك صورة نمطيّة في الاتّجاه المقابل يعتقدها المسلمون تجاه المسيحيين؛ وهذا موضوع طويل جدًّا ضاربٌ في أطناب الزّمن ليس هذا محلّ سرده.

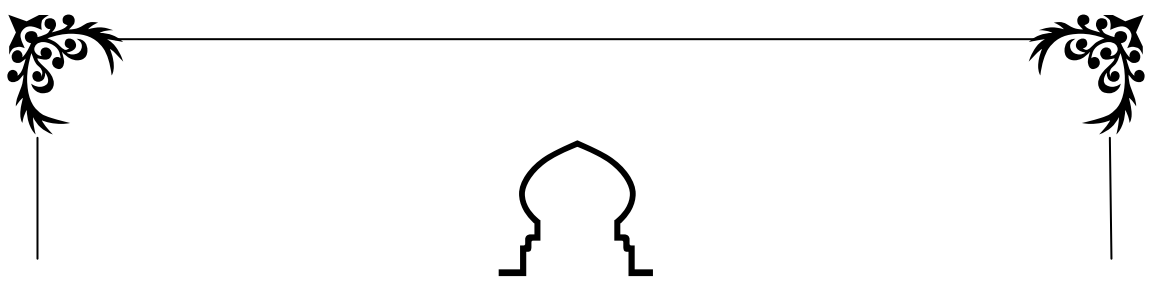

الخَاتِمَـــــــــةُ

حَوْصَلَةً لما سبَق شرْحُه من أبْيَاتٍ، وتلخيصًا لها، وتقريبًا لمَعَانِيها من القَارِئ، وتبسيطًا لها في ذهنه، اِرتأيْنا في خِتَامِ هذا الشَّرْحِ المُتواضع للقصيدة الهائيَّة؛ أنْ نَنْثُرَ أبياتها بأسلُوبٍ رائقٍ سَهْلٍ، مع الإشارة باختصار إلى ما تقدَّمَها وما تَلَاها من معلُومات؛ بُغية الإلمام بما تَفَرَّقَ ذكْرُه من أَفْكَارٍ ومعارِفَ آنِفًا في أَبْوابِ وفُصُولِ هذا الكِتاب في موضعٍ واحدٍ مُنفرِدٍ.

إنَّ قصيدة ابن القيِّم **(أَعُبَّادَ المَسِيحِ)** تدخُل ضِمْن الرُّدود الإسلاميّة على أَتْبَاع المِلَّةِ النَّصرانِيَّة؛ التي تُعْنَى بالنَّقْدِ والجِدال والطَّعْن في معتقدات الآخر وآرائه المُخالفة لتَعاليم الدِّين الإسلامي، وهي قصيدةٌ قويَّة في حُجُجِها ومَعَانيها مبنيَّةٌ على الاستفهامَات والتَّعجُّبات، مُدحضةٌ للخصْمِ في اعتقاداته، مُبْهِتةً له في تصوُّراته؛ ذلك أنَّها مِن نظْمِ عالِمٍ غيُورٍ على دينه، خبيرٍ بما عِندَ النَّصارى مِن مَقَالاتٍ، حيثُ أَلِفَ الرَّدَّ عليهم ومُناقشتهم ومُناظَرتهم؛ فحاججهم عقليًّا ونَقْليًّا وواقعيًّا فيما يعْتَقِدُونَه ويقُولون به من صَلْبٍ وإلوهيَّةٍ وغيرها، مُنْطَلِقًا مِنْ مصادرهم وتُراثِهم الدّيني.

فخَاطَبَهم قائِلًا:

يا أيُّها النَّصَارَى العَابِدُون للمسيح، العَاكِفُون على عِبادتِه: إنَّ عنْدَنا سُؤالًا نحنُ المُسلمين، نبحثُ له عن جوابٍ مقنِع مِنْ قِبَلِ الذي فهمه وفقِه مَعنَاه: إذا ماتَ إلهُكُم بفعْلِ فاعِلٍ تسبَّبَ في قتْلِه وموتِه، فهلْ هذا إلهٌ؟!، ثمَّ –بالتَّسليم جدلًا معكم بالذي وَقَع له– هلْ

رضيَ بقتْلِهم إيَّاه؟!، فإنْ رضيَ به فيا لبُشراهم ويا لسعادتهم برضاه عنهم، وأمَّا إنْ غضبَ عليهم ولم يرْضَ عنهم بسبب فِعلتِهم فيه؛ فقوَّتُهم إذنْ –وهم المَربُوبُونَ– أكبَرُ وأَعْظَمُ من قُوَّته هو –وهو الرَّبُّ–؛ حيثُ قد أضْعَفَتْها لمَّا تمَكَّنَتْ منها وقَهَرتْهَا وعَلَتْ فَوْقَهَا؛ فَأَرْدَتْها زَاهقةً لا رُوحَ فيها، ثمَّ هل بقيَتْ الدُّنيا –عندما مَاتَ الإله– من غير إله عليم خبير سميع مُستَجيب يُجيبُ دعْوَةَ الدَّاعي إذَا دَعَاهُ، ويكشفُ ضُرَّ مَنْ اسْتَغَاثَ به؟!، وهلْ لمَّا كان هذا الإلهُ مدْفُونًا في قبره والتُّرابُ عَاليَهُ؛ انْعدَمتْ السَّماواتُ السَّبْعُ من إلَهٍ حيثُ الإله قابِعٌ تحْتَ الثَّرَى غير عالم بما يجري من حوله؟!، وهلْ تُركَتْ العوالم كلَّها؛ عوالم الإنس والجِنّ والحيوان والنّبات وغيرها، من ربٍّ يرعَاها ويُسيّرُها ويُدبِّرُ أمورها ويُقرِّر شؤونها؛ وقد قُبض على الإله من قِبَلِ البَشَرِ فسمَّرُوا يديْهِ بالمسامير حتَّى أَدْمَوْهَا؟!، وبعد ذلك وقد حدَثَ له ما حدَثَ؛ كيف تركتْهُ الملائكة حينما سمعُوا عَويله وصُراخهُ من شِدَّة الآلام، فلم تنصُرْهُ ولم تأبه لحاله وما يُعانيه من ألَم؟!، بل وكيْف استطاعَت خشَبَاتُ الصَّليب الواهِنات الضَّعيفات حمْل ورفْع الإله الحقيقي؛ ربّ العالمين والخلائق كلِّها؛ فثُبِّت عليها بتَثْبيت قَفَاهِ وشدِّهِ إلَيْها؟!، وكيف اقتَرَب الحَديدُ منه فخالَطَهُ وامتزَجَ به ولَحِقَهُ أذاه؟!، وكيف استطاع أعداؤهُ القبْض عليه واعتقاله وضَربَهُ بأيديهم على قفَاهُ صَافِعين إيَّاهُ ؟!، ثمَّ هل رَجَعَ هذا الإلَه إلى هذه الدُّنيا مرَّةً أُخْرى بعْد موتِهِ وقَبْرِه؟!، وإنْ حصلَتْ له هذه الرَّجعة؛ أَفعَلَ هو ذلك من تِلقاء نفسِه بإرادته ومشيئتِه على رغْبَةٍ منه فأحْيَا نفْسَهُ؟!، أمْ أنَّ هناك ربًّا آخر قادِرًا مُريدًا غيره هو الذي أحيَاهُ؟!، ويا عجبًا لقَبْرٍ محْفُورٍ في الأرْضٍ صغير الحَجْمِ قُطْرهُ محدُودٌ ضمَّ بين أطرافِهِ غير المُتباعدة إلهًا كبيرًا عظيمًا غيْر مُنْتَهٍ في العِظَمِ وغير محدُود!!، بل يا لِغرابة ذلك!!، لكنَّ الأكثر غرابة والأمر الدَّاعي للتَّعجُّبِ فعْلًا؛ هو أنْ يكونَ هذا الإلَهُ قدْ استطَاعَ بطْنُ صغيرٌ جدًّا لِامرأةٍ مخلوقَةٍ أنْ يحويَّهُ ويُحيطَ بهِ!!؛ حيث مَكَثَ –أي الإله– فيه تِسْعة أشهُرٍ غارِقٍ في ظُلُماتِه، غذاؤُه مِن دمِ الحَيْضِ عن طريق المشيمَةِ شأنُه كشأنِ كلِّ جَنِينٍ لا حوْل لَه ولا قوَّة، ثمَّ لمَّا كمُلَتْ مُدَّةَ الحمْل به اختَرَقَ فرْجَ أُمِّهِ خارِجًا منه صارِخًا وهو طِفْلٌ صغيرٌ يلتقِمُ الثَّدْيَ بفمِه، ثمَّ هو بعد ذلك كبقيَّة البَشَرِ وشأنُه كشأنِهم؛ يأكُل كما يأكلُون، ويشرِبُ كما يشربون، ويُخرِجُ ما يَتَرتَّبُ عن ذلك من بوْلٍ وغائِطٍ وغيرِهما، فهل كلُّ مَن تجري عليه مِثل هذه الحوادِث؛ إلهٌ أو ربٌّ؟!، لا، –وربِّ الكعبة– ما الإلهُ الحقِّ بمتعرِّضٍ لمثل هذه الأمُور الجاريَّة على البشر وجميع

المخلوقات؛ لأنَّهُ تعالى مُنزَّهٌ عن كلِّ ذلك، وليس هو كالنّاس يجري عليه ما يجرِي عليهم، فتعالى الله وتقدَّسَ وتنزَّهَ عَن كَذِب النَّصَارى وافتراءاتهم وأقاويلهم في حقِّ الله تعالى وفي حقِّ نبيِّه عيسى، ويوم القِيامة سيُسْأَلُ كلُّهُم، بل وكلُّ مُفتَرٍ عمَّا افترَاهُ وتفوَّه به لِسانُ مقالِه كاذِبًا مُزوِّرًا للحقيقة غير مُقِرٍّ بها.

ويا أيُّها النَّصارى العَابِدُون للصَّليب، المُقدِّسُون المُعظِّمُون لَهُ: لماذَا تعظِّمُون هذا الصَّليب؟، وهل هناك دَاعٍ يدعوكم لتعظيمِه؟!، وبالمُقابِل، لِمَا كلُّ مَنْ رمَاهُ وأهانَهُ قبَّحْتُمُوهُ وأنقصتُم من حقِّه، وقذفتموه بالشَّتائِم وبسيِّئِ الكَلامِ، وعاملتُمُوه بسيّئِ التَّصرُّفات؟!، وهل تُقرُّ العُقولُ السّليمَةُ إلَّا أنْ تكْسِرَهُ وتُحرِقَهُ؛ هوَ –أي الصَّليب– ومعَهُ مَنْ يؤمِن ويفتخِرُ به، ويعتقِدُ فيه، ويُريدُهُ شِعارًا له؟!، وإذَا كان إلهُك –أيُّها النَّصْراني– قد أُصعِد عليْه، ومُسِكَتْ يدَاهُ إليْه لتُدَقِّ بالمَسَامير فيه، رغمًا عنه وتحْتِيمًا عليْه، وهو غير مُريد لكلِّ ذلك بل إنَّه مُبغِضٌ له أيَّما بُغْضٍ؛ فإنَّ ذلك هو المَركبُ المُستوْجِبُ للّعْنِ بحقٍّ، فأهِنْهُ ولا تأبَهْ به، بل واطْرَحْهُ أرْضًا، وطَأْهُ (إمْشِ عليه بقدَمِكَ)، ولا تُعَظِّمْه ولا تقبِّلْهُ أيْنَمَا رأيتَه وفي كلِّ مكان لَمحْتَهُ، أفيُهَانُ ويُرْهَقُ ويُعذَّبُ عليه إلَهُ الخلائقِ جميعُها، ويُستهزَأُ به ويُسخَرُ منه وهو فَوْقَهُ مُثبَّتٌ فيه، ثمّ بعد كلِّ هذا أنتَ تعبُدُه وتركع وتسجُد له؟!، إنَّك إنْ فعلْتَ هذا؛ فأنْتَ مِن أعْداءِ إلهِكَ الحَاقِدِين عليْه الذين لا يُريدون له الخير بتاتًا، والمُصيبة الأعظم من ذلك والدَّاعيَّة للاستغْرابِ والتَّعجُّبِ؛ أنَّ هذا الصَّليب (صليب المسيح) الذي أنتَ تقدِّسُه وتُعظِّمُهُ والذي صُلِبَ عليه إلهُكَ وربُّك فعْلًا بذاتِه –كما تعْتَقِد– قد فُقِدَ واختَفَى من الوُجُود نِهَائيًّا، فلم نعُدْ نُبْصِرُه بأعيُنِنَا، غيْر أشكالٍ مُشابهة له مصنُوعَة على شاكِلتِه، والتي إنْ رأيْنَاها فإنَّها تُذكِّرُنا به، مجرَّد تذكُّرٍ فقط، إذن، –والحال هذه– فإنَّك –يا مَن تعبُدُه وتقدِّسُه– تتخبَّطُ خبْطَ عَشْوَاء؛ مُبتدِئًا من فراغٍ ومُنتَهٍ إلى فراغ، ثمَّ ألَا يجْدُرُ بك –يا نصراني– أنْ تسجُد لجميع قُبُورِ القِدِّيسين والصَّالحين والمُقرَّبين والمُتَّقين حيث هي مُستحقَّةٌ مِنك للسُّجودِ؛ ما دام أنَّ ربَّك وخالقَكَ ومُدبِّرَ أُمُورك ومُحاسِبَك يوم القيامة قدْ أمْسَى ثاوِيًا في القبْرِ محْصُورًا بين جَنَبَاتِه في زَمَنٍ من الأزمَان؟!!، فيَا عبْدَ المسيح المُنتَسِب إليْه عِبادةً لا خلْقًا الذي أنتَ عابِدٌ له وهو لا يُقِرُّ بعبادتك إيَّاه؛ إذا علِمْتَ ما قصَصْتُه عليك وبيَّنتُهُ لَكَ من أَمْرِ المسيح عيسى عليه السلام في هذه القصيدة، وذكرْتُ لك الفارِقَ

بينـي وبينـك فـي الاعْتِقَـاد فيـه، واسـتوعبتَهُ وفهِمْتَـه وفقِهْتَـهُ فقهًـا جيِّـدًا؛ فـأَفِقْ مِـن غفْلتِـك واستيْقِظْ من نومتِكَ التـي غرقْتَ في ظُلُماتِها قرونًا عديدة؛ فإنَّ هذا الذي حكيْتُهُ لَكَ من بدايـة هذه القصيدة إلـى نهايتها فـي حقِّهِﷺ؛ هو بدايتُه وهو مُنتَهاهُ فـي صورتِهِ الواقعيَّـة الحقيقيَّة.

هذا هو مَعنَى القصيدة الهَائيَّة باختصار، وهي كما ترَى قصيدة مليئة بالحُجج العقليَّة والبـراهين المنطِقيّـة، وجيـزة فـي ألفاظهـا، عظيمَـة فـي معانيهـا، كافيَّـة فـي فَنِّهـا، وافيَّـة بغرضِها؛ لذلك لاقَتْ صدًى كبيرًا بين الأوساط الإسلاميّة وحتَّى المسيحيَّة؛ فأمَّا المُسلِمُون فإنَّهم يفتخرون بها ويستشهدون بأبياتها في كُتبهم وأبحاثهم ويتلُونها في خُطبهم ومواعظهم وينسـجون علـى مِنـوَالِ معناهـا فـي كثيـر مـن منـاظراتهم ومُناقشـاتِهم، وأمَّـا المسـيحيُون فيحاولُون جاهدين الرَّدَّ عليها والانتقَاصَ من حقِّها وانتقَادَها وتفنيدَها، وأيَّامًا كان الأمرُ، فهو يعُودُ لمكانـة هذه القصـيدة ومنزلتهـا وأهمِّيتَهـا عنـد كـلا الفـريقيْن؛ ذلـك أنَّهـا قصـيدة خالِصـةٌ كتـب لهـا الله القَبُـول فـي السَّماءِ فتلقَّفَهـا أهلُ الأرضِ قبُـولًا؛ فـانكبُّوا عليهـا دراسَـة ومُدرَاسَةً ونقْدًا وتمحِيصًا.

ولا نمْلِك في ذَيْلِ هذه الخاتِمة المُذيِّلَةِ لكِتاب "**الحِليَةِ الجَلِيَّةِ**" إلَّا أنْ نأمَل أنَّنا قد وَفَّيْنَا قصيدة "**أعُبَّاد المسيح**" حَقَّها ومُسْتحقَّها من الشَّرْح والبَيَان، ومنَحْنَاها نَصيبَها من الإيضَاحِ والعِرْفَان، رَاجِينَ الصَّفْح عمَّا بدَرَ منَّا من تقصيرٍ ونِسيان، فإنَّ كلُّ عَمَلٍ وإنْ كثُرَتْ محاسِنُه فلا بُدَّ للمَسَاوِئِ إليه من سَبِيلٍ، فإنْ كانت الأولى فمِن الله وحدَه، ذِي الفَضْل والمِنَّة وهو وليُّ التَّوفيق، وإنْ كانت الثَّانيّة فمِنَّا ومن الشَّيطَان الرَّجيم، نعوذُ بالله منه ومِن نَفْخِهِ ونَفْثِهِ وهَمْزِه ولَمْزِهِ وصَحْبِه، وآخرُ دعوانَا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

﴿ مُلْحَقٌ: إِعْرَابُ القَصِيدَةِ الهَائِيَّةِ ﴾

الكَلِمَةُ **إِعْرَابُـــــهَا**

أَعُبَّادَ: الهمزة آداة نِداء للقريب، وعبَّادَ مُنادَى منصوب بالفتحة الظَّاهرة على آخِرِهِ، وهو مضاف.

المَسِيحِ: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظَّاهرة على آخره.

لنَا: جار ومجرور في محلِّ رفع خبر مقدَّم.

سؤالُ: مبتدأ مؤخَّر مرفوع بالضَّمَّة الظَّاهرة على آخره.

نُريدُ: فعل مضارع مرفوع بالضَّمَّة الظَّاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن.

جوابَـهُ: جوابَ: مفعول بـه منصوب بالفتحة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متَّصِل مبني على الضَّمِّ في محلِّ جرّ مضاف إليه.

مِمَّن: أصلُها: مِن مَن فأُدغمت النُّون السَّاكنة في الميم المتحرِّكة بالفتح بعدها، وهي جار ومجرور.

وعاهُ: وعى: فعل ماضي مبني على الفتحة المقدَّرة على الألف منع من ظهورها التَّعذُّر، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، والهاء ضمير متَّصل مبني على الضَّمِّ في محلِّ نصب مفعول به.

إذا: ظرف لما يُستقبل من الزَّمان غير متضمِّن معنى الشَّرط.

ماتَ: فعل ماضي مبني على الفتح.

الإلهُ: فاعل مرفوع بالضَّمَّة الظَّاهرة على آخره.

بصنع: جار ومجرور، وهو مضاف.

قومٍ: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظَّاهرة على آخره.

أَماتوه: فعل ماضي (أمات) وفاعل (الواو) ومفعول به (الهاء).

فما: الفاء استئنافيَّة، ومَا اسم استفهام مبني على السُّكون في محلٍّ رفع مبتدأ.

هذا: اسم إشارة مبني على السُّكون في محلٍّ رفع خبر.

الإلهُ: بدل من هذا مرفوع بالضَّمّة الظَّاهرة على آخره.

وهل: الواو عاطفة على ما سبق، وهل حرف استفهام مبني على السُّكون لا محلَّ له من الإعراب.

أَرْضَاهُ: فعل ومفعول به،(أرضَى) و(الهاء) مفعول به مقدَّم.

مَا: اسم موصول مبني على السُّكون في محلٍّ رفع مبتدأ.

نالُوه: فعل ماضي (نال) وفاعل (الوار) ومفعول به (الهاء)، والجملة الفعليّة في محلّ رفع خبر للمبتدأ ما، والجملة الإسميّة (ما نالوه) مصدر مؤوّل في محلٍّ رفع فاعل مؤخِّر.

منه: جار ومجرور متعلِّق بما سبق.

فبُشراهم: الفاء واقعة في جواب الشَّرط أو هي فصيحة تُفصح عن كلام محذوفٍ قبلها، وبشرى مبتدأ مرفوع بالضَّمَّة المقدَّرة على الألف منع من ظهورها التَّعذُّر وهو مضاف، وهم ضمير متَّصل مبني على السُّكون في محلِّ جرٍّ مضاف إليها.

إذَا: ظرف لما يستقبل من الزَّمان متضمِّن معنى الشَّرط.

نالُوا رضاه: فعل ماضي (نال) وفاعل (الواو) ومفعول به (رضى) ومضاف إليه (الهاء)،

والجملة الفعليّة هذه هي فعل الشَّرط، والجملة كلَّها (إذا نالوا رضاه) في محلٍّ رفع خبر.

وإنْ: الواو عاطفة، وإنْ شرطيَّة.

سـخِطَ: فعل ماضـي مبنـي علـى الفتح وهـي فعل الشَّرط لـ: إنْ، والفاعل ضـمير مستتر تقديره هو.

الذي: اسم موصول مبني على السُّكون في محلٍّ نصب مفعول به.

فعلوه: فعل ماضي (فعل) وفاعل (الواو) ومفعول به (الهاء).

فيه: جار ومجرور متعلّق بما سبق.

فقوّتُهم: الفاء واقعة في جواب الشَّرط، وقوّتُهم: قوَّةُ مبتدأ مرفوع بالضَّمَّة، وهو مضاف، وهم ضمير متَّصل مبني على السُّكون في محلٍّ جرّ مضاف إليه.

إذًا: حرف جوابٍ وجزاء.

أوْهَتْ: أوهَى (فعل ماضي)، والفاعل ضمير مستتر تقديره هي، وتاء التَّأنيث السَّاكنة لا محلَّ لها من الإعراب، والجملة الفعليّة (أوْهتْ) في محلٍّ رفع خبر.

قُواه: مفعول به منصوب بالفتحة المقدّرة على الألف منع من ظهورها التَّعذّر وهو مضاف والهاء مضاف إليه.

وهل: الواو عاطفة على ما سبق، وهل حرف استفهام مبني على السُّكون لا محلَّ له من الإعراب.

بقيَ: فعل ماضي مبني على الفتح.

الوجودُ: فاعل مرفوع بالضّمة الظّاهرة على آخره.

بِلا إلَهٍ: جار (الباء) ومجرور (لا) ومضاف إليه (إلهٍ).

سميعٍ: نعت مجرور بالكسرة الظَّاهرة على آخره.

يستجيبُ: فعل مضارع مرفوع بالضّمّة الظّاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

لِمَنْ: جار ومجرور، والاسم الموصول مَنْ مبني على السُّكون في محلِّ رفع مبتدأ.

دعاهُ: فعل ماضي (دعَا)، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، ومفعول به (الهاء)، والجملة الفعليّة (دعاه) في محلِّ رفع خبر.

وهل: الواو عاطفة على ما سبق، وهل حرف استفهام مبني على السُّكون لا محلَّ له من الإعراب.

خلَتِ: فعل ماضي كُسِر لالتقاء السَّاكنيْن.

الطِّباقُ: فاعل مرفوع بالضّمة الظّاهرة على آخره.

السَّبْعُ: نعت مرفوع بالضَّمَّة الظَّاهرة على آخره.

لمَّا: اسم شرط غير جازم مبني على السُّكون في محلِّ نصب ظرف زمان بمعنى: حين.

ثوَى: فعل ماضي مبني على الفتحة المقدَّرة على الألف منع من ظهورها التّعذُّر.

تحتَ: ظرف مكان منصوب على الظَّرفيّة وهو مضاف.

التُّرابِ: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظّاهرة على آخره.

وقد: الواو حاليَّة، قد: حرف تحقيق.

علاهُ: فعل ماضي (علا)، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، ومفعول به (الهاء)، والجملة الفعليّة (قد علاه) في محلِّ نصب حال.

وهل: الواو عاطفة، وهل حرف استفهام مبني على السُّكون لا محلَّ له من الإعراب.

خلَتِ: فعل ماضي كُسِر لالتقاء السَّاكنيْن.

العَوالمُ: فاعل مرفوع بالضّمة الظّاهرة على آخره.

من إلهٍ: جار (مِن) ومجرور (إلهٍ).

يدبِّرُها: فعل مضارع (يدبِّرُ)، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، ومفعول به (الهاء).

وقد: الواو حاليَّة، قد: حرف تحقيق.

سُمِرَتْ: فعل ماضي مبني للمجهول (سُمِر)، وتاء التّأنيث السَّاكنة لا محلّ لها من الإعراب.

يدَاهُ: نائب فاعل مرفوع (يَدَا) وهو مضاف، و(الهاء) مضاف إليه، والجملة الفعليّة (قد سُمِرت يداه) في محلٍّ نصب حال.

وكيفَ: الواو عاطفة، كيف: اسم استفهام مبني على الفتح في محلٍّ نصب حال.

تخلَّت: تخلَّى: فعل ماضي مبني على الفتحة المقدَّرة على الألف منع من ظهورها التَّعذُّر، وتاء التَّأنيث السّاكنة لا محلَّ لها من الإعراب.

الأملاكُ: فاعل مرفوع بالضّمة الظّاهرة على آخره.

عنه: جار ومجرور.

بنصرِهم: جار ومجرور ومضاف إليه.

وقد: الواو حاليَّة، قد: حرف تحقيق.

سمِعُوا: فعل ماضي (سمع) وفاعل (الواو).

بُكاه: بكاءَ: مفعول به منصوب بالفتحة وهو مضاف والهاء مضاف إليه، والجملة الفعليّة (قد سمعوا بكاهُ) في محلٍّ نصب حال.

وكيف: الواو عاطفة، كيف: اسم استفهام مبني على الفتح في محلٍّ نصب حال.

أَطَاقَتِ: أطاقَ: فعل ماضي مبني على الفتح، وتاء التَّأنيث السّاكنة لا محلَّ لها من الإعراب.

الخشباتُ: فاعل مرفوع بالضّمة الظّاهرة على آخره.

حَمْلَ: مفعول به منصوب بالفتحة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف.

الإلهِ: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظّاهرة على آخره.

الحقِّ: نعت مجرور بالكسرة الظّاهرة على آخره.

شُدَّ: فعل ماضي مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

على قفاه: جار (على) ومجرور (قَفَا) ومضاف إليه (الهاء)، والجملة الفعليّة (شدَّ على قفاه) في محلِّ نصب حال.

وكيف: الواو عاطفة، كيف: اسم استفهام مبني على الفتح في محلٍّ نصب حال.

دَنَا: فعل ماضي مبني على الفتحة المقدَّرة على الألف منع من ظهورها التَّعذُّر.

الحديدُ: فاعل مرفوع بالضّمة الظّاهرة على آخره.

إليْهِ: جار (إلى) ومجرور (الهاء).

حتَّى: آداة نصب.

يُخالِطَه: فعل مضارع منصوب بحتّى (يخالطَ)، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، ومفعول به (الهاء).

ويلحقَهُ: الوار عاطفة، فعل مضارع منصوب (يلحق) معطوف على ما سبق، ومفعول به مقدَّم (الهاء).

آذاهُ: فاعل مؤخَّر مرفوع وهو مضاف والهاء المتَّصلة في محلّ جرّ مضاف إليه.

وكيف: الواو عاطفة، كيف: اسم استفهام مبني على الفتح في محلٍّ نصب حال.

تمكَّنتْ: تمكَّنَ: فعل ماضي مبني على الفتح، وتاء التَّأنيث السَّاكنة لا محلَّ لها من الإعراب.

أيدي: فاعل مرفوع بالضَّمَّة المقدَّرة على الياء، منع من ظهورها الثّقل، وهو مضاف.

عِداهُ: مضاف إليه مجرور بالكسرة المقدَّرة على الألف منع من ظهورها التَّعذّر وهو مضاف والهاء مضاف إليه.

وطالَتْ: الواو عاطفة، طالت: طال: فعل ماضي مبني على الفتح، والفاعل ضمير مستتر تقديره هي، وتاء التّأنيث السّاكنة لا محلّ لها من الإعرب.

حيثُ: ظرف مكان مبني على الضّمّ في محلٍّ نصب على الظَّرفيّة.

قد: للتّحقيق.

صفعوا: فعل ماضي (صفع) وفاعل (الواو).

قَفَاهُ: قفا (مفعول به منصوب) وهو مضاف، والهاء مضاف إليه.

وهل: الواو عاطفة على ما سبق، وهل حرف استفهام مبني على السُّكون لا محلَّ له من الإعراب.

عادَ: فعل ماضي مبني على الفتح.

المسيحُ: فاعل مرفوع بالضَّمّة الظَّاهرة على آخره.

إلى حياةٍ: جار (إلى) ومجرور (حياةٍ).

أمْ: حرف عطف.

المحيي: خبر مقدَّم مرفوع بالضّمّة المقدّرة على الياء منع من ظهورها الثِّقل.

له: جار (اللام) ومجرور (الهاء)، متعلِّقٌ باسم الفاعل المحيي على أنَّه مفعول له.

ربٌّ: مبتدأ مؤخرّ مرفوع بالضّمّة الظّاهرة على آخره.

سواهُ: سوى: نعت لربّ مرفوع بالضَّمّة المقدّرة على الألف منع من ظهورها التّعذّر، وهو مضاف، والهاء مضاف إليه.

ويا: الواو استئنافيَّة، يا: آداة نِدَاء.

عجبًا: منادى منصوب بالفتحة الظّاهرة على آخره.

لقبرٍ: اللام حرف جر، قبرٍ اسم مجرور لفظًا باللّام، مرفوع محلًّا على أنَّه فاعل مقدَّم.

ضمَّ: فاعل ماضي مبني على الفتح.

ربًّا: مفعول به منصوب.

وأعجبُ: الواو عاطفة، أعجبُ: مبتدأ مرفوع بالضَّمّة الظّاهرة على آخره.

منه: جار ومجرور متعلَّق بأعجب.

بطنٌ: خبر مرفوع بالضّمّة الظَّاهرة على آخره.

قد: للتَحقيق.

حواهُ: فعل ماضي (حوى) ومفعول به (الهاء).

أقام: فعل ماضي مبني على الفتح، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

هناك: اسم إشارةٍ مبني على الفتح في محلّ نصب على الظَّرفيَّة.

تِسْعًا: مفعول به منصوب بالفتحة الظّاهرة على آخره.

من شهورٍ: جار (مِن) ومجرو (شهورٍ)، وهو تمييز في المعنى.

لدَى: ظرف مكان مبني على السّكون المقدَّر على الألف في محلٍّ نصب، وهو مضاف.

الظُّلُماتِ: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظّاهرة على آخره.

من حيْضٍ: جار (من) ومجرور (حيضٍ)، وشبه الجملة الجار والمجرور في محلٍّ رفع خبر مقدَّم.

غذاهُ: غذاءُ: مبتدأ مؤخَّر مرفوع، وهو مضاف، والهاء مضاف إليه.

وشقَّ: الواو عاطفة، شقَّ: فعل ماضي مبني على الفتح، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

الفرْجَ: مفعول به منصوب بالفتحة الظّاهرة على آخره.

مولودًا: حال منصوبة بالفتحة الظّاهرة على آخره.

صغيرًا: نعت منصوب بالفتحة الظّاهرة على آخره.

ضعيفًا: نعت منصوب بالفتحة الظّاهرة على آخره.

فاتِحًا: حال منصوبة بالفتحة الظّاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

للثدي: جار (اللام) ومجرور (الثّدي).

فَاهُ: مفعول به منصوب وهو مضاف، والهاء مضاف إليه.

ويأكل: الواو عاطفة، يأكلُ: فعل مضارع مرفوع بالضَّمّة، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

ثمَّ: حرف عطف يفيد التَّرتيب والتّراخي.

يشربُ: معطوف على يأكل ولها نفس إعرابها.

ثمَّ: حرف عطف يفيد التَّرتيب والتّراخي.

يأتي: معطوف على يأكل ويشرب وله نفس إعرابهما.

بلازمِ: جار (الباب) ومجرور (لازِمِ)، وهو مضاف.

ذلك: اسم إشارة مبني على الفتح في محلِّ جرٍّ مضاف إليه.

هل: هل حرف استفهام مبني على السُّكون لا محلَّ له من الإعراب.

هذا: اسم إشارة مبني على السُّكون في محلِّ رفع مبتدأ.

إلهٌ: خبر مرفوع بالضّمّة الظّاهرة على آخره.

تعالى: فعل ماضي مبني على الفتح المقدَّر على الألف منع من ظهوره التَّعذّر.

الله: لفظ الجلالة، فاعل مرفوع بالضَّمّة الظَّاهرة على آخره.

عن إفكِ: جار (عن) ومجرور (إفكِ) وهو مضاف.

النَّصارى: مضاف إليه مجرور بالكسرة المقدَّرة على الألف منع من ظهورها التَّعذُّر.

سيُسألُ: السِّين: حرف استقبال وتسويف للمستقبل القريب مبني على الفتح، يُسألُ: فعل مضارع مبني للمجهول.

كلُّهم: كلُّ: نائب فاعل مرفوع بالضَّمّة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف، وهم ضمير متّصل في محلّ جرّ مضاف إليه.

عمَّا: جار (عن) ومجرور (ما)، وأُدغمت نون عنْ الساكنة في الميم بعدها.

افتراهُ: افترى: فعل ماضي مبني على الفتحة المقدَّرة على الألف منع من ظهورها التّعذّر، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، والهاء ضمير متّصل في محلِّ نصب مفعول به.

*****

أعبَّاد: أ: أداة نداء، عبَّاد: منادى منصوب بالفتحة الظّاهرة على آخره وهو مضاف.

الصّليب: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظّاهرة على آخره.

لأيِّ: جار (اللام) ومجرور (أيِّ)، وهو مضاف.

معنى: مضاف إليه مجرور بالكسرة المقدّرة على الألف منع من ظهورها التّعذّر.

يُعظَّمُ: فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

أو: حرف عطف.

يقبَّحُ: فعل مضارع مبني للمجهول معطوف على ما سبق.

مَنْ: اسم موصول مبني على السُّكون في محلّ رفع نائب فاعل.

رمَاهُ: فعل ماضي (رمى)، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، ومفعول به (الهاء).

وهل: الواو عاطفة على ما سبق، وهل حرف استفهام مبني على السُّكون لا محلَّ له من الإعراب.

تقضي: فعل مضارع مرفوع بالضّمّة المقدّرة على الياء منع من ظهورها الثّقل.

العقولُ: فاعل مرفوع بالضّمّة الظّاهرة على آخره.

بغير: جار (الباء) ومجرور (غير)، وهو مضاف.

كسرٍ: مصاف إليه مجرور بالكسرة الظّاهرة على آخره، وشبه الجملة والمضاف إليه (بغير كسر) متعلّقة بالفاعل العقول على أنّها مفعول به له.

وإحراقٍ: الواو عاطفة، إحراقٍ: معطوف على كسرٍ مجرور بالكسرة الظَّاهرة على آخره.

له: جار (اللام) ومجرور (الهاء)، متعلّق بالإحراق.

ولِمَن: الواو عاطفة، اللام: حرف جرّ، مَنْ: اسم موصول مبني على السّكون في محلّ جرّ مضاف إليه، وشبه الجملة (لمن) معطوف على (لـه)، ويجوز أن تكون (مَن) في محلٍّ رفع مبتدأ.

بغاهُ: فعل ماضي (بغَى)، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، ومفعول به (الهاء)، والجملة الفعليّة (بغاه) في محلٍّ رفع خبر للمبتدأ (مَن).

إذا: ظرف لما يستقبل من الزّمان متضمّن معنى الشّرط.

ركِبَ: فعل ماضي مبني على الفتح، وهو فعل الشّرط.

الإلهُ: فاعل مرفوع بالضّمّة الظّاهرة على آخره.

عليه: جار (على) ومجرور (الهاء) متعلّق بالفاعل: الإله.

كُرْهًا: حال منصوب بالفتحة الظّاهرة على آخره.

وقد: الواو حاليه، قد: للتّحقيق.

شُدَّتْ: فعل ماضي بني للمجهول، وتاء التّأنيث السّاكنة لا محلّ لها ن الإعراب.

لتسميرٍ: جار (اللام) ومجرور (تسميرٍ) متعلّق بالفعل شدَّتْ.

يداهُ: يدا: نائب فاعل مرفوع بالألف لأنّه مثنًّى، وهو مضاف، والهاء مضاف إليه.

فذاكَ: الفاء واقعة في جواب الشّرط، ذاك: اسم إشارة مبني على الفتح في محلّ رفع مبتدأ، وهو جواب الشّرط.

المركَبُ: خبر مرفوع بالضّمّة الظّاهرة على آخره.

الملعُونُ: نعت مرفوع بالضّمّة الظّاهرة على آخره.

حقًّا: مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أحقُّ حقًّا، وهو مؤكّد لمضمون الجملة قبله.

فدُسْـه: الفاء واقعة في جواب الشّرط أيضا وهي عاطفة على ما قبلها، دُسْهُ: فعل أمر مبني على السُّكون، والفاعل ضمير مستتر تقديرهُ أنت، والهاء ضمير متّصل مبني على الضّمّ في محلّ نصب مفعول به، وهذا الفعل واقع في جواب الشّرط كذلك.

لا: أداة نهيٍ.

تبُسهُ: فعل مضارع مجزوم بلا النّاهية وعلامة جزمه السّكون الظّاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، والهاء ضمير متّصل مبني على الضّمّ في محلّ نصب مفعول به.

إذْ: ظرفٌ لما يستقبل من الزّمان في محلّ نصب مفعول فيه.

تراهُ: فعل ماضي (ترى)، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، ومفعول به (الهاء).

يُهانُ: فعل مضارع مبني للمجهول.

عليْه: جار ومجرور متعلّق بالفعل يُهان.

ربُّ: نائب فاعل مرفوع بالضَّمّة الظّاهرة على آخره، وهو مضاف.

الخلْقِ: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظّاهرة على آخره.

طُرًّا: حال منصوبة بالفتحة الظّاهرة على آخره.

وتعبُـدُهُ: الواو عاطفة، تعبُدُ: فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، والهاء ضمير متَّصل مبني على الضّمّ في محلٍّ نصب مفعول به.

فإنَّـكَ: الفاء سببيّة، إنَّ: أداة نصب وتوكيد، والكاف ضمير متّصل مبني على الفتح في محلٍّ نصب اسم إنّ.

مِـن عداهُ: جار (من) ومجرور (عدا) وهو مضاف، والهاء ضمير متّصل مبني على الضَّمّ في محلّ جرّ مضاف إليه، وشبه الجملة (من عداه) في محلٍّ رفع خبر إنَّ.

فإنْ: الفاء استئنافيّة، إنْ: حرف شرْطٍ جازم.

عظَّمتهُ: فعل ماضي مبني على السّكون لاتّصاله بضمير المخاطب في محلٍّ جزم وهو فعل الشّرط، وتاء المخاطب في محلٍّ رفع فاعل، والهاء ضمير متّصل مبني على الضّمّ في محلٍّ نصب مفعول به.

من أجلِ: جار (من) ومجرور (أجل).

أنْ: مخفّفة من أنَّ المشدّدة واسمها ضير الشّأن محذوف؛ أي أنَّه.

قدْ: للتّحقيق.

حوى: فعل ماضي مبني على الفتح المقدَّر على الألف منع من ظهورها التَّعذّر، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

ربَّ: مفعول به منصوب بالفتحة الظّاهرة على آخره، وهو مضاف.

العِبادِ: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظَّاهرة على آخره، والجملة الفعليّة (حوى ربّ العباد) في محلّ رفع خبر أنْ المخفّفة.

وقد: الواو حاليّة، قد: للتّحقيق.

علاهُ: فعل ماضي (علا)، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، ومفعول به (الهاء)، والجملة (قد علاه) في محلٍّ نصب حال.

وقد: الواو استئنافيّة، قد: للتّحقيق.

فُقِد: فعل ماضي مبني للمجهول.

الصّليبُ: نائب فاعل مرفوع بالضّمّة الظّاهرة على آخره.

فإنْ: الفاء استئنافيّة ، إنْ: حرف شرْطٍ جازم.

رأينا: فعل ماضي (رأيْ) مبني على السّكون في محلّ جزم على أنّه فعل الشّرط، وفاعل متّصل (نا).

له: جار ومجرور في محلّ نصب مفعول به أوّل.

شكلًا: مفعول به ثاني منصوب بالفتحة الظّاهرة على آخره.

تذكَّرْنا: فعل ماضي (تذكّر) وفاعل متّصل (نا)، وهو جواب الشّرط.

سَنَاه: سَنَا: مفعول به منصوب وهو مضاف، والهاء مضاف إليه.

فهلّا: الفاء واقعة في جواب الشّرط لما مضى، هلّا: أداة استفهام مبنيّة لا محلّ لها من الإعراب، وهي في هذا الموضع تفيد التّوبيخ والتّحضيض والتّنديم.

للقبورِ: جار (اللام) ومجرور (القبور)، وشبه الجملة في محلٍّ نصب مفعول به مقدَّم جوازًا.

سجدتَ: فعل ماضي مبني على السّكون لاتّصاله بتاء الضّمير الخاطب، والتاء ضمير متّصل في محلّ رفع فاعل، وهو جواب الشّرط.

طرًّا: توكيد معنوي منصوب بالفتحة الظّاهرة على آخره.

لِضمِّ: جار (اللام) ومجرور (ضمٍّ)، وهو مضاف.

القبر: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظّاهرة على آخره.

ربَّك: ربَّ: مفعول به منصوب للمصدر ضمٍّ وهو مضاف، والكاف ضمير متّصل مبني على الفتح في محلّ جرّ مضاف إليه.

في: حرف جرّ.

حشاه: حَشَا: اسم مجرور بمن وعلامة جرّه الكسرة المقدّرة على الألف منع من ظهورها التّعذّر وهو مضاف، والهاء مضاف إليه.

فيا: الفاء استئنافيّة، يا: أداة نداء.

عبدَ: منادى منصوب بالفتحة الظّاهرة على آخره، وهو مضاف.

المسيحِ: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظّاهرة على آخره.

أفِقْ: فعل أمر مبني على السُّكون، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت.

فهذا: الفاء فصيحة تفصح عن كلام محذوف، هذا: اسم إشارة مبني على السّكون في محلّ رفع مبتدأ.

بدايته: بداية: خبر مرفوع بالضّمّة الظّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متّصل مبني على الضّمّ في محلّ جرّ مضاف إليه.

وهذا: الواو عاطفة، هذا: اسم إشارة مبني على السّكون في محلّ رفع مبتدأ.

منتهاه: منتهى: خبر مرفوع بالضّمّة القدّرة على الألف منع من ظهوره التّعذّر وهو مضاف، والهاء ضمير متّصل مبني على الضّمّ في محلّ جرّ مضاف إليه.

قَائِمَةُ المَصَادِرِ والمَرَاجِعِ

أوّلًا- الكُتُبُ المقدّسة:

01- **القُرآن الكريم**، برواية حفص.

02- **الكِتاب المقدَّسُ**، ط1، دار الكتاب المقدّس في الشَّرق الأوسط، 1997م.

ثانيًا- كُتُبُ التَّفَاسِير والدّراسات القرآنيّة:

03- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني**، دط، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، دت، ج07.

04- البيضاوي، ناصر الدّين: **أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل**، إعداد وتقديم: محمّد عبد الرّحمن المرعشلي، دط، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، دت، ج02، ج03، ج04، ج05.

05- الثّعلبي، أحمد بن محمّد: **الكشف والبيان في تفسير القرآن**، تحقيق: سيد كسروي حسن، دط، دم، دت، ج01، ج02، ج03.

06- الجزائري، أبو بكر جابر: **أيسر التّفاسير لكلام العليّ الكبير**، ط3، 1410هـ/ 1990م، راسم للدّعاية والإعلان، جدّة، السّعوديّة، مج04.

07- أبو حيان الأندلسي، أثير الدّين محمد: **تفسير البحر المحيط**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دط، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، دت، ج02، ج03، ج04.

08- الرّازي، محمّد فخر الدّين: **التّفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1401هـ/ 1981م، ج08، ج11.

09- رشيد رضا، محمّد: **تفسير المنار**، ط2، دار المنار، مصر، 1366هـ/ 1947م، ج06.

10- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود: **تفسير الكشّاف**، تحقيق : خليل مأمون شيحا، ط3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1430هـ/ 2009م.

11- أبو زهرة، محمّد: **المعجزة الكبرى –القرآن- نزوله- كتابته- جمعه- إعجازه- جدله- علومه- تفسيره- حكم الغناء به**، دط، دار الفكر العربي، دت.

12- السّعدي، عبد الرّحمان بن ناصر: **تيسير الكريم الرّحمان في تفسير كلام المنّان**، ط1، مكتبة العبيكان، الرّياض، السّعوديّة، 1422هـ/ 2001م.

13- الشّنقيطي، محمّد الأمين المختار: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ط2، دم، 1400هـ/ 1980م، ج09.

14- الصابوني، محمد علي: **صفوة التّفاسير**، ط4، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، 1402هـ/ 1981م، مج01.

15- الطّبري، محمد بن جرير: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستان، ط1، مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1415هـ/ 1994م، مج03.

16- ابن عاشور، محمّد الطّاهر: **تفسير التّحرير والتّنوير**، دط، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، 1984م، ج30.

17- عبد الباقي، محمّد فؤاد: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دط، دار الحديث، القاهرة، مصر، دت.

18- القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر: **الجامع لأحكام القرآن والمُبيّن لما تضمّنه من السُّنّة وآي الفرقان**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1427هـ/ 2006م، ج08.

19- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمّد السّلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتّوزيع، الرياض، السّعودية، 1420هـ/1999م، ج02، ج03، ج04، ج05.

20- محمّد عبد السّلام محمّد: **دراسات في القرآن الكريم من التّفسير الموضوعي**، ط2، مكتبة الفلاح، الكويت، دت.

21- المراغي، أحمد مصطفى: **تفسير المراغي**، ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البامي الحلبي وأولاده، مصر، 1365هـ/ 1946م، ج16.

ثَالِثًا- كُتُب الحديث وشُرُوحه:

22- البُخاري، محمّد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، ط1، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، 1423هـ/ 2002م.

23- التّرمذي، أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سُوَرة بن موسى ابن الضّحّاك: **سُنن التّرمذي**، تحقيق: رائد بن صبري ابن أبي علفة، ط2، دار الحضارة للنشر والتّوزيع، الرّياض، السّعوديّة، 1436هـ/ 2015م.

24- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، بن بشير: **سُنن أبي داود**، تحقيق: رائد بن صبري ابن أبي علفة، ط2، دار الحضارة للنشر والتّوزيع، الرّياض، السّعوديّة، 1436هـ/ 2015م.

25- ابن رجب الحنبلي: **جامع العلوم والحِكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم**، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2003م.

26- ابن حنبل، أحمد: **مُسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: صالح بن عبد العزيز آل الشّيخ وآخرون، ط1، دار السّلام، السّعودّية، 1434هـ/ 2013م.

27- ابن ماجة، أبو عبد الله محمّد بن يزيد: **سنن ابن ماجة**، دط، بيت الافكار الدّوليّة، دت.

28- مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري: **صحيح مسلم**، تحقيق: رائد بن صبري

ابن أبي علفه، ط2، دار الحضارة للنشر والتّوزيع، الرّياض، السّعوديّة، 1436هـ/ 2015م.

رَابِعًا- كتب العقيدة والفِرق والأديان والرُّدود:

29- الباشا، حسن: **العقيدة النّصرانيّة بين القرآن والأناجيل**، ط1، دار قتيبة، دمشق، سوريا، بيروت لبنان، 1421هـ/ 2001م.

30- البيروتي، محمّد بن طاهر التّنير: **العقائد الوثنيّة في الدّيانة النّصرانيّة**، تحقيق: محمّد عبد الله الشرقاوي، دط، دار الصّحوة للنشر، القاهرة، مصر، دت.

31- ابن تيميّة، أبو العبّاس تقي الدِّين أحمد بن عبد الحليم: **الجواب الصَّحيح لمَن بدَّل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وآخرون، ط2، دار العاصمة للنشر والتّوزيع، الرّياض، السَّعوديّة، 1419هـ/ 1999م، مج02.

32- الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز: **شرح تسهيل العقيدة الإسلامية**، ط6، مركز المنهاج للإشراف والتدريب التّربوي، السعودية 1436هـ..

33- جستنية، بسمة أحمد: **تحريف رسالة المسيح عليه السّلام عبر التّاريخ -أسبابه ونتائجه-** ، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1420هـ/ 2000م.

34- جودة، هاشم: **العقائد المسيحيّة بين القرآن والعقل**، دط، مطبعة الأمانة، مصر، 1400هـ/1980م.

35- الحاج، محمّد أحمد: **النّصرانيّة من التّوحيد إلى التّثليث**، ط1، دار القلم، دمشق، الدّار الشّامية، بيروت، 1413هـ/ 1992م.

36- ابن حزم الأندلسي، أبو محمّد علي بن أحمد: **الفصل في الملل والأهواء والنّحل**، تحقيق: يوسف البقاعي، ط1، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، لبنان، 1422هـ/ 2002م، ج01.

37- الخلف، سعود عبد العزيز: **دراسات في الأديان اليهوديّة والنّصرانيّة**، ط1، أضواء السّلف، الرّياض، السّعوديّة، 1418هـ/ 1997م.

38- الخنّ، مصطفى سعيد، ومستو، محيي الدّين ديب: **العقيدة الإسلاميّة -أركانها-حقائقها- مُفسداتها-**، ط3، دار الكلم الطّيّب، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، دت.

39- الربيعي، عدنان عبد الرزاق: **قراءات معاصرة في العقيدة اليهوديّة**، ط1، دار النّفائس، عمان، الأردن، 1432هـ/ 2011م.

40- رحمت الله الهندي، بن خليل الرّحمن: **إظهار الحقّ**، ط1، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر، 1426هـ/ 2005م.

41- أبو زهرة، محمّد: - **الدّيانات القديمة**، دط، معهد الدّراسات الإسلامية، 1385هـ/ 1965م.

42- **العقيدة الإسلاميّة كما جاء بها القرآن الكريم**، الكتاب الثّاني ضمن سلسلة البحوث الإسلاميّة، دط، مجمع البحوث الإسلاميّة، مصر، 1389هـ/1969م.

43- **محاضرات في النّصرانيّة**، ط4، الرّئاسة العامّة للإدارات والبحوث العلميّة والإفتاء والدّعوة والإرشاد، الرّياض، السّعوديّة، 1404هـ.

44- الزيات، عبد الفتاح حسن: **ماذا تعرف عن المسيحيّة**، ط3، مركز الرّاية للنّشر والإعلام، 2001م.

45- الزّين محمّد فاروق: **المسيحيّة والإسلام والاستشراق**، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1422هـ/ 2002م.

46- زينو، محمّد بن جميل: **العقيدة الإسلاميّة من الكتاب والسُّنّة**، ط12، مكّة المكرّمة، 1410هـ.

47- ديدات، أحمد: **الله في العقيدة المسيحيّة**، ترجمة: علي عثمان، ضمن مكتبة ديدات، المجموعة الثّانية، دط، كتاب المختار، القاهرة، مصر، 1979م.

48- **مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء**، ترجمة: علي الجوهري، دط، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، 1409هـ/ 1989م.

49- **مَن دحرج الحجر**، ترجمة وتحقيق: إبراهيم خليل أحمد، دط، دار المنار، عمان، دت.

50- السقار، منقذ بن محمود: **هل افتدانا المسيح على الصّليب**.ط1، دار السَّلام للنشر والتّوزيع، 1427هـ/ 2007م.

51- **سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان**، دط، بيروت، لبنان، 1876م.

52- الشّرفي، عبد المجيد: **الفكر الإسلامي في الرّدّ على النّصارى إلى نهاية القرن الرّابع هـ/ العاشر م**، دط، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1986م.

53- شرقاوي جمال الدّين: **قضايا مُثيرة في المسيحيّة والإسلام**، ط1، مكتبة النّافذة، الجيزة، مصر، 2006م.

54- الشّرقاوي، محمّد عبد الله: **في مقارنة الأديان -بحوث ودراسات-**، ط2، دار الجيل، بيروت، مكتبة الزّهراء، القاهرة، 1410هـ/ 1990م.

55- الأشقر، عمر سليمان عبد الله: **الرّسل والرّسالات**، ط1، دار النّفائس، الأردن، دار السّلام، القاهرة، مصر، 1426هـ/ 2005م.

56- **العقيدة في الله**، دط، دار النّفائس، الأردن، دار السّلام، مصر، 1433هـ/ 2012م.

57- الشّهرستاني، عبد الكريم: **الملل و النّحل**، تحقيق: كسرى صالح العلي، ط1، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 1432هـ/ 2011م.

58- صدقي، محمّد توفيق: **نظريتي في قصّة صَلْب المسيح وقيامته من الأموات**، تحقيق: خالد محمّد عبده، ط1، مكتبة النَّافذة، الجيزة، مصر، 2006م.

59- الصّلابي، علي محمّد: **الإيمان بالله جلّ جلاله**، ط3، دار المجدد للّنشر والتّوزيع، سطيف، الجزائر، دت.

60- الصّليبي، كمال: **البحث عن يسوع -قراءة جديدة في الأناجيل-**، ط1، دار الشّروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1999م.

61- الطّهطاوي، علي أحمد عبد العال: **الأنبياء وملك الموت**، دط، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، دت.

62- الطّهطاوي، محمّد عزت: **في مقارنة الأديان النَّصرانيّة والإسلام**، ط2، مكتبة النّور، القاهرة، مصر، 1406هـ/ 1986م.

63- طويلة، عبد الوهاب عبد السلام: **المسيح المنتظر ونهاية العالم**، ط4، دار السّلام، القاهرة، مصر، 1423هـ/ 2002م.

64- عامري، سامي: **قيامة المسيح بين القيامة والخرافة**، ط1، مكتبة النّافذة، الجيزة، 2007م.

65- عبد العظيم، سعيد: **الجواب الصّحيح لمَن بدّل دين المسيح**، دط، دار الإيمان للطّبع والنّشر والتّوزيع، الإسكندرية، مصر، دت.

66- **دعوة أهل الكتاب لدِين ربّ العباد**، دط، دار الإيمان، الإسكندريّة، مصر، 2005م.

67- أبو عبد الله التّرجمان (إنسليم تورميدا): **تُحفَة الأريب في الرَّدِّ على أهل الصَّليب**، تحقيق: وديع فتحي، دط، دار التّوحيد للتّراث، الإسكندرية، مصر، 1304هـ/1984م.

68- ابن العثيمين، محمّد صالح: **القول المفيد على كتاب التّوحيد**، تحقيق: هاني الحاج، ط1، دار الآثار للنشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، 2000م، ج01.

69- عوض، محمّد عبد الرّحمان: **الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام**، دط، دار البشير، القاهرة، دت.

70- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف: **شروط الدّعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسّنّة**، دط، دم، 1416هـ.

71- القرافي، شهاب الدّين أبي العبّاس أحمد بن إدريس: **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرَّدِّ على المِلّة الكافرة**، تحقيق: مجدي محمّد الشهاوي، ط1، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م.

72- **أدلّة الوحدانيّة في الرَّدِّ على النَّصرانيّة**، تحقيق: عبد الرّحمن بن محمّد سعيد دمشقيّة، دط، دم، دت.

73- القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن: **الرّسالة القشيريّة في علم التَّصوّف**، تحقيق: معروف مصطفى زريق، ط1، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، 1421هـ/ 2001م.

74- ابن قيّم الجوزيّة، شمس الدّين محمّد بن أبي بكر: **إغاثة اللّهفان من مصائد الشّيطان**، تحقيق: طاهر الغريب، ط1، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 1431هـ/ 2010م.

75- **مفتاح دار السّعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة**، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2003.

76- **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى**، تحقيق: عثمان جمعة ضُميريّة، دط، دار عالم الفوائد للنّشر والتّوزيع، دت.

77- ماكبي، هيم: **بولس وتحريف المسيحيّة**، ترجمة: عزمي الزّين، دط، منشورات المعهد الدّولي للدّراسات الإنسانيّة، دت.

78- موريس بوكاي: **التّوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث**، ترجمة: علي الجوهري، دط، مكتبة القرآن للطّبع والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، 1999م.

79- الموحى، عبد الرّزّاق رحيم صلال: **العبادات في الأديان السّماويّة** -اليهوديّة-المسيحيّة-الإسلام، ط1، الأوائل للنشر والتّوزيع والخدمات الطّباعيّة، دمشق، سوريا، 2001م.

خَامِسًا- كُتُبُ الفِقه:

80- الجزيري، عبد الرحمن: **الفقه على المذاهب الأربعة**، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2003م، ج04.

81- الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله: **الملخّص الفقهي**، ط1، دار العاصمة للتّوزيع والنّشر، السّعوديّة، 1423هـ، ج02

سَادِسًا- الكُتُبُ المسيحيّة:

82- **الأناجيل المنحولة**، ترجمة: اسكندر شديد، تقديم ومراجعة: جوزف قزّي والياس خليفة، دط، دير سيّدة النّصر، نسبيه، غوسطا، 2004م.

83- الأنبا، يوأنس: **المسيحيّة والصّليب**، دط، دم، 1985م.

84- الأنبا، بيشوى: **لماذا الصّليب بالذّات-لماذا اختار السّيّد المسيح أنْ يموت مصلوبًا؟**-، ط7، بريما جرافيك، القاهرة، مصر، 2004م.

85- الأنبا، مكارى: **احمل صليبك واتّبعني**، دط، شركة الطّباعة المصريّة، 2005م.

86- إدي، وليم: **الكنز الجليل في تفسير الإنجيل**، دط، مجمع الكنائس في الشّرق الأدنى، بيروت، 1973م، ج07: **شرح غلاطية إلى فيلمون**.

87- أنطونيوس، كمال حليم: **المحبّة الغافرة (مع المسيح صُلبتُ فأحيا)**، ط1، دم، 2012م.

88- باركلي، وليم: **تفسير العهد الجديد**، دط، دار الثّقافة، القاهرة، مصر، 1993م، مج01: **إنجيل متّى ومرقس**.

89- بطرس، عبد الملك وآخرون: **قاموس الكتاب المقدّس**، دط، شركة compubraill، دت.

90- حنّا، ميشيل: 30 طريقة للموت -تاريخ وسائل الإعدام في العالم-، ط2، دم، دت.

91- ديني، رومانوكوار: **قيامة المسيح**، ترجمة: الأب جرجس المارديني، ط1، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1988م.

92- ذهبي الفم، يوحنّا: **تفسير رسالة غلاطية**، تعريب: الأنبا موسى، دط، دم، دت.

93- **الصّليب**، مراجعة وتقديم: الأنبا رافائيل، دط، دم، دت.

94- طيطيانوس: **الدياطسرون (أي الرّباعي)**، دراسة وتعليق وتقديم: حسني يوسف الأطير، ترجمة: أبو الفرج عبد الله بن الطّيّب، ط1، مكتبة النّافذة، الجيزة، مصر، 2008م.

95- مدني، بسام: **تفسير رسالة غلاطية**، دط، الخدمة العربيّة للكرازة بالإنجيل، دت.

96- مقار، إلياس: **إيماني أو القضايا المسيحيّة الكبرى**، ط3، دار الثّقافة، القاهرة، مصر، دت.

97- مكرم، نجيب: **تأكيد الخلاص**، دط، دار الثّقافة، القاهرة، مصر، دت.

98- مكسيموس، صموئيل: **تفسير رسالة بولس الرّسول إلى غلاطية**، دط، دم، دت.

99- منسّى، يوحنّا: **يسوع المصلوب**، دط، دار المحبّة، دت.

100- منيس، عبد النُّور: **صلب المسيح ودفنه وقيامته -ثلاث حقائق تاريخيّة-**، دط، مطبوعات نظرة المستقبل، دت.

101- ويرزبي، وارين: **كُن حرًّا**، ترجمة: جرجس ميلاد، ط1، مطبوعات إيجلز، القاهرة، مصر، 2000م.

سَابِعًا- كُتُب التَّراجم والتَّاريخ:

102- الأتابكي، جمال الدّين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي: **النُّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دط، وزارة الثّقافة والإرشاد القومي، مصر، دت، ج10.

103- ابن رجب الحنبلي، عبد الرَّحمن بن أحمد: **الذَّيل على طبقات الحنابلة**، تحقيق: عبد الرّحمن بن سليمان العثيمين، دط، مكتبة العبيكان، دت، ج05.

104- الداوودي، شمس الدّين محمّد بن علي بن أحمد: **طبقات المفسِّرين**، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1403هـ/ 1983م، ج02.

105- الشَّوكاني، محمّد بن علي: **البدر الطَّالع بمحاسِن مَنْ بعد القرن السَّابع**، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، دت، ج02.

106- الصَّفدِي، صلاح الدِّين خليل بن ايبك: **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، لبنان، 1420هـ/ 2000م، ج02.

107- الطّبري، ابن جرير: **تاريخ الأمم والملوك**، دط، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م، ج01.

108- ابن العِماد، شهاب الدّين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمّد العكريّ الحنبلي الدِّمشقي: **شذرات الذّهب في أخبار مَن ذهب**، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، بيرون، لبنان، 1413هـ/ 1992م، مج08.

109- النّدوة الفكريّة حول: **القضية الفلسطينية في أربعين عاما بين ضراوة الواقع...وطموحات المستقبل**،ط1، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، لبنان، 1989م.

110- ابن كثير: **قصص الأنبياء**، ط1، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة، مصر، 1421هـ/ 2001م.

111- المراغي، عبد الله مصطفى: **الفتح المُبين في طبقات الأُصوليين**، دط، مطبعة أنصار السُّنَّة المحمَّديَّة، 1366هـ/ 1948م، ج02.

112- النّجّار، عبد الوهّاب: **قصص الأنبياء (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)**، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1425هـ/ 2005م.

113- ول ديورانت: **قصّة الحضارة**، ترجمة: محمّد بدران، دط، بيروت، دت، ج11: **قيصر والمسيح أو الحضارة الرّومانيّة**.

ثَامِنًا- كُتُبُ اللّغة والأدب والدّوَاوين الشّعريّة والمعاجم اللّغويّة:

114- ابن حسّان، عبيد الله: **رسائل الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري (الفصول المختارة من كتب الجاحظ)**، شرح وتعليق: محمّد باسيل عيون السّود، ط1، دار الكتب العلميّة: بيروت، لبنان، 1420هـ/ 2000م، مج2، ج03.

115- الخرافي، عبد المحسن عبد الله: **لطائف الأدب في استهلال الخُطب**، ط1، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، قطاع الشّؤون الثّقافيّة، الكويت، 1433هـ/ 2012م.

116- عمر، أحمد مختار وآخرون: **معجم اللّغة العربيّة المُعاصرة**، ط1، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1429هـ/ 2008م، مج01، مج02، مج03.

117- الغلاييني، مصطفى: **جامع الدّروس العربيّة**، تحقيق: أحمد زهوة، دط، دار الكتاب العربي: بيروت، لبنان، 1434هـ/ 2013م، ج03.

118- الفيروز آبادي، مجد الدِّين محمّد بن يعقوب: **القَاموس المُحيط**، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي وآخرون، ط8، مؤسّسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، 1426هـ/ 2005م.

119- مجمّع اللّغة العربيّة: **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشّروق الدّوليّة، القاهرة، مصر، 1425هـ/ 2004م.

120- المعرّي، أبو العلاء: **اللّزوميات**، تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي، دط، مكتبة الهلال: بيروت، مكتبة الخانجي: القاهرة، دت،ج02.

121- ملحق بديوان شعر للشّيخ عبد الرّحمن الدّوسري.

تَاسِعًا- كُتُبُ الفلسفة وعلم النّفس:

122- الزبيدي، حسين بن سالم: **علم نفس النُّمو**، ط1، مؤسّسة الوراق للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، 2015م.

123- فريدرك، نيتشه: **العلم المرح**، ترجمة وتقديم: حسان بورقية ومحمّد النّاجي، ط1، أفريقيا الشّرق، 1993م.

عَاشِرًا- الموسوعات:

124- زكّار، سهيل: **الموسوعة الشّاملة في تاريخ الحروب الصّليبيّة**، دط، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1416هـ/ 1995م، ج03.

125- السّحمراني، أسعد وآخرون: **موسوعة الأديان (الميسّرة)**، ط5، دار النّفائس، بيروت، لبنان، 1432هـ/ 2011م.

126- مكتب التّبيان بإشراف حسن عبد الحفيظ أبو الخير: **الموسوعة المفصّلة في الفِرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة**، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 1432هـ/ 2001م، ج02.

127- **الموسوعة العربيّة العالميّة**، ط1، هيئة الموسوعة العربيّة، دمشق، سوريا، دت، ج27.

128- الكيّالي، عبد الوهاب: **موسوعة السّياسة**، ط1، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، البنان، 1994م، ج01.

حادي عشر- الرّسائل الجامعيّة والمقالات والمواقع الإلكترونيّة:

129- **ترجمة الشّيخ أحمد المليجي صاحب المطبعة المليجيّة**، موقع الألوكة: https://majles.alukah.net، تاريخ النّشر: 18جويلية 2010م، تاريخ الزّيارة: 20 ماي 2020م، السّاعة: 17:06).

130- ترومان دافيس: **التّفاصيل التّشريحيّة والوظيفيّة للموْت بالصّلب**، موقع الأقباط اليوم: https://www.coptstoday.com/l74737، تاريخ النّشر: 15 أفريل 2014م، تاريخ التّصفّح: 21 جويلية 2020م، السّاعة: 19:07.

131- أبو حمزة: **الرّدّ على قصيدة ابن قيّم الجوزيّة "أعبّاد الصّليب"**، موقع معضلات الإسلام والقرآن: https://islamexposedtoyou.wordpress.com، تاريخ النّشر: 15 مارس 2013م، تاريخ الزّيارة: 15 مارس 2020م، السّاعة: 10:00 صباحًا.

132- **ردٌّ على قصيدة <<أعبّاد المسيح لنا سؤال>> لكاتبها الإمام القيّم ابن الجوزيّة**"، موقع: الأنبا تكلا هيمانوت، تراث الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة، https://st-takla.org، تاريخ الزّيارة: 28 ماي 2020م، السّاعة: 18:53.

133- **الرّدّ على قصيدة ابن القيّم الجوزيّة، "محمّديات شيطانيّة"**، موقع: مسيحيو الشّرق لأجل المسيح: https://mechristian.org، تاريخ النّشر: 10 أوت 2007م، تاريخ الزّيارة: 03 جوان 2020م، السّاعة: 10:35.

134- سلامة، أشرف إبراهيم عليان: **العقائد النّصرانيّة في القرآن الكريم -دراسة تحليلية-**، رسالة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلّيّة أصول الدّين، الجامعة الإسلاميّة، غزّة، 1429هـ/ 2008م

135- أبو غربية، بهجت: **صفحات من تاريخ القضيّة الفلسطينيّة حتّى سنة 1949م- الرّؤية التّاريخية وملامح تجربة ذاتيّة-**، ضمن كتاب: القضيّة الفلسطينيّة في أربعين عامًا بين ضراوة الواقع وطموحات المستقبل، دط، مركز دراسات الوحدة العربيّة، لبنان، 1989/09/30م.

136- **لماذا لم يُسمّر اللّصّان وسُمِّر السّيّد المسيح على الصَّليب؟**، موقع صوت المسيحي الحر: https://www.light-

dark.net/t1471212، تـاريخ النّشـر: 02 مـاي 2019م، تاريخ التّصفّح: 21 جويلية 2020م).

137- المعقيل، بدر الدّين بن محمّد طراد: **جهود علمـاء المسـلمين فـي الـرّدّ علـى النّصـارى خـلال القـرون السّـتّة الهجريّـة الأولـى**، (رسـالة دكتـوراه مخطوطـة)، قسـم العقيـدة، كلّيّـة الـدّعوة وأصـول الدّين، جامعة أمّ القرى، السّعوديّة، 1425هـ.

فَهَارِسُ النُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ

أوَّلًا- فهرس فقرات الكتاب المقدَّسِ:

نصُّ الفقرة	الإصحاح	العدد	الصَّفحة
التَّكوين			
[في البدْءِ خلق الله السّماوات]	01	05-01	83
اللّاويين			
[وقال الرّبّ لهارون: "لا]	10	11-08	139
التَّثنية			
[وإذا وجدتم على أحدٍ جريمة]	21	23-21	176، 270
[لا يُعاقَبُ أحدٌ بذنبِ غيره]	34	16	75
مزامير			
[لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى]	16	10	267
[كالماء انسكبت]	22	14	106
[يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ وَعَلَى]	22	18	105
[يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ]	91	11	267
اشعياء			
[لم يفعل خطيّة ولا وُجد]	53	09	178-177
متّى			
[هذا نسب يسوع المسيح]	01	17-01	225 ،133-132
[وهذه سيرة ميلاد يسوع]	01	25-18	133
[يُدْعَى نَاصِرِيًّا]	02	23	269
[لا تظنُّوا أنّي جئتُ لأُبطِل]	05	18-17	139

[سمعتم أنّه قِيل: عيْنٌ بعيْنٍ]	05	48-38	78-77
[ونصلّي إلى الله دائمًا ونناديه]	06	09	263
[وأمّا ابن الإنسان فليس]	08	20	52
[جاء يوحنّا لا يأكل ولا يشرب]	11	19-18	52، 138
[ما أرسلني الله إلّا إلى]	15	24	52، 139
[أَبَانَا الّذِي فِي السَّمَاوَاتِ]	20	13-09	24
[وبدأ يسوع من ذلك الوقت]	16	28-21	59، 265، 266
[وكان التّلاميذ مجتمعين في]	17	23-22	59
[وكان يسوع صاعدًا إلى]	20	19-17	59
[وفي ذلك الوقت ذهب]	26	16-14	61
[وَأَقُول لَكُمْ: إِنِّي مِنَ الآنَ]	26	29	105
[وبينما يسوع يتكلّم وصل]	26	56-47	62
[فالذين أمسكوا يسوع أخذوه]	26	75-57	63-64، 78
	27	26-01	64
[فأخذ جنود الحاكم يسوع]	27	56-27	65-66، 94
[ولمّا مضى السّبت وطلع]	28	20-01	114-115، 125
[وجاء عند المساء رجلٌ غنيّ]	28	61-57	122، 126
[وفي الغد، أي بعد التّهيئة]	28	66-62	123
مرقس			
[مَا زَادَ أُمَّكَ وَإِخوَتَكَ عَلَى]	03	32	255
[ثمّ غادر يسوع نواحي صور]	07	37-31	189
[فسوف يبرُز أكثر من مسيحٍ]	13	27-22	246
[وبينما هم يأكلون أخَذَ]	14	26-12	61-62، 138-139

لوقا			
[كان في زمن هيرودس]	01	25-01، 57-80	232-234
[أُرسِل الملاكُ جبرائيل من]	01	26-28	232
[فاضطَرَبتْ لكَلام الملاك]	01	29-56	234-235
[وفي ذلك الزّمان، أصدر]	02	01-52	236-237
	03	21-22	237-239
[ودعاه أحد الفرّيسيين إلى]	07	36-37	138
[وصرخ يسوع صرخة قويّة:]	23	46	95
يوحنّا			
[في البَدْءِ كان الكلِمة].	01	01-04	48
[الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا]	01	14	264
[فَأَجَابَ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ]	02	18-21	268
[يا معلّم، نحن نعرف]	03	03	52
[لَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ]	03	13	267
[فكذلك يجب أنْ يُرفَع ابن]	03	14-17	186
[مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللهِ]	05	18	266
[أنا لا أقدر أَن أعمل]	05	30	52
[فما نزلت من السّماء لأعمل]	06	38	52
[أَضَعُ نَفْسِي.. لَيْسَ أَحَدٌ]	10	17-18	265
[أنا هو القيامة والحياة]	11	25	125
[فلمّا شاهد اليهود الذين]	11	45-56	60
[والحياة الأبديّة هي أن]	17	03	52
[بعدما انتهى يسوع من صلاته]	18	01-40	63، 239-241
	19	01-42	63، 64، 66، 126 241-243،

			265
	20	10-01	245-244 ،127
أعمال الرُّسل			
[وخلال فترة أربعين يومًا بعد]	01	03، 06-11	245 ،114
[أيها الجليليون، ما بالكم واقفين]	01	09-11	245 ،115
[سَبَقَ فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ]	02	31	267
رومية			
[تعين ابن الله بقوة من جهة]	01	04	125
[مات المسيح من أجل الخاطئين]	05	06-08	68
[الله الذي ما بخل بابنه]	08	32	49، 68
كورنثوس الأولى			
[أنّ المسيح مات من أجل]	01	03	68
[فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ]	01	18	269 ،152
[لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ]	12	03	271
غلاطية			
[إنّ كلمة الصّليب عند]	01	18	269 ،152
[والمسيح حرّرنا من لعنة]	03	13-14	270 ،176
[وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا]	06	14	269
تسالونيكي الأولى			
[نرجو أَن يُمهّدَ الله أبونا]	03	11	49
تيموثاوس الأولى			
[الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ]	06	16	265
العبرانيين			
[يُشْبِهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ]	02	17	269
يوحنّا الأولى			
[مَنْ هُوَ الْكَذَّابُ، إِلاَّ]	02	22	271

[وكُلُّ رُوحٍ لاَ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ]	04	03	271
[اللهُ مَحَبَّةٌ]	04	08، 16	263
يوحنّا الثّانية			
[قَدْ دَخَلَ إِلَى الْعَالَمِ مُضِلُّونَ]	01	07	271
إنجيل يعقوب التّمسيحي			
[نقرأ في أخبار أسباط]	01-11	/	231-226
إنجيل الطّفولة العربي			
[إنّ يسوع تكلّم حين كان في المهد]	/	/	247
الدّياطسرون			
[وقام جميع جمعهم وأخذوا]	/	/	171
[الكتّاب وعظماء الكهنة ثلبوه]	/	/	171
[عظماء الكهنة والمشايخ سألوا]	/	/	172
[حينئذ رجّالة القاضي أخذوا]	/	/	172

ثانيًا- فهرس آيات القرآن الكريم:

نصُّ الآية	رقمُها	الصَّفحة
البقرة		
﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ﴾	28	121
﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ﴾	35	72
﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ﴾	37	73
﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾	97	23
﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ﴾	136	224
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ﴾	161	176
﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ﴾	163	23
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾	179-178	77
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾	186	84
﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾	233	131
﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾	255	96
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾	285	224
آل عمران		
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾	19	47 ،19
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾	34-33	225
﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ﴾	37-35	226
﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾	41-38	232
﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ﴾	43-42	231
﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ﴾	47-45	234
﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى﴾	49	189 ،54
﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾	53-52	61

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾	55	71، 240
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا ﴾	57-56	148
﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ﴾	59	55
﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾	85	19-20، 46
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ ﴾	87	176
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	102	46
﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾	129	112
النِّساء		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾	01	46
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن ﴾	52	176
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾	150-152	224
﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ﴾	157-159	71، 133، 243، 246
﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا ﴾	171	21، 256، 264
﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن ﴾	172	54
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ﴾	173	148
المائدة		
﴿ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١ ﴾	01	113
﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾	03	46
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ﴾	17	133
﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ﴾	72	53
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ﴾	73-74	20
﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾	75	54، 139
﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ ﴾	110	133
﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾	111	61

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ﴾	119-116	53-54، 136-137، 224،
الأنعام		
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾	153	20
﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ﴾	101	22، 137
﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ﴾	103	112
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ﴾	163-162	162
الأعراف		
﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ﴾	23	73
﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا﴾	43	47
﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا﴾	198-191	162
التوبة		
﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ﴾	30	53
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾	116	112-113
يونس		
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ۖ﴾	02	87
﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ﴾	23-22	85
﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	35-31	92
يوسف		
﴿وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ﴾	41	187
﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾	101	47
الرعد		
﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ﴾	09	96
النحل		
﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾	78	130
﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾	102	22

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا﴾	126	77
مريم		
﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾	15-01	233
﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ﴾	35-16	25، 134، 207، 208، 325-
﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ﴾	30	54
طه		
﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ﴾	121-120	72
﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾	122	73
﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ﴾	123	72
الأنبياء		
﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ﴾	20-19	94
﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾	22-21	23، 121
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن﴾	25	23
الحجّ		
﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾	18	113
المؤمنون		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ﴾	14-12	129
﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾	50	133
﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾	91	22
الفرقان		
﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	02	90
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾	58	76
النّمل		
﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ﴾	64-59	84، 91-92

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ ﴾	88	83
القصص		
﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ﴾	73-71	83
﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾	88	76
لقمان		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ ﴾	33	74
الأحزاب		
﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾	40	222
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	71-70	46
فاطر		
﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ ﴾	18	73
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	41	84
يس		
﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ ﴾	83-79	174
غافر		
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ ﴾	60	84
فُصِّلت		
﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ ﴾	46	74
الشُّورى		
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ﴾	11	137
﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ ﴾	13	23
الزُّخرف		
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾	59	54
﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ ﴾	61	246 ،224
﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ ﴾	82-81	146 ،22

الأحقاف		
﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا﴾	22	146
الذّاريات		
﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾	24-28	140
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا﴾	56	162
الطُّور		
﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ﴾	35-37	90
الجنّ		
﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ﴾	06	54، 139
التّحريم		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾	06	95
﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	11-12	209، 231
الملك		
﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ﴾	03	87
نوح		
﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾	15-16	87
المدّثّر		
﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾	31	93
القيامة		
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾	22-23	181
البروج		
﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ﴾	04-10	167
الزّلزلة		
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا﴾	07-08	147
الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾	01-14	22، 23، 137

ثالثًا- فهرس الأحاديث النَّبويَّة:

نصُّ الحديث	راويه	رقمه	الصَّفحة
"لعن الله اليهود والنّصارى اتّخذوا"	البخاري	1330	193
"ما من مولود إلّا والشَّيطان"	البخاري	1431	207
"لا تقوم السَّاعة حتَّى ينزِل"	البخاري	2476	182
"يا معاذ، هل تدري حقُّ"	البخاري	2856	51
"إنّ أحدكم يُجمَع خلقُه"	البخاري	3208	129
"كمُل من الرّجال كثير"	البخاري	3411	209
"لا تطْرُوني كما أَطْرَتْ النَّصارى"	البخاري	3445	25
"كانت بنو إسرائيل تسوسهم"	البخاري	3455	222
"ثُمّ صعد بي حتّى أتى السّماء"	البخاري	3887	221
"يُنادي مُنادٍ: ليذهبْ كلُّ"	البخاري	7439	181
"فإذا هو يدخله في كلّ"	مسلم	259	93
"اللهمّ لا تجعل قبري وثنًا"	ابن حنبل	7358	193
"ما من مُسلمٍ يدعو الله"	ابن حنبل	11133	84-85
"إنّي أرى ما لا ترون"	ابن حنبل	21516	93
"إنَّ ممَّا يلحقُ المؤمِن من عمله"	ابن ماجة	242	86
"ستُصالحكم الرُّوم صُلحًا آمِنًا"	ابن ماجة	4089	181
"يا عديّ اطرحْ عنك"	التّرمذي	3095	181
لعن رسولﷺ الله زائرات القبور"	أبو داود	3236	193
"أنّ رسول الله ﷺ كان لا"	أبو داود	4151	181
"خمسة تكلّمُوا قبل إبان الكلام"	/	/	212
"ما في السّموات السّبع موضع"	/	/	94

تم بحمد الله

مـن غيـر اللّائـق المُـرور مـرَّ الكِـرام علـى تُـراثِ السَّـلَفِ ولاسـيمَا إرْثُ العُلمَـاء الرَّبَّانييـن المُخلصيـن المُفنِيـن أعمارهـم فـي طلَـب العِلَـم تعلُّمًـا وتعليمًـا، تمحِيصًـا وتأليفًـا، فـإنَّ فيـه مـن الـدُّرَرِ الَحِسَـان والجَوَاهـر ذاتِ اللّمَعـان، وكنُـوز العُلـوم والمعـارف مـا لا يخَفَـى علـى ذوي الألبـاب والعِرفـان، بـل يجـب الوُقـوف ببابـه، وعلـى أطلالِـه، واقتحـام كيانَـه، ووُلُـوج عالمـه، والجَـولان بـه وحوْلـه وفيـه جوْلَـة متأمِّـل مُستبْصِر، وسبْرَ أغـواره، وكشْـفَ أسـراره؛ بالمُذاكَـرة والدِّراسَـة والتَّمحيـص والتَّنقيـب والتَّحقيـق، خصُوصًـا إنْ كانَ شِـعْرًا منظُومًـا مـن عالِـم ألمَعِـيٍّ كابـن القيِّـم صَاحِـب التّآليـف الفريـدة والأسـفَارِ النَّافِعـة المُفيـدة، الجامِـع بيـن النَّثْـر والنَّظـم، النَّصُـوح المُبيِّـن تـارةً، المَـازِح الهَـازِل حِينًـا، والنَّاقِـد الفاضِـح مـرَّةً أُخْـرى، ذي الكلمـاتِ الباهـرة السَّـاحرة، والعبـارات اللّطيفـة الجاذِبـة، والمَعَانـي ذاتِ القُطـوف الدَّانيَّـة والظِّلال الوارِفة والينابيع الصَّافية.

كان هـذا فـي البـدْءِ؛ هـو السَّـببُ الـذي نادَانِـي لطـرْقِ غِمَـار شـرْحِ قصِيدة من قصَائدِه في كتابيَ هذا.

المؤلِّف

ISBN : 978-9931-798-25-5
9 789931 798279
سامي للطباعة والنشر والتوزيع
تصميم الغلاف